ISSN 1818-9849



اتحاد الجامعات العربية



الجمعية العلمية لكليات الآداب

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

المجلد الثامن العدد الأول 1432هـ/2011م

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة جمعية كليات الآداب

تنضيد واخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

اللجنة الاستشارية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب
مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب** مجلة علمية نصف سنوية محكَّمة معتمدة تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة IBM (Ms Word).
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف :00962 2 7211111

فاكس :00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني:website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين( )

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:

تواصل مجلّة اتّحاد الجامعات العربّية للآداب والعلوم الإنسانيّة مسيرتها المباركة في رفد الحياة الثقافيّة والفكريّة والأدبيّة في رحاب وطننا العربيّ الكبير ؛ بما تنشره من موادّ علميّة أصيلة، وإبداعات فكريّة متميّزة.

وإنّها لغاية سامية أن توحّد الثقافة العربيّة بين أبنائها، عبر صفحات هذه المجلّة، وأخواتها من المجلاّت المحكّمة التي تصدر عن الجامعات العربيّة، ومراكز البحوث المتخصّصة، في حواضر العالم العربيّ والإسلاميّ، عن طريق خدمة فكرنا العربيّ، وتعزيز ثقافتنا العربيّة، وتكريس دورهما الكبير، ومكانتهما السامقة في إغناء الحضارة الإنسانية لآفاقها الواسعة، وفضاءاتها الرحبة.

ويسعدنا، مع إطلالة هذا العدد الذي تغطّي بحوثه حقولاً معرفيّة متنوّعة، أن نقدّم وافر الشكر إلى هيئة تحرير المجلّة، على جهودها الخيرّة، وعملها الدؤوب، للارتقاء بالمجلّة شكلاً ومضموناً.

والشكر موصول الى الباحثين العرب، كفاء تعاونهم مع المجلّة وحرصهم على تقديم نتاجهم العلميّ الرصين، وإسهاماتهم البحثية الرائدة، مؤملين أن يستمرّ تواصلهم مع المجلّة ؛ فالتواصل يعطي القائمين على أمر تحرير هذه المجلة دفعة قويّة، ليتابعوا مشوار العطاء والإنجاز بكل ثقة واقتدار.

والله وليّ التوفيق.

أ.د. سليمان خرابشة

رئيس التحرير

الأمين العام للجمعية العلمية لكليات الآداب للجامعات

في اتحاد الجامعات العربية

جامعة اليرموك - الأردن

Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

Name: .... :الاسم

Address: .... :العنوان

P.O. Box: .... :ص.ب

City & Postal Code: .... :المدينة والرمز البريدي

Country: .... :الدولة

Phone: .... :هاتف

Fax: .... :فاكس

E-mail: .... :البريد الإلكتروني

No. of Copies: .... :عدد النسخ

Payment: .... :طريقة الدفع

Signature: .... :التوقيع

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Correspondence

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7211137

قسيمة اشتراك

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — لمدة

- One Year — سنة واحدة
- Two Years — سنتان
- Three Years — ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي **One Year Subscription Rates**		
خارج الأردن Outside Jordan	داخل الأردن Inside Jordan	
7 دولار أمريكي US $ 7	3 دنانير JD 3.00	الأفراد Individuals
10 دولار أمريكي US $ 10	5 دنانير JD 5	المؤسسات Institutions

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

Standard Price JD 2.000 سعر البيع العادي 2.000 ديناران

Students JD 1.300 سعر البيع للطلبة 1.300 دينار

خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع

40% Discount for Bookshops

المراسلات

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.

رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555

فاكس: 00962 2 7211137

عوامل تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية في قصيدة "يا شعر" للشابي

عبد المهدي الجراح وخالد الهزايمة *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة العوامل التي تسهم في تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية في قصيدة "يا شعر" للشابي؛ لما لهذه الأبعاد من أهمية كبرى في نجاح الرسالة التي يقصدها الشاعر؛ وبيان مدى تأثيرها في نفسية القارئ. تناول البحث بداية مفهوم الإبلاغية ومجالاتها، ثم انتقل لبحث أهمية تشكل الأبعاد الإبلاغية النصية والكشف عنها، ثم عوامل تشكلها في النص. انتهى البحث إلى أن ثمة مجموعة من العوامل كانت قد أسهمت في تشكيل الأبعاد الإبلاغية في نص الشابي، وهذه العوامل هي: قصدية الوحدة الدلالية للتراكيب، والتواتر المقنن للأساليب اللغوية، والتقنيات اللغوية البلاغية، وتقنية القصد التركيبي.

الكلمات المفتاحية: عوامل، الأبعاد، الإبلاغية، الشابي.

مقدمة:

تعد دراسة الأبعاد الإبلاغية النصية من قبيل البحث في عوامل نجاح الرسالة التي يقصدها المرسل؛ لأن غرضه يكون منصباً على تحفيز الوظيفة التأثيرية أو التأثرية عند المستقبل؛ مما يجعل المستقبل قادراً على فهم النص؛ الأمر الذي يؤدي إلى تعزيزعملية التواصل التي تحدث بين المرسل والمستقبل،بقصد تقليب الحدث التواصلي ضمن مستويات لغوية متعددة، يعد الكشف عنها من المهام الأساسية للباحث في عوامل نجاح الرسالة.

إن هذا التصور يجعل البحث في الجوانب الإبلاغية للنص في أساليب اللغة، ويكون هذا العلم جزءاً من علم أوسع يبحث في أبنية النص وهو علم لغة النص، العلم الذي يقدم تصورات مهمة جديدة تتعدى وصف الظواهر الخاصة بمستويات لغة النص: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ لتصل إلى الاهتمام بمستويات أخرى مثل: الاهتمام بالاتصال اللغوي، وأطرافه، وشروطه، وقواعده، وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل، ومستويات الاستخدام، وكذلك أوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي، وأنواع المتلقين، وصور التلقي، وانفتاح النص، وتعدد قراءاته(1).

* قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

يأتي البحث في العوامل التي تشكل الأبعاد الإبلاغية النصية إثراء وتعميقاً لمهمة علم اللغة النصي، هذا العلم الذي ينظرإلى لغة النص على أنها لغة متفاعلة، يقول سعيد بحيري: "إن لغة النص لغة متفاعلة، ليست خامدة، ولا تكف عن الحركة: لا تكف عن استيعاب دلالات ومضامين جديدة، وإفراز أبنية غير محدودة، تتطلب وصفاً ديناميا يواكب تلك القدرة ولا يحدها، وبالتالي تحتاج إلى قارئ ذي كفاءة معينة قادر على القيام بعملية لا تقل قيمة عن عملية إنتاج نصوصها من خلال عمليات الوصف والتحليل والتفسير، قادر على إبراز إمكانات النصوص وطاقاتها غير المحددة"(2).

وهذا يعني أن النص بوصفه ظاهرة أدبية –كما يرى ريفاتير – لايستوي في علاقاته بالكتاب، ولا في الواقع، وإنما في علاقاته بالقارئ(3). وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الكشف عن الجوانب التي تعزز وظيفة المستقبل في فهم النص، وإعادة إنتاجه من المهام الأساسية التي من شأنها أن تكشف عن الأثر الإبلاغي، الذي من شأنه أن يؤثر في المستقبل، ويجعل وظيفته وظيفة بنائية تفاعلية لا وظيفة استهلاكية وحسب.

تم اختيار قصيدة "يا شعر" للشابي ميداناً للبحث لمايلي:

أ. تشكل هذه القصية موقفاً شعرياً وعاطفياً موحداً، قائماً على التجانس التام، وهذا الموقف يتمثل في البوح عن مكنونات النفس المحملة بمشاق الحياة وقسوتها:

يا شعر ! قلبي – مثلما تدري- شقي مظلمُ

فيه الجراح النجل، يقطر من مغاورها الدم(4).

وهذا الموقف تجده في معظم قصائده، فتكون هذه القصيدة – والحالة هذه- ممثلة لديوانه.

ب. تضم هذه القصيدة مجموعة من العوامل المشكلة للأبعاد الإبلاغية، وتتسم هذه العوامل بالتكامل والتنوع، وهذا التنوع – عن طريق النظر في ديوانه- يشكل ظاهرة لافتة للنظر، تستحق الوقوف والدراسة.

ت. استطاع الشابي في هذه القصيدة أن يختزل تجاربه الشعريه على المستويين: اللغوي والعاطفي، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه كارنب "أن القصيدة التي تمثل فيها كلمات خيط الشمس والغيوم ليست إخبارنا عن أحداث مناخية ولكن غايتهاهي أن تعبر عن عواطف معينة يعانيها الشاعر، وأن تثير فينا عواطف مماثلة"(5).

إن هذه القصيدة من القصائد اللافتة للنظر في ديوانه، فالمستقبل يرى فيها صوراً من التجارب والمشاعر والأحاسيس الصادقة، عرضت بطريقة متتابعة متسلسلة منظمة، وربما هذا ما دفع المستقبل (الباحث) إلى التأثر بما يقرأ.

وقبل البدء بدراسة العوامل المشكلة للأبعاد الإبلاغية في القصيدة سنقف عند بعض المفاهيم دراسة وبحثاً، مثل: مفهوم الإبلاغية، ومساراتها، وأهمية تشكل الجوانب الإبلاغية نصياً.

أولاً: مفهوم الإبلاغية ومجالاتها

يربط ياكوبسون الجانب الإبلاغي للغة الشعرية بالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية للرسالة اللغوية؛ لأنها تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، فهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع على حد تعبيره(6). إذ تتولد الوظيفة التقويمية أو التقديرية عند المستقبل -كما يرى ياكوبسون -عندما يقع التأكيد على المستقبل بصيغ معينة مثل الأمر والطلب والنداء(7).

يفهم مما تقدم أن الإبلاغية هي الأثر الانفعالي والتعبيري الأساسي للرسالة التي ينتجها المرسل، وتقوم على استخدام المرسل لتقنيات لغوية وأسلوبية وبيانية؛ تجعل المستقبل يتأثر بما يقرأ، ويتفاعل مع النص المقروء، وهذا يعود بالنفع على النص من حيث إعادة بنائه من جديد وفقاً لرؤى جديدة، إذ يعمد المرسل إلى إبراز الوظيفة الإبلاغية للرسالة فيلجأ إلى استعمال أساليب وألفاظ معينة ومحددة تؤثر في نفسية المستقبل، فيقدر المستقبل ما جاء في رسالة المرسل.

ويمكن الخلوص إلى تحديد الإبلاغية على أنها "تشمل كل ما يجاوز الجانبين العاطفي والفكري في الكلام وكل ما يجاوز كذلك إيصال الوقائع والآراء إلى الآخرين"(8). وموطنها هو الأسلوب(9).

أما مجالاتها ومساراتها فهي اللغة الأدبية، والحركات الإبلاغية التي تطرأ على اللغة الأدبية، فاللغة الأدبية هي مسرحها ومربط خيلها، والانفعال الكامن في بعض الصيغ والعبارات والاشتقاقات لهي المنهل الأساسي الذي تنهل منه(10). وقد حصر عفيف دمشقية مسارات الإبلاغية بمايلي:

1. الاهتمام بعنصر من عناصر العبارة وإبرازه
2. جرس العبارة وموسيقاها وتناغم أصواتها.
3. نبرة الملفوظ.
4. القيم العاطفية.
5. القيم التي تستدعي في الذهن ذكريات معينة (11).

ويلحظ مما سبق أن مجالات الإبلاغية محصورة بالقصد اللغوي والبحث فيه،ولكن هذا لا يعني الانغلاق على مجموعة من القيم التركيبية والفكرية في النص، بل إن البحث فيها يعني البحث

في العناصر التي تجعل الرسالة تحصل على قدر كبير من الرقي، يقول سمير استيتية: "عرفت أن اللغة ليست وسيلة للتبليغ فقط، إنها فوق ذلك، وسيلة للرقي بالرسالة نفسها التي تريد تبليغها إلى الآخرين، ومن هنا كان البيان في معظم اللغات وسيلة إلى هذا الرقي، ثم أصبح هو نفسه هو إحدى وظائف اللغة، ولا نقصد بالبيان هنا التشبيهات والاستعارات والمجازات والكنايات حسب، وإن كنا لا ننكر أن هذه الموضوعات من الوظائف البيانية المألوفة في لغات كثيرة، وفي مقدمتها العربية نقصد بالبيان – بالإضافة إلى الموضوعات السابقة- قدرة المتكلم على: تحديد أفكاره بدقة، والاستدلال للأفكار، وترتيبها، وتسلسلها، وقدرته على مراعاة أحوال المخاطبين (بكسر الطاء)، والإيجاز غير المخل- حين ينبغي أن يوجز- والإطناب غير المخل- حين ينبغي أن يطيل ويطنب – واستعمال الأساليب اللغوية المختلفة، والمواءمة بين كل أسلوب، وما يستدعيه من تنغيم، ورفع الصوت، وخفضه بما تقتضيه الدلالة، واختيار الألفاظ المناسبة وابتكار المعاني، وتوليد بعضها من بعض"(12).

يتضح من كلام استيتيه أن البحث في الإبلاغية هو أعمق مما قد يتصوره المرء، ويتمتع بالسعة، فهو لا يحصره في الأثر الانفعالي الذي يحدثه التركيز على لفظه أو جملة (تركيب)، أو استعمال أسلوب لغوي دون غيره، فالإبلاغية تشمل جميع الإمكانات اللغوية والأدبية والدلالية والأسلوبية التي يستثمرها المبدع سعياً إلى التأثير في نفسية المستقبل، فمسار الإبلاغية إذن لا ينحصر في جوانب تأثيرية ضيقة، وإنما يمتد ليشمل كل ما يؤثر في نفسية القارئ، أي: التقنيات اللغوية والأسلوبية والأدبية المستثمرة في عملية انتاج النص، وهذا ما يجعل الظاهرة الأدبية ليست مرتبطة بالنص فحسب بل هي القارئ أيضاً وجملة ردود فعله تجاه النص(13).

ويفهم مما عرضه ريفاتير في حديثة عن (إنتاج النص)، أن القارئ هو الذي يعيد فهم النص ومراجعته ويتابعه من جديد، ففي مرحلة تحويل الأفكار الملخصة إلى إشارات دالة يتم تحويل الروابط النحوية إلى أفكار محددة ثابته، وتكون هذه الأشكال الإشارية دالة على الوظيفة المحددة للفظة أو التركيب، فتكون مهمة القارئ إعادة فهم التركيب النصي اعتماداً على الأثر الذي يحدثه هذا التركيب(14). وليس من المعقول إذن استبعاد السياق غير اللغوي من دائرة العملية الإبلاغية، وحصر ذلك كله بالسياق اللغوي فحسب، فالنص الأدبي يشكل خطابات متلاحمة، وتحليل الخطاب لا بد من أن يشمل جانبي التحليل اللغوي وغيره، كالسياقات المحيطة بالنص،ويصرح روبرت دي بوجراند Robert debeaugrande بأننا يجب ألا نهمل المعرفة التي تنطلق من اللغة نفسها في تعاملنا مع التحليل اللغوي للنص(15).

وهذا كله يسهم في ترسيخ القيم الإبلاغية النصية، ويساعد على الكشف عن العوامل التي تسهم في تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية، وينمي مفهوم المقصدية، والتفاعل الحاصل بين المرسل

والمستقبل، يقول محمد مفتاح: " على أنه لا يحصل التأثير إلا بفهم التعبير، والاعتراف من قبل المتلقي؛ ولذلك فإنه لا بد من توافر مفهوم المقصدية، الذي يعني في هذا السياق، الدلالة والفهم، فالدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم، يعني الاعتراف، من قبل المتلقي، بقصد تواصل المرسل"(16).

ثانياً: أهمية تشكل الجوانب الإبلاغية النصية والكشف عنها

لا خلاف على أهمية الأبعاد الإبلاغية داخل النص، فهي أبعاد تشكل أدبية النص الأدبي، لأنها تسهم في تشكيل الشعرية التي هي فرع من فروع اللسانيات، التي تعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتركز على العوامل التي تجعل من الرسالة أو العمل الأدبي أثراً فنياً، فهي دائماً تحاول الإجابة عن سؤال محوري هو: "ما الذي يجعل من الرسالة اللفظية أثراً فنياً؟"(17).

بما أن الأمر كذلك، فإن الإبلاغية تهتم بقضايا البنية اللسانية، كالشعرية تماماً؛ لأنها عامل مهم من عوامل تشكيل الشعرية، "بما أن اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزء لا يتجزأ من اللسانيات"(18).

وهي تساعد أيضاً في الكشف عن الوظيفة الشعرية؛ لأنها عنصر فريد لا يمكن اختزاله بشكل ميكانيكي إلى عناصر أخرى من جهة؛ ولأنها مجرد مكون من بنية حركية من جهة أخرى(19). فالكشف عن السبب الذي يجعل الشاعر يستعمل أسلوباً لغوياً معيناً، في مساحات واسعة من جسم النص دون غيره من الأساليب اللغوية الأخرى هو منحى إبلاغي، يسهم في جعل هذا الأسلوب يحدث أثراً في نفسية المتلقي، وربما تواتر استعمال الأساليب اللغوية، وتنوعها وفقاً لمقصدية ثابتة من قبل الشاعرهو مما يعطي النص مبدأ الإبلاغية، وهذا مبدأ شاعري يدفع القارئ للمتابعة والقراءة والتواصل والانفعال الصادق.

ولا بد من تقرير نقطة هامة، وهي أن الإبلاغية تشكل رابطاً نصياً ضرورياً تبحث عنه الشعرية في رحلتها النصية، وهذا الرابط يشكل ما يمكن تسميته بالاتساق الذي هو: البحث في كيفية ترابط أجزاء النص بعضها ببعض ضمن روابط محددة وثابته(20) وهو بحسب هاليداي ورقية حسن مفهوم دلالي، لأنه يركز على العلاقات المعنوية(21)، ولقد كان ياكوبسون مصيباً تمام الإصابة حينما قال: "ولكن كيف تتجلى الشاعرية؟ إنها تتجلى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بدل عن الشيء المسمى ولا كانبثاق للانفعال. وتتجلى في كون الكلمات وتركيبها ودلالتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد إمارات مختلفة عن الواقع، بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة"(22).

فهذا الثبات للكلمة، ولدلالاتها وتركيبها وشكلها ومدى مطابقتها لما هو في الواقع، هو ما يعطي النص البعد الإبلاغي؛ لأن هذا العمل يحمل أبعاداً تماسكية مهمة وضرورية في بناء النص.

ثالثاً: عوامل تشكل الأبعاد الإبلاغية في النص

بعد قراءة قصيدة "يا شعر" للشابي، وتحليلها، وتتبع مسارات اللغة فيها، ودلالات تراكيبها، ومقاصد الشاعر، تبين وجود مجموعة من العوامل التي كانت قد أسهمت في تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية، والحديث هنا عن الجوانب الإبلاغية للتراكيب ووظائفها على مستوى النص، لا على مستوى التركيب نفسه وحسب، وهذه العوامل هي:

أ- قصدية الوحدة الدلالية للتراكيب.

ب- التواتر المقنن للأساليب اللغوية.

ج- التقنيات اللغوية البلاغية.

د- تقنية القصد التركيبي أو التركيب المقصود.

وفيما يلي بحث لهذه العوامل وعرض لمضامينها.

أ- قصدية الوحدة الدلالية للتراكيب

إن قراءة قصيدة الشابي هذه تنقل المرء نحو عوالم دلالية متنوعة، ورغم تنوعها فإنها متحدة فيما بينها في تقرير دلالة كلية واحدة تختزل رؤى الشاعر وتصوراته، تسمو على جميع الحركات الإبلاغية النصية، وهذه الدلالة هي: الشعر هو تعبير عن شعور الإنسان، نعم، فالشعر هو المعبر عن حالة الحزن المفضية إلى الاكتئاب عند الإنسان، فهو المعبر عن روح الشعور الذي يحس به الإنسان، وقد تم استنتاج الدلالة الكلية هذه استناداً إلى استهلاله القصيدة بقوله:[23]

يا شعر أنت فم الشعور، وصرخة الروح الكئيب

يا شعر أنت صدى نحيب العليا، والصب الغريب

و تكرار الألفاظ والتراكيب الدالة على أن الشعر هو الأداة المعبرة عن هموم الإنسان ومشاكله الحياتية، ويصرح كل من براون ويول بأن "الجملة الأولى في الصفحة الأولى لا تمارس ضغطاً وقيداً على تقدمة الصفحة الأولى فحسب بل على النص كاملاً"[24]، وهذا ما حدث فعلاً في نص الشابي إذ بقيت الجملة الشعرية الأولى مسيطرة علس النص من بدايته وحتى نهايته، فالمقطوعات والأبيات داخل القصيدة جمعيها متحدة في الدلالة الكلية السابقة الذكر، والدلالات الجزئية كلها تغذي هذه الفكرة الكلية الكبرى، ولعل هذا من أهم الأبعاد الإبلاغية في النص، لأنك أمام نص متماسك؛ لأن تكرار الدلالة الواحدة داخل التركيب، وبنغمات تركيبية مختلفة من أهم

العناصر التي تصل التراكيب النصية بعضها ببعض[25]. وهذا يؤدي إلى ربط الدوائر المشكلة للنص، التي ترجع إلى ذاكرة نصية قوية مصدرها مقصدية التنظيم الذهني لجزئيات النص[26]. وتتبع الدلالات الجزئية للتراكيب داخل النص يثبت أنها تدور حول الدلالة المركزية السابقة، وهذه هي الدلالات كما يقررها:

1. الشعر فم الشعور وصرحة الروح الكئيب.
2. الشعر صدى نحيب القلب والصب الغريب.
3. الشعر مدامع علقت بأهداب الحياة.
4. الشعر دم تفجر من كلوم الكائنات.
5. الشعر هو القلب الشقي المظلم المجروح النائح التعيس.
6. الشعروحي الوجود الحي ذي الايقاعات المبكية.
7. الشعر هو الحاضن للكآبات الناتجة عن المنون.
8. الشعر هو نشيد أمواج الخضم الساحرة.
9. الشعر هو نشيد الحياة وأملها، وهو نشيد الزهور الباسمة.
10. الشعر نحيب الطبيعة ممثلة بالزهور والشمس المتمايله.
11. الشعر هو جمال الطبيعة الممثلة بأضواء الغروب الساحرة.

فهذه الدلالات الجزئية للمقطوعات والأبيات ترتد إلى دلالة واحدة، هي: أن الشعر هو المعبر عن شعور الإنسان، فهو فم الشعور، وهوالدمع، والقلب، والوجود، والحاضن للكآبة، وهو النشيد الذي يدعو إلى الحياة، وهو نحيب الطبيعة وجمالها، إنه هو الحياة، وتتضمن الدلالات السابقة الذكر كلمات تمثل مفاتيح مهمة وهذه الكلمات: (صرخة، الروح الكئيب، صدى نحيب، الصب، مدامع، دم، القلب الشقي، المظلم، المجروح، النائح، التعيس، وحي الوجود، الكآبات، نحيب الطبيعة، أضواء الغروب)، وإذا جمعت هذه الكلمات التي تمثل مفاتيح مهمة تجد أن الشعر أصبح مرادفاً للحزن والكآبة والبؤس، إذن هو صورة لمعاناة الإنسان وألمه ولانعكاس الأشياء اليائسة في ناظريه، وهذا يؤكد أن النص يتضمن بنية كلية واحدة، ويقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب جامع دلالي وقضية موضوعية يتمحور النص حولها، ويحاول تقديمها بأدوات متعددة، ويشير إلى أن موضوع البنية الكلية مفهوم حدسي مفترض يسعى المتلقي إلى تقديمه وتجسيده بأدواته الخاصة[27]، ومن أدوات تحديد البنية الكلية في النص العنوان والتكرير [28]،وأبياته التالية تشكل دليلاً على ما تقدم ذكره[29]:

يا شعر! أنت فم الشعور، وصرحة الروح الكئيبْ

يا شعر! أنت صدى نحيب القلب، والصب الغريبْ

يا شعر! أنت دم، تفجر من كلوم الكائنــاتْ

يا شعر! قلبي –مثلما تدري- شقي مظــلم

يا شعر! يا وحي الوجـود الحي! يا لغة الملائكْ

يا شعر! هل خلق المــنون بلا شعور كالجمادْ؟

يا شعر! أنت نشيد أمواج الخضــم الساحرهْ

يا شعر! أنت نشيد هاتيك الزهـور الباسمهْ

يا شعر! انت نحيبها لماهــوت لسباتها

يا شعر! أنت صراخــها في موتها وحياتها

يا شعر! أنت جمال أضواء الغروب الساحرهْ

تشكل هذه الأبيات المفاصل الأساسية للنص، بتفريعاتها المختلفة، والاتجاه الغالب في مفرداتها أنها تتجه نحو اليأس والإحباط، وعندئذٍ يصبح الشعر صورة معبرة عن قسوة الحياة وتشكلاتها المعتمة داخل النفس، وقد حاول الشاعر تكثيف إحساساته ومشاعره في الأبيات الخمسة الأولى، دون اللجوء إلى التفصيلات الشعرية، إلا أنه وجد نفسه مضطراً إلى الدخول في التفصيلات المرتبطة بالدلالة الشعرية، فبدأ بالتفصيل بعد البيت الخامس مبتدئاً به، ولعل اللجوء إلى تكثيف الإحساسات بالحياة ضمن الأبيات الأولى بطريقة متتابعة ثم الدخول إلى التفصيلات بعد ذلك، من أهم الأبعاد الإبلاغية في النص؛ لأن هذا ينقل القارئ من حيز التأثير البسيط إلى التأثير المزدوج؛ لأن فيه ما يلفت نظر القارئ إلى أهمية النص، ثم ما سيتضمنه هذا النص من تفصيلات فيما بعد، وهذا يعطي النص بعداً تماسكياً يحافظ على العلاقة الموجودة بين الدلالات واتساقها، والبنية الكلية للنص بحسب تعبير فان ديك(30). وما نجده في هذه الأبيات نوع لا مثيل له من التعبير عن التوتر النفسي الذي هو أساس لا محيد عنه في عملية الإبلاغ الشعري، وهذا ما ارتأه البلاغيون العرب "فقد ذهب الكثيرون منهم إلى أن الشعر هو ما تفيض به النفس في جيشانها واختلاجها"(31). وما يعزز أهمية الوحدة الدلالية للتركيب داخل النص،التواتر المقنن للأساليب اللغوية وهذا سيتم بحثه بمشيئة الله تعالى.

ب- التواتر المقنن للأساليب اللغوية

في رحلة الشابي الوجدانية الانفعالية، وفي ولعه بترديد ما يحمل كآبته وحزنه وإبلاغه للآخرين، يلحظ وجود عامل مهم من العوامل التي تشكل الأبعاد الإبلاغية في قصيدته، وهذا العامل هو الوعي بتقنين تواتر الأساليب النحوية واللغوية، إذ يمثل هذا التواتر هندسة نصية فريدة تنبيء عن جودة في النسج، وحسن تأليف العبارات، إذ تدور دلالات القصيدة بين النداء والاستفهام من جهة، والجملة الاسمية واصطناع الحوار من جهة أخرى، وهذا التواتر أو التتابع المقنن للأساليب اللغوية والنحوية، يشكل استراتيجية أساسية لجأ إليها الشاعر في تفريغ انفعالاته وأحاسيسه الصادقة،

ففي النداء ما يلفت نظر المستقبل إلى أهمية المنادى وأثره في دقائق القضايا، والحديث هنا ليس حديثاً على المستوى النحوي للجملة، وإنما على المستوى النصي لها، أي: علاقتها بغيرها، ففي العرف النحوي، معلوم أن قولك: "يا علي" فيه دعوة لعلي أن يقبل عليك ويقوم الأداة مقام الفعل أدعو، فالمنادى "هو المطلوب إقباله بحرف ناب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً"[32]. أما على المستوى النصي فإن التركيب "يا علي" تكون له ارتباطات علاقية سياقيه، فمن الممكن أن يكون هذا التركيب تعبيراً عن دلالة رمزية محددة، ومن الممكن أن تكون أساساً لبنى حوارية تالية، واساساً لمجموعة من العلاقات على المستوى النصي.

وهنا بالفعل ما حدث في النص، فقول الشابي، **يا شعر**، و**يا قلب**، تركيبان يمثلان علامة لغوية، والعلامة اللغوية هي "حدث مدرك مباشرة يعلمنا بشيء ما عن حدث آخر غير مدرك"[33].

فقوله "يا شعر" هو حدث لغوي مدرك يخبرنا بسلسلة أحداث، وأصوات نصية، غير مدركة وعلينا أن نجتهد في الوصول إليها والكشف عنها، فقد يكون هذا النداء حاملاً طابع الهروب إلى الكلمة للتعبير عما يجول بخاطر الشاعر من مشاعر، وما يعمق هذا الفهم، أن الشاعر كان في بعض الأحيان يكرر النداء ليس على مستوى مساحات نصية واسعة، وإنما على مستوى مساحات ضيقة، يقول:[34].

يا شعر أنت نشـيد هاتيك الزهور الباسمةْ

ياليتني مثل الزهــور، بلا حياة واجمةْ

ويقول أيضاً[35].

يا شعر! أنت جمال أضواء الغروب الساحرةْ

يا همـس أمواج المساء الباسمات الحائرةْ

يا ناي أحلامي الحبـيبة! يا رفيق صبابتي!

لولاك مـت بلوعتي، وبشقوتي،وكآبتي

إن تتابع التراكيب الندائية يمثل إسقاطات لما في نفس الشاعر من أحاسيس ومشاعر، ففي الشعر تعبير عن المفقود في دائرة الحياة الهانئة، فهو جمال أضواء الطبيعة الجملية البعيدة، وهو رفيق الدرب(درب الصبابة والعشق) العشق الكئيب!.

إذن، فالنداء يحمل قيماً إبلاغية كثيرة في هذا النص، ولعل اتباع النداء بالجملة الاسمية، مما يعمق الجانب الإبلاغي لهذا الأسلوب على مستوى النص؛ لأن الجملة الأسمية أساساً تشكل: "ظاهرة نحوية لسانية كلية تمثل طريقة إبلاغ أساسية في الكلام البشري وتعلم اللغات وهي تتضمن تركيباً نحوياً يتجاوز المبتدأ والخبر النحويين إلى الدلالة والإخبار عما يسعى المتكلم إليه من تنبيه السامع إلى اسم يخبر عنه ويبني عليه كلاماً به يتوضح المقصود ولا يعني ذلك أن الإخبار غير متوفر في نمط الجملة الفعلية، فهي أيضاً محكمة البناء شكلاً ومعنى ولها مواطن وظيفية وإخبارية هامة"(36).

فاتباع النداء بالجملة الاسمية فيه إبلاغ وتأثير في نفسية المتلقي من قبل المرسل، وهنا لا بد من التنبيه إلى أن النداء والتركيب الإسمي الذي بعده، لا بد من فهمهما فهماً صحيحاً وحياً على مستوى النص؛ لأن وظيفتهما النصية لا تتحقق على المستوى التركيبي لهما، وإنما على مستوى فهمهما فهماً صحيحاً، وقد كان محقاً تشيتشرين حينما قال: " كلا، ونرجو العذر من لغويينا، إذ ينبغي عليهم أن يعرفوا أفضل منا (يقصد النقاد) أن معنى الكلمة التي يستخدمها الجميع لا تتكون في هذه الكراسة العلمية أو تلك، وإنما في الفهم الحي والفهم العام لها" (37).
لذا فإن التراكيب التالية: يجب أن تفهم فهماً حياً، وأنها تمثل تجربة يعانيها كل إنسان ولكن بدرجات، وهذه التراكيب هي: (38).

-يا شعر! أنت فم الشعور

-يا شعر أنت صدى نحيب القلب

-يا شعر أنت مدامع علقت

-يا شعر أنت دم تفجر

-يا شعر قلبي مثلما تدري شقي

واللافت للنظر، أن الشابي قد تنبه إلى شبح الرتابة التكرارية، وليبعد هذا الشبح عن قصيدته؛ لجأ إلى استعمال النداء متبوعاً بالجملة الفعلية وظهر هذا في قوله:(39).

كم قلت: " صبراً يا فؤاد! ألا تكف عن النحيب؟

"فإذا تجلدت الحياة تبددت شعل اللهيبْ"

*

يا قلب! لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصور

فإذا صرخت توجعاً هزأت بصرختك الدهورْ

*

يا قلب لا تسخط على الأيام، فالزهر البديعْ

يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيعْ

*

يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهورْ

فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسورْ

يا قلب لا تسكب دموعك بالفضاء فتندمْ

فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكمْ

*

لكن قلبي وهو- مخضل الجوانب بالدموعْ-

جاشت به الأحزان، إذ طفحت بها تلك الصدوحْ

فاستعمال النداء متبوعاً بالتركيب الفعلي، يشير إلى أن الدلالات والمقاصد تصطنع اللغة القادرة على إبلاغها وتفعلها من جهة، وأن اللغة بطبيعتها تنطوي كما يقول بارت على علاقة استلاب قاهرة، فهو يرى أن النطق أو الخطاب ليسا تبليغاً كما يقال: إنهما إخضاع فاللغة توجيه وإخضاع معممان(40).

وإذا تمت الموازنة بين استعمال النداء متبوعاً بالتركيب الاسمي، واستعماله متبوعاً بالتركيب الفعلي، فالاستعمال الأول أكثر وقعاً في النفس، وأعظم تأثيراً على المستوى العاطفي من الثاني، وعلى العموم، فإن النداء يشكل ملمحاً أسلوبياً يشير إلى ملمح تعبيري بارز في القصيدة، ولعل هذا ما يجعل استعمال النداء يمثل ظاهرة أسلوبية في النص، يقول فضل: "مفهوم الظاهرة في علم الأسلوب يشير إلى الملمح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية تفوق مجرد دورة اللغوي"(41). ومعيار ذلك هو "أن يكون للملمح نسبة ورود عالية في النص تجعله يتميز عن

نظائره في المستوى والموقف"[42]. فالنداء متبوعاً بالتركيب الاسمي يمثل ملمحاً أسلوبياً نسبة وروده في النص أكثر من النداء المتبوع بالجملة الفعلية، وهذا له أثر دلالي إبلاغي واضح، فالغرض ليس توصيل أفكار عن الحياة والاكتئاب والمعاناة التي يعانيها الشاعر، وإنما لفت نظر المستقبل إلى أهمية هذه المعاناة وجعله يشعر بما يعانيه يقاسيه.

وقد استعمل الشاعر الاستفهام بعد النداء، وهذا ربما كان من العوامل المهمة التي هيأت لوجود بنية حوارية، فالاستفهام –كما هو معلوم- "طلب العلم بمضمون شيء لم يكن معلوماً من قبل، ولكنه، في حقيقته التركيبية، تحويل تركيب إخباري إلى استفسار باستعمال أدوات خاصة، وتنغيم معين، أو الاكتفاء أحيانا"[43].

فاستعمال الشابي للاستفهام في النص يثبت رغبته في أن يتعدى الجانب النحوي والدلالي للاستفهام، ليجعل الاستفهام وسيلة تفريغ مهمة للشحنات العاطفية الحزينة التي يقاسيها، ويلجأ إلى اصطناع تقنية الحوار بوساطة الاستفهام؛ ليريح قلبه؛ وليشعر القارئ بمأساوية ما يشعر يقول:[44]

ما للمنية لا ترق على الحياة النائــحهْ؟

سيان أفئدة تئن، أو القلوب الصــادحه؟

*

يا شعر! هل خلق المنون بلا شعور كالجمادْ؟

لا رعشة تعرو يديه إذا تملــقه الفؤادْ؟

*

أرأيت أزهار الربيــع، وقد ذوت أوراقها

فهوت إلى صدر التراب، وقد قضت أشواقها؟

*

أرأيت شحرور الفلا، مترنماً بين الغصونْ

جمد النشيد بصدره، لما رأى طيف المنونْ؟

*

فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهرهْ

وهوى من الأغصان، ما بين الزهور الباسرهْ؟

*

أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيدْ

لما تناوله بعنف ساعد الموت الشـديدْ؟

*

أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبورْ

يبكي حبيبته؟ فيا لمصارع الموت الجسورْ!

إن استعمال الاستفهام هنا يثبت أن الاستفهام ليس مجرد طلب للخبر، وإنما هو علاقة تخاطب يحتاج فيها المتكلم إلى قول مخاطبه حتى يتم الكلام[45].والفهم والإفهام، فالعلاقة بين الشاعر والشعر هي علاقة التوحد القائم على فهم الحياة وأسرارها ومشاكلها، وهمومها ومتاعبها، إذ جاء الاستفهام؛ ليبين للقارئ أن كل شيء في هذه الحياة يهوي، فأزهار الربيع هوت، وشحرور الفلا هوى، والطفل الوحيد هوى، فلم يبق ولا يبقى إلا النواح!

والقارئ المحلل لبنى الاستفهام في النص يكتشف الحقيقة التي تجعل من هذا القول قولاً أدبياً ومن ذاك غير أدبي؛ لأن الاستفهام هنا يعمل على تغيير مساربنى التراكيب الأخرى الموازية له، وجعلها كياناً يستحق التفكير به لذاته على حد رأي روبرت شولز[46].إن الاستفهام في النص لا يجعل القارئ أمام جمل لفظية استفهامية، وإنما أمام أنماط من الأفعال الكلامية التي تتيح لنا إنجاز مختلف أفعال الاتصال، وهذه وظيفة مهمة من وظائف البراغماتية اللغوية، التي تشكل الرسالة اللغوية وأهدافها[47].

ولا بد من الإشارة إلى أن تواتر الاساليب اللغوية على هذه الشاكلة يعطي النص بعداً إبلاغياً تواصلياً واضحاً، لا بعداً تواصلياً فقط؛ لأن الوظيفة الاتصالية لا تؤدي إلا دوراً فرعياً، (أي أن الإعلام هو الغالب)، فتكون مجرد معلومات لا غير[48]. وليس هذا هو المنشود في العمل الأدبي؛ إنما المنشود هو وضع الشخص والموقف في مكانهما الحقيقي في العملية اللغوية[49]. وربما كان هذا الجانب الإبلاغي هو الذي يدفع إلى ضرورة التمسك بالمنهج الأسلوبي في عملية الدراسة والتحليل؛ لما لهذا المنهج من فائدة كبيرة في تحديد اتجاهات النص، وأهدافه، فالأسلوبية تواصل تأملها لعالم النص عن طريق القراءة المتعددة الوجوده، وتتحدد هذه الاتجاهات بعضها مع بعض في كيان عضوي يجذب القارئ ويستثير تساؤلاته"[50].

ج- التقنيات اللغوية البلاغية

لجأ الشابي في قصيدته إلى تقنيات لغوية بلاغية ثابته؛ وذلك للمبالغة في نقل أحاسيسه ومشاعره ومحاولة تصعيد ذلك، وأولى هذه التقنيات هي التشبيه، وقد ركز على التشبيه تركيزاً مباشراً، وابتدأ قصيدته بالتشبيه البليغ، ولعل تركيزه على التشبيه ليثبت القوة الإبلاغية له في نفس المتلقي، و"التشبيه صفة الشيء بما قاربه أوشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"(51). وليس من المبالغة القول: إن وظيفة التشبيه عند الشابي في مستهل قصيدته تتجاوز عملية الإيضاح التي ذكرها البلاغيون إلى وظيفة أسمى وأبلغ وهي التأثير الأكيد في نفسية المتلقي وقد كان قاصداً لذلك في مستهل قصيدته، والتراكيب التشبيهية التالية تثبت صحة ما يتوجه البحث إليه(52): (يا شعر أنت فم الشعور وصرخة الروح الكئيبْ، يا شعر أنت صدى نحيب القلبْ،يا شعر أنت مدامع علقت بأهداب الحياهْ، يا شعرأنت دم تفجر من كلوم الكائناتْ،يا شعر أنت نشيد أمواج الخضم الساحرهْ،يا شعر أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمهْ،يا شعر أن نحيبها لما هوت لسباتها)، وغيرها من التراكيب الدالة على الحزن والمعاناة في نفس الشاعر، ومحاولة غرس الإحساس الصادق بهذا الحزن في نفسية المتلقي، وهذا يثبت حقيقة القول: إنه إذا كان ثمة وظيفة يضطلع بها التشبيه في الصورة الشعرية فهي تتحدد في أنها تهدف إلى توكيد المعنى المراد قوله وترسيخه في ذهن المتلقي(53). ولا يخفى ما لهذه التشبيهات من أثر في نفسية المتلقي، فهذه التشبيهات تبني صورة حية، وصادقة لمعاناة الشاعر، وهذا الاستعمال الذي ابتدأ به الشابي قصيدته فيه براعة؛ وذلك لأن التشبيه لا فعل له من لفظة قبله. ومما يعمق المنحى التأثيري للتشبيه في كلٍّ من البيتين الأول والثاني هو لجوء الشاعر إلى العطف، وفي هذا قيمة إبلاغية أخرى تعطي التشبيه نوعاً من المبالغة.

وعلى امتداد الشطر، يلحظ أن الشاعر استثمر التشبيه إبلاغياً أيضاً، لتوضيح حال عنصر محدد اقتضته المقصدية الشعرية ومن ذلك قوله:(54).

-أبداً ينوح بحرقة، بــين الأماني الهاويهْ

كالبلبل الغريد ما بين الزهــور الذاويهْ

-يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجـلي

غرداً، كصداح الهواتف في الفلا، ويقول لي:

-قد قنعت كف المساء الموت بالصمت الرهيبْ،

فغدا كأعماق الكهوف، بلا ضجيج أو وجيبْ

يأتي بأجنحة السكون، كأنه الليـل البهيمْ

-يا شعر! أنت نشيد أمـواج الخضم الساحرةْ

كعرائس الأمل الضحوك، يمـسن ما طال الأمد

استعمل الشاعر التشبيه هنا؛ لتوضيح دقائق ما يحس به، ولعل الدخول في التفصيلات المتعلقة بالتشبيه هنا إنما كانت من قبيل تعزيز القيمة الإبلاغية؛ ولعل مثل هذا الاستعمال أيضاً ليؤكد شرف قدر التشبيه في العملية الإبلاغية حقيقة، يقول القزويني: "وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به ولا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك"(55).

ومما يعمق الأثر الإبلاغي للتقنيات البلاغية في النص، شيوع الاستعارات والمجاز في النص شيوعاً لافتاً للنظر، ومعلوم أن الاستعارة هي "تلك العملية التي ينتقل فيها اللفظ، حين الاستخدام، من معنى إلى آخر"(56). وتتلخص وظيفتها النفسية بـ "ترسيخ المعنى في نفس المتلقي وتأكيده"(57). يقول سمير أبو حمدان: "إن التعبير الاستعاري يمتلك طاقته الإبلاغية القائمة بذاتها، حتى أن الشعراء يلجأون إليه عندما يدركون أن اللغة العادية غير قادرة على نقل تجربتهم الشعورية النفسية كما أن التعبير الاستعاري، سواء في الشعر أو في النثر يستطيع أن يكشف عن كوامن النفس وخلجاتها وبقدر لا تستطيعه اللغة العادية الخالية من ميزة الاستعارة"(58). ومن التراكيب الاستعارية قوله:(59)

-أنت فم الشعور

-جمدت على شفتيه أرزاء الحياة العابسةْ

-أبداً ينوح بحرقةْ

-كم قد نصحت له بأن يسلو، وكم عزيتهْ

فأبى وما أصغى إلى قولي، فما أجديتهْ

كم قلت صبراً يا فؤاد ألا تكف عن النحيبْ؟

يا قلب! لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصورْ

"فإذا صرخت توجعاً هزأت بصرختك الدهورْ

يا قلب! لا تسخط على الأيام فالزهر البديعْ

يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيعْ"

فالنبرة الاستعارية هنا تنقل تجربة الشابي الشعورية النفسية بصدق، وتعمل على إظهار الأوجاع التي يعاني منها قلبه، والانفعالات المتلاحقة، فالقلب إنسان ممتلئ بالمعاناة، ومصاب بالجزع، والنواح المستمرين، وتعمل كذلك على جعل القلب الحزين يتصعد حزنه فتصل المرارة إلى الآخرين.

د. تقنية القصد التركيبي

يبدو للوهلة الأولى، أن هذا المصطلح "القصد التركيبي" فضفاض، ويتضمن التقنيات السابقة جميعها، ولكن الأمرعلى خلاف ذلك، فالقصد التركيبي أو التركيب اللغوي المقصود، تقنية إبلاغية تدفع إلى تشكل الأبعاد الإبلاغية داخل النص، ويقصد بذلك: استعمال الشاعر لمجموعة من التراكيب التي تكون مؤثرة في النفس (ذهن القارئ) أكثر من غيرها على امتداد النص، ويمكن حصر هذه التراكيب بالمظاهر التالية:

1. استعمال الشاعر لـ "كم التكثيرية" والطلب.
2. استعمال العطف.
3. استعمال الشاعر للتفصيل.
4. استعمال الشاعر للنواسخ.

إن استعمال الشاعر لـ "كم" التكثيرية، وتكرار ذلك على امتداد النص يوحي برغبة في بث أكبر قدر من المبالغة لمعاناته القاسية يقول:[60].

كم قد نصحت له بأن يسلو، وكم عزيته

كم قلت " صبراً يا فؤاد! ألا تكف عن النحيبْ؟

*

كم حركت كف الأسى أوتار ذياك الحنينْ

فلكم أرقت مدامعي، حتى تقرحت الجفونْ

فكم الخبرية في العرف النحوي بمعنى كثير، وإذا كان المتكلم بالخبرية لا يستدعي من مخاطبة جواباً لأنه مخبر[61] . فإن عملية الإخبار هذه تتحول نصياً إلى عملية إبلاغ تكون مقصوده لذاتها وبوعي من الشاعر؛ وذلك إذا ربطت بسياقها، فالسياق هو الذي يعطي البعد الإبلاغي لها؛ لأنه هو الذي يوضح العلاقات الدلالية للإشارات النصية[62]. واستعمال الشاعر لـ "كم" الخبرية هو إشارة نصية أو علاقة نصية تنبيء عن صدق تجربة الشاعر؛ إذ كان ينصح قلبه بأن يسلو إلا

أن قلبه يأبى فعل ذلك؛ لعلمه أن الحزن والكآبة عنصران مستمران، لا ينقطعان أبداً، ويشكلان ظرفه الذي يعيش فيه.

أما استعماله لأسلوب الطلب فيحمل أيضاً قيماً إبلاغية تأثيرية، لافته للنظر، ومن ذلك التراكيب التالية[63].

- **ألا تكف عن النحيب.**
- **لا تجزع**
- **لا تسخط على الأيام.**
- **لا تقنع بشوك اليأس**
- **لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم**
- **طهر دموعك بالدموع**
- **يا شعر..... غرد**
- **يا شعر.... ردد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيهْ**
- **واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الدامية**
- **يا شعر.... انظر إلى سقف السماء**

إن ترديد الشاعر للتراكيب الدالة على الطلب يثبت رغبته في جعل صوت الشعر يسمو على كل صوت حوله، فالشعر هو القلب الحزين، تبقى شعلته متأججه حزناً ومعاناة؛ لأنه لا يوجد شيء يذهب الحزن والمعاناة عنهما، ولعل سلسلة التعليلات التالية لهذه التراكيب – كما هو في النص- لتثبت صدق هذا التوجه، وهذا التصعيد الدلالي يلفت نظر المتلقي إلى مقاصد الشاعر، ومرارة تجربته، وما يؤكد ذلك أيضاً استخدامه لأسلوب العطف، فهو يعطف التراكيب التي تحمل دلالات مأساوية على التراكيب التي تحمل الدلالة نفسها، وكل ذلك من أجل تعميق الإحساس بالمعاناة ومن ذلك قوله[64].

يا شعر! أنت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب

كم قد نصحت له بأن يســلو وكم عزيتـه

طهر كلومك بالدموع، وخـلها، وسبيــلها

فارحم تعاســـته، ونح معه على أحلامه

ردد على سمع الدجــى أنات قلبي الواهيه

واسكب بأجفان الزهـور دموع قلبي الداميه

فلعل قلب الليل أرحم بالقــلوب الباكيه

ولعل جفن الزهر أحفظ للدمـوع الجاريـه

فعسى يكون الليل أرحم فهو مثــلي يندب

وعسى الزهر دمعي فهو مثــلي يسكب

لولاك مت بلوعتي وبشقــوتي وكآبتي

فالتراكيب المعطوفة جميعها تؤكد عمق الإحساس بمعاناة الشاعر وكآبته وحزنه، وعطفت للمبالغة في تقرير هذه الحقيقة.

ولغرض التأكيد على تكامل الموقف الشعري، وتآزر الومضات الشعرية الحزينة، لجأ الشاعر إلى أسلوب التفصيل، وقد استعمل كم الخبرية – كما سبق- لغرض التفصيل والمبالغة، واستعمل كذلك تكرير ألفاظ محددة لهذا الغرض، مثل تكريره لتركيب "ومن المدامع"، قائلاً[65]:

"إن المدامــع لا تضيع حقيرها وجليلها

"فمن المدامع ما تدفع جارفاً حسـك الحياةْ "

"يرمي لهاوية الوجود بكل ما يبني الطغاةْ"

"ومن المدامع ما تألق في الغياهب كالنجومْ"

"ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهمومْ"

ولا بد من التأكيد على الأثر الذي يحدثه التركيب المكون من الجار والمجرور "ومن المدامع" في تماسك النص، فهو يعطي النص بعداً تنسيقياً، وقد يكون هذا من قبيل التنسيق بالمعجم[66]..

كما أن استعمال الشاعر للنواسخ على تعدد أنواعها يحمل أبعاداً إبلاغية تترك في نفس المتلقي أثراً واضحاً يقول[67].

فلعل قلب الليل أرحم بالقلوب البـــاكيهْ

ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجـــاريهْ

*

فعسى يكون الليل أرحم، فهو مثلي ينــدب

وعسى يصون الزهر دمعي، فهو مثلـي يسكب

*

لكن قلبي وهو -مخضل الجوانب بالدمـوع-

جاشت به الأحزان، إذ طغت بها تلك الصدوع

*

يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهـيم

لكن طيف الموت قاس، والدجى طيـف رحيم

*

يا شعر! أنت نشيد هاتيك الزهـور الباسمهْ

يا ليتني مثل الزهـور، بالحيـاة واجمهْ

*

إن الحياة كئيبة، مغمـورة بدموعها

والشمس أضجرها الأسى في صحوها وهجوعها

فهذه النواسخ تؤكد المستوى الذي وصل إليه الإيقاع النفسي والفكري للجانب الوجداني عند الشاعر؛ لأن هذا الجانب قائم أساساً على تأكيد الحزن، والرجاء، والتمني، والعودة إلى تأكيد الحزن والاكتئاب من جديد، فالقلب مليء بالأحزان، فيأتي الليل فيجد فيه الشاعر خلاصاً من الحزن، ثم يحاول الالتماس والتمني (تمني الحياة الكريمة الفرحة)، ولكن سرعان ما يتبدد هذا التمني بكآبة الحياة والتأكيد عليها!.

ويلحظ أن الشاعر قد قام بتوظيف تقنية نصية وإبلاغية عالية الفعلية، ولافتة للنظر، وهي تقنية الربط الخطي التتابعي الذكري، ويقصد بالخطي هنا "التتابع في الزمان، وهو ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن، حيث يوافق سرد الأحداث في النص تتاليها الكرونولوجي، في الزمن الحقيقي أو الفيزيائي"(68). إذ تتتابع الأفعال الدالة على الزمن المحدد بالمقتضى السردي النصي، يقول(69):

أرأيت شحرور الفلا، مترنماً بين الغصونْ

جمد النشيد بصدره، لما رأى طيف المنونْ؟

فقضى، وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهرهْ

وهوى من الأغصان، ما بين الزهور الباسرهْ؟

إذا لا يخفى ما لتتابع الأحداث (أرأيت – جمد- رأى – قضى- غاضت- هوى) من أثر في تعميق الإحساس بالدلالة الكلية الواحدة التي تحملها هذه الأفعال، وهي الموت والاندثار، وهذا التتابع يدفع المستقبل إلى التأثر الإيجابي، ومحاولة بناء رؤى وتطلعات جديدة تجاه النص.

خلاصة البحث

بعد دراسة العوامل التي تشكل الأبعاد الإبلاغية النصية، وتحليلها في قصيدة "يا شعر" للشابي، تقتضي منهجية البحث تقرير النتائج التالية:

1. يؤثر الجانب الإبلاغي تأثيراً مباشراً في مستوى الرسالة النصية ونجاحها، لما له من أثر بالغ في جعل المستقبل يتواصل، ويتأثر بما يقرأ، فتكون العلاقة بينه وبين النص علاقة تفاعل وبناء لا تفاعل واستهلاك.
2. إن تحقق الإبلاغية لا يقتصر على استعمال بعض الألفاظ والتراكيب والتركيز عليها فقط، بل يتعدى ذلك إلى جعل تحققه يتوقف على النظر في الإمكانات اللغوية والدلالية والأسلوبية المستثمرة نصياً من قبل المرسل.
3. ثبت وجود مجموعة من العوامل التي أسهمت بطريقة فاعلة في تشكيل الأبعاد الإبلاغية النصية وهي:

   أ. قصدية الوحدة الدلالية للتراكيب.

   ب. التواتر المقنن للأساليب اللغوية.

   ج. التقنيات اللغوية البلاغية.

   د. تقنية القصد التركيبي.
4. قام الشابي بتوظيف هذه الأبعاد، بطريقة فاعلة، تثبت وعيه بأهمية هذه العوامل في نجاح ما يريد إيصاله إلى القارئ.

The Rhetorical and Textual Devices in Al-Shabby's "Ya-shi'r"

Abdealmohdy AL_ Jarah and **khaled AL_ hazaymeh,** *Department of humanities, Jordan university of science And technology (JUST), Irbid, Jordan.*

Abstract

This study purports to investigate the elements that constitute the rhetorical and textual devices in Al-Shabby's poem "Ya-shi'r"; because of their importance in conveying the communicative purpose of the poet and showing the effect of these devices on the target reader. The researcher examined the concept of expressivity and its various domains, the textual dimensions of these rhetorical devices, how they can be revealed, and how these devices are realized in the text. The researcher concluded that the following factors have contributed to the formation of these rhetorical devices: the intentionality of the linguistic expressions used the concise reoccurrence of the stylistic choices, the rhetorical devices, and the technique of textual purpose.

Keywords: *expressivity, rhetorical devices, textual dimensions, Al-Shabby.*

قدم البحث للنشر في 2008/6/8 وقبل في 2008/10/26

الهوامش:

(1) انظر: بحيري، سعيد: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، 1997م، ص ص 162-163

(2) المرجع نفسه، ص 164.

(3) انظر: السعدني، مصطفى: المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية، (د.ط)، الاسكندرية، منشأة المعارف، (د.ت).، ص 21.

(4) الشابي، أبو القاسم الشاعر: ديوان (أبو القاسم الشابي)، (د.ط) بيروت، دار العودة، 1972م، ص 103.

(5) كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقال، 1986م، ص ص 196-197.

(6) ياكوبسون، رومان: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، الدار البيضاء، دار توقال، 1998، ص 28.

(7) المرتجي، أنور: سيميائية النص الأدبي، (د.ط)، أفريقيا الشرق، 1987م.، ص 26.

(8) دمشقية، عفيف: الانفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمه، ص 8، وانظر كذلك: دمشقية، عفيف: الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب الأدب،الفكر العربي العددان المزدوجان(8-9),1979م.

(9) أبو حمدان، سمير: الإبلاغية في البلاغة العربية، ط1، بيروت، باريس: دار عويدات، 1991م، ص 25.

(10) انظر: المرجع نفسه، ص 37.

(11) دمشقية، الانفعالية، مصدر سابق: ص 8

(12) استيتية، سمير: المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والأزدواجية، (د.ط)، دبي: دار العلم، 1996م، ص 47.

(13) انظر: السعدني، مرجع سبق ذكره، ص 21.

(14) See: Riffaterre, Michael. Semiotic of poetry, first Ed, Indiana University Press Bloomington, 1984. pp 47-80.

(15) See: debeaugrande, Robert. Text linguistics in Discourse Studies, in Van Dijk, Teun.A (editor): Hand book of Dis course Analysis, Vol 1. Pp 41-54.

(16) مفتاح، محمد: دينامية النص تنظير وإنجاز، ط1، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1987م،ص 140.

(17) انظر مسكين، حسن Retrieved in 7/8/2007 from website: http://www.fifkrwanakd.aljabriabed.net/n58-06-miskin.htm

(18) انظر: ياكوبسون: مرجع سبق ذكره، ص 19

(19) المرجع نفسه، ص 19.

(20) coherence: anaphora and reference, retrieved in 15/3/2007, from website: http://www.phonuclac.uk/home/dick/tta/anaphora/anaphora.

(21) see: Halliday, M. A. K. & Hassan, Rugaiya: cohesion in English, LongmanGroup, Ltd, 1983,p 76.

(22) انظر ياكوبسون، مرجع سابق، ص 19

(23) الديوان، ص 102

(24) Brown, Gillian & Yule, George: Discourse Analysis Cambridge University Press, 1987, pp134-135.

(25) see; long acre, Robert: the grammar of discourse, pp82-83

(26) Kintsch, Walter, how readers create situations models for stories: the role of syntactic cues and causal inference, In: anngernsbachor, Morton & Givon (T), editors: coherence in spontaneous text. Pa. John Benjamin North America, 1995 p141.

(27) انظر: خطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1991م. ص 46.

(28) انظر: الرواشده، سامح:قصيدة الوقت لأدونيس ثنائية الاتساق والانسجام، مجلة دراسات سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد3، تشرين الأول، 2003، ص 522.

(29) الديوان، ص 102 وص 103 وص107 وص110، وص115، وص117.

(30) انظر: خطابي، محمد: مرجع سبق ذكره، ص 27

(31) أبو حمدان، سمير: مصدر سبق ذكره، ص 52.

(32) انظر: الرضي، محمد بن الحسن: شرح الكافية في النحو، 131/10، وانظر كذلك: ابن يعيش، شرح المفصل 1/2-5

(33) انظر: فاير، بول وبايلون، كريستيان: مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية ترجمة: طلال وهبة، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992م، ص 10

(34) الديوان، ص 115.

(35) الديوان، ص 117.

(36) عاشور، المنصف: عاشور، المنصف: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، تونس: جامـعة تونس،1991، ص 140

(37) تشيتشرين أ.ف: الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته، ترجمة: حياة شرارة، بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص 22.

(38) الديوان، ص 102-103.

(39) الديوان، ص 104-105.

(40) انظر: تامر، فاضل: اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م.، ص 9.

(41) فضل صلاح: انتاج الدلالة الأدبية، ط2، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2002م، ص256.

(42) انظر: المرجع نفسه، ص256.

(43) استيتيه، سمير: الشرط والاستفهام في الأساليب العربية، ص 8.

(44) الديوان، ص ص 110-112.

(45) المنصف عاشور، ص 140.

(46) شولز، روبرت: السيمياء والتأويل.ترجمة:سعيد الغانمي،بيروت:المؤسسة العربية للدراسات، 1994، ص48.

(47) انظر: بركلي، هربرت، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة: قاسم المقداد، د.ط، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، 1990م، ص111. وانظر كذلك: فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987، ص 167.

(48) هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، ديتر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، 1999م، ص209.

(49) انظر: فضل، صلاح: نظرية البنائية، ص 167.

(50) انظر: المنهج الأسلوبي دراسة موجزة نظرية تطبيقية منشورة ضمن الموقع الالكتروني التالي: Htt;//www.ruowaa.com/vb3/showthread.php/t=3641

(51) ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل، 1981م، 286/1.

(52) الديوان ص 102 و115.

(53) أبو حمدان، مرجع سبق ذكره، ص 153.

(54) الديوان، ص 104 و106 و109 و113.

(55) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، ط3، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، 1993م، 19/4.

(56) أبو حمدان، سمير: مرجع سابق، ص 160

(57) المرجع نفسه، ص 162.

(58) أبو حمدان، المرجع نفسه، ص 162.

(59) الديوان، ص ص 102-117.

(60) الديوان، ص ص 103-104.

(61) ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب، 244/243/1.

(62) crombie, Winifred: process and relation in discourse and language learning, pp 72-73.

(63) الديوان، ص ص 105-108

(64) الديوان، ص ص 102-117

(65) الديوان، ص ص 106-107

(66) مفتاح محمد التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1996م، ص 130.

(67) الديوان، ص ص 108-116.

(68)الزناد، الأزهر، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، ط1، بيروت –الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1993م، ص 46.

(69) الديوان، ص 111

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية

http://www.fifkrwanakd.aljabriabed.net/n58-06-miskin.htm

ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني. (1981). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط5، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف. (1992). **مغني اللبيب عن كتب الإعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ورفيقه، ط1، دار الفكر.

أبو حمدان، سمير. (1991). **الإبلاغية في البلاغة العربية**، ط1، بيروت، باريس: دار عويدات.

الاستراباذي، رضي الدين محمد الحسن. (1982). (686هـ). **شرح الكافية في النحو**، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.

استيتية، سمير. (1996). **المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والأزدواجية**، (د.ط)، دبي: دار العلم.

استيتية، سمير. (2000). **الشرط والاستفهام في الأساليب العربية**، (د.ط)، د.ن.

بحيري، سعيد. (1997). **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، ط1، الشركة المصرية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان.

بركلي، هربرت. (1990). **مقدمة إلى علم الدلالة الألسني**، ترجمة: قاسم المقداد، د.ط، دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.

تامر، فاضل. (1994). **اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)**، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي.

تشيتشرين، أ.ف. (1990). الأفكار والأسلوب دراسة في الفن الروائي ولغته، ترجمة: حياة شرارة، بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،.

خطابي، محمد. (1991). **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.

دمشقية، عفيف. (1979). الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، **الفكر العربي**، العددان المزدوجان (8-9).

دمشقية، عفيف. (د.ت). **الإنفعالية والإبلاغية في بعض أقاصيص ميخائيل نعيمة**، بيروت: دار الفارابي.

الرواشده، سامح. (2003). قصيدة الوقت لأدونيس ثنائية الاتساق والانسجام، **مجلة دراسات سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد3، تشرين الأول.

الزناد، الأزهر. (1993). **نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)**، ط1، بيروت – الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

السعدني، مصطفى. (د.ت). **المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية**، (د.ط)، الاسكندرية، منشأة المعارف.

الشابي، أبو القاسم الشاعر. (1972). **ديوان (أبو القاسم الشابي)**، (د.ط) بيروت، دار العودة.

شولز، روبرت. (1994). **السيمياء والتأويل**. ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.

عاشور، المنصف. (1991). **بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية**، تونس: جامعة تونس.

فاير، بول وبايلون، كريستيان. (1992). **مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية**، ترجمة: طلال وهبة، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.

فضل، صلاح. (1987). **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

فضل، صلاح. (2002). **إنتاج الدلالة الأدبية**، ط2، القاهرة: مركز الحضارة العربية.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. (1993). **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط3، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل.

كوهن، جان. (1986). **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقال.

المرتجي، أنور. (1987). **سيميائية النص الأدبي**، (د.ط)، أفريقيا الشرق.

مسكين، حسن. (2007). Retrieved in 7/8/2007 from website:

مفتاح، محمد. (1987). **دينامية النص تنظير وإنجاز**، ط1، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي.

مفتاح، محمد. (1996). **التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية**، ط1، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، ديتر. (1999). **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود.

ياكوبسون، رومان. (1998). **قضايا الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، الدار البيضاء، دار توقال.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

Coherence. (2007). Anaphora and reference, retrieved in 15/3/2007 from website: *http://www.phonVCI. Ac. Uk/home/dick/tta/anaphora/anaphora*

Crombie, Winifred. (1986). *process and relation in discourse and language learning*, Oxford University press.

Debeaugrande, Robert. (n.d). text linguistics in discourse studies, in van dank, teun (a) (Editor): *hand book of discourse analysis*, vol 1, pp 41-54.

Kintsch, Walter. (1995). *how readers create situations models for stories: the role of syntactic cues and causal inference*, in: anngernsbachor, Morton & Givon (T), editors: coherence in spontaneous text. Pa. john Benjamin North America.

Longacre, Robert. E. (1983). *the grammar of discourse N.Y.*, plenum press.

Riffaterre, Michael. (1984). *semiotic of poetry*, first ed ,Indiana University Press Bloomingtom.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 29- 62

فاعلية الصورة الشعرية في بناء معلقة عبيد بن الأبرص

فايز القرعان *

ملخص

بحثت هذه الدراسة في قدرة الصورة الشعرية على ربط أجزاء النص الشعري، واختارت معلقة عبيد بن الأبرص لاختبار هذه الرؤية. وقد اتخذت الأدوات اللغوية المتكونة في الصورة علاوة على الرؤيا الشعرية التي تشكل النص وسيلة لهذا الاختبار؛ فوجدت أن الرؤيا الشعرية فيه تتمثل في فاعلية التحول التي تمارس فعلها على ثنائية (ما كان /ما يكون) أي ما كان عليه الشيء وما يكون عليه الشيء نفسه. كما وجدت أن طرفي هذه الثنائية يحضران في وحدات النص، وحضورهما قد يكون فعلياً أو يكون بطريقة التناوب؛ أي يحضر أحدهما ويغيب الآخر. ووجدت أيضاً أن نص المعلقة يتكون من ثلاث وحدات بنائية، تشكلت فيها عشر صور شعرية كبرى، فكانت الوحدة الأولى وهي الديار قد تضمنت خمس صور شعرية مترابطة على المستوى الرؤيوي والبنائي. وأما الوحدة الثانية وهي الحكمة، فقد تضمنت صورتين شعريتين أبدتا تفاعلاً في ربط أجزائها البنائية مع أنهما لم تأتيا متجاورتين أو متعالقتين على المستوى البنائي السطحي، بل جاءتا متباعدتين. وقد تواصلتا مع صور الوحدة السابقة رؤيوياً. وأما الوحدة الثالثة وهي ذكريات الشباب، فتشكلت من ثلاث صور كبرى كادت تتمثل في معظم أبياتها، وقد أظهرت ترابطاً على المستوى الرؤيوي والبنائي.

وقد تحركت هذه الوحدات من خلال رؤيا التحول التي أحضرت فعلياً طرف (ما يكون) من ثنائية (ما كان /ما يكون) وغيبت الطرف الأول (ما كان) فعلياً مع حضوره التقديري في الوحدتين الأولى والثالثة. وأما في الوحدة الثانية، فقد كان حضورهما فعلياً.

المقدمة

ما زالت الصورة تستحوذ على اهتمام كثير من الباحثين في الوقت الحاضر كما استحوذت عليهم فيما مضى، وذلك لما لها من أهمية في تشكيل العمل الأدبي عموماً والتشكيل الشعري على وجه الخصوص، ولما لها من قدرات وظيفية تؤديها في العملية الإبداعية التي تقوم على الاتصال والتواصل بين المبدع والمتلقي، يقول (بيير جيرو) في مبررات مثل هذا الاهتمام: "إن دراسة البلاغة للصور ما تزال راهنة لم تتجاوزها دراسة أخرى حتى يومنا هذا، وإنها لتحوي على مخزون من الملاحظات والتعريفات التي من شأنها أن تجعل اللساني يعيد النظر فيها ويعمقها على

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ضوء المناهج الحديثة"[1]. ومن يتابع الدراسات التي تناولت الصورة يدرك مدى اتساع حقولها واختلاف الزوايا النقدية التي تناولتها، سواء من الجانب النفسي، أو البنيوي، أو الجانب الجمالي والأسلوبي، وغير ذلك من الاتجاهات النقدية[2].

ويبدو لي أن من الأهمية بمكان أن نحدد المفهوم النقدي الذي ننطلق منه في فهم الصورة الشعرية قبل الشروع في تناول موضوعِ الدراسة، وهو البحث في فاعلية الصورة الشعرية وقدرتها على ربط أجزاء النص الشعري، متمثلاً في معلقة عبيد بن الأبرص، وذلك أنني أتصور أن البحث في الصورة الشعرية وربطها بالنص الشعري لا بد من أن يمر في اختبار الأطر التركيبية للصورة والتقنيات التي تعمل من خلالها هذه الصورة؛ ما يعني أننا لا بد من أن ننطلق من التصور الأسلوبي لتكوّن الصورة بوصفها عملية لغوية في الدرجة الأولى، تنقل موضوعات من الحياة الواقعية، وتتمثل في اللغة، وقد حدد (فرانسوا مورو) إطاراً عاماً للصورة بناء على النظرة الأسلوبية، يقول: "إذاً باستطاعتنا أن نقترح تعريفاً أوليّاً للصورة: الصورة بالمعنى الأسلوبي هي تجسيد لعلاقة لغوية بين شيئين"[3]. ولا شك في أن هذه العلاقة مبنية على الربط بين دالات لغوية، يحمل كل دال منها مدلولاً يمثل موضوعاً ما، ويرتبط بموضوع الدالات الأخرى، ويكوّن معها صورة لغوية تنتج معاني أو مدلولات جديدة. فالدال بما يحمله من مدلول لا يتماثل في واقعيته وحقيقته في بنية الصورة، وذلك لأن نشوء علاقات جديدة بين المدلولات لا ينتج الواقع المنقول، وإنما ينتج واقعاً فنياً جديداً. وعلى وفق هذا التصور يقول عز الدين إسماعيل: "فالكلمة التي تدل على شيء ليس من الضروري أن يكون استخدامها في الصورة الشعرية مقصوداً به استحضار صورة هذا الشيء في الذهن. إن الكلمات بخاصة في الاستعمال الشعري ليست إلا مجرد أدوات تمثل الأشياء. وليست الصورة التي تتكون من هذه الكلمات إلا صورة تعبيرية وليست صورة مشابهة. وينبغي ألا نخلط بين التعبير والتشابه"[4]. فالصورة المتكونة باللغة هي وسيلة تعبيرية تفرضها طبيعة العلاقة الأسلوبية الناشئة بين دالات الصورة تنظيماً وتعليقاً، وتنتج بناء على هذه العلاقة الأسلوبية العملية التصويرية، فهذه العلاقات تخرج بالدالات عن مدلولها لتدخل في كثير من الأحيان في عملية الانزياح عن المدلول الحقيقي أو الواقعي لإنتاج دلالات جديدة. وربما ما أشار إليه يوسف حسن نوفل يوضح هذه العملية في قوله: "تولد الصورة علاقات لغوية في الكلمات، بل في الكلمة ذاتها، والكلمة في علاقاتها بغيرها بما ينتجه الاستخدام المجازي من دلالات متنوعة في علاقات خصبة بين الدال والمدلول، وهكذا توجد الصورة الشعرية... التي هي جوهر اللغة الشعرية"[5]. إن هذا التوجه في عملية تكوين الصورة الشعرية يدخلنا في التعامل مباشرة مع تكوّنات اللغة الشعرية في النص الشعري بوصفها لغة تجسد النص الشعري المبني على التجربة الشعرية التي أنتجته، مما يشير إلى أن الصورة الشعرية

"تتشكل باللغة الشعرية ضمن أطر تركيبية خاصة تتشكل من خلالها صورة فنية معبرة عن التجربة الشعرية"[6]. ولذا لا بد لنا ونحن نتعامل مع الصورة، أن نتعامل مع الدالات المكونة لها بوصفها قيماً أسلوبية تطبع الصورة الشعرية وتؤدي دورها الدلالي والتأثيري في عملية الإيصال والاتصال، وقد ركز (بيير جيرو) على هذه القيمة في النص عموماً، يقول: "ويمكننا، بناء على هذا، أن نتصور لغة الكاتب (لغة العمل، والجنس، والمجموعة) كنسق خاص، ونقول "نسقاً" على اعتبار أن العلاقات هذه خاصة بلغة النص، وهي لغة تختلف، قليلاً أو كثيراً، عن شبكة العلاقات في اللغة العامة هذه الانزياحات تشكل قيماً أسلوبية هي مصدر نشوء الآثار الخاصة"[7].

إن تناول الصورة بوصفها لغة مؤطرة بتراكيب خاصة في النص يقودنا إلى التعامل مع التقنيات التي تتعامل على وفقها هذه الصورة مع مكوناتها اللغوية، ولا شك في أن هذه التقنيات هي التقنيات البلاغية؛ ما يعني أننا نجد أنفسنا في الحقل البلاغي عندما نتعامل مع الصورة الشعرية، وذلك أن هذه الصورة شديدة الصلة بالبلاغة وتصوراتها. وقد أشار إلى مثل هذه الصلة عز الدين إسماعيل في قوله: "وقد سبق أن عرفنا أن البلاغة الجديدة بلاغة الصورة الشعرية، تعد أوسع نطاقاً وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة وإن أفادت منها فليست بين الصورة إذن والتشبيه والاستعارة جفوة، فقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والابتداع بحيث تمثل الصورة وتؤدي دورها. غير أن الصورة وإن تمثلت أحياناً في التشبيه الخصب والاستعارة الذكية ما تزال وسائل أخرى تتحقق بها ومن خلالها"[8]، كما جعل (بروتون) الاستعارة والتشبيه من المكونات الأساسية للصورة، فهو يرى أن مفهوم الصورة "يشمل الاستعارة والتشبيه وكل أشكال اكتشافات المشابهة"[9]، فتقنيات التشبيه والاستعارة، إذن، تقنيات أساسية في عملية الخلق الصوري، فهي التي تشكل الدالات اللغوية التي تكوّن الصورة وتطبعها بطابعها التقني، فتنتج عندئذ نسقاً خاصاً بالصورة. ويبدو أن التقنيات البلاغية في الصورة الشعرية تتعدى الاستعارة والتشبيه إلى تقنيات أخرى، يقول (سي. دي. لويس) في حديثه عن الصورة: "إنها في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات، إن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة، أو أن الصورة يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض"[10] فتقنية الوصف ركيزة مهمة في العملية التصويرية وهي تشارك الوسائل البلاغية هذا الإنتاج الصوري.

إن المنطلقات السابقة تقودنا إلى توضيح فهمنا للصورة الشعرية في هذه الدراسة، وذلك أننا ننظر إليها بوصفها: مجموعة من الوسائل البلاغية المختلفة والتقنيات الأسلوبية مثل: التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والوصف التي تتوفر في أطر تركيبية تشكل بطريقة ما لإنتاج مناطق تعبيرية في النص أو قيم جمالية ذات وظيفة نصية. ولذا فإننا سنتعامل مع أنماط صورية مختلفة

كالنمط الصوري الاستعاري أو التشبيهي أو المجازي أو الكنائي أو الوصفي أو الأنماط المتداخلة والمتعالقة معاً في بنية واحدة، والواقع أن النص الشعري هو الذي يحدد الأطر النمطية لهذه الصورة. ويبدو لي أن الصورة الشعرية على هذا التصور تشكل فاعلية مهمة في النص لما لها من أثر في إكسابه (أي النص) مناطق إثارة تجعل عملية التلقي متفاعلة معه، يقول (بيير جيرو): "وتترك البلاغة للقواعد أمر تحديد المعنى، وتصحيح مختلف البنى القاعدية، ولكنها تأخذ منها ما له قيمة جمالية أو تعبيرية خاصة، وهي تحت اسم الصورة تشير إلى طريقة في الكلام أكثر حيوية من الكلام العادي، ومقدرة إما إلى جعل الفكرة أكثر حساسية بوساطة صورة من الصور، أو مقارنة من المقارنات، وإما لإثارة الانتباه أكثر لما لها من استقامة أو فرادة"[(11)]. فالصورة في تعاملها مع الدالات اللغوية على وفق التقنيات البلاغية تقدم لهذه الدالات فيضاً من الدلالات الجديدة التي تتعدى مدلولاتها الواقعية المنقولة، يقول في مثل هذا التصور (جين كوهن): "تظهر القصيدة التي تتألف من كلمات لا تثير إلا معنى واحداً، مُسطّحة، ولا تؤثر كقصيدة، بينما الكلمات التي مستها الصورة، تغدو ينبوعاً لا ينضب للإمكانيات الدلالية والصوتية"[(12)]. وربما فاعلية الصورة تبدو جلية أكثر إذا ما تعاملنا مع الصورة الشعرية ضمن سياقها النصي، يقول كمال أبو ديب: "تظل العلاقة بين الصورة والسياق الكلي للتجربة الشعرية المحرك الأساسي الذي تنبع منه الدراسة. وتبلغ هذه العلاقة حداً من الكثافة والتوتر في صورة شعرية ما يحيل فاعلية الصورة إلى عملية من الفيض والإضاءة والكشف لا حدود لها. هنا تستحيل الصورة إلى انحلال للعالم المألوف للأشياء والترابطات والتداعيات التي تثيرها في النفس- ثم إعادة تركيب له، نبعاً غريباً لعلاقات جديدة، طرية، غضة، لم نألفها في تطلعنا اليومي إلى الأشياء"[(13)]. فالصورة الشعرية إذن ذات قدرة على إنتاج الوظيفة أو الدلالة، ولكن قدرتها تكون أكبر فيما لو غرست في السياق النصي وتعاملت معها العملية البحثية من خلال هذا السياق؛ لأن الصورة عندئذ تكتسب بعداً جديداً في الدلالة مستمداً من الدلالات الكلية لسياق النص الشعري. إن الصورة تتعلق بمكونات النص وتقيم معها علاقات بنائية مختلفة تضفي قيمة دلالية عليها، وبالتالي تأخذ أبعاداً دلالية جديدة. وقد أشار إلى مثل هذه العلاقات محمد حسن عبد الله في قوله: "ومهما قيل في أهمية الصورة الشعرية فإن أي قصيدة ليست مجرد صور، إنها على أحسن الفروض، صور في سياق، صور ذات علاقة، ليس ببعضها وحسب وإنما علاقة بسائر مكونات القصيدة، وهذا يعني أن دراسة الصورة بمعزل عن دراسة البناء الشعري تعبر عن رؤية جزئية، مهما كانت عميقة أو محيطة فإنها ستظل ناقصة من جهة ما"[(14)].

ولعل الدور الذي تقدمه الصورة الشعرية في النص الشعري يتعدى كونه دوراً دلالياً يعتمد على إبراز قيمتها ضمن سياقه إلى دور التماسك البنائي بين مكوناته التركيبية؛ أي أنها تشكل أداة

ربط نصية من خلال إقامتها علاقات بنائية مع مكونات النص الصورية وغير الصورية في مختلف مناطق النص الشعري، وقد أشار إلى مثل هذه الوظيفة سمير الدليمي، يقول: "ضمن القصيدة الواحدة، صور تنتظم في شبكة من العلاقات، وربما تتحدد كل منها برمز معين ينتظم مع غيره من الرموز متعلقاً بالرمز الأكبر للبنية الكلية في القصيدة، ويفهم ذلك المرموز في ملاحظة المناطق الشعرية المتعددة في النوع والمتصلة بالسياق في القصيدة الواحدة، فنقسم تلك المناطق إلى صور عديدة ذات علاقات بنائية"(15). وقدرة الصورة الشعرية على ربط أجزاء النص تمر عبر قناتين نصيتين، هما: قناة الرؤيا الشعرية التي ينتجها النص، وقناة الأدوات اللغوية التي تشكل روابط تركيبية تظهر بين الحين والآخر في التكوينات الصورية ممثلة بالرؤيا في بعض الأحيان، وذلك انطلاقاً من تصور أن النص الشعري تحكمه رؤيا شعرية تلوّن كل مكوناته، والصورة من ضمن هذه المكونات، يرى جعفر العلاق طبيعة العلاقة بين النص الشعري والرؤيا الشعرية أنها "علاقة تفاعل من نمط خاص جداً، تجعل من انفصالها أمراً شاقاً. فالرؤيا الراسخة تلقي بظلها العميق على مهارات الشاعر الكتابية وتنعكس على أشكاله التعبيرية"(16)، ولعل قدرة الرؤيا الشعرية تتعدى الربط النصي إلى قدرة أخرى هي تحديد الأشكال البلاغية عموماً، وأشكال الصورة الشعرية خصوصاً في النص، ويبدو لي أن هذه الهيمنة التي تمارسها الرؤية الشعرية على النص ومكوناته تمارس سلطة أخرى تمتد عبر قدرتها على تحديد بعض الأشكال البلاغية التي تتناسب وإنتاج الدلالات التي تفرزها هذه الرؤية، وذلك أن كل شكل من الأشكال البلاغية- في العادة- يمتلك تقنية وآلية يعمل بها تختلف عن الشكل الآخر (17).

إن ما تقدم من تصور لطبيعة التكوّن الأسلوبي للصورة الشعرية يشكل القاعدة البحثية لهذه الدراسة في تناولها فاعلية الصورة الشعرية وقدرتها على بناء معلقة عبيد بن الأبرص(18)، ويأتي اختياري لهذا النص من منطلق أنه نص شعري قديم يعود إلى شاعر من أوائل شعراء الجاهلية الذين يمثل شعرهم أوليات الشعر العربي، ولعل أهمية دراسة التماسك النصي بالاعتماد على الصورة، كما هي الحال في هذه الدراسة، متأتية من أن معلقة عبيد قد كثر الاختلاف في رواياتها من حيث عدد أبياتها ومن حيث ترتيب هذه الأبيات؛ ما يشير، منطقياً، إلى عدم تحقق التماسك النصي فيما بين هذه الأبيات من ناحية والأجزاء الكبرى المكونة لها من ناحية أخرى، والواقع أن محقق ديوان عبيد بن الأبرص الذي أخذنا منه نص المعلقة قد نص على مثل هذا الاختلاف، ذلك أنه أشار إلى سقوط بعض الأبيات منه، وعلى تباعد بعضها عن بعضها الآخر، وعلى أنه نص لا يحقق عادة شعراء العرب في الإطالة عندما يشبهون نياقهم السريعة بالحمر مستدلاً على هذا من تشبيه الناقة بالحمار الذي يُقطع سريعاً بتشبيه آخر(19). يبدو لي أن هذه الاستنتاجات المنطقية - ربما - لا تثبت صحتها إذا ما حقق النص قدرته على التماسك والترابط بين أجزائه البنائية، ولعل

الترابط الصوري في المعلقة الذي وجدناه عند دراستها يستطيع أن يحقق هذه الوحدة النصية، ومع هذا فإننا نرى مع محقق الديوان أن فيه بيتين ليسا من أصل النص لما فيهما من أفكار إسلامية، وهما:

بالله يُدرك كلّ خير والقول في بعضه تلغيبُ
والله ليس له شريك علاّم ما أخفت القلوب

ولهذا فإنني سأستثنيهما من الدراسة وخصوصاً أنهما لا يثبتان بحثياً في بنية النص لما يحدثان من تباين دلالي بينهما وبين سائر أبياتها.

** **

وقبل أن نبدأ البحث عن كيفية تحقيق الصورة الشعرية الترابط النصي في المعلقة أثبت نصها كما ورد في الديوان[20] غير أني أقسمه إلى ثلاث وحدات بنائية كبرى يتكون منها وهي مقسمة بناء على المحاور الموضوعية التي وردت فيه، وليست هذه القسمة غاية بمقدار ما هي تسهيل للدرس والتحليل، هذه الأقسام هي:

الوحدة الأولى- وحدة الديار:

1- أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلحوبُ فَالقُطَّبِيّاتُ فَالذَّنوبُ[21]

2- فَراكِسٌ فَثُعَيلِباتٌ فَذاتُ فِرقَينِ فَالقَلِيبُ[22]

3- فَعَردَةٌ فَقَفا حِبِرٍّ لَيسَ بِها مِنهُمُ عَرِيبُ[23]

4-وبُدِّلَت من أَهلُها وُحوشاً وَغَيَّرَت حالَها الخُطوبُ

5- أَرضٌ تَوارَثُها شعوبُ فَكُلُّ مَن حَلَّها مَحروبُ[24]

6- إِمّا قَتيلاً وَإِمّا هالِكاً وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

7- عَيناكَ دَمعُهُما سَروبُ كَأَنَّ شَأنَيهِما شَعيبُ[25]

8- واهِيَةٌ أَو مَعينٌ مُمعِنٌ من هَضبَةٍ دونَها لُهوبُ[26]

9- أَو فَلَجٌ ما بِبَطنِ وادٍ لِلماءِ مِن تَحتِهِ قَسيبُ[27]

10- أَو جَدوَلٌ في ظِلالِ نَخلٍ لِلماءِ مِن تَحتِهِ سُكوبُ[28]

11- تَصبو فَأَنّى لَكَ التَصابي أَنّى وَقَد راعَكَ المَشيبُ[29]

12- إِن يَكُ حُوِّلَ منها أَهلُها فَلا بَديءٌ وَلا عَجيبُ[30]

13- أَو يَكُ أَقفَرَ مِنها جَوُّها وَعادَها المَحلُ وَالجُدوبُ[31]

الوحدة الثانية- وحدة الحكمة:

14- فَكُلُّ ذي نِعمَةٍ مَخلوسها وَكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكذوبُ

15- وَكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوروثها وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلوبُ

16- وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ وَغائِبُ المَوتِ لا يَئوبُ[32]

17- أَعاقِرٌ مِثلُ ذاتِ رِحمٍ أَم غانِمٌ مِثلُ مَن يَخيبُ

18- أَفلِح بِما شِئتَ فَقَد يُدرك بِالـ ـضَعفِ وَقَد يُخدَعُ الأَريبُ[33]

19- لا يَعِظُ الناسُ مَن لَم يَعِظِ الـ ـدَهرُ وَلا يَنفَعُ التَلبيبُ[34]

20- لا ينْفَعُ اللّبُّ عن تعلّمٍ إلاّ السَّجيّات والقُلوبُ[35]

21- فقد يَعودنْ حبيباً شانئٌ ويَرْجعْنَ شانئاً حبيبُ

22- ساعِد بِأَرضٍ إِذا كُنتَ بِها وَلا تَقُل إِنَّني غَريبُ

23- قَد يوصَلُ النازِحُ النائي وَقَد يُقطَعُ ذو السُهمَةِ القَريبُ[36]

24- مَن يَسأَلِ الناسَ يَحرِموهُ وَسائِلُ اللَهِ لا يَخيبُ

25- وَالمَرءُ ما عاشَ في تَكذيبٍ طولُ الحَياةِ لَهُ تَعذيبُ

الوحدة الثالثة- وحدة ذكريات الشباب:

26- بل إن تكن قد علتني كَبْرةٌ وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

27- فرُبَّ ماءٍ وَرَدتُ آجِنٍ سَبيلُهُ خائِفُ جَديبُ[37]

28- ريشُ الحَمامِ عَلى أَرجائِهِ لِلقَلبِ مِن خَوفِهِ وَجيبُ[38]

29- قَطَّعتُهُ غُدوَةً مُشيحاً وَصاحِبي بادِنٌ خَبوبُ[39]

30- عَيرانَةٌ مُؤجَدٌ فَقارُها كَأَنَّ حارِكَها كَثيبُ[40]

31- أَخلَفَ ما بازِلاً سَديسُها لا حِقَّةٌ هِي وَلا نَيوبُ[41]

32- كَأَنَّها مِن حَميرِ غابٍ جَونٌ بِصَفحَتِهِ نُدوبُ[42]

33- أَو شَبَبٌ يَحتفِرُ الرُخامى تَلُفُّهُ شَمأَلٌ هبوبُ[43]

34- فَذاكَ عَصرٌ وَقَد أُراني تَحمِلُني نَهدَةٌ سُرحوبُ[44]

35- مُضَبَّرٌ خَلقُها تَضبيراً يَنشَقُّ عَن وَجهِها السَبيبُ[45]

36- زَيتِيَّةٌ ناعِمٌ عُروقُها وَلَيِّنٌ أَسرُها رَحيبُ[46]

37- كَأَنَّها لِقوَةٌ طَلوبُ تحنّ في وَكرِها القُلوبُ[47]

38- باتَت عَلى إِرَمٍ رابِئَة كَأَنَّها شَيخَةٌ رَقوبُ[48]

39- فَأَصبَحَت في غَداةِ قِرَّةٍ يَسقُطُ عَن ريشِها الضَريبُ[49]

40- فَأَبصَرَت ثَعلَباً مِن ساعَةٍ وَدونَهُ سَبسَبٌ جَديبُ[50]

41- فَنَفَضَت ريشَها وَاِنتَفَضَت وَهيَ مِن نَهضَةٍ قَريبُ

42- فَاِشتالَ وَاِرتاعَ مِن حَسيسِها وَفِعلَهُ يَفعَلُ المَذءوبُ[51]

43- فَنَهَضَت نَحوَهُ حَثيثَةً وَحَرَدَت حَردَةً تَسيبُ[52]

44- فَدبَّ مِن رأيها دَبيباً وَالعَينُ حِملاقُها مَقلوبُ[53]

45- فَأَدرَكَتهُ فَطَرَّحَتهُ وَالصَيدُ مِن تَحتِها مَكروبُ[54]

46- فرنَّحته ووضعته فَكَدَّحَت وَجهَهُ الجَبوبُ[55]

47- فعاودته فرفّعته فأرسلته وهو مكروبُ

48- يَضغو وَمِخلَبُها في دَفِّهِ لا بُدَّ حَيزومُهُ مَنقوبُ[56]

** **

الرؤيا الشعرية في النص:

تتشكل الرؤيا الشعرية في هذا النص من فاعلية التحول التي تمارس فعلها على ثنائية (ما كان /ما يكون) أي ما كان عليه الشيء وما يكون عليه الشيء نفسه، وهي ثنائية يحضر طرفاها في وحدات النص، وقد يكون حضورهما فعلياً كما في الوحدة البنائية الثانية أو يكون بطريقة التناوب كما في الوحدتين الأولى والثالثة، أعني بطريقة التناوب: إذا حضر طرف منهما فعلياً غاب الآخر فعلياً وحضر تقديرياً، وقد تعددت الهويات الموضوعية لكل طرف منهما تبعاً لطبيعة الحقل الموضوعي الذي يشكل كل وحدة من وحدات النص أشير إليها في موضعها من الدراسة[57]. وتسهيلاً للدرس والتحليل أقف على المكونات الصورية لكل وحدة بنائية على حدة؛ لأوضح كيفية الترابط الصوري في كل وحدة ثم أنتقل إلى الوحدة التي تليها وأربطها بالوحدة التي قبلها بما يوفره النص من ترابط بنائي.

** **

الوحدة الأولى: (وحدة الديار).

تتخلل هذه الوحدة خمس صور كادت تتمثل في معظم أبياتها، وقد تحركت من خلال رؤيا التحول التي أحضرت فعلياً طرف (ما يكون) من ثنائية (ما كان /ما يكون) وغيبت الطرف الأول (ما كان) فعلياً مع حضوره التقديري. وقد كان الطرف الثاني متمثلاً في البعدين المكاني والزمني المتحوّل الذي أخذ حقولاً موضوعية مختلفة، فكان في الصورة الأولى والثانية والخامسة قد اتخذ

أسماء المواضع المتحولة، وفي الصورة الثالثة اتخذ موضوع القربة المتحولة من حقل الحياة اليومية، وفي الصورة الرابعة اتخذ البعد الزمني المتحول من الشباب إلى الشيخوخة.

وقد تكونت الصورة الأولى من النمط الوصفي الذي يخلو من الوسائل البلاغية، وتمثلت في الأبيات الأربعة الأولى، وهي:

1-	أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلحوبُ	فَالقُطَّبِيّاتُ فَالذَّنوبُ
2-	فَراكِسٌ فَثُعَيلِباتٌ	فَذاتُ فِرقَينِ فَالقَليبُ
3-	فَعَردَةٌ فَقَفا حِبِرٍّ	لَيسَ بِها مِنهُمُ عَريبُ
4-	وبُدِّلَت من أَهلِها وُحوشاً	وَغَيَّرَت حالَها الخُطوبُ

تكونت الصورة الوصفية، من خلال الدال الفعلي (أقفر) ومن سلسلة من أسماء الأماكن التي وردت في الأبيات الثلاثة الأولى (ملحوب، والقطبيات، والذنوب، وراكس، وثعيلبات، وذات فرقين، والقليب، وعردة، وقفا حبر)، ويكتمل هذا التكون في البيت الرابع من خلال الدالين الفعليين (بُدِّلت، وغيرت) وما تعلق بهما من دالات. وقد فرضت الصورة بالدال الأول (أقفر) حالاً من التغيير الذي أصاب سلسلة الأماكن المذكورة، وهو تغيير يمثل غياب الوجود الإنساني عن هذه الأماكن (من أهله) فأهل هذه الأماكن قد ارتحلوا عنها وغادروها. ويبدو أن الصورة الشعرية، هنا، رصدت التحول في الدال (أقفر) لتكشف عن هيئتها التي ترصد حركة متتابعة يجسدها الحرف (الفاء) الذي يؤدي فاعلية التتابع العطفي بين هذه الأماكن. وتنقل الصورة هذه الأماكن من دور الفاعلية المباشرة في إحداث الفعل (أقفر) إلى الفاعلية غير المباشرة في استخدامها الدال الفعلي (بُدِّلت) الذي بني للمجهول، وذلك أن فاعليته المباشرة تسند إلى محذوف يقوم بفعل التحول في إبعاد أهلها عنها، ولعل هذا الإقصاء للفاعلية المباشرة التي تقوم بالتحول يجعل الصورة تعطي بعداً عميقاً للتجربة الشعرية في النص الذي يشعر المتلقي أن الذات الشاعرة فيه تعاني القلق والخوف من ذلك المجهول الذي يقوم بهذه الفاعلية: فاعلية التحول، وربما يزداد قلق الذات الشاعرة عندما تجعل الصورة الفاعلية مسندة إلى الوحوش التي حلت محل أهل الديار وأصحابها.

وتكمل الصورة البنية الوصفية بالدال الثالث (غيرت) الذي جاءت الفاعلية فيه للخطوب التي مارست فعلها التغييري على حال هذه الأماكن، لا شك في أن الصورة الوصفية، هنا، تنغلق بالدال (الخطوب)، لتصبح واضحة الملامح، فهي تصف حركة التغيير التي أصابت المكان. وقد تشكلت هذه الحركة بطريقة تتابعية متسلسلة أحدثت تغييراً يتبعه تغيير وهكذا. وقد اعتمد هذا التغيير على محورين أساسيين، هما: أهل الأماكن والوحوش. وكان فاعله الأساسي والمتجلي (الخطوب). ويبدو أن هذه الصورة التي تشكل مبتدأ النص تمثل مركز الرؤيا الشعرية التي تمثلت أبعادها في حركة التحول في البعد المكاني.

وتأتي الصورة الشعرية الثانية متخذة النمط الاستعاري، وقد تمثلت في البيتين:

5- أَرضٌ تَوارَثُها شعوبُ   فَكُلُّ مَن حَلَّها مَحروبُ

6- إِمّا قَتيلاً وَإِمّا هالِكاً   وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

إن الصورة الاستعارية (أَرضٌ تَوارَثُها شعوبُ) تعمل على استخدام الفاعلية الإنسانية وفاعلية الموت، وذلك من خلال التكون الاستعاري بين (الإنسان) الطرف الغائب الذي دل عليه الدال (توارثها) والموت (شعوب)، ذلك أن الموت أخذ في التشكل الصوري يمارس فاعلية على (أرض) من خلال تصور فاعلية الإنسان التي تستمد من حركة الوراثة المتجسدة في تتابع الزمن؛ أي التوارث من جيل إلى جيل، ما يشير إلى أن فاعلية الموت مستمرة في هذه الأرض لا تنقطع.

يبدو لي أن هذه الصورة تتواصل بالصورة السابقة على مستويين: مستوى البعد المكاني. ومستوى الفاعلية التي مورست على البعد المكاني. وذلك أن دال (أرض) يشكل البعد المكاني الذي مثلته سلسلة الأماكن التي وردت في الصورة الأولى. وقد كانت هذه الأماكن تتحرك من خلال فاعلية الدال (أقفر) التي أشارت إلى التحول، وقد مثلت الصورة الثانية مستوى الفاعلية ولكنه تمثيل يشكل حركة تصاعدية في فعل التحول، وذلك أنه تحول يأتي من الموت الذي يمارس فعله على البعد المكاني.

وقد عمقت الصورة الثانية صلتها بالصورة الأولى من خلال ظلالها التي ألقتها على التكوينات النصية، إذ إنها أنتجت- برسمها خط فاعلية الموت على البعد المكاني- التركيب (فكل من حلها محروب) فكل من يحل هذه (الأرض- الأماكن) يصيبه الموت بفاعليته المباشرة أو فاعليته غير المباشرة؛ فالإنسان مسلوب في كل حال يحل في هذه الأرض، ولعله يسلب، هنا، روحه أو ماله، فالسلب شيء عام يطبق على المكان، ولذلك نرى التركيب في البيت الثاني يرصد حالتين من السلب هما: سلب الروح بوساطة القتل أوسلبها بوساطة الهلاك. وتتجلى فاعلية هذه الصورة في تأكيد حال الموت في التركيب (والشيب شين لمن يشيب) الذي يشير إلى أن الحياة الإنسانية التي لا تنتهي بالقتل أو الهلاك في عنفوان قوتها تؤول إلى ما يعيب صاحبها. فكأنما حالة الشيخوخة حالة مرفوضة لا بد من الامتناع عن الوصول إليها؛ حتى لا يطال الإنسان عيب الشيخوخة وخزيها. إن هذا التعميق الذي أنتجته الصورة الثانية يرتد بالنص إلى الصورة الأولى من خلال كشف عنصر أهل الديار الذين غادروا أماكنها. فخلوّ هذه الأماكن من أهلها كان بفعل الموت في الصورة الثانية.

وتتشكل الصورة الثالثة في النص مباشرة بعد الصورة الثانية وقد اتخذت صورة التشبيه الممتد التي حشدت عدداً من الإمكانات الدلالية بوساطة دالات ترسم ملامح صورة شعرية معبرة عن موقف الذات الشاعرة مما يجري في وحدة الديار، وقد تمثلت هذه الصورة في الأبيات:

7- عَيناكَ دَمعُهُما سَروبُ   كَأَنَّ شَأنَيهِما شَعيبُ

8- واهِيَةٌ أَو مَعينٌ مُمعِنٌ   من هَضبَةٍ دونَها لُهوبُ

9- أَو فَلَجٌ ما بِبَطنِ وادٍ   لِلماءِ مِن تَحتِهِ قَسيبُ

10- أَو جَدوَلٌ في ظِلالِ نَخلٍ   لِلماءِ مِن تَحتِهِ سُكوبُ

لا شك في أننا ندرك، هنا، أن الصورة تتخذ الدال (شأنيهما) محوراً تتشكل حوله مكونات الصورة التي تعددت عناصرها، إذ تكونت من أربعة مكونات، هي: (شعيب، ومعين، وفلج، وجدول)، وقد حاولت الصورة أن تجسد بهذه المكونات ثلاثة أبعاد صورية، هي البعد المكاني، والبعد الحركي، والبعد الصوتي.

وقد تمثل البعد المكاني في المكوّن الأول (شعيب واهية)، الذي كشف عن ماهية البعد المكاني للعين وفعلها الذي يمارس البكاء بدموعها الغزيرة، فالعين تتخذ صفة القربة الخلق البالية التي لا تستطيع أن تحفظ الماء بسبب تقادم الزمن عليها وفعله مما أصابها بالخروق والتشوهات وما عادت قادرة على الاحتفاظ بالماء، فالمكان في هذه الصورة مكان بال تقادم العهد عليه.

وأما البعد الحركي، فقد رصده المكوّن الثاني الذي تمثل في التركيب (مَعينٌ مُمعِنٌ من هَضبَةٍ دونَها لُهوبُ)، وهو مكوّن يرصد طبيعة الحركة التي تتخذها الدموع الجارية من العينين، فهي حركة سريعة تجسدها حركة سيلان الماء المندفع من أعلى الهضبة التي تجري على سطحها إلى أسفل الوادي، ويبدو أن هذه الحركة السريعة تتوافق مع طبيعة البعد المكاني، فالماء المتساقط من القربة الخلق يتماثل في سرعة اندفاع الماء في المكون الثاني، ولا شك في أن هذا التوافق يرصد مدى جريان الدموع الذي أرادت الصورة أن تصفه.

وأما البعد الصوتي، فقد جاء في المكوّنين (فلج، وجدول)، ذلك أن المكوّن الأول (فلج) رصد صوت الماء من خلال جريانه في الفلج الذي يتخذ الوادي مجرى له، وقد ظهر هذا البعد في الدال (قسيب) الذي يشير إلى صوت جريان الماء في الوادي. ويماثله المكوّن الثاني (جدول) الذي رصد البعد الصوتي في الدال (سكوب) الذي يشير إلى صوت انسكاب الماء في ظلال النخل.

إن ما تقدم ينتهي إلى اكتمال التكوّن الصوري الذي يظهر اللحظة الحزينة التي تمارس على الذات الشاعرة من خلال فاعلية العينين، ذلك أنهما عينان تكشفان عن لحظة البكاء التي تجسدها الدموع الغزيرة المنهمرة، وقد بدت هذه الغزارة من خلال الصوت المتصاعد من المكان السفلي (من تحته قسيب/ من تحته سكوب).

إن هذه الصورة تبدو للوهلة الأولى غريبة التكوين لما فيها من مبالغة ظاهرة في رصدها البعدين الحركي والصوتي، فثمة مبالغة غير مألوفة في رصد صوت خرير الماء عند الحديث عن غزارة تدفق الدموع من العينين، ولعل الغرابة تزول أو تتلاشى إذا ما فهمنا الصورة على أنها ترصد لحظة الحزن التي أصابت الذات الشاعرة فأظهرت الشاعر يجهش بالبكاء متخذة مظهري البكاء وهما الصوت والدموع: الصوت الذي ينشأ داخل ذاته ويخرجه من أعماقه، والدموع التي ترافق هذا الصوت. ولعل محاولة النص رصد هذه اللحظة الحزينة جعلته يرصد الصورة بالحركة والصوت، فما حركة الماء المنهمر في هذه الصورة إلا حركة الدموع المنهمرة الغزيرة، وصوت هذا الماء ما هو إلا صوت هذه الذات الباكية المتألمة.

لعل الصورة، هنا، جاءت ناتجاً للصورتين السابقتين بوصفهما ترصدان لحظة التحول التي أصابت المكان بسبب فاعلية الخطوب، وفاعلية الموت، وذلك أن إصابة المكان (الديار) يمثل إصابة الإنسان (أهل الديار)، وبالتالي فإن الذات الشاعرة تقع ضمن هذا البعد الإنساني الذي يعاني من ممارسة الفاعليتين معاً. وقد رصد البيت السادس:

6- إمّا قَتيلاً وَإمّا هالِكاً وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

هذه المعاناة من خلال جعل انتهاء حياة الإنسان على هذه الأرض (إمّا قَتيلاً وَإمّا هالِكاً) ونتيجة لذلك فإن الذات الشاعرة تعاني من هذه الحال فجاء النص بالصورة الثالثة لتجلي موقفها من خلال تسجيل صورة تعادل الإحساس بالحزن والألم لدى هذه الذات.

وتتعمق الصلة بين هذه الصورة والصورتين السابقتين بتوفر روابط دالية بينها، فدالات البعد المكاني في الصور الثلاثة تتقارب في دلالاتها من حيث ممارسة البعد الزمني فعله السلبي عليها، فالبعد الزمني بما فيه من أحداث وخطوب في الصورة الأولى مارس فعل التحول على البعد المكاني، فملحوب والقطبيات والذنوب وسائر الأماكن فيها قد خلت من أصحابها الذين ذهبوا أو ماتوا وحلت محلهم الوحوش، ثم ظهرت هذه الأماكن في الصورة الثانية في المظهر نفسه عندما توارثته الشعوب التي قهرت الإنسان فيه فمارست عليه فعل الموت، وقد ظهرت الصورة الثالثة متصلة بهاتين الصورتين من خلال تعميقها للبعد المكاني الذي ظهر في المشبه به (شعيب واهية) وقد مثل مكاناً للزمن يمارس فاعليته عليه في إحداث تمزيقه تماماً كما كانت الحال في الديار في الصورتين السابقتين، ومن المدهش أن الوعي الشعري يؤول بالذات الشاعرة- التي مثلها البعد المكاني (عيناك دمعهما سروب كأن شأنيهما..) – إلى حال الديار التي أصابها الزمن بالموت والخطوب، وذلك بجعل البعد المكاني بما يتصف به في المشبه به يعود إلى العينين بحيث جعل الزمن يمارس فاعليته عليها بالموت والخطوب؛ ما جعل شأنيهما لا يحتفظان بالدموع؛ ولذا

نجدها قد انهمرت أمام هذا الإحساس بالفعل السلبي للزمن. ولا شك في أن التركيب (وَالشَيَبُ شَيَنٌ لِمَن يَشيبُ) يظهر هذه الفاعلية السلبية على الذات الإنسانية بما فيها الذات الشاعرة.

وتأتي الصورة الرابعة لتكمل موقف الذات الشاعرة من فاعلية البعد الزمني، وقد اتخذت النمط المجازي وهي (راعك المشيب) الواردة في البيت:

11- تَصبو فَأَنّى لَكَ التَصابي أَنّى وَقَد راعَكَ المَشيبُ

إن فاعلية الزمن، هنا، تبدو في التشكل المجازي وذلك أن الدال (المشيب) يمثل البعد الزمني الفاعل على الذات الشاعرة، وقد تكوّنت الصورة هنا، بوساطة خلق طرفين متفاعلين هما: المشيب الفاعل المسند إلى الدال (راع) والمخاطب (الذات الشاعرة) المتمثلة في كاف الخطاب التي وقع عليها فعل (راع). ولا شك في أننا ندرك أن البنية المجازية تبادل الأدوار في الفاعلية بين هذين الطرفين، وذلك أن الفاعل الحقيقي لهذا الدال هو (راع) بوصفه قادراً على إحداث فاعلية الخوف والاستشعار بها، وأن الطرف (المشيب) ما هو إلا سبب لهذا الخوف والفزع وليس فاعلاً في ممارسته، من هنا نجد أن الصورة قد بدلت الأدوار في فاعلية الخوف ما يجعلها قادرة على التعبير عن اللحظة الشعورية المرتبطة بالموقف الإنساني المتمثل في الصورة السابقة، وذلك أن المشيب يمثل للذات الإنسانية عموماً والذات الشاعرة على وجه الخصوص فاعلية مخيفة تقودها إلى الاستشعار بالموت الذي يدفعها إلى رؤية ظلامية لكل ما يحيط بها من مظاهر الحياة. ولعل صدر البيت (تصبو وأنى لك التصابي) يكشف عن صدق هذه الملاحظة، ذلك أن الخطاب فيه موجه إلى الشاعر انطلاقاً من أسلوب التجريد الذي يعني "أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك"[(58)] فالشاعر يخاطب نفسه منكراً عليها الاستشعار بالعشق والحب وقد مارس الزمن فعل المشيب عليها.

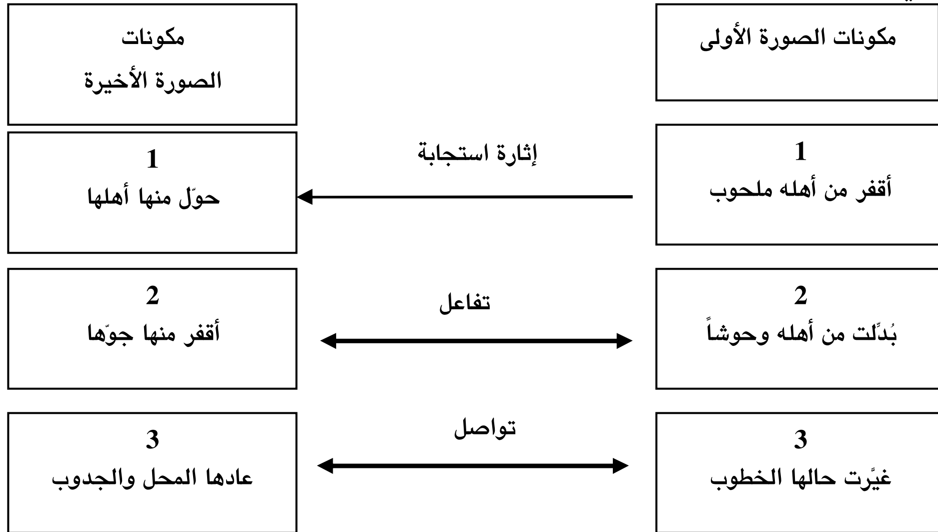
وتشكل الصورة الخامسة الحلقة الأخيرة التي تربط مكونات الوحدة الصورية، وهي تمثل عودة إلى بداية النص، وقد جاءت هذه الصورة في صورة وصفية في البيتين:

12- إِن يَكُ حُوِّلَ منها أَهلُها فَلا بَديءٌ وَلا عَجيبُ
13- أَو يَكُ أَقفَرَ مِنها جَوُّها وَعادَها المَحلُ وَالجُدوبُ

ترصد بنية الصورة ثلاثة دالات محورية تصف البعد المكاني المتكون فيها، هذه الدالات هي: (حُوِّلَ، وأَقفَرَ، وَعادَها)، وهي دالات تشير إلى فاعلية التحويل. فالدال (حُوِّلَ) أنتج فاعليته بناء على تغييب التفاعل المباشر بوصفه مبنياً للمجهول، وجعل الفاعلية مسندة إلى الدال (أهلها)، ما يكشف عن البعد الحركي الذي يمارسه أهل الديار في الابتعاد عن المكان (الديار)، ولكن هذه الحركة بدافع مجهول يمكن أن يكشف عنه الدالان الآخران (أقفر، وعاد) وذلك أن هذه الديار قد

أصابها التحول بعد أن خلا وسطها (جوها) من النبات والماء، وبعد أن عاد إليها القحط والجدب، ولعل هذا المجهول هو ما أصاب المكان بالقحط؛ ما جعل أهلها يغادرونها.

إن تكوين الصورة الوصفية على هذه الشاكلة في آخر الوحدة يعود بنا إلى بدايتها التي تشكلت بصورة وصفية مماثلة لها في صورتها الكلية مع بعض الاختلاف في التفصيلات الجزئية التي تشكل الروابط البنائية بين الصورتين وبالتالي بين سائر صور هذه الوحدة. ذلك أن الصورة الوصفية الأولى التي وردت في بداية الوحدة تشكلت من ثلاثة دالات محورية هي على الترتيب كما وردت في الأبيات (أقفر، وبُدّلت، وغيّرت)، والصورة الوصفية الأخيرة تشكلت أيضاً من ثلاثة دالات محورية هي على الترتيب كما وردت في الأبيات (حُوِّل، وأقفر، وعاد). وحتى ندرك الحركة البنائية للصورتين نرصد بنية هذه الدالات وما يتعلق بها من دالات أخرى في الرسم التخطيطي الآتي:



إن هذا الرصد يكشف عن بناء فيه نوع من التوازي بين التراكيب الجملية التي يشكل كل دال من الدالات السابقة رأساً لكل تركيب منها، في الوقت الذي نلحظ بينها تفاعلاً بنائياً من حيث متعلقاتها، وذلك أننا نلحظ أن الدال (أقفر) في المربع الأول من مكونات الصورة الأولى يُسند إلى المكان ويتعلق به دال (أهله) ويقابله في مكونات الصورة الأخيرة الدال (حوّل) ويسند إليه الدال (أهلها) مباشرة بناء على النيابة في الفاعلية، فكأنما العلاقة بين مكوني الصورتين علاقة تفاعلية تتشكل على وفق الإثارة والاستجابة؛ بمعنى أن ملحوب وسائر الأماكن المذكورة في بنية الصورة الأولى قد أقفرت فاستجاب لها أهلها في الصورة الأخيرة فتحولوا منها. ويتحرك التركيبان الآخران في كل من الصورتين بالطريقة نفسها، وذلك أن الدال (بُدِّلت) في المربع الثاني من مكونات

الصورة الأولى يسند إليه الضمير الذي يعود إلى الأماكن مباشرة بناء على النيابة في الفاعلية ويتعلق به في الوقت نفسه الدال (أهلها)، فأهل هذه الأماكن قد بُدِّلوا وأبعدوا عنها وحلت محلهم الوحوش، وذلك بفعل فاعلية الأماكن، وقد جاء التركيب في المربع الثاني من مكونات الصورة الأخيرة متفاعلاً مع هذا التركيب فكان فاعل الدال (أُقفر) الدال (جوّها) الذي يشكل وسط هذه الأماكن. ويتجلى عمق التفاعل بين التركيبين الأخيرين في الصورتين، فالدال (غيرت) الوارد في المربع الثالث من مكونات الصورة الأولى يسند إلى الفاعل المباشر (الخطوب) الذي فعل فعلها بالأماكن فغير حالها وبدلها وهو دال يتواصل بالدال (عادها) في المربع الثالث من الصورة الأخيرة، وهو دال يسند إلى الفاعل المباشر (المحل/ الجدوب)، وهو فاعل يمثل معنى أساسياً من معاني الخطوب التي أصابت هذه الأماكن بالتحول.

** **

الوحدة الثانية: (وحدة الحكمة).

تضمنت هذه الوحدة صورتين شعريتين أبدتا تفاعلاً في ربط أجزائها البنائية مع أنهما لم تأتيا متجاورتين أو متعالقتين على المستوى البنائي السطحي، بل جاءتا متباعدتين، إذ جاءت الصورة الأولى في البيت الرابع من الوحدة والصورة الثانية في البيت السادس منها.

وردت الصورة الأولى في البيت:

17- أَعاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ رِحمٍ أَم غانِمٌ مِثْلُ مَن يَخيبُ

وهي تتمثل في النمط الصوري المتداخل الذي يجمع بين التشبيه والكناية، إذ إنها تكونت من تشبيهين متعالقين وكناية متداخلة بالتشبيه الأول. ورد التشبيه الأول في صدر البيت (أَعاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ رِحمٍ) الذي كان فيه المشبه (عاقر) والمشبه به (ذات رحم)، والثاني في عجز البيت (أَم غانِمٌ مِثْلُ مَن يَخيبُ) إذ كان المشبه (غانم) والمشبه به (من يخيب)، وأما الكناية فتمثلت في التركيب الوارد في صدر البيت (ذات رحم).

يسعى التشبيه الأول إلى رصد مفارقة تعتمد على إبعاد دلالة التماثل من بين طرفيه، وذلك أنه قد فرق بين الطرفين المشبه (عاقر) والمشبه به (ذات رحم)، وقد نشأ هذا التفريق من خلال أسلوب الاستفهام الذي أدى دوراً دلالياً واضحاً في الانتهاء إلى معنى نفي المماثلة بين طرفي التشبيه، فالعاقر من البشر أو الكائنات الحية لا يستطيع أن يحدث التكاثر الجنسي في حين تستطيع ذات الرحم أن تحدث هذا التكاثر، وقد تجلت دلالة الكناية في المشبه به في الإشارة إلى التناسل والقدرة على ممارسة الاستمرار في الوجود الإنساني في الحياة، وبالطبع فإن هذه الحال تفترق عن الحال الأولى في المشبه، ثم تعمق البنية التشبيهية الثانية معنى المفارقة بلجوئها إلى الحديث عن الفعل الإنساني في الحياة بعيداً عن التكاثر، وذلك باللجوء إلى القدرة على ممارسة

كسب الصراعات الإنسانية متمثلة بفعلي الغنم والخيبة من الغنم، فالمشبه يشير إلى قدرة الإنسان على أن يفوز في صراعه مع الآخر في الغنم والمكاسب, في حين يشير المشبه به إلى عدم القدرة على الكسب في هذه الصراعات. ولا شك في أن هذه البنية تنتج المفارقة بين طرفي التشبيه بناء على أسلوب الاستفهام، كما كانت الحال في التشبيه الأول، غير أن الملاحظة على بنية الصورة الكلية أنها قد رصدت بنيتي التشبيه بطريقة غير ترتيبية أو رصدتها بطريقة معكوسة، وذلك على النحو الآتي: جعلت المشبه في التشبيه الأول الطرف غير القادر على استمرار الحياة في حين جعلت المشبه في التشبيه الثاني هو القادر على الكسب والغنم. ولا شك في أن العلاقة بين هذين العنصرين هي علاقة مفارقة واختلاف، وكذلك الحال في المشبه به في التشبيه الأول فقد جاء قادراً على استمرار الحياة بالتكاثر في حين كان المشبه به في التشبيه الثاني غير قادر على الكسب والغنم. ويبدو لي أن مثل هذه البنية الصورية تشكل بنية ذات دلالة عميقة في الوحدة الثانية، وذلك أنها صورة جاءت بعد ثلاثة أبيات تشكلت على وفق بنية التوازي التي ترصد حالات تقوم على المفارقة، هذه الأبيات هي:

14- فَكُلُّ ذي نِعمَةٍ مَخلوسها   وَكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكذوبُ

15- وَكُلُّ ذي إبِلٍ مَوروثها   وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلوبُ

16- وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ   وَغائِبُ المَوتِ لا يَئوبُ

تتمثل أبنية التوازي في الأبيات الثلاثة من خلال الدال المكرر (كل) في رأس كل صدر منها، وفي عجز البيتين الأول والثاني، ويتبع كل دال منها حالة تتفارق مع الحالة الأخرى، وتجسد في الوقت نفسه رؤيا التحول التي تصيب طرفي ثنائية (ما كان /ما يكون)، ففي قوله (فَكُلُّ ذي نِعمَةٍ مَخلوسها) تتمثل الحالة الأولى في النعمة التي يستمتع بها صاحبها، وهي تجسد طرف (ما كان) ثم تأتي الحال الثانية متحولة بهذا الطرف إلى (ما يكون) في صورة النعمة المسلوبة والمفقودة. وفي قوله (وَكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكذوبُ) تمثلت الحال الأولى في الأمل- وهي تجسد طرف (ما كان) ثم تأتي الحال الثانية متحولة بهذا الطرف إلى (ما يكون) وهي أن هذا الأمل لا وجود له، فهو أمل لا يتحقق. وفي قوله (وَكُلُّ ذي إبِلٍ مَوروثها) تتمثل الحال الأولى في الإبل التي يمتلكها صاحبه في حياته – وهي تجسد طرف (ما كان). ثم تأتي الحال الثانية متحولة بهذا الطرف إلى (ما يكون) وهي وراثة هذه الإبل بعد موت صاحبها. وفي قوله (وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلوبُ) تتمثل الحال الأولى في أن الإنسان يستطيع أن يسلب غيره ما يملك- وهي تجسد طرف (ما كان). ثم تأتي الحال الثانية متحولة بهذا الطرف إلى (ما يكون) وهي أن هذا السلب يؤخذ من سالبه، فيسلب مرة أخرى. وفي قوله:

16- وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ   وَغائِبُ المَوتِ لا يَئوبُ

تمثلت الحال الأولى في أن الغائب (غير غائب الموت) له عودة من غيبته، ثم تأتي الحال الثانية مفارقة للحال الأولى وهي أن غائب الموت لا يعود.

يبدو لي أن هذا الرصد المتماثل في البنية النصية للوحدة يعمق رؤيا النص في دلالة التحول من خلال حركة المفارقة فكل مما تقدم يفارق الحال الأخرى، وهذه الحركة تجري في الأصل على الذات الإنسانية بشكل عام، فتقع تحت الإحساس بالقهر والقلق، ويبدو أن حركة الصراع الإنساني والموت الذي يصيب الذات الإنسانية قد اشتركا في إحداث هذه الدلالة؛ فالصراع الإنساني تمثل في ثلاثة أشطر من الأبيات الثلاثة هي:

فَكُلُّ ذي نِعمَةٍ مَخلوسها

وَكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكذوبُ

وَكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلوبُ

وتمثل الموت في ثلاثة أشطر أخرى هي:

وَكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوروثها

وَكُلُّ ذي غَيبَةٍ يَؤوبُ

وَغائِبُ المَوتِ لا يَئوبُ

إن هذه الأبيات تلتقي الصورة الشعرية على مستوى إحداث حركة المفارقة، فكل منها يسعى إلى ممارسة فعل المفارقة من خلال حركة التحول، فالأبيات الثلاثة اتجهت لإحداث معنى التحول في الحياة الإنسانية وملامحها بالانتقال من طرف (ما كان) إلى طرف (ما يكون)، وكذلك الحال في الصورة فإنها أنتجت حركة التحول في الطبيعة الإنسانية التي برزت في التحول من القدرة على إحداث الاستمرار في التكاثر في الحياة إلى حال عدم القدرة على هذا التكاثر, أو من خلال التحول من القدرة على الغنم إلى عدم القدرة على الغنم والكسب. وكأنما هذه الصورة تجمع كل المفارقات السابقة في الأبيات الثلاثة، فالتشبيهان أشارا إلى قدرة الإنسان على ممارسة الاستمرار والتكاثر والكسب، وهذا بالطبع يتصل بالأبيات الثلاثة بإشارتها إلى هذه القدرة، فالإنسان له قدرة على التمتع بالنعم، وله قدرة على الأمل في الحياة، وله قدرة كذلك على امتلاك الإبل وكما له القدرة على أن يسلب الآخرين ما سلبوا. ولعل هذا كله يقع في قدرة الإنسان على ممارسة فعل الاستمرار التي تمثلت في التشبيهين والكناية من خلال الدالات (ذات رحم، وغانم)، كم أشار التشبيهان إلى الحالة المفارقة لقدرة الإنسان على التكاثر والكسب وقد التقيا بهذه الحالة الأبيات الثلاثة أيضاً تمثل هذا الالتقاء في أن هذه النعم تزول وتتحول، وهذه الآمال تتحول وتتلاشى،

والإبل تتحول ملكيتها إلى غير صاحبها، والسلب يتحول ليصبح مسلوباً من جديد. ثم تنتهي عملية المفارقة بشكل تصعيدي عند الحديث عن الموت الذي يخيم على الذات الإنسانية والذي يحدث حركة التحول في هذه الذات.

وقد أنتجت حالة المفارقة التي أنتجتها الصورة السابقة وما أحاط بها من أبنية التوازي ودلالاتها- موقفاً تمثل في سائر أبيات الوحدة التي تضمنت في البيت الثاني منها الصورة الثانية وهي صورة مجازية هذه الأبيات هي:

18- أفلح بما شئتَ فقَد يُدرك بالـ ... ـضعف وقَد يخدع الأريب

19- لا يعظُ الناس من لا يعظ الـ ... ـدهر ولا ينفَع التَلبيب

20- لا ينْفَع اللّب عن تعلّم ... إلاّ السجيات والقُلوب

21- فقد يعودن حبيباً شانئٌ ... ويرجعن شانئاً حبيب

22- ساعد بأرض إذا كُنتَ بها ... ولا تَقُل إنني غَريب

23- قَد يوصلُ النازح النائي وقَد ... يقطَع ذو السهمة القَريب

24- من يسأل الناس يحرموه ... وسائلُ الله لا يخيب

25- والمرء ما عاشَ في تَكذيبٍ ... طولُ الحياة لَه تَعذيب

إن دلالة المفارقة السابقة التي أكدت رؤيا التحول جعلت الموقف النصي يتجه إلى رؤية الحياة من منظور جديد وهو عدم منطقية الحياة؛ أي عدم تعلق النظرية بالنتيجة؛ ما يتيح للذات الإنسانية تصور العبثية في الحياة، وذلك أن خطاب الآخر في البيت الأول يتجه به إلى عدم الربط بين النظرية والنتيجة: فالضعيف قد يكون قادراً على إدراك ما لا يدركه القوي، وقد يستطيع غير المجرب في الحياة أن يخدع العاقل (الأريب) عن عقله. ولا شك في أن هذا الربط بين النظرية والنتيجة يرصد وضعاً مقلوباً للمنطق الذي يرى: أن القوي أكثر قدرة من الضعيف، فالضعيف يكون قاصراً عما يقدر عليه القوي، وأن المجرب يمتنع من غير المجرب فلا يستطيع الأخير أن يخدعه. إن مثل هذه المفارقة تقطع العلاقة المنطقية بين النظرية والنتيجة مما يقود الذات الإنسانية إلى تصور العبثية في الحياة الإنسانية. وعند هذا التصعيد في لحظة المفارقة تأتي الصورة المجازية المتمثلة في التركيب (من لا يعظ الدهر)، وهي صورة تعتمد على منح الزمن (الدهر) فاعلية الوعظ التي تمارس على الذات الإنسانية، وهي فاعلية مسندة في الأصل إلى ما يدور في الدهر من أحداث وخطوب وغيرها ما يؤثر في هذه الذات فتتعظ بها. ولعلنا نلحظ أن الوحدة البنائية هنا تساوي بين فاعلية الناس وفاعلية الدهر في العظة (لا يَعِظُ الناسُ مَن لا يَعِظِ

الدهر) فمن لا يتعظ من الناس وما يمارسونه ويفعلونه لا يتعظ من الدهر وخطوبه وأحداثه. ويبدو أن الوحدة تقود إلى تصور أن العظة نابعة من القدرة العقلية المكتسبة عند الإنسان لا من تكلف التعقل.

وتنتهي الوحدة إلى إنتاج حكمة نابعة من تجربة اللبيب المجرب في الحياة، وهي حكمة تقوم على ملاحظة تحول العلاقات الإنسانية المبنية على طرف ثنائية (ما كان /ما يكون)، وذلك أن الحبيب قد يتحول شانئاً، والشانئ قد يتحول حبيباً، ولا شك في أن هذا التحول قائم على رؤية المفارقة التي برزت في الصورة السابقة وما يتعلق بها من أبنية شعرية.

وتتجه الوحدة إلى إنتاج حكم تقود الذات الإنسانية المخاطبة إلى نوعٍ من التوازن الذي يكشف عن التجربة الحياتية التي تدرك التحول في الحياة وتشكل إزاءها موقفاً نفعياً مبعثه الخوف والقلق على الذات، وذلك أنها رأت أن على الإنسان أن يتواصل مع الآخرين، وإن كان غريباً عنهم، فعليه أن يساعدهم، وأن يعينهم. هذه الرؤية قائمة على عدم منطقية الحياة المبنية على الرؤية القبلية التي تمثل ثقافة النص أو الشاعر؛ فالإنسان قد يعق قريبه ويتنكر له في الوقت الذي يصل فيه البعيد؛ لذلك على الإنسان أن يتوازن مع هذا العبث الحياتي.

ويبدو أن البيتين الأخيرين من الوحدة قد بررا للذات الإنسانية هذه المفارقة، وذلك من خلال مقابلة الإنسان للذات الإلهية عند السؤال (مَن يَسَألِ الناسَ يَحرِموهُ) في حين من يسأل الله (لا يخيب)، فالإنسان بطبعه يحرم الإنسان الآخر؛ مما يشير إلى أن الإنسان هو الفاعل الرئيس في إحداث التحول في كل ما تقدم من أبنية الوحدة الدلالية، وقد أكدت الوحدة هذا المعنى في البيت الأخير وذلك أن الإنسان يعيش كذبة في حياته؛ وطول هذه الحياة الكذبة تعذبه.

لا شك في أن ما تقدم من معطيات هذه الوحدة والصورتين اللتين وردتا فيها يشير بوضوح إلى طبيعة العلاقة الرابطة بينها وبين الوحدة الأولى، وذلك على مستوى رؤيا التحول، فإذا كان التحول في الوحدة الأولى قد أصاب البعد المكاني ما جعل الإنسان يغادره ويحل محله العالم الحيواني، فإنه؛ أي التحول في الوحدة الثانية قد أصاب البعد الإنساني الذي يشكل الحقيقة الوجودية للبعد المكاني (الديار)، ولعل حركة التحول في هذه الوحدة تكشف عن عمق العلاقة التي أصابت البعد المكاني في الوحدة السابقة، وذلك أن أثر الفعل الإنساني ينعكس على البعد المكاني والعكس صحيح أيضاً؛ أي أن أثر الفعل المكاني ينعكس على العالم الإنساني فعلاقة التحول، كما تبدو في النص، علاقة تبادلية بين البعدين (الإنساني والمكاني).

** **

الوحدةالثالثة: (ذكريات الشباب).

يقيم النص هذه الوحدة على ثلاث صور كبرى كادت تتمثل في معظم أبياتها، وقد بدأها ببيت يشكل حلقة وصل بنائية بالوحدتين السابقتين، وهو:

26- بل إن تكن قد علتني كَبْرةٌ وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ

فالبيت يؤسس للعلاقة بين هذه الوحدة والوحدتين السابقتين اعتماداً على البعد الزمني المتمثل في الشيخوخة التي أصابت الذات الشاعرة، وهي شيخوخة تستشعر بها هذه الذات العارَ والخزيَ. غير أن النص يحاول أن يظهر الذات الشاعرة مقاومة لهذا الشعور بالعار والخزي ابتداء من بداية البيت في استخدامه حرف الإضراب (بل) الذي يشير إلى موقف الذات الشاعرة الرافض للشيخوخة الذي يشكل رفضاً للتحول على المستوى الزمني، وهو تحول يمثل الانتقال من طرفي الثنائية (ما كان /ما يكون) ذلك أن الشيخوخة تقع في طرف (ما يكون). ولا شك في أننا ندرك هنا أن هذا البعد الزمني يرصد ملامح التحول التي ظهرت في الوحدتين السابقتين، فكل وحدة منهما كانت ترصد الطرف الثاني من الثنائية (ما يكون).

إن حركة التحول في هذه الوحدة تختلف عنها في الوحدتين السابقتين، ذلك أنها كانت تبدأ من الطرف الأول من ثنائية (ما كان /ما يكون) بوصفه طرفاً غائباً وتعمل في الطرف الثاني (ما يكون)، في حين تبدأ هنا من الطرف الثاني (ما يكون) من هذه الثنائية بوصفه طرفاً غائباً لتعمل في الطرف الأول (ما كان)، وهذا القلب في حركتها من أجل أن تعود بالذات الشاعرة إلى أيام الشباب والصبا التي وقعت في طرف (ما كان). وقد جسد النص هذه العودة في الصورة الشعرية الأولى من صور هذه الوحدة، وقد تشكلت هذه الصورة من الوصف والمجاز والكناية ببنية تداخلية وردت في البيتين:

27- فرُبَّ ماءٍ وَرَدتُ آجِنٍ سَبيلُهُ خائِفُ جَديبُ

28- ريشُ الحَمامِ عَلى أَرجائِهِ لِلقَلبِ مِن خَوفِهِ وَجيبُ

تتشكل الصورة هنا من خلال وصف البعد المكاني الذي مارست فيه الذات الشاعرة فعلها في زمن الشباب، فهي كانت ترود أماكن الماء التي يصعب على الآخرين أن يرودوها، وذلك أن هذه الأماكن تتصف بحال الجدب: فلا شجر فيها، ولا نبات. وهذه حال تقود إلى خلو هذه الأماكن من الإنسان. وقد عمق وصف الماء هذا الخواء من الإنسان، فالماء آسن له رائحة ولون يطردان العالم الإنساني عنه، وهذا وصف يعمق حالة الجدب والخواء. وقد جاءت البنية المجازية تعمق هذه الحال في استخدامها الدال (خائف) الذي يعود إلى (سبيله)، وذلك أن الطريق إلى هذا الماء طريق يصيب من يروده بالخوف، وقد عبرت الصورة عن لحظة الخوف بطريقة تشير إلى إسناد

الخوف إلى السبيل باستخدامها اسم الفاعل، وهو إسناد مجازي حقيقته أن يكون إسناداً إلى من يسلك الطريق. ويبدو لي أن الصورة في هذا الاستخدام أرادت أن تجعل الإحساس بالخوف مطبقاً على المكان فكأنما المكان هو الذي يمارس الخوف بذاته، فإذا ما سلكه الإنسان فإنه يصبح من منظومة الخوف في المكان، وهذا، كما أرى، يعمق الإحساس بالخوف عند من يطرق هذه الطريق.

وقد أكدت الصورة خلو البعد المكاني من الإنسان مرة أخرى بوساطة الكناية في التركيب (ريشُ الحَمامِ عَلى أَرجائِهِ)، وذلك أن هذا الماء لا يأتيه إلا الحمام من الكائنات الحية أي من العالمين الإنساني والحيواني. ولا شك في أن استخدام دال (الحمام) في الصورة يعمق خطورة سبيل هذا الماء؛ لأنها سبيل لا يأتيها ما يمشي على الأرض، فالحمام يتجاوز خطورة الطريق بورود مائه طائراً. وقد عمقت الوحدة هذا الإحساس بالخطورة والخوف في عجز البيت الثاني (لِلقَلبِ مِن خَوفِهِ وَجيبُ)، فالإنسان الذي يسلك طريق الماء أو يقف مكان هذا الماء- يصاب بخفقان القلب الذي يجعل القلب لا يستقر مكانه.

إن ما تقدم من وصف البعد المكاني في الصورة يشكل جزءاً أساسياً من موقف الذات الشاعرة تجاه هذا المكان وهي في زمن الشباب، فهي ذات كانت قادرة على ممارسة الفعل الإنساني الذي يُعد من قبيل الشجاعة والإقدام عند تعاملها مع البعد المكاني الذي يتطلب صفات القوة والقدرة، وهي صفات تتعارض مع اللحظة الراهنة لحظة الشيخوخة التي تعيشها هذه الذات.

إن الصورة هنا تشير إلى أن البعد المكاني الذي كانت الذات الشاعرة تعايشه كان يرزح تحت تأثير حركة التحول التي لحظناها في الوحدة الأولى، وذلك أن المكان الذي سلكته الذات الشاعرة في شبابها مكان خال من الناس مجدب لا حياة نباتية أو حيوانية أو إنسانية فيه، سوى الذات الشاعرة التي طرقته، فكأنما في هذا المعنى إشارة إلى توحد الذات مع المكان المجدب والمقفر، وهو توحد يشير إلى انقطاع الشاعر عن العالم الإنساني حتى في شبابه؛ ما يجعلنا نعود بهذه الوحدة إلى بداية النص الذي يؤكد حركة التحول في البعد المكاني، وهي حركة لا شك في أنها تتمثل في الحياة الإنسانية، وقد أكد هذه الدلالة البيت:

29- قَطَّعتُهُ غُدوَةً مُشيحاً وَصاحِبي بادِنٌ خَبوبُ

فالذات الشاعرة تمارس فعلها القوي في البعد المكاني المجدب والمخيف بصحبة العالم الحيواني المتمثل في ناقته (بادن). فهي ذات لا تصحب الإنسان في حركتها في المكان وإنما تصحب الحيوان حسب. وهذا يلتقي الوحدة الأولى في تمثل الحياة الحيوانية في الديار.

وتأتي الصورة الثانية مجلية بُعد القوة والقدرة على ممارسة الصعاب، وقد تشكلت ضمن النمط الوصفي الذي تتداخل فيه صور تشبيهية وكلها تدور حول الناقة التي تشكل محور الصورة، وقد وردت في الأبيات:

29- قَطَّعتُهُ غُدوَةً مُشيحاً وَصاحِبي بادِنٌ خَبوبُ

30- عَيرانَةٌ مُؤجَدٌ فَقارُها كَأَنَّ حارِكَها كَثيبُ

31- أَخلَفَ ما بازِلاً سَديسُها لا حِقَّةٌ هِيَ وَلا نَيوبُ

32- كَأَنَّها مِن حَميرِ غابٍ جَونٌ بِصَفحَتِهِ نُدوبُ

33- أَو شَبَبٌ يَحتفِرُ الرُخامى تَلُفُّهُ شَمأَلٌ هبوبُ

تبدأ الصورة هنا برصد ملامح في الناقة تقود إلى معاني القوة التي تتمتع بها، وقد استخدمت حقلي الحيواني والطبيعة لتجلي هذه الملامح، فاختارت الحمار الوحشي ليكون المنبع الأول الذي تستمد صفة القوة منه، وذلك في الدال (عيرانة)، فهذه الناقة تتمتع بقدرة الحمار الوحشي في سرعتها في قطع سبيل الماء المخيف الذي كانت الذات الشاعرة تستشعر خوفه، وهي ناقة موثوقة الخلق بنيتها الجسدية بنية متماسكة صلبة وقوية، وهي كذلك ممتلئة الجسد سمينة، وقد لجأت الصورة إلى حقل الطبيعة لإبراز هذه السمنة فاختارت (الكثيب) لسنامها، ثم تمتد في وصفها إلى البعد الزمني فاختارت منه أفضل المقاييس العمرية التي تؤكد القوة والقدرة، فهي ناقة متوسطة العمر (لا حقة) صغيرة و(لا نيوب) كبيرة. ثم ترصد من الحقل الحيواني الحمار (حمير غاب) والثور القوي (شبب).

وقد أبرزت في (حمير غاب) صفة جديدة هي صفة شكلية كما تبدو في سطح البنية، ذلك أنها اختارت الجانب اللوني من الحمير وما أصاب جسدها من (الندوب)، فهي حمير يشوب أجسادها أحد اللونين الأبيض أو الأسود وقد ظهرت فيها آثار العض من الحمير. ولا شك في أن هذه الجوانب الشكلية تعود إلى الناقة بوصفها محور التشبيه، فهي، إذن, ناقة لها من اللون ما للحمير وفيها من الندوب ما في الحمير أيضاً, ويبدو لي أن هذا الجانب الشكلي يقود إلى دلالة مهمة في رصد قوة هذه الناقة، ذلك أن هذه الحمير بما تحمله من ندوب مؤشر إلى أنها تنتمي إلى مجتمعها الحيواني الذي تعايش أفراده. غير أن هذه الحال مفارقة لحال الذات الشاعرة التي تستشعر الوحدة في عالمها في البعد المكاني، ومفارقة لحال الناقة التي انفردت بها هذه الذات عن العالم الحيواني الذي تنتمي إليه لتكون صاحبة هذه الذات في سلوكها الطرق الخطيرة المخيفة.

وأما في الثور (شبب)، فقد حاولت أن تؤكد به صفة القوة والقدرة على ممارسة الفعل المنبثقة من البعد الزمني الذي أشارت إليه فيما تقدم، وذلك أن هذا الثور يستمد قوته من شبابه

فهو في سن الشباب يرعى الرخامى ويقاوم الريح شمالها البارد وهبوبها العاصف، وهذه قدرة لا شك تتصف بها الناقة في هذه الصورة.

وتواصل الوحدة تعميق معنى القوة في الذات الشاعرة من خلال الصورة الشعرية الثالثة، وهي صورة ممتدة حشد النص فيها أشكالاً بلاغية ووصفية متعددة، وقد كانت الفرس محورها الرئيس وهي التي تعامل الشاعر معها في طور شبابه، وقد التقت في إطارها العام صورة الناقة من حيث دلالة القدرة والقوة، وقد امتدت في الأبيات الآتية التي ينتهي بها النص:

34- فَذاكَ عَصرٌ وَقَد أَراني تَحملُني نَهدَةٌ سُرحوبُ
35- مُضَبَّرُ خَلقُها تَضبيراً يَنشَقُّ عَن وَجهِها السَبيبُ
36- زَيتِيَّةٌ ناعِمٌ عُروقُها وَلَيِّنٌ أَسرُها رَحيبُ
37- كَأَنَّها لِقوَةٌ طَلوبُ تحنّ في وَكرِها القُلوبُ
38- باتَت عَلى إِرَمٍ رابِئَة كَأَنَّها شَيخَةٌ رَقوبُ
39- فَأَصبَحَت في غَداةِ قِرَّةٍ يَسقُطُ عَن ريشِها الضَريبُ
40- فَأَبصَرَت ثَعلَباً مِن ساعَةٍ وَدونَهُ سَبسَبُ جَديبُ
41- فَنَفَضَت ريشَها وَاِنتَفَضَت وَهيَ مِن نَهضَةٍ قَريبُ
42-فَاِشتالَ وَاِرتاعَ مِن حَسيسِها وَفِعلَهُ يَفعَلُ المَذءوبُ
43- فَنَهَضَت نَحوَهُ حَثيثَةً وَحَرَدَت حَردَةً تَسيبُ
44- فَدَبَّ مِن رأيِها دَبيباً وَالعَينُ حِملاقُها مَقلوبُ
45- فَأَدرَكَتهُ فَطَرَّحَتهُ وَالصَيدُ مِن تَحتِها مَكروبُ
46- فرنَّحته ووضعته فَكَدَّحَت وَجهَهُ الجَبوبُ
47- فعاودته فرفّعته فأرسلته وهو مكروبُ
48- يَضغو وَمِخلَبُها في دَفِّهِ لا بُدَّ حَيزومُهُ مَنقوبُ

تبدأ الأبيات برصد البعد الزمني الذي يحدد شباب الذات الشاعرة التي تعامل صاحبها مع الفرس التي بدأت صورتها تتكون ابتداء من عجز البيت الأول، وذلك من خلال عدد من الوسائل الصورية المختلفة والمتداخلة، فبدأت بوسائل وصفية تكونت من الدالات (نهدة، سرحوب، مضبر خلقها تضبيراً) وهي دالات ترصد الصفات الجسدية والحركية للفرس، فهي فرس ضخمة البنية (نهدة) مدمجة الخلق موثقته (مضبر خلقها تضبيراً) وهي كذلك فرس سريعة الحركة سلسة القياد (سرحوب)، ثم تشكلت صورة كنائية في التركيب (يَنشَقُّ عَن وَجهِها السَبيبُ) وهي تشير إلى قدرة الفرس على الرؤية البصرية الحادة، وذلك أن لا شيء من شعر ناصيتها يغطي عينيها ما يتيح لها التحرك بسرعة دون عوائق أو عثرات تواجهها، ثم تعود الصورة إلى استخدام الوصف من جديد

لتعبر به عن الصفات الحميدة في هذه الفرس، فهي ذات مظهر جذاب لما فيها من النعومة واللمعان والملاسة، وقد عبرت عن هذه الصفات باختيارها عنصر الزيت من الحقل الحيواني، فهي (زيتية)، وعروقها ناعمة، ولينة الخلق ورحبة الجسد. ثم تواصل الصورة تكونها من خلال بنية تشبيه ممتدة استغرقت الأبيات كلها ابتداء من البيت:

37- كَأَنَّها لِقوَةٌ طَلوبُ تحنَ في وَكرِها القُلوبُ

وقد استخدمت العقاب محوراً للمشبه به، ورصدت صورته من خلال مشهد الصيد الذي يصور صراعاً بين العقاب والثعلب. ولعل تتبع تكوّنات هذا المشهد يقودنا إلى فهم ما تهدف إليه هذه الصورة. فهو مشهد يبدأ بوصف هيئة العقاب قبل بدء الصراع، فالعقاب أصابها الجوع ما جعلها عقاباً ملحاحة في طلب الصيد حتى تكبح جماح جوعها، وقد عبرت الصورة عن الجوع بالبنية الكنائية (تحنَ في وَكرِها القُلوبُ) وذلك أن تغير القلوب ويبسها في وكر العقاب دلالة على قدمها وعلى عدم إحضار صيد جديد لهذا الوكر ما يشير إلى خلو هذا الوكر من الطعام. ويبدو أن الشعور بالجوع دفعها لأن تمارس فعلاً ينسجم مع حال الجوع وهو الاستسلام لهذا الجوع، فلم تعد تتحرك بحثاً عن الصيد، وكأنما هذه العقاب تدرك أن توفر الصيد أمر بعيد المنال، وقد لجأت الصورة إلى رصد هذه الحال من خلال بنية تشبيه ترصد لحظة ترقب العقاب للصيد على الإرم (باتَت عَلى إِرَمٍ رابِئَةٍ) فهذه العقاب بسكونها على الرابية تشبه عجوزاً قد يئست من الحياة واستمرارها بسبب انقطاع نسلها، فهي امرأة لا يعيش لها ولد. ويبدو أن هذا التشبيه يعبر بدقة عن الحال التي وصلت إليها العقاب، فالعقاب قد يئست من الصيد وأصابها الجوع ما يشير إلى أنها وصلت إلى درجة اليقين في الموت والهلاك، تماماً كما هي حال العجوز التي وصلت إلى درجة اليقين بعدم القدرة على الاستمرار في الحياة، وقد طوّرت الصورة لحظة اليأس التي أصابت العقاب، وذلك برصدها لحظة السكون التي أصابت العقاب على تلك الرابية، وهي لحظة أدت إلى أن تتكاثف قطرات الندى على ريشها ويتجمد عليه لما أصابها من البرد في ليلتها القاسية، وبعد هذا الرصد لحال العقاب يبدأ مشهد الصراع بالتكوّن لحظة إبصار العقاب ثعلباً في أرض جرداء جديبة لا ينبت فيها شجر ولا عشب، وقد رصدت الصورة في هذا المشهد عدداً كبيراً من الدالات الفعلية التي تحمل مدلولات تصب في معنى العنف المتوافق مع الموقف: موقف العقاب الجائعة التي كانت يائسة من توفر الطعام، وموقف الثعلب الذي يصارع من أجل أن ينجو بحياته من العقاب، ولذلك نجد أحد عشر دالاً تؤول فاعليتها إلى العقاب هي (- فَنَفَضَت، وَاِنتَفَضَت، ونَهَضَت، وحردت، وأدركته، وطرّحته، ورنّحته، ووضعته، وعاودته، ورفعته، وأرسلته)، ونجد بالمقابل تسعة دالات تتصل بالثعلب منها: أربعة دالات فعلية تؤول الفاعلية المباشرة فيها إلى الثعلب هي (فاشتال، وارتاع، ودبّ، ويضغو)، وخمسة أسماء مفعولين تؤول الفاعلية غير المباشرة إليه وهي أسماء تحمل أحداثاً تشير إلى الفزع هذه الأسماء هي: (المذءوب، ومقلوب، ومكروب الذي تكرر

مرتين، ومنقوب)، ونجد دالاً آخر يشارك في إحداث المشهد هو (كدّحته) وهو يؤول بفاعليته إلى الحجارة (الجبوب).

يبدو لي أن هذا الرصد للدالات الفعلية يقود إلى إدراك قوة الصراع في المشهد، وتبدو هذه القوة متأتية من فاعلية العقاب بوصفها قد أخذت قدراً كبيراً من الدالات التي تكشف عن قدرة العقاب على ممارسة الصراع مقابل دالات الثعلب التي تشير إلى الاستجابة للفزع والخوف دون إحداث أثر مضاد في الصراع، وذلك أننا نلحظ أن الدالات التي تؤول إلى العقاب تكشف عن معنى المبادرة العنيفة التي مارستها العقاب على الثعلب، وذلك أنها بدأت لحظة الصراع بالخروج من لحظة اليأس والجمود على الربوة فمارست فعل التخلص من الجليد (فنفضت ريشها)، ثم مارست فعلاً مشابهاً للفعل الأول ولكنه فعل يمتد إلى الجسد كله (وانتفضت)، وقد حققت حركتها السريعة في الانقضاض على صيدها، وأحدث الثعلب فعل الاستجابة من خلال دالين متتابعين (فاشتال وارتاع) وهما دالان يكشفان عن لحظة فزع الثعلب نتيجة الحركة السريعة والخاطفة من العقاب، وقد عمقت الصورة لحظة الفزع في البنية التشبيهية (فعله يفعل المذءوب)، وذلك أن المذءوب أو المفزوع يفعل ويستجيب للحظة الفزع كما فعل الثعلب، فكأنما الثعلب قد تلكأ عن إحداث حركة الهروب فسبقته العقاب بإحداث فعل الانقضاض عليه، وهذا ما يشير إليه الدال (نهضت إليه) الذي تقدم الدال الفعلي (فدب) الذي يؤول إلى الثعلب، فالعقاب بادرته بالهجوم بحركة سريعة تأخذ بعداً مستقيماً نحوه، وقد جاءت بعد هذه الحركة استجابة الثعلب بالهروب، وشاركت هذه الاستجابة استجابة أخرى تمثلت في اسم المفعول (مقلوب) الذي مارس حدثه جفن عين الثعلب (وَالعَينُ حِملاقُها مَقلوبُ). ولا شك في أنها استجابة متوافقة مع لحظة الفزع التي أصابت الثعلب، وتستمر الصورة في رصد دالات الصراع التي تمارسها العقاب بصورة متتابعة تنتج عنها استجابة الثعلب فالدالان (أدركته، وطرحته) يشيران إلى قدرة العقاب على الإمساك السريع بالثعلب (فأدركته) ثم ألقت به إلى الأرض حتى تستطيع أن تتغلب عليه، ولم تكن بقدرة الثعلب إلا الاستجابة التي تكشف عن المأزق المؤلم الذي أصابه وقد كشف الدال (مكروب) عنها فهي استجابة المكروب الذي لا يستطيع أن يأتي بفعل يمارس فيه غير الدفاع عن نفسه، ثم تواصل الصورة إحداث فعلين آخرين للعقاب (فرنحته/ فرفعته) ترصد فيهما حركة الصراع الذي تمارسه هذه العقاب وقد شارك هذين الفعلين فعل آخر تؤول فاعليته إلى الحجارة (فَكَدَّحَت وَجهَهُ الجَبوبُ)، إذ مارست الحجارة هذه الفاعلية على الثعلب نتيجة حركة الفعلين السابقين من العقاب. وقد صعدت الصورة مشهد الصراع في رصدها ثلاثة دالات فعلية مارستها العقاب قبل أن يستجيب الثعلب لها وهي (فعاودته/ فرفعته/ فأرسلته) وهي دالات ترصد حركة القوة التي تؤدي إلى موت الثعلب من خلال حركة رأسية أحدثتها هذه الأفعال فالعقاب رفعت الثعلب إلى الأعلى ثم تركته، فهوى إلى الأسفل، ما جعله يستجيب من جديد مستشعراً الكرب من خلال اسم المفعول

(مكروب)، ثم ينتهي المشهد برصد دال فعلي يستجيب الثعلب فيه إلى فاعلية العقاب وهو (يضغو) وهو لاشك استجابة صوتية تكشف عن لحظة الموت التي أحدثتها العقاب بحركات صراعها، وقد جسد هذه اللحظة مشهد انغراس مخالب العقاب في صدر الثعلب الذي استجاب لهذه القوة من خلال اسم المفعول (منقوب) فالمشهد ينتهي بتغلب العقاب على الثعلب بموته.

لا شك في أن هذا المشهد يرتد بكل مقوماته الدلالية إلى الفرس التي تعاملت معها الذات الشاعرة؛ وبهذا نستطيع أن نتصور قدرة الفرس على الفعل القوي الذي تبتغيه الذات الشاعرة وهي بهذا تؤكد قوة الشباب فيمن يتعامل مع هذه الفرس لأن فرساً قوية مثلها تحتاج إلى قوة قادرة على التعامل معها.

يبدو لي أن التواصل بين هذه الصورة والصورتين السابقتين مبني على الترابط الرؤيوي في الوحدة، وذلك أن الصورتين السابقتين قد رصدتا الذات الشاعرة والبعد المكاني والناقة، وأنشأت كل منهما علاقات خاصة بهذه الذات، إذ كنا قد لحظنا أن الذات الشاعرة قد أبدت قوة وفاعلية في التعامل مع البعد المكاني الذي اتصف بالجدب والخوف- كما في الصورة الأولى- ولحظنا أيضاً أن هذه الذات قد تعاملت مع الناقة في المستوى نفسه من القوة والفاعلية، وقد كانت العلاقة بين هذه الذات والناقة علاقة المصاحبة (وصاحبي بادن خبوب) التي، ربما، تشير إلى التكافؤ بين الطرفين على مستوى الفعل والقدرة، وأما الصورة الثالثة، فقد رصدت علاقة الذات الشاعرة بالفرس بشيء من الاختلاف في ظاهرها عن العلاقة السابقة بين الذات الشاعرة والناقة، وذلك أنها جعلت العلاقة قائمة على قدرة الفرس على الفعل دون الذات الشاعرة، وقد مثل هذه العلاقة التركيب (وقد أُراني تَحملُني نَهدَةٌ سُرحوبُ) الذي يشير بوضوح إلى أن الذات الشاعرة تابعة في فعلها لفعل الفرس وقدرتها التي برزت من خلال مشهد الصيد، ولكننا إذا ما تعمقنا الصورة جيداً وفهمناها من خلال فكرة التوحد بين الذات الشاعرة والفرس على مستوى الفعل الذي يمثله الدال (تحملني) فإننا ندرك العلاقة الحميمة بين الصور الثلاثة، وذلك أننا نستطيع أن نلتقط نوعية الفعل الذي تقوم به هذه الفرس من خلال فعل العقاب في مشهد الصيد، لقد لحظنا في هذا المشهد أن العقاب قد أصابها الجوع فأخذت تبحث في البعد المكاني المجدب والبارد عن طعام لها وقد وجدت هذا الطعام متمثلاً في الثعلب الذي ظهر في (سبسب جديب) وقد استطاعت العقاب بقوتها ودافعيتها أن تصرع الثعلب وتتغلب عليه. ويبدو لي أن هذا البعد المكاني مؤشر مهم يربط هذه الصورة بالصورتين السابقتين، فالذات الشاعرة والناقة من ناحية، والذات الشاعرة والفرس من ناحية أخرى قد مارس كل منها فعل القوة والقدرة في المكان المجدب.

** **

لعل ما تقدم من تحليل نص المعلقة يكشف عن قدرة الصورة الشعرية على ربط أجزاء النص متمثلاً هذا الربط في صور كل وحدة على حدة وفي ربط الوحدات البنائية معاً من خلال مقومات

دلالية أظهرت عمق العلاقة هذه الوحدات، وذلك على مستوى التواصل الدلالي، ومستوى المفارقة الدلالية: أما مستوى التواصل الدلالي، فقد تمثل في ظهور البعد المكاني الذي اتصف في هذه الوحدات بالجدب والقحل، وما أصابه من تحول بفعل الزمن والخطوب وغير ذلك من الفعاليات الطبيعية والذي دفع بالعالم الإنساني إلى أن يغادره أو أن يتعامل معه في صورة الصراع والمدافعة عن الذات. وأما مستوى المفارقة الدلالية، فقد تمثل في رصد النص لزمنين متفارقين للذات الشاعرة هما زمن الشيخوخة التي ظهرت جلية في الوحدتين الأولى والثانية، وزمن الشباب الذي ظهر في الوحدة الثالثة، وهو زمن يقابل في طبيعته زمن الشيخوخة لما فيه من محاولة استخدام القوة والقدرة وسط البعد المكاني القاسي الجديب الذي يصيب التحول كل مكوناته.

The Effectiveness of Poetic Image in Building of Abeid Bin Al Abrs's Suspended Poem

Fayez Al-quraan, *Arabic Department, Yarmuok University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study discussed the ability of poetic image of linking the poetic text parts, and Abeid Bin Al Abrs's suspended poem chose for the test of this view.and the formed linguistic articles have taken in the picture in addition to the poetic vision that a means for this test represents the text ;

It found that the poetic vision in it consists in the effectiveness of change that exercises its doing on a double (what was / what is) namely he not was on it the thing and what it is on it the thing himself.

Also it found that the ends of this duality come in the text units, and their attendance they may be actually or is by the alternation way; namely one of them come and the other is absent. it found also that the commentator text consists of three constructive units, in her ten greatest poetic images were formed, the first unit and it is the houses has included united five poetic images on the visionary and constructive level. and as for the second unit and it is the saying, has included two poetic pictures that showed an interaction in tying its constructive parts that they did not come two adjacent or connected to the superficial constructive level, but they came two remotes. they have continued with the images of the previous unity visually.. as for the third unit and she is the memories of young men, it was formed from three greatest images it was about to consisting in most of its verses, and it has showed a connection on the visionary and constructive level.

These units have moved through the vision of change that was brought actually a party (what is) from a duality (what was / what is) and it hid the first party (what was) actually with its discretionary attendance in the first and third units. as for in the second unit, have been their attendance actually.

قدم البحث للنشر في 2007/7/4 وقبل في 2007/11/22

الهوامش

1) الأسلوبية، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، حلب- سوريا، ط2، 1994م، ص28.
2) انظر تفصيلات هذه المناهج على سبيل المثال لا الحصر: الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1990م، ود. كامل حسن البصير، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، موازنة وتطبيق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد- العراق، 1407هـ - 1987م، ود. صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1986م.
3) الصورة الأدبية، ترجمه عن الفرنسية وقدّم له: د. علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع- دمشق، 1995م، ص22.
4) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت- لبنان ط3، 1981م، ص131-132.
5) الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دار الاتحاد العربي للطباعة- القاهرة، ط1، عام 1405هـ-1985م.ص21-22.
6) فايز القرعان، الصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، دراسة في المنبع الحسي والعقلي، مجلة البصائر، المجلد الأول، العدد الأول، جامعة البنات الأردنية، عمان – الأردن، سنة 1996م، ص12.
7) الأسلوبية، ص129.
8) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص143.
9) نقلاً عن: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، د. صبحي البستاني، ص20.
10) الصورة الشعرية، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي، ومالك ميري، وسلمان حسن إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد- العراق، 1982م، ص21.

11) الأسلوبية، ص25.

12) نقلاً عن: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، د. صبحي البستاني، ص33.

13) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، آذار 1979م، ص45.

14) الصورة والبناء الشعري، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1981م، ص19.

15) الصورة في التشكيل الشعري، تفسير بنيوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد- العراق، ط1، 1990م، ص39.

16) في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1، 1990م، ص34.

17) سلطة الرؤية الشعرية على تشكيل دالات الأشكال البلاغية "دراسة تطبيقية على نص شعري"، مجلة "دراسات" العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان- الأردن، المجلد 31، العدد الثالث، 2004م، ص618.

18) أنجز فايز عارف القرعان ثلاثة بحوث في الصورة الشعرية عند عبيد بن الأبرص، **غير أنه لم يخصص منها بحثاً للصورة على المستوى النصي يحقق هدف دراستي وهو قدرة الصورة على تحقيق التماسك النصي**، هذه البحوث هي:

1- الصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص "دراسة في المنبع الحسي والعقلي" مجلة "البصائر" جامعة البنات الأردنية الأهلية- عمان- الأردن- المجلد الأول، العدد الأول، 1996م

2- مجال الصورة الشعرية ومصدرها في شعر عبيد بن الأبرص، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية- عمان- الأردن، المجلد 24، العدد 2، عام 1997م.

3- التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك- إربد- الأردن، المجلد 15، العدد1، 1997م.

19) انظر: مقدمة المعلقة ص9-10 من: ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1377هـ- 1957م.

20) الديوان، ص10- 20.

21) ملحوب: ماء لبني أسد بن خزيمة، والقطبيات: جبل. والذنوب: موضع في ديار بني أسد.

22) راكِسٌ وثُعَيلِباتٌ وذات فرقين والقليب: كلها مواضع لبني أسد.

23) عردة: هضبة في أصلها ماء لكعب بن عبد، وعريب: أحد.

24) شعوب: اسم للمنية، محروب: مسلوب، أو ذهب ماله.

25) سروب: همول كثير الجريان، الشأنان: عرقان في الرأس تجري منهما الدموع، الشعيب: القربة الخلق.

26) واهية: بالية، الممعن: الذاهب، اللهوب: المهوى بين الجبلين.

27) الفلج: النهر الصغير، القسيب: صوت جري الماء.

28) الجدول: النهر الصغير. سكوب: انسكاب.

29) تصبو: من الصبوة يعني العشق. راعك: أفزعك.

30) البديء: المبتدأ. أي ليست هي أول ما خلا من اليار.

31) الجو: الوسط. المحل والجوب: القحط.

32) يؤوب: يرجع.

33) الأريب: العاقل.

34) التلبيب: تكلف اللب من غير طبع.

35) السجيات: الطبائع.

36) النازح النائي: البعيد النسب والدار. يقطع: يعق. السهمة: القرابة.

37) آجن: متغير الريح واللون. سبيله خائف: أراد مخوفاً.

38) الوجيب: الخفقان.

39) قطعته: خلفته. مشيحاً: مجداً. بادن: ناقة ذات بدن وجسم. خبوب: تخب في سيرها والخبب نوع من السير.

40) عيرانة: من العير وهو الحمار الوحشي. مؤجد: موثقة الخلق. فقارها: خرز الظهر. الحارك: ما انحدر من السنام.

41) أخلف: أتى عليها سنة بعدما بزلت. السديس: السن التي تأتي بعد سبع سنين للبعير. الحقة: التي أتى عليها من نتاجها أربع سنين. النيوب: الناب.

42) الغاب: الأجمة. الجون: الأبيض والأسود. صفحته: جنبه. الندوب: آثار العض من الحمير.

43) الشبب: الثور الذي قد تم شبابه وسنه. الرخامى: نبت.

44) نهدة: فرس مشرفة. سرحوب: سريعة ماضية سمحة.

45) مضبر: مدمج. السبيب: شعر الناصية.

46) أسرها: خلقها.

47) اللقوة: العقاب. الطلوب: الملحة في الصيد والطلب. تحن: تتغير رائحتها وتيبس.

48) الإرم: العلم. رابئة: تأبى الأكل والشرب.

49) قرة: برد. الضريب: الصقيع.

50) السبسب: الأرض المستوية. الجديب: الذي لا ينبت فيه شجر ولا مرعى.

51) اشتال: رفع الثعلب بذنبه. حسيسها: صوتها. المذءوب: المفزوع.

52) نهضت: طارت نحو الثعلب. حثيثة: سريعة. حردت: قصدت. تسيب: تنساب.

53) رأيها: رؤيتها. الحملاق: جفن العين.

54) طرحته: ألقته وقذفت به الأرض.

55) كدحت: جرحت. الجبوب: الحجارة.

56) يضغو: يصيح. مخلبها: ظفرها. الحيزوم: الصدر.

57) تناولت بعض الدراسات معلقة عبيد من زوايا متعددة فبعضها رأى أنها تتحدث **عن "الموت والتوجع منه وذلك الموت الذي يصب الإنسان والمكان"** كما في دراسة لمفيد محمد قميحة: عبيد بن الأبرص، أخباره وأشعاره، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1411هـ-1990م، ص102 وما بعدها. وبعضها رأى أنها تكشف بالطلل عن حالة الشاعر **"النفسية القلقة المتوترة بل قل اليائسة المنهزمة"** كما في دراسة أحمد موسى الجاسم: عبيد بن الأبرص، دراسة فنية، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص163، وبعضها رأى أنها **تقوم على فكرة الزمن** كما في دراسة لعبد العزيز محمد شحادة: الزمن في الشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد- الأردن، 1995م، ص222 وما بعدها.

58) ضياء الدين بن الأثير:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، ط2، القسم الثاني، ص160.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأبرص، عبيد. (1377هـ- 1957م). **ديوان عبيد بن الأبرص**، تحقيق وشرح: حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1.

ابن الأثير، ضياء الدين. (د.ت). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، ط2، القسم الثاني، ص160.

أبو ديب، كمال: (1979). **جدلية الخفاء والتجلي**، دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، آذار.

إسماعيل، عز الدين. (1981). **الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار العودة، بيروت- لبنان ط3.

البستاني، صبحي. (1986). **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1.

البصير، كامل حسن. (1407هـ - 1987م). **بناء الصورة الفنية في البيان العربي، موازنة وتطبيق**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد- العراق.

الجاسم، أحمد موسى. (1997). **عبيد بن الأبرص، دراسة فنية**، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان، ط1.

جيرو، بيير. (1994). **الأسلوبية**، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر، حلب- سوريا، ط2.

الدليمي، سمير. (1990). **الصورة في التشكيل الشعري**، تفسير بنيوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد- العراق، ط1.

شحادة، عبد العزيز محمد. (1995). **الزمن في الشعر الجاهلي**، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد- الأردن،.

عبد الله، محمد حسن. (1981). **الصورة والبناء الشعري**، دار المعارف بمصر، القاهرة.

العلاق، علي جعفر. (1990). **في حداثة النص الشعري، دراسات نقدية**، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط1،.

القرعان، فايز عارف. (1996). الصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، "دراسة في المنبع الحسي والعقلي"، **مجلة "البصائر"**، جامعة البنات الأردنية الأهلية- عمان- الأردن- المجلد الأول، العدد الأول.

القرعان، فايز عارف. (1997). التشكيل البلاغي للصورة الشعرية في شعر عبيد بن الأبرص، **مجلة أبحاث اليرموك**، جامعة اليرموك- إربد- الأردن، المجلد 15، العدد1.

القرعان، فايز عارف. (1997). مجال الصورة الشعرية ومصدرها في شعر عبيد بن الأبرص، **مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجامعة الأردنية- عمان- الأردن، المجلد 24، العدد 2، عام.

القرعان، فايز عارف. (2004). سلطة الرؤية الشعرية على تشكيل دالات الأشكال البلاغية "دراسة تطبيقية على نص شعري"، **مجلة "دراسات" العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجامعة الأردنية، عمان- الأردن، المجلد 31، العدد الثالث،.

قميحة، مفيد محمد. (1411هـ- 1990م). **عبيد بن الأبرص، أخباره وأشعاره**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1.

لوس، سي دي. (1982). **الصورة الشعرية**، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنابي، ومالك ميري، وسلمان حسن إبراهيم، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد- العراق.

محمد، الولي. (1990). **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1.

مورو، فرانسوا. (1995). **الصورة الأدبية**، ترجمه عن الفرنسية وقدّم له: د. علي نجيب إبراهيم، دار الينابيع- دمشق.

نوفل، يوسف حسن. (1405هـ- 1985م). **الصورة الشعرية واستيحاء الألوان**، دار الاتحاد العربي للطباعة- القاهرة، ط1، عام.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب　　　　المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 63- 83

مصادر التناص وأشكاله في شعر ناصر شبانة

مها العتوم *

ملخص

تتعامل هذه الدراسة مع مصطلح "التناص" بوصفه مدخلاً ملائماً لقراءة شعر الشاعر ناصر شبانة، فتقدم أولاً قراءة للأسس النظرية التي قام عليها التناص، وماهيته، وآليته وإجراءاته، ثم تنتقل الدراسة إلى الجانب التطبيقي، وتستخلص المظاهر المتنوعة للتناص في القصائد، فتجد عند شبانة أشكالاً من التناص: فمن التناص الديني باختلاف مصادره إلى التناص الأسطوري إلى التناص التراثي، ويستخدم الشاعر آليات مختلفة في إدخال النصوص المختلفة إلى نصه، ومن هذه الآليات والتقنيات: القلب والعكس، والمبالغة، والتضخيم، كما تلاحظ الدراسة أن صورة قابيل وهابيل والمعاني المتعلقة بهاتين الشخصيتين تشكل محوراً أساسياً لكل أشكال التناص عند شبانة، ولذا فإن الدراسة تتخذ منها عنواناً تقرأ في ضوئها الصور المختلفة للتناص في قصائد الشاعر، وبيان القيمة الفكرية والفنية للتناص، ودورها في تشكيل ملامح رؤيا الشاعر للعالم، وللحياة بصورها المختلفة.

مقدمة

إن هذه الدراسة لا تؤصل لمصطلح واسع التداول والتنظير حوله والتطبيق عليه في مثل هذه المقدمة المقتضبة، وإنما تسعى لتلمس الملامح الأساسية للمصطلح من خلال نظرة بانورامية، تحدد المعالم الأساسية في ظهور هذا المصطلح بأبعاده النظرية، وصولاً إلى تحديد هوية التناص، وبيان آلياته وإجراءاته بالشكل الذي يفيد عند التطبيق، ويخدم نصوص الشاعر – موضوع هذا البحث – وليس العكس.

يعدّ التناص مصطلحاً حديثاً بالنظر إلى تحديده المفهومي، وبيان إجراءاته وآلياته، وإن كانت الإشارات العربية ماثلة في قراءات نقادنا القدامى للشعر العربي القديم(1)، إلا أن النقاد العرب القدامى لم يتفقوا على مصطلح واحد، وتواترت عبارات عدة تنبئ بالتناص، ولكنها لا تصفه(2)، وذلك بوعي حقيقي لحضور النصوص المختلفة القديمة والمحدثة في نص الشاعر الذي يدرسونه، حتى أننا نجد لدى الجرجاني ما يمكن تسميته – تجاوزاً – آليات التناص ووسائله، وذلك حين يقول: " كان أكثره ظاهراً كالتوارد الذي صدرنا بذكره الكلام، وإن تجاوز قليلاً في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ، ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغيير

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

المنهاج والترتيب، وتكلفوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة، والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور، ما لا يقصر عن اختراعه وابتداعه مثله[3]. فالنقل، والقلب، وتغيير المنهاج والترتيب، وجبر النقيصة بالزيادة، والتأكيد، والتعريض، والتصريح، والاحتجاج مفاهيم كان من الممكن البناء عليها ببلورتها وتحديد مدلولاتها، كما نجد لدى القدامى تحديداً للمفهوم دون الاتفاق على التسمية، وكان تركيزهم على التناص الشعري – على وجه الخصوص – ولم يهتموا بأوجه التناص الأخرى التي افترعها النقد الحديث في مصطلح التناص - موضوع هذه الدراسة -.

لقد بدأت إرهاصات لظهور هذا المصطلح في مقالة إليوت الشهيرة: "التراث والعبقرية الفردية" "Traditional and The Individual Talent" عندما تحدث عن دور الشاعر القديم في شخصية الشاعر وشعره، وبين أن هذا التراث، والأعمال الأدبية السابقة على شعر الشاعر إنما تؤدي وظيفة إيجابية، تصل إلى حدّ أنها تكون علامة على إبداعه وتفرده، وذلك حين يقول: "... بينما إذا كنا نفهم شاعراً دون التحامل عليه، فإننا سنجد أنه ليس فقط أفضل الأجزاء في عمله، وإنما أكثر أجزاء أعماله فرديه، يمكن أن تكون تلك التي من خلالها يقوم الشعراء الأموات – سلفه – بتأكيد خلودهم بقوة شديدة"[4]، ويضيف مؤكداً هذا المعنى بقوله: "لا يملك أي شاعر، ولا أي فنان معناه التام وحده في أي فن. إن أهميته وتقديره تتمثلان في تقدير علاقته بالشعراء والفنانين الأموات"[5]. وإذا كان إليوت لم يشر إلى التناص صراحة، إلا أن المفهوم ماثل في تعبيره عن حضور نصوص الشعراء والفنانين الأموات في النص الحاضر للشاعر الذي يدرسون شعره.

كما أوضح ميخائيل باختين (M. Bakhtin) في تحليله للرواية والخطاب الروائي[6]، أنه لا يوجد صوت واحد في الرواية – كما يظن – إنها مجموعة من الأصوات التي تتداخل فيما بينها، ويستدخلها العمل الروائي إذ يحيا في الحاضر، ويحيا فيه الماضي أو يحييه[7]. ولكي يدلل باختين على الصفتين الأساسيتين المميزتين لنسيج الخطاب الروائي، وهما: تعدد الملفوظات، والتناص، فقد أفاض في توضيح ما يقصده بالملفوظ بوصفه موضوعا لعلم لساني جديد يسميه أحد الباحثين عبر- اللساني La translinguistique أو ما أصبح يعرف بالتداولية La pragmatique، ويربطه في معناه بالخطاب والكلمة، وكلها عناصر مشتملة على علائق حوارية تلتقي مع مفهوم التناص في معناه العام[8].

إلا أن التناص Intertextuality مصطلحاً يظهر لأول مرة لدى جوليا كريستيفا (J. Kristiva) في محاضرة بعنوان "الكلمة: الحوار والرواية" في سيمنار بارت 1966[9]، مستفيدة

في ذلك من باختين والمفاهيم التي طرحها حول الرواية، وتزيد الأمور توضيحاً في كتابها " علم النص " عندما تؤكد على أهمية التناص في النصوص الشعرية الحداثية بقولها:"فإنه ظاهرة معتادة على طول التاريخ الأدبي. أما بالنسبة للنصوص الشعرية الحداثية فإننا نستطيع القول، بدون مبالغة، بأنه قانون جوهري، إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي نفس الآن عبر هدم النص الآخر للفضاء المتداخل نصياً"(10). وبهذا يكون التناص لدى كريستيفا في أوضح تعريفاته هو: "كل نص يتشكل (يبنى) من فسيفساء من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص (تشرب) وتحويل لنصوص أخرى "(11).

وبعد كريستيفا وباختين نجد مصطلح التناص وقد تنازعته مختلف المناهج النقدية، فهو "ينتمي عند بعضهم لشعرية توليدية، وعند الآخرين إلى جمالية التلقي، وإنه يتموضع عند بعضهم في مركز الفرضية الاجتماعية التاريخية، وعند الآخرين في تأويلية فرويدية أو شبه فرويدية، وإنه يحتل عند بعضهم موقعاً بدهياً كل البداهة في أساس مفاهيم النظرية، في حين أنه عند آخرين كثيرين مصطلح خارجي لا يلعب إلا دوراً عارضاً"(12).

أما مفهوم التناص الذي ستتكئ إليه هذه الدراسة، فهو المفهوم العام للتناص كما قدمته جوليا كريستيفا وبنى عليه النقاد من بعدها "باعتبار أنه خاصية نص بعينه أو طبقات نصية محددة، أي باعتباره تقييداً للقراءة وتوجيهاً للاستقبال من خلال مفاتيح يتركها المؤلف للقارئ الذي تعاقد معه بميثاق الخلفية النصية المختزنة لدى كل منهما، بحيث يصبح النص الغائب، أو العنصر ما قبل النصي السابق، رديفاً جمالياً للنص الحاضر، وجزءاً من تشكل معناه، ومؤشراً لاستقبال دلالته"(13).

وهذه المفاتيح التي يتركها صاحب النص، تقود الناقد إلى دراسة الآليات والتقنيات التي ظهرت بها النصوص المختلفة في نص الشاعر، وهذه الآليات والتقنيات تختلف من نص إلى آخر في الشكل والمضمون، وربما كان هذا سببا في اختلاف تسميات النقاد لها، والتقسيمات التي استحدثت لتغطية أنواعها وأقسامها وستستفيد هذه الدراسة من آليات التناص كما قدمها لورون جيني (L. Jeany) وترجمها وشرحها كاظم جهاد(14) كل منها في موضعه من البحث كما سيأتي، كما أفادت الدراسة من دراسة نهلة الأحمد(15). والذي يبدو أنها أفادت من كاظم جهاد، فأشارت إلى ما أخذته أحياناً، ولم تشر أحياناً أخرى.

مصادر التناص وأشكاله:

لقد كان التناص حاضراً في قصيدة الشاعر ناصر شبانة[16]، على نحو واسع ودال، مما يجعل من قراءة القصيدة في ضوئه توضيحاً لأهم مرتكزات قصيدة شبانة الفكرية والفنية في الوقت ذاته. ولذا ستعمد هذه الدراسة إلى تقديم الصور الأساسية التي ناصصها الشاعر، والوظيفة الفكرية والفنية لها في بناء النصوص وتشكيل جمالياتها. وستكون الصورة الأولى هي صورة قابيل وهابيل التي ستشكل مرجعاً أساسياً ودائماً لكل صور وأشكال التناص في القصائد – موضع الدراسة –:

1- التناص الديني

يلجأ ناصر شبانة إلى النص القرآني مستوحياً ومستبطناً للمعاني التي تقدمها الآيات، ويظهر هذا الاستبطان واضحاً في التقنيات المختلفة التي يوظف فيها ما يقرأ ويتمعن ويستبطن. ولعل قصة القتل الأولى التي شخصها قابيل وهابيل، شكلت متكئاً أساسياً ليس في سياق قصيدة واحدة، بل في شعر ناصر شبانة كله، إذ يتحول القاتل والمقتول، والظالم والمظلوم إلى فكرة محورية تدور حولها التجارب الإنسانية التي مر بها شبانة إنساناً وشاعراً، كما أنها تشكل مفتاحاً للناقد يمكن قراءة قصائده في ضوئها.

إن الشاعر يصرح بالمصادر التي يستقي منها صوره ويناصصها،ولذا فإن قصة هابيل وقابيل حاضرة بكل عناصرها في قصيدته، وتسير متدرجة من البداية التي يظهر فيها هابيل مسالما متسامحا ومحبا لأخيه، إلا أنه يعاتبه منذ البداية على الغيرة السوداء والحسد الذي يسيء لأخوتهما،يقول:

أخي يا سليل التراب المريب

أخي يا حبيبي

لماذا إذا حطّ سرب الحمائم قربي

تمد يداً من نحاس لزهرة قلبي[17]

وتظهر في هذا المطلع صورة الأنثى التي تشكل حاجزاً من الحواجز بين الأخوين، وتكون سبباً في قتل هابيل، وهي ليست موجودة في الآيات القرآنية، وإنما مستوحاة من التوراة[18]، ومن كتب قصص الأنبياء[19]. حيث تظهر "لبودا" توأمة هابيل، "وإقليما" توأمة قابيل، وإذ كان ينبغي أن يتزوج كل منهما بتوأمة أخيه، رفض قابيل أن يتزوج لبودا الأقل حظاً من الجمال من توأمته إقليما، فقتل أخاه ليستأثر بالأجمل، "فسرب الحمائم" كناية عن الفتيات الجميلات، ولم يكن

يومئذ إلا فتاة واحدة. وقد فسر الشاعر هذه الإشارة حين قال: "وتخطو على حلمنا الأنثوي" وهي عبارة مطلقة تصور استئثار قابيل بالفتاة الجميلة [20]. فالأنثى تصير عند شبانة الحلم والحياة مرة، والحقيقة والموت مرة أخرى:

أمن أجل فاتنة تستحيل يد الأخِ

سكينة في عيون أخيهِ

أمن أجل لا شيء إلا التوغلَ

في أفق لا تعيهِ

تعري طفولتي المشتهاة

فيسقط قلبي كعش كئيبِ[21]

ومثلما أظهرت الآيات القرآنية تسامح هابيل مع أخيه قاتله، يظهر كذلك هابيل شبانة:

لماذا طعنت فؤادي

الذي قد أحبك جداً

على غفلة منه حين اطمأن إليك

ورحت تذري محبته

فوق حد الصليبِ

كأنيَ لست أخاك

كأنك لست أخي وحبيبي[22]

وكذلك تظهر صورة الغراب الذي يواري جثة المقتول، فيكون أحن من الأخ على أخيه:

لماذا يكون الغراب أحن عليّ

إذا ما سقطت بسيفك منك

لماذا يصير التراب أشد اتساعاً

على جثتي من براري يديك[23]

وتبدو هذه الصورة غير الأخوية بين الأخوة، صورة إنسانية مستمرة ما دام الظلم والطمع غريزتين في الإنسان:

أمن أجل ألا تسن لأحفادنا

غير هذا الخراب وهذي الحروب[24]

وينتهي شبانة في آخر القصيدة إلى توقيع يستلهمه من الصورة الدينية، ويشكل عماداً لرؤيته لمستقبل البشرية في ظل العلاقة غير المتوازنة بين الأخوة، ويضع لهذا المقطع الأخير عنواناً هو "توقيع":

هابيل قدم قربانه للإلهْ

وودع تربته المشتهاةْ

وقابيل أنجب مليون وجه قلقْ

وظلت قرابينه تحترقْ[25]

وهنا يعود شبانة إلى التوراة: "فقال: ماذا فعلت. صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض «11» فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك «12» متى عملت، الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض... خرج قابيل من لدن الرب.. "[26] فهابيل يودع أرضه، استحقاقاً للعنة الإله، محملاً بالذنب والإثم، وأما قابيين فيظل في الأرض علامة على احتراق القرابين التي قبلها الرب، ولم تحمه من الموت، فصار صورة للألم والخوف والقلق.

إن شبانة في هذه القصيدة يحافظ عل عرض الأركان الأساسية التي قدمتها النصوص الدينية المختلفة لقصة هابيل وقابيل وهي:

1- قرابين قابيل وهابيل، ورفض قربان الأول وقبوله من الثاني.

2- قابيل ينوي قتل أخيه ويفعل ذلك.

3- هابيل يعرف بنية أخيه ويقابل الظلم بالسماح.

4- الغراب يري قابيل كيف يدفن أخاه.

5- قابيل يضرب في الأرض بعد الجريمة التي ارتكبها، ملعوناً من الله، ونادما على ما فعل.

وشبانة يصور بذلك ما تمضي عليه البشرية من أشكال الصراع الداخلي والخارجي، حيث ستكون هذه الصورة بمثابة المحرك الأساسي لتناصات مختلفة في تجربة شبانة التي تمتد على مدى ديوانين، وستؤتي البذور التي ألقاها شبانة في هذه القصيدة – ستؤتي أكلها في قصائد أخرى، حيث تنضج صور جديدة لهذه الثنائية قابيل / هابيل، القاتل / المقتول، الغادر / المغدور.

وفي قصيدة أخرى بعنوان "ثلاثة.. رابعهم كلبهم" يفرغ شبانة القصة الأصلية من محمولها الديني تماماً، ويضع مكانه محمولاً مغايراً لمحمولها الأصلي، ولعل هذا يدخل في إطار ما يُسمى

بالقلب أو العكس. وهذه الصيغة وإن كانت الأكثر شيوعاً وتداولاً بين الأدباء والشعراء على وجه الخصوص، إلا أن شبانة يقلب القيم الرمزية في نصه بشكل ملفت – سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد – ويكون قلب القيم الرمزية حين "يأخذ الكاتب هنا رموز النص السابق له، ويمنحها دلالات في سياقها الجديد ضد دلالتها تماماً"[27].

إن أصحاب الكهف في القصة القرآنية رجال أتقياء ومعهم كلبهم، احتموا بالكهف خوفاً من بطش الملك الظالم آنذاك[28]، إلا أنهم في قصيدة شبانة المعنونة بـ "ثلاثة.. رابعهم كلبهم" يضحون قتلة ظالمين، ويقف الشاعر في الجهة المقابلة صورة للمظلوم المقتول:

أربعة أوغاد

يتحلقون حول جثتي

أولهم كبيرهم في الإثم

يفتح أزرار قميصي

ويشق الصدر عن القلب النيئ

بأظافره الزرقاء[29]

ويتابع شبانة في بقية القصيدة المشهد مظهراً الدور الدموي لكل واحد من الثلاثة القتلة بالإضافة إلى الكلب الذي تُقدّم له الجثة:

ليقدمها للكلب الوالغ

في وحل الحقد الأسود[30]

إن الذي أرجأنا الحديث عنه هو تردد الصورة الأولى في هذه القصيدة، صورة هابيل / قابيل، المقتول / القاتل، خاصة أن فكرة الغدر ماثلة في هذه القصيدة حين يصدرها بقوله: "أربعة أوغاد"، فالأوغاد هنا في مقابل "القلب النيئ" هي الصورة ذاتها الماثلة في غدر قابيل مقابل طيبة هابيل، ويظهر أن استيحاء قصة أصحاب الكهف ليس أكثر من إطار جديد لزجّ أحزان الشاعر وإلباسها لبوساً مختلفاً، ولكنها في الوقت ذاته تعكس نظرته الواحدة للعالم، ورؤيته الثابتة المرّة الممزوجة بالحسرة إزاء الكون.

2- التناص الأسطوري

في هذا السياق يظهر عند شبانة نوع آخر من التناص وتقنية جديدة من تقنياته، أما النوع الجديد فهو التناص الأسطوري، فقد ظهر أولاً التناص الديني: القرآن، التوراة، وأما في هذه الصورة فإن شبانة يستوحي من الأسطورة اليونانية، وأما التقنية التي يستخدمها فهي التضخيم أو

التوسع.فشبانة يستغل بعض البذور الموجودة في النص الأصلي من مثل رحلة أوليس الذي يتقمص شخصيته، حيث يرحل أوليس / الشاعر عن إيثاكا، ويترك الحبيبة أو الزوجة بينلوب طلباً للنجاة، وحشداً للجيوش التي تمكنه من تحرير وطنه؛ ولذلك يركب البحار، ويجتاز المفاوز في سبيل ذلك[31]:

هو الخزفُ

يجفف الفحرُ

يتلو البحرُ

يحملني إلى منازل خلف

الأرض والدرر[32]

فهي رحلة طويلة في سبيل الهدف، يعترضها البر والبحر، ولكن أوليس / الشاعر مصمم على الرحيل في سبيل تحقيق طموحه، وهذا العنصر تقوله الأسطورة ولكن بقية العناصر التي يوردها شبانة هي تضخيم وتوسع في الاتجاه الذي يخدم فكرة الشاعر نفسه، وليس فكرة الأسطورة. وهذا يمكننا من القول إن لدى شبانة في استخدام هذه الأسطورة وتوظيفها جانبين: أحدهما ثابت، وهو يمثل العناصر الأساسية المتمثلة في رحيل أوليس الطويل، وانتظار بينلوب له، وأما الجانب الآخر فإنه متغير، ويطوره شبانة خدمة لفكرته ورؤيته، وهذا يتمثل في عدة عناصر جديدة، لم يقلها النص، حيث يعبر شبانة عن إحساسه / إحساس أوليس العميق بالغربة:

إني غريب حيثما أقفُ

في باحة الحلم، في الدفلى، وفي قمرٍ

لا يشبه القمر الملقى على جسدِ

الزنجية القلب لا تحنو على أحدِ

إني غريب حيث أقف[33]

وفي هذا المقطع يظهر عنصر ثابت جديد، وهو السيرينات التي حاولت إغواء أوليس وثنيه عن هدفه فلم تفلح[34]، إلا أن شبانة من جديد يحرف القصة، ويضخمها بالإشارة إلى القتل الذي ينتظره، وهنا نراه يقول ما لا يقوله النص، حيث يستبطن مشاعر أوليس ويقول ما كان أوليس لعله يقوله لو أتيحت له الفرصة:

فأي جهاتي سوف تقتلني[35]

ويقول:

ما هذه الوردة الحبلى كمجرمةٍ
تلهو بجمجمتي(36)

ويبدو أن المتغير الذي يهدف الشاعر إلى بلورته وإجلائه يتمثل في قصة القتل، وإبراز الثنائية التي تحرك شعره عامة، ويحاول تبئيرها في هذا السياق، وهنا يكون الشاعر / هابيل / أوليس، وأما قابيل فإنه يتعدد ويتكاثر، مشيراً إلى كل العقبات التي اعترضت أوليس في رحلته، ومضيفاً إليها كل الخيانات ومحاولات القتل التي تعرض لها الشاعر، ولذا يطلب من بينلوب ألا تنتظره؛ لأنه مقتول على يد من يعرف ومن لا يعرف، وهذا ما يضيفه شبانة، ولا يقوله النص الأصلي:

فيا بينلوبُ
لا تنتظري، قد دنا سيف
على فرس
إن قميصي في يد القتلهْ (37)

3- التناص التراثي

إن الاغتراب الذي عبرت عنه هذه قصيدة () هو الاغتراب ذاته المرتبط بصورة الإنسان البريء المفاجأ بسوداوية ما حوله من حوله، وهو الإنسان ذاته في قصيدة "ثلاثة.. رابعهم كلبهم" حيث يتعرض الإنسان البريء لوحشية من حوله، وهو هو في قصة هابيل وقابيل، إذ يصبح الإنسان الطيب المليء بالحب والحياة، هدفاً لأعداء الحياة المتمثلين في صورة قابيل مرة، وفي صورة الثلاثة والكلب مرة ثانية، وفي صورة أعداء أوليس مرة ثالثة. إنه معنى واحد تتكاثر صوره، ويدافع الشاعر الذي يقف في صف هابيل /المقتول/ المظلوم/ المغدور/ البريء، يدافع عن نفسه بالشعر والكلمة.وبالكبرياء والترفع عن إسفاف من حوله، وهذا يؤكد افتتاح الديوان الثاني شعر يليق بقامتي بمجموعة من القصائد يسميها.. رابعهم كلبهم، كما يزيده تأكيداً افتتاح الديوان ببيت الشنفري الشهير،الذي يرضى فيه الشنفرى وشبانة بسف تراب الأرض،ويفضلانه على تطول المتطولين،فالشاعران كل منهما يملك كبرياءه وترفعه عن إسفاف الناس جميعاً الذين لا يبعدون-بصورة من الصور- عن قابيل وسوء نيته وإساءته لأخيه بالظلم والغدر والقتل.

إن ليلى في شعر شبانة صورة للمحبوبة، وكذلك الأرض، إذ تحتل صورة الوطن حيزاً واسعاً في قصيدته، وفي فكره، فليلى هي الأرض أحياناً، وهي المحبوبة، وصورها المختلفة في قصيدة شبانة أحياناً أخرى، وحين يتحدث شبانة عن الأرض، فإنه يمتزج بها وبعناصرها المختلفة، ويشكّل معها موقفاً واحداً، فيكون معها مقتولاً بيد الأعداء والقتلة، ويستخدم تقنية المبالغة،

وهذا لا يكون بتضخيم كمية الكلام "بل مبالغة معناه، والمغالاة فيه نوعياً. وتقود مفاقمة الكلام هذه إما إلى تعميق الأثر إيجابياً أو ضخه بفلسفة أو أدائية غير متضمنة فيه"[38] فشبانة يظهر الأرض والوطن بصور مختلفة لتضخيم أثرها كما هي في نفسه، ولتعميق قيمتها، ويكون مرة مقتولاً معها بيد الأعداء والقتلة، ومرة أخرى يكون مقتولاً بها وبحبها، وبالعجز عن الفعل إزاءها ورد الفعل:

قلتِ: إن الحجارة لن تستطيع الصهيلْ

من غير ما ظمأ للرحيلْ

قلتُ: إذن أنت قاتلتي كنتِ

يا أخت قابيلَ

وأنا كنت القتيلْ[39]

ففي غياب العدو والآخر، وفي الحوار الحميم بين الشاعر والأرض، تكون هي قابيل وهو هابيل الذي ما يفتأ يظهر في كل مرة، بل إن موت الشاعر في بعض الأحيان يكون حياة لهذه الأرض المفداة:

فلتعدّي لي الآن حتفاً

يليق بخاتمتي

واستعدي لتبكي على جثتي

أنا الآن ميتٌ

وأنت بكامل نيسانك الأبدي

يغازلك البحرُ

كان موتي ربيعاً لغاباتك الموحشة[40]

وهنا تتدخل أسطورة تموز[41]، ليضاف تموز إلى هابيل، فيكون موت تموز / هابيل / الشاعر حياة للأرض التي تلبس لبوس القاتل / قابيل حتى الآن، إذ سوف تتغير الأدوار حين تكون الأرض في مقابل الأعداء، فتكون الأرض هابيل، والأخوة الأعداء يمثلون صورة قابيل، وهنا ينحاز الشاعر / المتكلم إلى الأرض ليكون في صفها ملاقياً مصيرها ذاته، نقرأ:

عيني على وطن توضأ بالدماء وبالحروق[42]

ويقول:

ماذا يساوي لونك الكحلي يا وطني

وقد نصبوا بوارجهم

قبالة رأسك الملقى على خشب الصليبْ

ماذا تساوي ورقهْ

في وجه مشنقة ومرتزقهْ(43)

وفي القصيدة ذاتها المعنونة بـ "يا دمي.. لا تصدق رصاص الكلام" التي يصدرها بالنثر: "آخر ما قاله محمد الدرة قبيل صعوده إلى حتفه"، يتناوب الشاعر مع الأرض دور المقتول، لأن الشاعر يتكلم بلسان الدرة الذي اغتيلت طفولته دون ذنب إلا حب الأرض والبقاء فيها، يقول:

يا دمي النازف الآن في كل حارهْ

لا تصدق خطى القادمين إلى ظلك الأرجواني

لا تفرغ الريح من عنفوان الحجارة(44)

وللإشارة إلى الأخوة الأعداء، الذين يظهرون الغدر، فيقتلون القتيل ثم يبكون عليه، نقرأ:

لا تصدق جموع المهلهل

حين تدق الطبولْ

إنهم بعد حين

تدار بنادقهم صوب رأسك

كي يقتلوك ويبكوا عليك(45)

إن شبانة يستدعي من التاريخ والتراث العربي كل صور الغدر والخيانة، وأشدها إيقاعاً وتأثيراً في النفس، فبالإضافة إلى صورة الحسين، وفاجعة كربلاء، يتذكر جموع المهلهل الذين لا يحملون المشاعر التي يحملها تجاه أخيه، ولذلك فإنهم سيخونونه ويتركونه في ميدان المعارك والموت وحيداً. إن التناصات تتداخل، ويشعر المرء كأنه يقرأ نصوصاً مختلفة لا علاقة لها ببعضها البعض، إلا أن الرابط الوحيد هو الصورة التي بدأ بها الشاعر، وربما رافقته وترافقه طوال تجربته الشعرية، ألا وهي صورة المقتول والمغدور والمظلوم في مقابل القاتل والغادر والظالم. وهي صورة هابيل / قابيل وصورة الشاعر / الآخر لتشكل محوراً أساساً يحكم تجربته ورؤيته.

إن الأرض في قصيدة شبانة هي إحدى صور الحبيبة، ولعلها أهمها، ولذلك يرى أنها زوجته المقبلة:

الأرض زوجتي المقبلة[46]

ولكنها حين تكون الحبيبة يكون مقتولاً بها، ومقتولاً معها، وهناك صور أخرى للحبيبة حين تمثل المرأة وحضورها الخاص في شعره، فتكون مرة بثينة حبيبة جميل، ومرة تكون ليلى حبيبة قيس، وزوجة ابن زريق، وسمية النابغة الذبياني، ولأن هؤلاء النسوة لم يكن قاتلات دائماً، فإن قابيل هنا هو الحب ذاته، كما كان الأمر في الأرض – ولذا وحّدت في باب واحد بين الأرض والحبيبة –، وأما هابيل فإنه الشاعر الذي يلبس قناع هؤلاء الشعراء العشاق، ففي قصيدة "حكايات ابن زريق" يستعير شبانة عبارة ابن زريق في مطلع قصيدته اليتيمة:

لا تعذليه فإن العذل يوجعه[47]

فيردد شبانة الجملة الأولى "لا تعذليه" عدة مرات:

لا تعذليه
وراح يمعن في الرحيل
وفي انتظار نوارس العمر
الكئيبةْ
لا تعذليه
وبات يبحث عن أبٍ
أم
حبيبةْ[48]

وهنا يستخدم الشاعر تقنية الترصيع، حيث "ينشأ هنا تنافر بين عناصر صارت منفصلة عن معناها القديم، فاقدة لاستقلالها في سياقها الجديد"[49] فهذه جملة "لا تعذليه" تنفصل عن معناها القديم المتوجه من زوج مكلوم إلى زوجته، وترتبط في هذا السياق بالتوجه إلى حبيبة غير محددة ويكون الحبيب مقتولاً، والحب قاتله هذه المرة:

أيا صاحب الموج
إما رثيت لقلبي، فقل لحبيبي
بأن فؤادي توحد في وجده
ثم مات[50]

وفي قصيدة "النورس" يصدر الشاعر قصيدته ببيت للنابغة الذبياني[51] ويكون الشاعر هابيل الذي يقدم قرابين تذهب أدراج الرياح، وأما الصور المختلفة للحب فإنها قابيل / القاتل:

ولكنني نورس ليس يسعفه حظه
في اقتفاء خطى أمه النازفهْ
يقدم قربانه للعيون المخبأة بالأقحوان
فتبلعه العاصفهْ(52)

وبالإضافة إلى هذه الصور جميعاً، فإن ليلى قيس، تظهر أيضاً لدى شبانة، فيكون الشاعر مسكوناً بهاجس قيس حين تسافر عنه ليلى، ويكون الحب مرة أخرى هو القاتل / قابيل، والمحب قيس / الشاعر / هابيل المقتول:

ولماذا يسكننا هاجس قيس
حين تسافر ليلى(53)

وهاجس قيس كان الحب فالجنون فالموت، وهو في الحب يسكنه هاجس قيس المقتول عشقاً، والذي يصير تجلياً آخر للصور السابقة التي تنتهي بقتله:

الآن سوف يدحرجون الرأس عن جسدي
لكي أمضي بلا رأس إلى ليلى
ولا جسد(54)

إن هذه الصور جميعاً تنتهي نهاية فاجعة، هي الموت، ولذا فإن الشاعر بحاجة إلى حل يبقيه على قيد الحياة، فيكون الشعر ليبقى على قيد الكلام، وتكون القصيدة هي الحل، والحكم العدل بين القاتل والمقتول، وهي التي ستمنح الشاعر حياة جديدة لكل حالات القتل التي سبقت، ولذلك اختار الشاعر في الحب قصصاً شعرية كان الكلام أحد الحلول المنجية من الموت والسقوط في برك الدم، بل لعله لدى شبانة يضحي الحل الوحيد، وهذا ما سيمثل واضحاً في الصورة القادمة للتناص عند الشاعر.

إن شبانة وإن اختار صورة المقتول ولبسها على مدى ديوانين، إلا أنه كان دائماً يظهر بصورة الرافض المحتج، ولعل اختياره للشنفرى بالذات ينم على ذلك(55)، خاصة أنه يصدر ديوانه الثاني كاملاً ببيت الشنفرى الشهير الذي سلف ذكره

ويتقمص الشاعر في قصيدة بعنوان "الشنفري" شخصية الشنفرى الرافضة المترفعة عن ترهات البشر، أو أنه يقدم نفسه من خلال الشنفرى وشخصيته المتمردة، ولذلك يقول:

وللشنفرى رأيه في حصار الوطن
فلا تبتعد في القلائد أو في القصائد
حين تعلقها الأمهات
على سدرة المنتهى(56)

وفي استحضار صورة الشنفرى يستخدم شبانة تقنية التشويش، حيث "يعمد الكاتب هنا إلى أخذ فقرة من نص مكرس، يتدخل هو فيه، ويتلاعب به، مدخلاً عليه إفساداً مقصوداً أو دعابة أو فنطاسية"(57)، والتشويش الذي يحدثه شبانة هنا يتمثل في انتهاء الشنفرى بالقتل والموت من جديد:

طريد الجناياتِ
يا صاحبي الشنفرى
لعلها الصدفة وحدها
اغتالتك في حلل الظلامْ
لعله الثأر القديم
لعلها تعويذة الموتى
تقدم جثتكْ
لجماعة الغربان قرباناً (58)

فما زالت صورة القتلة تبرز هنا، والغربان والقربان وهي العناصر الأولى التي قدمها ما زالت مستمرة هنا، ولكن شبانة لا يترك موته دون دية، إذ أن الشعر يرد عنه الموت والغدر:

لعل قصيدتكْ
طارت تعلق نجمتكْ
في حبل طاغية الكلامِ
يا طريد الحمامِ
عبئ كنانتك الوحيدة بالسهامِ
فكل أبناء القبيلة
قد أباحوا مقتلك(59)

فالكنانة الوحيدة التي يملكها الشنفرى / شبانة هي الشعر، والسهام هي القصائد، وهي الحل الوحيد للرد على استباحة دم الشنفرى / هابيل / شبانة، ولذلك تنتهي القصيدة نهاية تفتح أفق المعنى لئلا تنغلق على قصص الموت التي سلفت، ولئلا يكون موقف الشاعر من العالم سلبياً يقبل بأحكام الموت ويرضى بها. إنه ينظر حوله بعيني الفيلسوف الخبير الذي يميز أعداءه وقتلته، ولذلك جاءت كل الصور السالفة قائمة على ثنائية قابيل / هابيل، القاتل / المقتول. إلا أن اللغة تظل حلاً وجودياً ووحيداً لدى الشاعر للاستمرار:

يا من جدلتم الدموع بالدماء

في قصيدتي

لسوف مثل الشوك في طريقكم أقفْ

وفي وجوهكمْ(60)

إن صورة الموت موجودة في كل الشعر العربي وغير العربي، كونها صورة تقابل الحياة، ولكن الملفت عند شبانة أن يتخذ الموت صورة هذه الثنائية: قابيل / هابيل التي بدأها في الديوان الأول، وأكملها في ديوانه الآخر، واتخذ من اللغة مهرباً وربما ملاذاً يحتمي به من كل صور الموت المحدقة بالإنسان الحقيقي والصادق، لكيلا يحكم عليه بالموت. فاللغة هي حياة لصاحبها في حياته، وبعد موته.

النتائج

قدم هذا البحث صورة عامة للتناص: ماهيته وإجراءاته، واتخذ منها مدخلاً لقراءة التناص في شعر ناصر شبانة، وفي ديوانيه: "شقوق التراب" و"سفر يليق بقامتي"، ووجدنا مصادر مختلفة عنده للتناص، فمن مصدر ديني قرآني وتوراتي، إلى مصدر شعري عربي، إلى مصدر أسطوري. كما ظهر لدينا آليات وتقنيات تناصية متنوعة: الترصيع، التضخيم، المبالغة، القلب أو العكس، وعرّفنا كلاً منها في موضعه، وأوضحنا كيفية استخدام هذه التقنية، ودورها الفني والفكري، في توضيح جماليات النص والتناص في شعر شبانة، وفي تبيان الموقف الفكري للشاعر ورؤيته للعالم ونظرته لكل ما يحف به من مفردات.

كما بينت الدراسة إن صورة القاتل / المقتول، المتمثلة في التناص الديني المعروف قابيل / هابيل، تمثل الصورة الأساس التي تنبثق منها التناصات المختلفة لدى الشاعر؛ ولذلك فإن كل التناصات الأخرى ترتبط بهذه الفكرة، وكأنها الثيمة أو المحرك الأساس لكل الصور الأخرى في قصائد شبانة، ولئلا تسقط القصيدة في جب الموت والغدر والظلم، فإن الشاعر يجد في اللغة عموماً، وفي الشعر خصوصاً مخرجاً له ولأفكار قصيدته.

إن استخدام الآليات والتقنيات المختلفة للتناص في الشعر، يظهر ثقافة الكاتب، وتمكنه من المادة المتناص معها من جهة، كما يظهر قدرته على توظيف هذه النصوص وتوجيهها الوجهة التي تتناسب ورؤيته وموقفه من النّاس والعالم من جهة أخرى، خاصة أن هذه التناصات تنبع من مصادر متنوعة، وتوظيف الشاعر لها هو تفكيك لها بشكل ما، ثم تركيب من جديد يخدم الفكرة والمعنى.

Resources of intertextuality in the poetry of Naser Shabanah

Maha Al autoom, *Language Center, University of Jordan, Amman, Jordan.*

Abstract

This study transacts with the term "Intertextuality" as a suitable introduction for reading the poetry of the poet Nasser Shabana, First it presents the theoretical fundamentals that Intertextuality was based on, and its essences, and mechanisms and procedures. Then the study shifts to the applied side, extracting a variety of Intertextuality expositions of the poems, and a variety of mechanisms that availed the poet, and the poet finds that the picture of Kabeel and Habeel and the meanings that are related toward these two characters forms an essential centre for all kinds of Intertextuality by Shabana, therefore this research takes from these characters an address that reads the different images of Intertextuality in the poets poems, showing the intellective and artistry value of Intertextuality, and its roll in figuring the poets vision countenance toward the world, and life in its different images.

قدم البحث للنشر في 2007/6/13 وقبل في 2007/11/22

الهوامش

1. الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: 185، 186، 206، 216
   - البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ضروب السرقات الشعريّة، ص 188 – 205
   - ابن رشيق، العمدة، 2 / 84 – 85
   - ابن حجة، خزانة الأدب، 2 / 311
2. استخدم العرب مفاهيم مثل: السرقة، التضمين، السلخ، السطو، وغيرها. للمزيد انظر المصادر السابقة

3. الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 214
4. Eliot, T.S,, The Sacred Wood essays on poetry and criticism, 1980, Methuen, London, and New York), p. 48
5. Ibid, p. 49
6. باختين، ميخائيل،الخطاب الروائي، ط1، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 91.
7. تودوروف، تزفيتان، ميخائيل باختين والمبدأ الحواري، ط2، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1996، ص 110.
8. برادة، محمد، موقع باختين في مجال نظرية الرواية، مقدمة كتاب باختين، الخطاب الروائي، ص15.
9. الرويلي، ميجان، وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط1، مؤسسة العبكان، المملكة العربية السعودية، 1995، ص147.
10. كريستفا، جوليا، علم النص،ط2، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص79.
11. السابق، ص97.
12. أنجينو، مارك، التناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، من كتاب دراسات في النص والتناصية، ط2، مركز الإنماء الحضاري، سورية، 2004، ص73.
13. أبو هشهش، إبراهيم، المكون التناصي في الصورة الشعرية عند محمود درويش، من كتاب زيتونة المنفى، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1998، ص170.
14. جهاد، كاظم، أدونيس منتحلاً، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993.
15. الأحمد، نهلة، التفاعل النصي، (التناصية Intertextuality) النظرية والمنهج،104، ط1، كتاب الرياض، 1423هـ.
16. ناصر شبانة هو شاعر من الأردن، من مواليد عام 1966، يدرس الأدب الحديث في الجامعة الهاشمية، وله ديوانان هما: " شقوق التراب " و " سفر يليق بقامتي ".
17. شبانة، ناصر، شقوق التراب، ط2، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص19.
18. التوراة، سفر التكوين، 1: 4- 16.
19. انظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس،تح: محمد سيد، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2001، ص 43- 47. الكسائي، محمد بن عبدالله، قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تح: إسحاق بن ساؤول، مطبعة بريل، إيزنبرغ- لندن، 1933، 2: ص72-73.

20. عباس، إحسان، وقتل قابيل هابيل في الشعر العربي الحديث، البصائر، مج6، ع1، جامعة البتراء،2002، ص16.
21. شبانة، شقوق التراب، ص21.
22. شبانة، شقوق التراب، ص23.
23. السابق نفسه.
24. السابق، ص21.
25. شبانة، شقوق التراب، ص24.
26. التوراة، سفر التكوين، 1: 4.
27. جهاد، أدونيس منتحلاً، ص57.
28. انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، مج: 3، 5، 6، د.ط، د.ت، ص373-380.
29. شبانة، سفر يليق بقامتي، ط1، دار أزمنة، عمان، 2005، ص15.
30. السابق، ص16.
31. هوميروس، أوديسة هوميروس، ص 233.
32. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 29
33. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 28.
34. هوميروس، أوديسة هوميروس، 223.
35. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 29.
36. السابق، ص 30.
37. السابق، ص 72.
38. جهاد، أدونيس منتحلاً، ص 55.
39. شبانة، شقوق التراب، ص 48.
40. السابق، ص 52.
41. أنظر: عوض، ريتا، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1978، ص 42.
42. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 37.
43. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 39.
44. السابق، ص 42.

45. السابق، ص 43، 44.
46. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 89.
47. السراج، مصارع العشاق، ص 23، 24.
48. شبانة، شقوق التراب، ص 30.
49. جهاد، أدونيس منتحلاً، ص 54.
50. شبانة، شقوق التراب، ص 32.
51. النابغة، ديوان النابغة الذبياني، ط1، شرح وتقديم: عباس عبدالستار، دالر الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص27.
52. شبانة، شقوق التراب، ص 62، 63.
53. السابق، ص 85.
54. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 39.
55. الشنفرى، شرح شعر الشنفرى الأزدي، ص 20، 21.
56. شبانة، شقوق التراب، ص 42.
57. جهاد، أدونيس منتحلاً، ص 53.
58. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص 13
59. شبانة، سفر يليق بقامتي، ص14.
60. السابق، 17.

المصادر والمراجع:

باختين، ميخائيل. (1987). **الخطاب الروائي**، ط 1، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، باريس.

بدر، عبد المحسن طه. (1968). **تطور الرواية العربية الحديثة في مصر**، ط 2، دار المعارف، مصر.

تيمور، محمود. (1994). **دراسات في القصة والمسرح**، د.ط، دار العودة، بيروت.

الجاحظ. (1927). **البيان والتبيان**، ج 1، طبعة السندوبي، القاهرة.

الجندي، أنور. (1983). **المعارك الأدبية في مصر**، ط 1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

الجندي، أنور. (د.ت). **اللغة العربية بين حماتها وخصومها**، ط 1 ، مطبعة الرسالة، مصر.

حداد، قاسم. (2000). **الأعمال الكاملة**، ج 1، ط 1، دار الفارس، عمان.

درويش، محمود. (1994). **الأعمال الكاملة**، ج1، ط14، دار العودة، بيروت.

الرباعي، عبدالقادر. (1996). **بحوث عربية مهداة إلى الدكتور محمود السمرة**، تحرير: د. حسين عطوان، د. محمد حور، ط1، دار المناهج عمان.

الزغول، محمد راجي. (1986). **دراسات في اللغة**، ط 1، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

سعيد، نفوسة زكريا. (1964). **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، ط 1، دار نشر الثقافة، الإسكندرية.

صالح، فخري. (1998). **شعرية التفاصيل: أثر ريتسوس في الشعر العربي المعاصر**، ط 1، دار الفارس، عمان.

عبابنة، يحيى. (2001). **الرؤى المموهة: قراءات في ديوان عرار (عشيات وادي اليابس)**، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان.

عبدالعزيز، محمد حسن. (1992). **الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة**، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة.

عرار، مصطفى وهبي التل. (1998). **عشيات وادي اليابس: الديوان**، تحقيق: د.زياد الزعبي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

عيد، محمد. (1980). **المظاهر الطارئة على الفصحى**، ط 1، عالم الكتب، القاهرة.

المطلق، محمود. (1954). **عشيات وادي اليابس (ديوان مصطفى وهبي التل)**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.

الموسى، نهاد. (1987). **قضية التحول إلى الفصحى**، ط 1، دار الفكر، عمان.

الموسى، نهاد. (1987). **ندوة الازدواجية في اللغة العربية**، ط1، مجمع اللغة العربية الأردني، الجامعة الأردنية.

ندوة حول مصطفى وهبي التل (عرار): قراءة جديدة. (2002). تقديم: د.محمود السمرة، تحرير: غسان إسماعيل عبدالخالق، مراجعة: إبراهيم العجلوني، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.

هلال، محمد غنيمي. (د.ت). **النقد الأدبي الحديث**، نهضة مصر، القاهرة، د.ن.

هيكل، محمد حسين. (1972). **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، ط1، نهضة مصر، القاهرة.

الدوريات :

أبو هيف، عبد الله. (1990). **لغة الحوار في الرواية العربية**، ع.6، السنة 11، نيسان.

باشا، عمر موسى. (1990). إشكاليات اللغة العربية بين الأصالة والإعجاز والحداثة، **الفكر العربي**، ع.6، السنة 11، نيسان.

تيمور، محمود. (1965). لغة القصص، **حوار**، السنة الثالثة، ع3، آذار.

عيسى، راشد. (2001). حذائي، **الفينيق**، ع74.

الفيصل، سمر روحي. (1990). **لغة الحوار في الأدب**، ع61، السنة 11، تموز..

الموسى، نهاد. (1992). **نحو نموذج فصيح للخطاب العامي**، بحث مقدم لمؤتمر قضايا اللغة العربية وتحدياتها في القرن العشرين، ماليزيا.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 85- 112

تَمَوُّجَاتُ الحَدَاثَةِ وَالمَوروثِ في خِطَابِ بَشَّار بن بُرْد / قَصِيْدَةُ مَدْحِ المَهْدِي نَمُوذَجَاً

حسن بكور [*] وفؤاد شتيات[**]

ملخص

تتمحور الدراسة حول مدح بشار بن برد للخليفة العبَّاسي المهدي, وتعالج القصيدة موضوع انصياع الشاعر لأمر الخليفة بترك الغزل, واللهو, والسير في نسق السلطة، والآثار النفسيّة التي يتركها ذاك الانقياد في نفس الشاعر، وقد عنونا البحث بعنوان (تموجات الحداثة والموروث في خطاب بشار بن برد الشعري، في مدح المهدي) ظنّاً منا أن انسياق بشار في ركب الخليفة يمثل هذا العنوان بشكل جيد، فبشار صاحب رؤية حداثية تستوعب الجانب المادي الذي رافق التطور العباسي، ويحاول الانغماس في ملذاته والانزياح عن الموروث الديني والاجتماعي الذي يمثله الخليفة العباسي، باعتباره يملك السلطة الدينية المتوارثة، وقد تكوّنت القصيدة من مقاطع ثلاثة، عُنونِ المقطع الأول بخطاب الحداثة، وفيه تنغمس روح بشار في عالمها الباحث عن اللذة في الخمرة والمرأة، والتفاته إلى دعوى المهدي له بترك لهوه، ويشكل المقطع الأول نصف القصيدة، ويمجّد عالم اللذة ومجالسها وأصحابها.

وأما المقطعان الثاني والثالث فيشكلان النصف الثاني من القصيدة تقريباً، وتكرّس الأبيات في المقطع الثاني سعي بشار إلى إقناع المهدي بتوبته وابتعاده عن مواقعة اللذة، وتتموج لغته بين الإقناع وإعلان الطاعة للخليفة. أما أبيات المقطع الثالث فيكرّسها لمدح الخليفة بصفات المدح المعهودة كالكرم، والقوة، والتميّز عن الآخرين، لكنه يسرّب إلى جانب ذلك صفات مدحيّة أخرى كالانتساب للرسول صلى الله عليه وسلم، وابتعاد الممدوح عن الفحش واتصافه بالفتوة. وتصوير إشراق المعروف في وجهه بصورة بريق الريق في ثنايا الفتاة الجميلة. وقد عكست لغة القصيدة التموّج الذي اعترى نفس بشار وهو يحاول ترك عالم الذات المادي إلى عالم المهدي الممثل للسلطة الدينية والسياسية.

المقطع الأول خطاب الحداثة

1-أفْنَيْتُ عُمْري وتقضّى الشَّبابْ بَيْنَ الحُميَّا وَالجَوَارِي الأَوَابْ
2-فَالآنَ شفَّعْتُ إمامَ الهُدَى ورُبَّمَا طِبْتُ لِحُبٍّ وَطَابْ
3-صَحَوْتُ إلاَّ أنَّ ذِكرَ الهَوَى يَدْعُو إلى الشَّوْقِ فأَنْسَى مَآبْ
4-لله دَرِّي لا أرَى عَاشِقاً إلاَّ جَرَى دَمْعي وَطَالَ انتحابْ

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحسين بن طلال، معان، الأردن.

** قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جرش الأهلية، جرش، الأردن.

5-كأنَّ قلْبي ببِقَايا الهوَى مُعلَّقٌ بيْنَ خوَافي عُقابْ
6-يَا حبَّذا الكأسُ وحُورُ الدُمَى أزْمانَ ألْهُو والْهَوَى لا يُعابْ
7-يَا صَاحِ بَلأَنِي طِلابُ الهوَى وَصَرْفُ إبْريقٍ عَلَيْهِ النِّقابْ
8-يومًا نَعِيمٍ أخْلقا جِدَّتي ولِمَّةً مِثل جَنَاحِ الغُرَابْ
9-واللهِ ما لاقيْتُ مِثْلَيْهِما في عامِرِ الأرضِ ولا في الْخَرَابْ
10-لَهْفِي عَلَى يَوْمي بذِي باسِمٍ ومَجْلِسٍ بَيْنَ خَليج وَغَابْ
11-يَا مَجْلِسًا أكْرِمْ بِهِ مَجْلِسًا حُفَّ بريْحَان وَعَيْشٍ عُجَابْ
12-بتُّ بِهِ أُسقى رُهَاوِيَّةً لعِيْبَ سِتٍّ خُلِقَتْ لِلْعابْ
13-ثُمَّ غدَوْنَا وَغدَا ذَاهِبًا وَكُلُّ عَيْشٍ مُؤْذِنٌ بالذَّهابْ

المقطع الثاني: مطاوعة الحداثة

14-لَهَوْتُ حَتَّى رَاعَنِي غَادِيًا صَوْتُ أَمِيْرِ الْمؤمِنِينَ الْمُجَابْ
15-لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَجَرْتُ الصِّبا وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَابْ
16-لا نَاكِثًا عَهْدًا وَلا طَالِبًا سُخْطَكَ مَا غَنَّى الْحَمَامُ الطِّرَابْ
17-أبْصَرْتُ رُشْدِي وَهَجَرْتُ المُنَى وَرُبَّمَا ذَلَّتْ لَهُنَّ الرِّقَابْ
18-يَا حَامِدَ الْقَوْلِ وَلَمْ يَبْلُهُ سَبَقْتَ بِالسَّيْلِ انْهِلالَ السَّحَابْ
19-الْفِعْلُ أوْلَى بِثَنَاءِ الْفَتَى مَا جَاءَهُ مِنْ خَطَلٍ أوْ صَوَابْ
20-دَعْ قَوْلَ وَاءٍ وَانْتَظِرْ فِعْلَهُ يُثْنِي عَلَى اللَّقْحَةِ مَا فِي الْعِلاَبْ

المقطع الثالث: التصالح مع الموروث الثقافي

21-إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِيْ جُنْدِهِ أَوْ رَاحَ فِيْ آلِ الرَّسُولِ الْغِضَابْ
22-بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِهِ كَالظَّلْم يَجْرِي فِي ثَنَايَا الْكَعَابْ
23-لا كَالْفَتَى الْمَهْدِيِّ فِي رَهْطِهِ ذُو شَيْبَةٍ كَهْلٍ وَلا ذُو شَبَابْ
24- لا يُحْسِنُ الفُحْشَ وَيَنْكِي العِدَى وَيَعْتَرِيْهِ الْجُودُ مِنْ كُلِّ بَابْ
25-ضَرَّابُ أَعْنَاقٍ وَفَكَّاكُهَا فِي مَجْلِسِ المُلْكِ وَظِلِّ العُقَابْ
26-فِي صَدْرِهِ حِلْمٌ وَفِي دِرْعِهِ مُظَفَّرُ الْحَزْم كَرِيْمُ الْمَآبْ
27-تَرَى حِجَابًا دُونَهُ هَائِلاً وَالْرُّوحُ والأمنُ مَنْ وَرَاءَ الْحِجَابْ
28-جَرَى اللَّهَاميمُ عَلَى إِثْرِهِ جَرْيَ الْبَرَاذِيْنِ خِلاَفَ العِرَابْ[1]

المقدمة

عبر صخور الفناء وفضاء الصحوة، وأريج الذكرى وواقع التسليم للسلطة ينطلق بشار ابن برد في نشيد أتقنه لغة وثقافة وإيقاعاً، ينسج من خيوط اللغة وأنّات النفس وسلطة الثقافة قصيدة تصنّف في الديوان على أنّها قصيدة مدح في الخليفة العباسي المهدي، وكأي قصيدة أخرى هي نتاج فكري في سياق لغوي جديد (فالنص محور الأدب الذي هو فعالية لغوية انحرفت عن مواصفات العادة والتقليد، وتلبّست بروح متمردة رفعتها عن سياقها الاصطلاحي إلى سياق جديد يخصها ويميزها)(2).

وتصدح القصيدة في مشهدها الأول بالفناء وتمتد عبر الصحوة ثم تنفلت نحو العشق، وترسم مشهداً دراميا لما يصاحب ذلك من خفقان للقلوب، وتختلس لحظه من زمن العشق، فتثني على مكوناته المادية والمعنوية، فهو زمان لا يعاب فيه الهوى، ولا يستنكر فيه التواصل مع الأحبة زمان لا مثيل له، والوصول إلى مثيله مفقود، أما جغرافيا ذلك الزمن فمجلسٌ من أصحابه كرماء خلانه، وعماده الخمرة الممزوجة بالنساء المنتخبات، زمان نعيم كلّه. فهل يودّع الشاعر هذا المشهد إلا باللهفة والحسرة؟ فكل عشق مؤذن بالذهاب. ويوظف الشاعر في كلّ لوحات القصيدة ذكاءه المتوقَدّ وقريحته الجياشة، فحينما سُئل من أن أين لك الذكاء قال:

إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيوفر حسّه وتذكو قريحته(3).

ويستغرق المشهد نصف القصيدة تقريباً وينحني أمام تكرار كلمة (غدونا، وغدا، ثم غادياً) ويعلن انبلاج مشهد جديد، يبدو فيه أن الغادي هو صوت السلطة وما يحدثه هذا الصوت من فزع وارتياع في نفس الشاعر، فتأتي الاستجابة آلية، لتنطلق الحنجرة بالتلبية، وإعلان البراءة من الماضي وربما المستقبل. يعلن الشاعر هجر الصبا والالتزام بالعهد المقطوع بالبراءة من الماضي، ويعلن هجرة التمنّي. أما العاقبة فهي لمن فعل ولم يكتفِ بالقول، وينحاز نحو ثقافة العرب حين تثني على الناقة بعد حلبها ورؤية خصبها ولا تكتفي بالخبر المقول.

وينطلق المشهد الثالث مردداً صدى كلمة (غدا)، أما الذي غدا فهو المهدي فِعْله لا صوته، والمهدي يتصف بصفات يجدر الثناء عليها فهو يغدو قائداً جيشه، يتوسم بالبشاشة والشجاعة والقوة والاقتدار على العدو، والبعد عن ارتكاب الفاحشة. أما العطاء فيتميز المهدي بكثرته وبإكرام طالبه,وذلك جرياً على تقاليد الموروث المدحي.

مفهوم الحداثة والانزياحات الممكنة

مصطلح الحداثة "مصطلح أدبي الأصول والغايات"[4] ارتبط مفهومه بالحضارة الغربية، وهو قرين التحديث[5] أو ما هو حديث أو حتى حديث على نحو مطلق فيما بين 1890 – 1940[6] ويمثل المفهوم "الجوانب النظرية والممارسات الفنية التي تمت ضمن تاريخ بناء الدولة الرأسمالية البيروقراطية"[7] وملحقاتها لكن مفهوم الحداثة عصي على التحديد إلى درجة الغموض[8] والقلق[9] والتناقض[10] أحياناً.والحداثة مرادفة لتعبير الآن[11] أو اللحظة[12] أو هي انفجار للوعي في أعقاب الانفجار المعرفي، مرتبط بتسارع الحياة الصناعية وحياة المدينة والانفجار السكاني.

وقد فهمها بعض الأدباء العرب على أنها "موقف من الحضارة الإنسانية من الله والإنسان والوجود"[13] أو أنها "إبداع خارج على كل ما سلف بما افترضت من بروز شخصية جديدة ذات تجربة حديثة معاصرة"[14] ومن سماتها التأكيد على الذاتية، والذات الشخصية حاجاتها ورغباتها وطموحاتها[15]

ويرى كمال أبو ديب أن الحداثة في جوهرها "التعبير الأسمى عن نزوع الإنسان إلى رفض السلطة"[16] ويرى الرباعي أنها "إعادة تشكيل اللغة بفعل حاجات روحية وفكرية جديدة اقتضت كسر الخط الذي اعتاد عليه الناس بعد أن سلبته العادة قدرة الإيحاء والإثارة[17] فهي بحث دائم عن الطريق الممتلئ المتحرك أو الكشف عن عالم يظلُ ابداً بحاجة إلى الكشف"[18].

والإشكالية التي تطرحها الحداثة هي موقفها من التراث، فهل ترفضه وتحطمه و"تحل المجتمع محل الله كأساس للحكم الأخلاقي، ويصبح مبدأ للتفسير وتقييم السلوك"[19] أم تجعله "قوة دافعة باتجاه خلق أدب جديد وبناء رؤيا جديدة, وليس بالعودة إليه وامتصاص معطياته"[20] أم أن المعوّل على فهمنا لهذا التراث والمنظور الذي من خلاله نتطلع إليه ونمارس حكمنا عليه[21].

ويبدو أن الحداثة كحركة أدبية لم تنزل من السماء بمظلة لا جذور لها، فهي مع أنها "اختراق للقديم والجديد والشرقي والغربي، والتراث والمستحدث لكنها– مع ذلك– لا تنفصل عن هذه الموضوعات المختلفة".[22]

وأخذ الحداثة بالقيم الحديثة "يثبت تماما أن الأصالة قائمة ضمن الأفكار الحداثوية وأنها تعتمد أفكارا ذات منشأ قديم"[23] لا تلغي التراث وإن حاولت مناقضته "فعَمل الروائيين الأوائل هو الذي جعل عمل الآخرين ممكنا من دون ديكنز ليس هناك جويس". [24]

والشعر العربي كغيره من الشعر عرف الحداثة الشعرية في حلقات سلسلة تطوره، في مفهومها العام القائم على الإبداع واللحظة، والذاتية, وعدم الثبات، ورفض السلطة، والتمرد عليها. فقد قسم النقاد العرب الشعر إلى محدث وقديم، وعد ابن رشيق عنترة محدثا في قوله: "هل غادر الشعراء من متردم" لأنه نظر إلى التكرار على أنه يحدث الملل والرتابة[25] فهو يدعو إلى تركها، كما أن مدرسة عبيد الشعر الزهيرية بصنعتها تقابل مدرسة الطبع والملوك القيسية وهي نوع من التحديث في الشعر الجاهلي.

أما العصر العباسي فقد شهد خلخلة فكرية صحبه تطور وتحديث للشعر العربي, وتمثل ذلك التحديث في اتجاهين حسب الرباعي:

اتجاه المظهر القاصد الذي كان امتدادا لخط الحداثة الطبيعي الساري في الشعر منذ العصر الجاهلي، وقد تمثل هذا في الأسلوب الذاتي الخاص الذي كان الشعراء المحدثون كبشار وغيره ينطلقون فيه للتعبير عن مكنونات قلوبهم حين يخلعون الثوب الرسمي الذي كانوا فيه يتكلفون أسلوبا آخر يلتزمون فيه الخط العام المحافظ على روح القديم وتأثيره[26] ثم اتجاه آخر عرف بثورة أبي نواس على الأطلال. وقد أشار أدونيس إلى الحداثة الشعرية العربية عند بعض الشعراء العباسيين كأبي نواس وأبي تمام وغيره.[27]

ويبرز بشار علما من أعلام الحداثة العباسية الأولى حين أحدث طريقا وسطا فهو آخر المتقدمين.... وأول المحدثين لأنه جاء "بالمعاني الجديدة والعادات الحضرية من نسيب رقيق وخمريات وزهريات.... سنة خالف بها طرائق الشعر العربي القديم، وقد سنّها للمولّدين"[28] كما ثار على السلطة السياسية ممثلة العادة والموروث فهجا "جماعة من أعيان الشهرة"[29] في البصرة وغيرها وربما كان هجاؤه للسلطة العباسية ودعوة بني أميّة للعودة إلى الحكم قمّة الثورة والرّفض. فقد جاء في هجائه للوزير يعقوب بن داود:

بَني أمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَومُكُـمُ   إنَّ الخليفةَ يَعقوبُ بـن داوود

ضَاعَتْ خِلافَتُكم يا قومُ فالتمِسـُوا   خَليفةَ اللهِ بين الزِّقّ والعُـودِ[30]

لكن وسائل الرفض تتخذ أحياناً طرائق شعرية أخرى تعبر عن الضيف من الانسياق في ركب السلطة، وتأكيد الذاتية ومحاولة رسم معالم عالم خاص بها في الحلم الشعري، لينسرب النص لدى بشار في ثنائيات ضدية مثل زمن السلطة المتحجر / زمن الشاعر السائل، أو الحاضر /المستقبل أو المقيد /الحر أو المغلق / المفتوح(31) لتصبح حداثة بشار متمازجة ومتموجة في ثوبها التراثي حفاظاً على الحياة وخوفاً من الموت(32).

[خطاب الحداثة]

تنسرب الأبيات الأولى من 1 – 13 ضمن ثنائية الماضي والحاضر، وتتشكل لغة الأبيات متمحورة حول ثنائيات تتناغم مع الصراع بين الماضي والحاضر، أو تتقاطع معه أحياناً، ويتشكل الماضي لدى الشاعر في لحظات تسبق زمن القول الشعري، لكنه يدخل في لباب التجربة الشعرية وثقافة الشاعر وينال من نفسه، ولا يستطيع الفكاك عنه.

أما الحاضر فمرتبط بزمن القول الشعري، وهو زمن طغيان السلطة السياسية ممثلة في الخليفة المهدي ذاته، وهذه السيطرة تستدعي الانسياق ضمن متطلباتها. ويتشكل امتثال الشاعر للسلطة عبر هذه اللغة التي يلجأ إليها هرباً من واقعه المثقل بالهموم والخوف من السلطة، فتتحّول اللغة الشعرية إلى معبر يتحرّر من خلاله من ظلم الحاكم (وفي كل مرة يحسّ الإنسان بالإرهاق من الواقع ومن الحقيقة يلجأ إلى الفن ليتحرر فيه من كل قيوده)(33)، لكن الشاعر غير متيقن من إمكانية ذلك يقول: "وربما طبت لحبّ وطاب".

إن اللحظة الحاضرة التي ينبغي أن تغطي مساحة كبيرة في الأبيات تكاد تنحسر عن معظمها، فهي تتجسد في البيت الثاني والفعل الماضي (صحوت) من البيت الثالث. يقول بشار في البيت الثاني:

فَالآنَ شفَّعْتُ إمامَ الهُدَى ورُبَّمَا طِبْتُ لِحُبٍّ وَطَابْ

صَحَوْتُ إلاَّ أنَّ ذِكرَ الهَوَى يَدْعُو إلى الشَّوْقِ فأنْسَى مَآبْ

وزمن الشفاعة هو اللحظة الحاضرة، والمشفّع هو الخليفة، والشفيع هو الخليفة نفسه، والمشفوع له المفترض هو الشاعر، فلماذا يستخدم (ربّما) ذات الدلالة على الاحتمالية؟ ولماذا تبدو إمكانية أن تطيب العلاقة بين لفظة الشاعر والخليفة غير أكيدة؟ ألم يبادر الشاعر إلى طلب الشفاعة؟ أما الفعل (صحوت) الذي يعبّر عن التحول نحو زمن الامتثال لأمر السلطة واعتبار لحظة الانسياق في مضمارها هي لحظة الصحوة، ثم تعزيزها في جمل أخرى تدعم فعل التشفيع

السابق. فومضة لا تلبث أن تنطفئ أمام إلحاح الماضي المحبوب بذكرياته وحياته. والشاعر ينحاز نحو الماضي في كل ما تبقى من أبيات هذا المقطع، فما دلالة ذلك؟

إنّ جملة "شفعت إمام الهدى" في البيت الثاني، تتداخل مع الموروث الديني في اعتبار الخليفة إماماً يهدي إلى الرشد، وقد ورث هذه الوظيفة من خلافته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل الكلمتين "الإمام والهداية"، قد وردتا مقترنتين في أكثر من آية من آيّ القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا(34)" ولعل لقب إمام المقترن بالهدى آتية من إمامة الناس في الصلاة. أما عند المتشيعين فالإمام يرتبط بأفراد البيت العلوي الذين كانوا يعتقدون أنهم أحق بالخلافة من سواهم، ولدى العباسيين استندت الخلافة إلى نظرية التفويض الإلهي لذلك أحب العباسيون "أن يؤكد مادحوهم، وبخاصة الشعراء، هذه النظرية..... لأنهم أرادوا تثبيت قيادتهم الدينية بتأكيد إسناد الإمامة لهم دون خصومهم آل البيت"(35).

ويستخدم بشار بن برد في شعره (إمام الهدى) في اللوحة الخاصة به في المقدمة ويستخدم لقب أمير المؤمنين في اللوحة الثانية الخاصة بالانصياع لأسر السلطة (بيت 14).

أما في لوحة المديح فيستخدم لفظة (المهدي) الاسم اللقب ويقرنه (بالرسول) صلى الله عليه وسلم في البيت (21) ويعيد لفظة (المهدي) الممدوح في البيت (23). ويمكن قراءة ما يلي في تكرار اسم الممدوح أو لقبه حسب لوحات القصيدة، ومنها أنّ (إمام الهدى) الواردة في اللوحة الأولى تأتي في طرف ثنائية ضدية تمثل جانب الهداية التي تمثلها السلطة الدينية في مواجهة الطرف الآخر، وهو إتباع الهدى الممثلة لذات الشاعر والمنتمية إلى الماضي، ويضاف إلى ذلك أن كلمتي (إمام الهدى) ترتبطان بخلفية الشاعر السياسية المناصرة للمتشيعين لآل البيت، لذلك فإن استخدامها يشير إلى الانسجام في اللوحة الخاصة به إلى جانب إشعاعاتها الدلالية التي تتساوق معها رغبة الخلفاء العباسيين في مدحهم بصفة (إمام الهدى).

فقد "أقام العباسيون خلافتهم على أنهم أحق الناس بإرث الرسول، ومضوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من التقديس..... ونعجب أن نرى الفقهاء والأتقياء الذين كانوا يعارضون بني أمية ويعدونهم دنيويين ظالمين ينصاعون انصياعاً أعمى للعباسيين ويعدونهم رؤساء شرعيين للأمة من الناحيتين الزمنية والروحية"(36).

وفي خطابه للممدوح (المهدي) في اللوحة الثانية يستخدم لقب (أمير المؤمنين) في فاتحة اللوحة (البيت 14) وهذا اللقب يتناغم مع الاقتدار السياسي والقوة والسلطة التي ينصاع لصوتها الشاعر، ويخضع لها ويلغي ذاته وينخرط في ذاتها. أما اللوحة الثالثة فيعود فيها مرة أخرى إلى المواءمة بين الاقتدار والسلطة وإبراز الجانبين: الديني الموروث، والسياسي الواقع المملوك

للممدوح الخليفة العباسي (المهدي). لذا يكرر الشاعر لفظة المهدي مرتين، ويشفعها بصحبة آل الرسول في مرة من ذلك، منسجماً مع لوحة المدح وتقاليدها الفنية العربية الموروثة، وليبرز اقتدار الشاعر على الإيحاء بالصدق الفني، والإقناع وإرضاء الممدوح الراغب بأن يرتبط منصبهُ السياسي بالاقتراب من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته. فقد تمثل بشار أحاسيس العرب وحنينهم إلى الموروث الشعري "وليس معنى ذلك أنه انفصل عن عصره، فقد مضى يزاوج بين الماضي والحاضر، يتلقى الماضي ويحياه، وأيضاً يتلقى الحاضر ويحياه، وبذلك وصل بين الحاضر والماضي برقيّه العقلي وحياته الحضارية وصلاً خصباً"(37).

ينحاز بشار في مطلع القصيدة إلى الماضي ففي الجملتين الفعليتين اللتين تشكلان البيت الأول وهما "أفنيت عمري" و"تقضّى الشباب" إشارة واضحة إلى أن اللحظات السعيدة قد انصرفت، وأن السعادة في العمر المنصرف كانت نتيجة للتمازج بين اللذة الآتية من شراب الخمرة والمرأة، وما يحدثه هذا التمازج من شعور في التدرّج في انقضاء الشباب في جملة "تقضّى الشباب". أما جملة "أفنيت" فتأتي في إطار هدم الماضي ليتساوق مع اللحظة الحاضرة.

وبشار بن برد شاعر يصرُ على انتهاب اللذائذ ويصرّح بذلك، وكان بأفعاله يغضب الخلفاء والأمراء فقد ورد أن واصل بن عطاء دعا إلى قتله في بعض خطبه وقال "أما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنى بأبى معاذاً من يقتله"(38).

وينسرب الفعلان (أفنيت) (وتقضّى) في سياق الأشياء الحسنة فالمفنى هو العمر، والذاهب هو الشباب، وكلاهما الحياة وجذوتها المستعرة. أما مادة تلك الحياة فهي التردد داخل الزمن بين مكانين مبهجين هما: الحميّا بكل ما تحمله الكلمة من إشعاعات دلالية ترتد إلى الخمرة واللذة والنشاط والفتوة، والجواري وما تحمله لفظتا (الجواري الأواب) من دلالات تختصر الحب واللذة والنشاط، وتجعل الشاعر محوراً لذلك المكان وما يحيط به من انتشار للذة وتناغم بين عناصرها.

ويزعم الشاعر أنه ربما انتهى من ذلك متعللاً بشفاعة المهدي، أما الصحوة والافاقة فتبدو لحظية لا تتجاوز زمن السلطة الحاضرة، ولا تتجذر لا بالمكان ولا الزمان. وعلى صعيد اللغة فإن إيقاع الفعل الماضي (صحوت)متبوعاً بأداة الاستثناء والحصر (إلا) تجعل ذكر الهوى هو الحالة المسيطرة على الشاعر. فالهوى يدعو للحنين إلى اللحظة المنصرمة، ولذا يصبح الزمن الحاضر والمستقبل مندمجاً باللحظة الماضية التي بدأ الشاعر بتكوينها في نصه الشعري كثنائية ضدية تقابل لحظة (السلطة الآن = المهدي، والدين + المستقبل = المآب)، فالشاعر في مقدمة مديحة للخليفة لا ينثني عن منهجه في الحديث عن حبّه للهّو، وما صحوته واستجابته إلا حادثة عرضيّة يتبعها عودة للنهج المعتاد، يقول شوقي ضيف. (ولمّا أنتشر مجونه ولهوه ولم يَعُدْ يُطاق

عند أهل التقوى والصّلاح اشتكوه إلى الخليفة المهدي ونهاه فانتهى، ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن شاع غزله على كل لسان)[39].

وثمة ارتباكٌ في ذهن الشاعر وعواطفه تنقله اللغة في البيت (صحوت إلا... يدعو إلى... فأنسى...) فصحوت تمحوها إلاّ، وجملة يدعو إلى تنهار أمام الفعل أنسى. وعادة فإن الدعوة تقتضي الرّد بالإيجاب والانطلاق نحو الداعي أو التحدي والرفض. غير أنّ الدعوة عند بشار يقابلها النسيان؛ لذا يمكن القول بأن الشاعر لم يتمكن من الصحوة وتلبية الدعوة إلى التحوّل نحو شفاعة المهدي. وهذا الأسلوب وطريقة التضّاد بين زمنيين إنما هو طريقة في التفكير من شأنه الكشف عن المعاني وتوضيحها (لأن الأشياء تزداد بياناً بالأضداد)[40].

ولسان حال الشاعر يصدح متعجباً: فلله دري! إنني لا أستطيع الانفكاك عن الماضي حيث اللذة، وعند رؤيتي أحد المنتمين إلى ذلك الزمن والمكان لا أملك نفسي فتنهمر دموعي واستغرق بالبكاء إلى أقصى منتهاه، فكيف أصحو؟. ولعل استخدام الشاعر لأسلوب التعجب، ثم الحصر بالنفي فالاستثناء، واستعارة الجملة الفعلية (طال انتحاب) تشكل نهاية البيت الشعري، تشي بأن الشاعر في تعجبه من ذاته يؤكد استحالة الانخراط بزمن السلطة، ويرى أن زمن السلطة (الآن) هو زمن الاستغراق بالبكاء، والانقطاع عن الحياة وعشاقها. وفي هذا البيت نفسه يميل نحو نقد الذات سعياً للتناغم معها في الخطاب الشعري على الأقل.

إن بشار بن برد تشبَّث بماضيه الجميل، الماضي الذي حقّق ذاته وما يطمح إليه، وأحسّ مخالفته للنظام الديني الذي يفرض عليه العقوبة أو التوبة، فوجد نفسه مضطراً إلى خلع ذلك الزمن وتبعاته والانسلاخ من رموزه اللاهية الماجنة، والانتظام في سلك السلطة الحاكمة، صاحبة الولاية الدينية ولكنه يعي في قرارة نفسه أن هذا التحوُل ليس ناجماً عن قناعة أو إيمانٍ خالص، بل مسايرة الخليفة وحفاظاً على حياته وصوناً لها من عقوبة المخالفة، ومن هنا وظّف الشاعر اللغة بمفرداتها وسياقاتها لتحمل عناصر هذا التحوّل سلامة روحه ونفسه مع إخفاء الحقيقة في داخله من خلال عالمه اللغوي المتمثّل في جمله الشعرية و(الجملة التي تحلق طليقة تسبح حيث تريد في سمائها الصافية، وهذه هي الجملة الشاعرية التي تأبى إلا الانطلاق كإشارة حرّة تتيح لنا أن نؤسس منها ومن مماثلاتها نصاً جديداً)[41].

يلِجُ الشاعر خطابه الشعري، ويتحول نحو استخدام إحدى أدوات الشعر وهي التشبيه ليرسم بها صورة حالمة أداتها الخيال، ومحتواها السموّ في الأعالي نحو العقاب وتحليقه في السماء، وكأن بشار بن برد يعي أنّ للصورّة الشعرية وظيفة خلاّقة تتجاوز الحدود الحرفية للكلمات إلى ما تنبعث من علاقاتها من إشعاعات ودلالات تحدثها الصوّرة؛ لأن (الشعر ليس مرآة تعكس مظاهر الطبيعة ولكنه مرآة تنعكس فيها روح العالم وجوهره العام، وإن كلّ علاقة للشعر نابعة من داخله

تفرضها الرؤى العاطفية والمواقف الفكرية وهي تبتعد بذلك عن كلّ علاقة تتحكم فيها الدلالات الحرفية أو القوانين المنطقية)[42]، ولا يستغني في خطابه عن أسلوب التقديم والتأخير في قوله "كأنّ قلبي ببقايا الهوى معلّق". وهذا التقديم يضفي جمالاً على الصورة التشبيهية ويمنحها مذاقاً خاصاً يجعل (بقايا الهوى) تعمر القلب وتتجذّر به، وتجعل عملية التعلق لحظية حادثة ناتجة عن تدخل السلطة في هدم ما يعمر القلب من حبّ ولذة، ويتناغم التقديم والتأخير وما يحدثه من ارتباك وهزّة في الخطاب مع ما يحدث لقلب الشاعر من هزّة واضطراب واندهاش وحيرة، لذا يرتسم قلبه صورة مهتزة مرتجفة تحلّق في الأعالي تتماوج ريشة في جناحي عقاب محلّق. يضطرب في مواجهته للرياح. وحيرة بشار بن برد تلحق به العذاب والأذى لأنه متقلب في أهوائه ومذاهبه (وتقلّب بشار بين كافة المذاهب والنحل التي ماج بها العصر، حتى أصبح في فترة من حياته إماماً من أئمة الاعتزال في البصرة، لكنه لم يستقر على اعتناق واحد منها وبقي متحيزاً مخلطاً يعذبه الشك وتقتله الحيرة)[43]، وينصرف الشاعر عن ذاك الارتباك والحيرة ليعلن مدحه للزمن الذي ينغمس فيه، والذي أفنى العمر والشباب من أجله، والذي يشكل جغرافياً وجوده وكينونة ذاته، ذاك الزمن العاري عن أن تتدخل فيه السلطة أو تعيبه، زمن الحب فيه مباح غير معيب، واللذة محوره وأساس وجوده.، أما المرأة فدمية معبودة يتوجه إليها عناصر ذلك الزمان والمكان الذي ارتبط بتجربة الشاعر اللاهية، فاتخذ هذه القيمة الجوهرية، والزّمن هو الحدث المنصرم الذي جرت أدواره في قلب ذلك المكان، فالتحم الزمان والمكان معاً ليشكّلا في ضمير الشاعر هذه المنزلة المتميزة (فالشاعر يقيم علاقات مع الأشياء التي تمكنه من تجسيد انفعالاته، وهذه الأشياء الجامدة استطاعت هي الأخرى أن تكتسب صفات جديدة من خلال عملية إسقاط الانفعال الإنساني على الأشياء الجامدة)[44] فهي محور الوجود واللعبة التي تسير الحياة. ويصرخ بشار في أعماق ذاته، يا حبذا تلك الجغرافيا وذاك التاريخ وما يحويان من لذة الكأس وجمال النساء الممزوج بالقدسيّة، وما يكتنفه من علاقات وأنظمة تساعد على التناغم والتمتع بالحياة. أما الروح الذي تسري في ذاك الكيان فالحب وافتراع الرغبات والامتلاء بالملذات المادية التي يهواها وهي عناصر ذاك العالم، وفيه لا يُعاب كائن لانصرافه نحو ملذاته.

يكوّن الشاعر العالم الذي يحوي بقايا الهوى ويجذب القلب نحوه في نصه الشعري، ويرسم مزيداً من معالمه وخصائصه التي تميزه عن عالم السلطة الجاثمة على الحاضر في محاولتها احتواء الشاعر وإدخاله في سياقها السياسي والديني.

ينادي الشاعر صاحبه مستخدماً أسلوب الترخيم (يا صاح)، وهذا الأسلوب يحمل في ثناياه التحبب والتناغم مع الصاحب أو مع الصاحي الذي أثر عليه الفعل (صحوت) حين استشفع بالسلطة، وسواءً أكان الخطاب موجها إلى الصاحب أو الصاحي، فإن المخاطب جُرِّد ليستمع إلى

ما يعانيه الشاعر من همّ وحسرة وبلاء استحكم في نفسه، ولا يستطيع تركه أو الصحوة من أثره. أما البلاء فالسعي الحثيث نحو افتراع الرغبات وامتلاك الملذات، والانقياد للمسرات، وكل هذه يتجسد في تركيب (الهوى) وما عُطِف عليها في قوله (وصرف إبريق عليه النقاب). ففي صيغة العطف يجتمع السعي نحو الود والمحبّة والرغبة مع أداة تلك الرغائب والمودات، وهي الخمرة الخالصة مما يكدرها. وتتشكل الخمرة في صورة أنثوية ترتدي نقاباً يخفي جمالها ولذتها وأصالتها، وتختصر الصورة الشعرية لذة الشرب والافتراع للأنثى.

وفي هذه اللوحة الفنيّة والصوّرة الجميلة تتشكل عملية العالم الخاص للشاعر مختلطاً بعالم المحسوس من خلال (قدرة الصورة على كشف أو تجسيم العالم الروحي الإنساني المختزن في وجدان الشاعر وإخراجه ممزوجاً بعالم الحس في نظام فريد يعطي الشعر بُعداً معنوياً أكمل وأشمل)[45].

فالبيت المتشكل من النداء المرخم في بدايته، والجملة الاسميّة وما عُطف عليها من جملة اسميّة أخرى، يتداخل مع الإشعاعات الدلالية لكلمة (النقاب) وما تحمله تلك اللفظة من معان حسيّة مباشرة لقطعة القماش التي تغطي فم الإبريق ليخرج الخمر صافياً، ومن معانٍ أخرى حسيّة للوجه الأنثوي المنقب وما يخبئ تحته من جمال وصفاء مفترض.

ويتابع الشاعر الإفصاح عن خصائص عالمه معلناً لصاحبه، وربما لنفسه التي انتابتها الصحوة أن عالمه متفرّد عن عالم السلطة وتراثها. فيوماه يوما نعيم، والفناء الذي لحق عمره، والتقضي الذي لحق شبابه، والبلاء الذي استحكم داخله، آثارها ماثلة في ذاته، فقد أصابه الانغماس في النعيم الدائم بالبلى وظهر البلى، وزوال الجدة على شعره المتغير.

ويقسم الشاعر أن يومي النعيم وما يحويان من رغائب آتية من امتزاج الخمرة بالأنوثة لم يلاقِ مثلهما في اللحظة الحاضرة ولا في اللحظة المنصرمة. ثم يبث لهفته وحسرته بوصف يومٍ خاصٍ يختاره من عالم النعيم الذي كان ينغمس فيه، ويحدد الأطر الجغرافية لذلك اليوم.

ويمزج المكان وما يحويه من بسمة وفرح (ذي باسم) مع الزمن (يومي)، فيبدو زمنه متوحّداً مع المكان، والمكان الجامد في حدوده الجغرافية لا يُحرّك في الإنسان أية انفعالات أو مشاعر، لأنه منفصل عن مسرح الحدث الإنساني الفاعل، وحينما يكون حاضناً لتلك الأحداث والفاعلية الإنسانية بشتى مجالاتها الحياتية يكتسب الحب والحنين أو الكره تبعاً لنوع الحدث.

ومن هنا تنشأ عملية الحنين والذكريات، فالمكان "يمثل مستودعاً لهذه الذكريات ويظلّ يوحي للإنسان بالفعل المبدع، ويمدّه بالشحنات النفسية والوجدانية التي تعيد له توازنه النفسي في حالة فقدان ذكرياته مع المرأة أو في حالة حدوث شرخ أو خلخلة في بناء النظام النفسي

الداخلي (المزاج) لأي سبب ما"[46] ويرسم الشاعر الحدود الجغرافية لمكان يحوي الماء رمز الحياة والشجر رمز الجمال وديمومته، ويجعل ذلك المكان خارجاً عن حدود الزمن الحاضر وقيوده السياسية والدينية فهو منعزل، لا يعابُ فيه أفراد الجماعة على العبَّ من لذائذهم. ويعظم ذلك المكان مستخدماً أسلوب النداء (يا مجلسا)، وأسلوب التعجب (أكرم بـ)، ويرسم صورة جميلة للمجلس في ذاك المكان الباسم، فيختار مجلساً أثيراً للنفس حفَّ بالرائحة الزكيّة والعيش اللذيذ، ويبالغ في وصف لذاذة المكان فيسمه بأنه مدعاة للعجب لكثرة ما يحوي من رغد العيش، ودواعي اللهو والاستمتاع، وينغمس الشاعر في ذلك المجلس بكل لذائذه، وأدوات اللذة هي الانعزال المكاني والزماني، فالمكان منعزل جميل والزمان هو الليل، والإنعزال المكاني يكفُ يد السلطة، ويفسح المجال أمام النفوس لترتاح وترشف من اللذة دون خوف، ومادة اللذة هي الخمرة الرّهاوية التي تجمع بين لذة الخمرة اليمنية القادمة من الجنوب (الرّها)، ولذة الخمرة الشامية القادمة من الشمال (الرُها).

ولعل الشاعر في رؤيته للزمان والمكان ودورهما في إضفاء عناصر الحيوية الشاعرية يدرك أن (كلاً من الزمان والمكان في الشعر لازم للآخر، ولا نستطيع بناءً على هذا إلاَ أن نتعامل مع هذين الجانبين المهمين في تشكيل المعنى الشعري على أساس أنهما عاملان متفاعلان يحدثان النظام في العناصر المتشابكة التي تعمل ضمن الوحدة العامة)[47].

أما مسبّبة اللذة ومجريتها واليدُ الفاعلة التي تبث الروح فيها فهي امرأة تتميز بالشرف والأصالة، لكنها لعوب نشيطة خُلِقت لتجري اللذة على الخمرة المسكوبة.

إنَّ مكونات عالم الشاعر وحدوده الزمنية والمكانية تشكل في إطار الرؤية الوجودية الخاصة ببشار بن برد، تلك الرؤية التي تنطلق من الانغماس باللذة والبحث عنها والجري خلف مسبباتها، والسعي نحو الهروب من الخضوع للسلطة السياسّية الدينية التي يمثلها شخص الخليفة المهدي. لكن محاولة الانزياح عن الخضوع للسلطة تشبه محاولة الانزياح عن الموت، وهيهات حدوث ذلك. وتنتهي اللوحة الأولى من القصيدة بالتسليم لقدر السلطة وجبروتها. فيغدو الشاعر تاركاً اللذة وعالمها في الوقت الذي تبدأ السلطة سطوتها عند آذان الفجر، ويعبّر الشاعر عن الانقطاع والترك بقوله "ثم غدونا وغدا ذاهباً".

فقد ترك الشاعر عالمه الخاص، وتركه عالمه اللذيذ ذاهباً مستمراً في جريانه. وهذه السنّة الكونية التي يترك فيها الإنسان جماعته، لكن الجماعة تستمر. فكل عيش مؤذن بالخراب، وتنتهي اللوحة الأولى عند ذلك وبها. يجدّد الشاعر معالم عالمه الخاص الذي ترعرع داخله وأفنى عمره وشبابه فيه، ويزجي هذه المعالم بين يدي الدعوة إلى الانصياع لأمر السلطة الدينية السياسية المتجسدة بالممدوح (المهدي). ومما يلفت قارئ النص الشعري قدرة الشاعر الذكيّة على التعبير

عن ذاته ككينونة خاصة تتحدى الموروث الثقافي لرأس السلطة الدينية الخليفة، ووضع ذلك التحدي في سياق فن المدح الذي يتقبله الخليفة وتتوق نفسه إليه.

ففي قوله (يوما نعيم) إشارة واضحة إلى الموروث الجاهلي القادم من المناذرة ملوك العرب وما يؤثر عن يوميها[48] يوم للبؤس ويوم للنعيم، فإذا كان للعرب يومان فهو يتميز عنهما بأن يوميه يوما نعيم.

وفي قوله "لعيب ست خلقت للعاب" إحدى معنيين، وهما أنّ الستّ هي المرأة الشريفة وهي بعيدة كلِ البعد عن تقديم الخمرة في (الديارات) التي يضاجع فيها الرجل خمرته. وفي زجّها في عالم الخمرة إهانة لها. والمعنى الثاني أن تشير لفظة (ست) إلى تعدد النساء وانتشار الساقيات وتعددها حول الرّجل الواحد وفي ذلك تحدٍ للممدوح الذي يستمدّ قداسته من محافظته على الإسلام وصيانة المجتمع من شرور الانفلات.

وفي قوله:

ثُمَّ غَدَوْنَـا وَغَدَا ذَاهِبَاً وَكُلُّ عَيْشٍ مُؤْذِنٌ بالذّهابْ

تحدٍ آخر للسلطة الدينية، وإبراز إمكانية العيش خارج زمن الغدوّ الخاص بالسلطة، فالفعل غدا وفاعله المستتر يمكن تأويله بأشياء متباينة منها (هؤلاء الجماعة) بما يحمل عالمهم من لذة مستمرة تتوقف لحظة ثم تعود للحياة من جديد، وفي ذلك تحدٍ آخر للسلطة الدينية، لكن بشار بن برد يتقن لعبة اللغة ولديه القدرة على توظيف حاسته الفنية من خلال الألفاظ التي تحمل دلالات وإيحاءات جديدة خارج معجمها اللغوي، فينتزع منها روحها التي يحلّق بها في عالم الخيال لنقلها من المباشرة إلى الإيحاء ومن هنا فإن (الشعر لا يخاطب القوة العاقلة، بل يتجه فينا إلى الملكة التي تتقبّل الفكر والشعور في آن معاً: ملكة الخيال)[49] ويعي الشاعر الثقافة السائدة، ويملك أداة الشعر القادرة على إدهاش الممدوح دون التفريط بأدوات الذات الخاصة.

[مطاوعة الحداثة]

يلج الشاعر المقطع الثاني من القصيدة عالم أمير المؤمنين في اللحظة الزمنية التي تسيطر فيها السلطة على الوجود. فقد لها الشاعر طيلة الليل ثم غدا وغدا أقرانه ذاهبين، وظلّ كذلك حتى أهاجه وأفزعه في الغدوة صوت أمير المؤمنين الذي لا يملك أحد أن يعصية. بدأ الشاعر بالفعل الماضي (لهوت)، وكلا الفعلين يؤكدان طغيان الماضي بلذاته على الحاضر الذي يسيطر عليه الخوف من صوت أمير المؤمنين (الذي كان ينهاه عن التشبيب بالنساء)[50]، وذلك الخوف لا يملك الشاعر أمامه إلا التلبية، يقول بشار:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَجَرْتُ الصِّبا وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَـابْ

لا نَاكِثاً عَهْدَاً وَلا طَالِباً سُخْطَكَ مَا غَنَّى الْحَمَامُ الطِّرَابْ

ويكرِّر الشاعر التلبية لغاية وظيفية تتمثل في الإيحاء للخليفة بأن الشاعر ينفي عن نفسه تعلقه بالماضي الماجن، ويبدأ حياة جديدة وعهداً مختلفاً وهذا التكرار يؤدي (دلالة نفسية شعورية..... ينبض بإحساس الشاعر وعواطفه)[51]، ويتبع ذلك بثلاثة أفعال ماضية وهي: (هجرت.....، ونام.....، ومات.....) وكل هذه الأفعال تشير في ظاهرها إلى محاولة التناغم والاستجابة لصوت الخليفة، لكنها تحمل دلالات معنوية أخرى تشي بالتحول القسري. فهو يلبي لأن صوت الخليفة مُجاب، ويُحتّمُ عليه ترك الزمن الجميل، وترك ذاك الزمن يستدعي نوم العاذل وموت العتاب. والمستسلم لأمر السلطة لا مجال لعذله ولا إلى عتابه. ومع ذلك يصرّ الشاعر على نفي نكث العهد، ونفي طلب السخط، ويؤكد ديمومة ذلك النفي اعتماداً على استمرارية الوجود الطبيعي لمظاهر الحياة المتمثل بالحمام وغنائه. وظاهر النفي يشير إلى توبة الشاعر عن الانغماس في اللهو والانصياع لأمر (المهدي)، غير أن استخدام كلمة (عهدا) نكرة تشي بأنه يمكن توجيه الخطاب إلى الخليفة كسلطة مجابة، وإلى الرفاق الذين هجرهم، غير ناكث العهد معهم بل منفذا لأمر الخليفة لفترة ما، وقد يعود في اللحظة المناسبة إليهم.

ويتابع الشاعر وضع خطاب لغوي يخدم غرض التحوّل نحو السير في ركاب الأمر السلطوي الداعي إلى احترام الموروث الديني والإطار السياسي الشكلي، فيستخدم أفعالاً ماضية تؤكد التحوّل نحو حاضر السلطة. فقد أبصر الشاعر طريق رشده، فترك الأمنيات، لأن تلك الأمنيات والرغائب قد تذلّ لها الرّقاب. (وإن عرض بشار بن برد معانيه بهذا الأسلوب إنما هو قائم على أسلوب منطقي وهو أسلوب التضاد، فهو يقابل بين نوعين متضادين من المعاني بغية نفي بعضها وإثبات الآخر إرضاءً للخليفة المهدي الذي نهاه عن التغزل)[52]، وهذا واضح في التحوًل بين الأفعال الماضية ونفيها وإثبات فعل الحاضر "التوبة" من خلال الجمل الفعلية: أبصرتُ رشدي، وهجرتُ المنّى، ولهوت حتى راعني..... الخ.

وهذا التقابل الذي أجراه بشار بين نسقين من المعاني المتضادة يعيد ترجيح معنى على معنى أو إثبات فكرة ونفي أخرى ويبين لنا أن ثمة صراعاً يقوم النص على أساسه، وجهة الصراع تتناول حالتين: الماضي وكان فيه الشاعر مستهتراً بمودات النساء مشغوفاً بحبهنّ والحاضر وكان فيه مستجيباً لأمر الخليفة الذي نهاه عن التغزل.[53]

يمعن بشار في التعبير الظاهري عن التحول والانصياع للصوت المجاب، فيستدعي خطاباً تراثياً يعتمد العقل والإقناع، وربما لجأ المرء لذلك الخطاب عندما يكون غير قادر على إقناع نفسه بما يفعل، ومن أساليب ذلك الخطاب الانتقال نحو أساليب الإنشاء الطلبي في النداء (يا حامد القول)، و(دع قول)، ومحاولة البرهنة المنطقية على صدق فعله، والإخلاص في استجابته، بالاستعانة بصورة تراثية مستعارة من البادية، وهي صورة الناقة وارتباط الثناء عليها بما تنتجه من حليب يملأ الوعاء، وعدم الاكتفاء بالمظهر الخارجي.

إنها محاولة جادة تستخدم اللغة الشعرية لتأكيد التحوّل والاستجابة لأمر (المهدي)، فالشاعر يسرّب صورة مدحيّة موروثة يجعل فيها الخليفة أكثر كرماً من رمز الكرم المطر فيجعل الخليفة أكثر كرما من المطر في انسكابه، ويؤكد له أنه سينتقل إلى الفعل ولا يكتفي بالقول، ويبين أن المرء يمتدح لفعله سواء أخطأ أم أصاب.

ويعتقد طه حسين أن حقد بشار الدفين على مجتمعه الذي نبذه كان سبباً في عملية الغزل العبثي والماجن وشرب الخمر واستباحة أعراض الناس وأن غزله لا يمثل عاطفة ولا شعوراً صادقاً، وإنما يمثل تهالكاً على اللذة وإفحاشا في هذا التهالك ورغبة في الفساد وإذاعة السوء..... [(54)].

استغرقت هذه اللوحة التي ترسم لحظة العبور الزمني من الماضي إلى الحاضر في تصارعهما التضادي سبعة أبيات بدأت بالاستجابة القسرية لصوت السلطة في زمنها (الغدو) وانتهت بالأمر المباشر لرمز السلطة الخليفة بأن لا يعير قول الوشاة انتباهاً، ويبصر التحوّل الحقيقي لدى الشاعر نحو السلطة ومدحها، ولعل بشار بن برد يلجأ إلى ذلك ليتساوق مع فنه وأطره الموروثة التي تستدعي أن يظهر المادح فيه احتراماً زائداً للممدوح لأنه رمز الاكتمال البشري في المروءة والكرم والشجاعة، فمع حنينه إلى الماضي المستبطن في البنى التحتية لنصه الشعري، فإن البنية الظاهرية التي تبرزها علاقات الجمل في مستواها النحوي والصرفي وربما الدلالي المعجمي تبين انصياع الشاعر للموروث الشعري في فن المدح العباسي وما لحقه من تحديثات في بعض أطره، كأن يبدأ الشاعر بمقدمة تمجّد زمناً غير زمن السلطة وكينوناتها كوصف عناصر اللذة من امرأة ممزوجة بالخمرة.

[التصالح مع الموروث الثقافي]

يوظف بشار بن برد اقتداره الفني وامتلاكه لعناصر الشعر عند الولوج في ركب ثقافة السلطة دون أن يتنازل عن ذاته كليّاً مستغلاً إبداعه وطبعه الشعري وهو كما يقول الجاحظ (من

المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع والمفتنين بالشعر[55] ويبدأ المقطع الثالث من القصيدة بما بدأ به المقطع الثاني وأنهى به المقطع الأول من زمن وهو (الغدو).

ويختلف (الغدو) من سياق لآخر، فالغدو في نهاية المقطع الأول رحيل وتحوّل مؤقت، والغدو في المقطع الثاني خوف مسيطر. أما الغدوّ في بدايّة هذا المقطع فيرتبط بالمعركة ونوعية الجند وشجاعتهم وصفاء أعراقهم ويعتمد في صوغ معناه ونصه الشعري على وعي المتلقي في التقاط دلالة المفردات في سياقاتها من خلال اللغة التي يوظفها الشاعر للتعبير عن تجربته، ولنقل ما تحمله من معايير وأفكار إلى الآخر ليمارسها بحيوية وفاعلية (فالفن عملية إنسانية فحواها أن ينقل إنسان للآخرين الأحاسيس التي عاشها فتنتقل عدواها إليهم أيضاً فيعيشونها ويجربونها)[56] يقول بشار:

إِذَا غَدَا الْمَهْدِيُّ فِيْ جُنْدِهِ أَوْ رَاحَ فِيْ آلِ الرَّسُولِ الْغِضَابْ

بَدَا لَكَ الْمَعْرُوفُ فِي وَجْهِهِ كَالظَّلْمِ يَجْرِي فِي ثَنَايَا الْكَعَابْ

فغدو المهدي مرتبط في امتلاك الجند، وقدرته على القيادة وإفشاء الموت والهلاك في أعدائه، ويقابل هذا الغدو رواح في صنفٍ آخر من البشر وهم الاتقياء من آل الرسول، لكن بشار بن برد يجعل هؤلاء ينساقون في سياق الغضب وإحداث الهلاك للعدو، هذا الغدو وذاك الرواح شرط في إبراز صورة المهدي المعطاءَة.

وقد علا وجهه الإشراق والبشر والبشاشة، أما الصورة المثال لبشاشة وجه الخليفة فتشبه صورة الرضاب والريق اللذيذين وقد كسا الثغر لمعاناً وبريقاً وهو يجري في ثنايا الفتيات الجميلات الناهدات. صورة تجمع بين لحظتين من لحظات الشاعر، لحظة اللذة ولحظة الانصياع لأمر الخليفة.

وتُبْرِزُ الصورةُ الصراعَ الداخلي الذي ينتاب الشاعر حين يحاول الانخراط في المدح والدخول إلى عالم الممدوح فيوحِّد بين المرأة والممدوح.

والخليفة متفرد عن غيره بأمور أخرى، يقول بشار:

لا كَالْفَتَى الْمَهْدِيِّ فِي رَهْطِهِ ذُو شَيْبَةٍ كَهلٍ وَلا ذُو شَبَابْ

لا يُحْسِنُ الفُحْشَ وَيَنْكِي العِدَى وَيَعْتَرِيْهِ الْجُودُ مِنْ كُلِّ بَابْ

ليس كمثله أحد من رعيته في الفتوة والقوة، لا من كان كهلاً أو من كان شاباً، وهو لا يحسن عمل الفحش. وينخرط في مواجهة الأعداء، ويتلبّسه الكرم والعطاء من جميع الأبواب، وجملة (لا يحسن عمل الفحش) تستوفي في أعماقها رؤية بشار أن الخليفة غير قادر على استيعاب مقتضيات الحداثة العباسيّة، مع أنها تحمل في ظاهرها التأكيد على صلاح سريرة (إمام المهدي) والخليفة كذلك:

ضَرَّابُ أَعْنَاقٍ وَفَكَّاكُـهَا فِي مَجْلِسِ المُلْكِ وَظِلِّ العُقَابْ

فِي صَدْرِهِ حِلْمٌ وَفِي دِرْعِهِ مُظَـفَّرُ الْحَزْمِ كَرِيْمُ الْمَآبْ

إنه يضرب أعناق أعدائه، ويفك أعناق مريديه، فهو يحمل الموت في يد والحياة في يد أخرى، وهو في تارتين من حياته، تراه في مجلس الملك بهيبته وسطوته وحسن هيئته، وتراه في ميادين المعارك يستظل بالسيوف والغبار. هاتان التارتان تتنازعانه في أفعاله المرئية وفي ذاته المستورة المخبوءة. فإذا كان المهدي ضارباً فكّاكاً جالساً محارباً, فهو يحمل في صدره الحلم والسماحة والعفو، لكنه يحمل في درعه القوة وشدّة البأس، وكرم العطاء. شخصيته متميزة فيما تحمله من تناقضات الإنسان الخليفة من اقتدار لا يلغي الإنسانية.

فهو حليم في تعامله مع رهطه لكنه صابر على الشدائد، كثير الانتصارات، وكريم العود موفور الصحة. أما في علاقته بالأمّة التي يحكمها، فعلاقة يتجذر فيها الأمن والطمأنينة، فهو محجوب عن رعيته بمجلس عظيم غير أن هذا الحجاب يبعث الأمن والطمأنينة لكل رعيته، وهو متميز عن الآخرين بكل أفعاله يسبق من يحاولون اللحاق به. يقول بشار:

جَرَى اللَّهَـاميمُ عَلَى إِثْرِهِ جَرْيَ الْبَرَاذِيْنِ خِلاَفَ العِرَابْ

فالخليفة يبذّ كل الكرام والأجواد، فإذا جرى الكرام مقتفين أثره في الجود، فهم ينساقون في سياق خيالي يشبه صورة الخيل الهجينة الأعجمية الضعيفة في محاولتها التسابق واقتفاء أثر الخيول العربية الأصيلة، ولعل بشار بن برد فيما يسوق من صور فنيّة حسيّه يفوق فيها المبصرين لاعتماده على ذكاء حادّ يستعين فيه بحسٍّ دقيق، وكان مما دفعه إلى ذلك شعوره بفقده لبصره، وكأنه كان يريد أن يثبت أنه على الرغم من آفته يستطيع أن يؤلف الصور الحسيّة بل أن يبدع في تأليفها(57) على أنّ تلك الصُور الحسيّة التي أبدعها دفعت الأصمعي إلى إبداء الدهشة والتعُجب منها، فقال (وُلد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصراء أن يأتوا بمثله)(58).

لوحة توصف بأنها المقصد من قصيدة المدح العربية المعروفة في فنيتّها، تستغرق ثمانية أبيات تسري فيها المباشرة في الخطاب الشعري؛ وتسعى إلى إعادة تشكيل صورة الممدوح وفق أطر فن المدح التقليدية في معانيها وأطرها. لكن بشار بن برد يبثّها روحه، ويصبغها بألوان ريشته. ففي أساليب الصياغة اللغوية يميل الشاعر إلى حمل المضامين في أوعية خاصة، فالمضمون الأول في البيتين (21 , 22) يكوّنه في إطار الفعل الماضي لأن لبابه المعنوي مشدود إلى عالمه عالم اللذة والمرأة. وفي البيتين (24 – 25) يحمل المعنى ويكوّنه في إطار النفي ليشكل به طبيعة الممدوح الجسدية والفكرية، وفي البيتين (24,23) يشكل المعنى ويزجيه محملاً بشذى التضاد في تكوين شخصية المهدي. فهو (ضرّاب, وفكاك) (يجلس ويجاهد، وهو في داخله حلم وفي درعه حزّم).

أما في البيتين الآخرين فيشكل المعنى في إطار الفعلين الماضي والمضارع ليؤكد تميّز المهدي عن غيره واقتداره على بث الأمن في نفوس مؤيديه والرهبة في نفوس غيرهم، وهو ينتمي إلى جماعة تبذّ كل الكرماء مهما حاولوا الكرم.

[الإيقاع والمعنى الشعري]

تتدخل موسيقى الشعر في تكوين المعنى الشعري، ويسهم الإيقاع في إضاءة فضاء القصيدة المعنوي، ويستغل بشار بن برد الإيقاع الموسيقى في بناء قصيدته المدحيّة، ويتناغم الإيقاع مع التموّجات الشعورية التي تنتاب الشاعر عند التعبير عن التحوّلات المضمونيّة التي يحتكم إليها الفن الشعري الخاص بالمدح.

بيد أن الشاعر في البيت الأول يلج اللوحة التي يبث فيها شوقه لماضٍ يحاول تناسيه بإيقاع بحر السريع، وتبرز حركة تموّج إيقاعي توازي جملة "وتقضّى الشباب" لكنّ هذه الهزّة الطارئة لا تلبث أن تنخرط في سياق رتابة وزن السريعِ.

ويضيف إيقاع السكون الذي ينتهي به كل شطر من أشطر أبيات القصيدة، تموجا إيقاعياً يخدم الشاعر في التعبير عن معناه، ويتصاعد التموج ويتباين تبعا للهزّة التي تنتاب الشاعر عند القول، ففي البيت الثاني مثلا، يعتري الوزن عدة اهتزازات تعبر عن التحول الذي يلغي حياة الشاعر القديمة ويدخله في عالم جديد من الانصياع للسلطة. ويتكرر هذا التموج في البيت الثالث عند انخراط الشاعر في الحديث عن الصحوة، والشوق والآخرة التي يتشكلان من خلالها.

ويزداد التناغم الإيقاعي والرتابة الموسيقية عند ولوج الشاعر عالم الماضي والحديث عنه. ويبرز ذلك في البيت الرابع على سبيل المثال، وتتناغم الموسيقى مع التناغم العاطفي الذي يبرز الشعور الصادق للشاعر في توقه لعالمه المتمثل بممارسة اللذة وتذكر أصحابها.

ويبرز التموج الإيقاعي الاهتزاز الشعوري العذب الذي يعكس التحول من مقطع إلى آخر. ففي البيت الثالث عشر، تبرز التموجات الإيقاعية من خلال الانكسارات التي تصيب بعض التفعيلات، والتموُّجات النفسية التي تنتاب الشاعر وهو يعبّر عن تحوّله نحو الانصياع للخليفة. ويسهم إيقاع التكرار اللفظي للفعل (غدا) وتتابع أدوات الربط في ذلك أيضا. ويتكرر هذا التموج الإيقاعي في بداية المقطع الثاني وبصورة أقل هزة، ففي البيت الرابع عشر، يحدث بعض الانكسار في التفعيلة الأولى في كل من الشطرين ليبرز الشعور بالمعنى الضدي في (لهوت / وصوت). فصوت المتجانسة لفظياً إلى حد ما مع لهوت يلغيان بعضهما بعضا.

ويظهر الأثر الإيقاعي في التعبير عن الأسى الداخلي للشاعر في البيت السابع عشر، فالتموج في التفعيلات يعكس الهزة الشعورية التي تنتاب الشاعر عند قوله "هجرت المنى" وقوله "ربما". وكأن هذه الكلمات تنطلق معبرة عن احتجاج نفسه على لسانه، فتهتز الكلمات عند نطقها. أما التفعيلة الأخيرة (مَفْعلات) فتكرس مع السكون الذي تنتهي به حالة الخنوع واليأس والتسليم التي تعقب الاحتجاج والارتباك.

وعند الولوج في المقطع الأخير تهتز التفعيلة الأولى المرافقة للفعل (غدا) الذي أشرت إلى تكراره في بداية المقطع الثالث، ثم لا يلبث أن يتناغم الإيقاع مع الحالة الشعورية للشاعر الذي يمارس المدح ويتوحد مع شخص ممدوحه، ويحاول إبراز أقصى درجات الانضباط النفسي الذي يتماهى فيها المادح في ممدوحه، ويصل إلى أعلى درجات الصدق الفني، لكن هذا التناغم لا يلبث أن ينتابه اهتزاز لذيذ عندما يقارب الشاعر على الانتهاء من قول قصيدته.

ففي البيتين السابع والعشرين والثامن والعشرين، يفرج الإيقاع عن المكبوتات النفسية للشاعر ويبرز الاهتزاز الإيقاعي في بعض تفعيلات البيتين ما يبطنه الشاعر من مشاعر مكبوتة تجاه لفظة (حجاب) ودلالاتها. وتشي بالمشاعر والمشاعر الأخرى المخفية التي يبطنها عند الموازنة بين سباقي (البرذون والأصيل) أو بين العربي والمولى.

ويتعاضد نمو الإيقاع الذي يحدثه تموج التفعيلات مع الأشكال الإيقاعية الأخرى في خدمة المعنى، وتعميق أصول الفن الشعري. ومن الأشكال الإيقاعية الأخرى، إيقاع التكرار والتجانس اللفظي في الأمثلة التالية (طبت، وطاب) و(ألهو والهوى) و(مجلساً ومجلسا) و(غدونا وغدا وغاديا) و(لبيك، لبيك) و(جرى، وجري) وكذلك تكرار الصيغ اللفظية في قوله (لا ناكثا ولا طالبا) و(لا كالفتى ولا ذو شباب).

ويضفي التضاد تنوعا آخر على الإيقاع المتنامي في القصيدة، ومن أمثلة ذلك التضاد بين صيغتي المبالغة (ضرّاب، وفكّاك) وكلمتي (البراذين, والعراب). كما يسهم التقديم والتأخير في تشكيل خلخلة ايقاعية تبرز المعنى ومن ذلك قوله "في صدره حلمٌ، وفي درعه مظفر الحزم".

وتتداخل البنية الإيقاعية للنص الشعري المدحي عند بشار مع الأبنية النحوية والصرفية والدلالية في تشكيل المعنى الشعري وتموجاته الشعورية التي أراد الشاعر إيصالها إلى المتلقي في زمن القول، ويبقى النص بنية مفتوحة للمتلقين يقرأونه وفقا لتجدد الثقافات عبر العصور.

وتظل القصيدة لوحات فنيّة ثلاث شكلها بشار وكوّنها بكلماته المنتقاة، امتاحت هذه الكلمات في تشكيلها للخطاب الشعري من الموروث اللغوي والمعنوي السابق للشاعر، لكنه حاول أن يجعل هذه اللوحات الثلاثة تنبني ضمن ثنائية ضدية كبرى قوامها الحداثة في مواجهة الموروث، أو الحاضر في انفلاته وسعيه نحو اللذة في مواجهة السلطة بما تملك من إرث ديني يرفض الانفلات في بحر اللذة، ويحاول تقنينه وتهذيبه. هذه الثنائية الكبرى تشكلت في سياقها علاقات النص في أبنيتها المتعددة سواء الأبنية الداخلية أو النحوية أو الصرفية أو الصوتية أو الإيقاعية، وتساوقت هذه الأبنية جميعها لخدمة فن المديح في صورته المعدّلة بعد أن اصطبغت بروح بشار بن برد المادّية. فهذه اللوحات الفنيّة التي جسّدها بشار بن برد في خطابه الشعري تشكل نتاجات إبداعية أضفى عليها الشاعر من روحه وفكره فعكست حياة جديدة من خلال هذه الصورة الشعرية التي تُعد "معياراً للعبقرية الأصيلة حين تشكلها عاطفة سائرة أو سلسلة من الأفكار والصور أو حينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة والتتالي إلى لحظة واحدة أو أخيراً حين يضفي عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرة". (59)

جاء النص وفقاً للصراع التضادي منقسماً في نصفين، نصف شكّل ذات الشاعر وما يميل إليه وما يريده، واستغرق هذا النصف اللوحة الأولى وبعض جمل اللوحتين الثانية والثالثة واستغرق هذا النصف من (1 – 13) تنضاف إليه جملتان من البيتين 14 و22 وهما من حيث الكمّ يشكلان مع اللوحة الأولى نصف القصيدة تماماً. أما اللوحتان الثانية والثالثة فتستغرقان النصف الآخر الخاص المشكل لذات الممدوح. وخصائص الفن المدحي.

ولعل بناء النص على هذا الأساس، نصف للمادح ونصف للمدوح يؤكد عبقرية بشار الشعرية، فهو لم يخرق قواعد شعر المدح العامة في أن يبدأ بمقدمة ثم يمهد للمدح ببعض الأبيات، ومع ذلك فقد استأثر فنيا بنصف النص ليجعل الحداثة والتحوّل نحو اللذة توازي في فعلها الموروث القديم المتمثل في شخصية الممدوح.

ويذكرنا هذا التوازي بعمل المتنبي في فنّه المدحي حين كان يوازي بين ذاته وذات الممدوح، فيفخر في نفسه ويتحدث عن ذاته في الوقت الذي يكبر الممدوح ويعلي شأنه ويجعل من قصيدته تحفة مدحية تعلو كل التحف، ولا ينقص من قيمتها الفنية شيئاً مع تلك الموازاة، وهذا ما فعله بشار في نصه المدحي، لكنه أخفى ذلك في بنية شعره الداخلية، ولم يبرزها كما فعل المتنبي، ولكل منهما دواعيه.

خاتمة البحث

حاولنا فيما مضى من الدراسة أن نحلل نص بشار بن برد في مدح الخليفة المهدي. فقسمنا القصيدة إلى مقاطع ثلاثة. المقطع الأول (خطاب الحداثة) وقد خلصنا في هذا المقطع إلى أن بشاراً انتابته اللهفة والحسرة عند التفكير بترك عالم اللذة الذي كان ينغمس به عشية نظم القصيدة, وتلجلج في أمره, فماج بين الاستجابة لداعي الخليفة في ترك اللهو والغزل بالنساء, والانخراط في سياق شفاعة المهدي له. وبرزت تموجات نفسه في اللغة التي تمحورت حول ثنائية ضدية كبرى تعكس الصراع بين عالم المجون وعالم السلطة, أو زمن الشاعر الحافل بانتهاب ملذات الحضارة العباسيّة في بغداد, وزمن السلطة الداعي إلى الانضباط ضمن أطر الموروث الديني والاجتماعي.

وخلصنا في تحليل المقطع الثاني المعنون (بمطاوعة الحداثة) إلى أن بشاراً ظلّ متعلقاً بعالمه الحسي, وحاول مع ذلك إقناع الخليفة بتحوله وانصياعه لأمره, وساق لذلك المبررات والحجج واستعان ببعض صور الموروث, وحاول تطويع عالمه الحسي لعالم السلطة, وقد عكست لغة النص التموُّجات النفسّية التي اختلجت نفس الشاعر. وهو يحاول تطويع ذاته في ميلها نحو الحداثة إلى السلطة الممثلة للموروث.

أما في المقطع الثالث (التصالح مع الموروث الثقافي) فقد حاول بشار إظهار التوحّد مع الخليفة, والانخراط في عالمه, وامتاح لذلك معاني مدحيّة تراثية تمجد رأس السلطة,.وعكس الإيقاع الموسيقي للأبيات هزة في أعماق نفس الشاعر عند حديثه عن بعض أدوات السلطة كالحجاب, وجري الخيل, ولم ينفك عن حنينه الداخلي إلى اللذائذ في أعلى درجات التوحد مع الممدوح أو إظهار ذلك فنّياً

Ripples of Modernity and Tradition in a Speech Bashar Ibn Burd / Poem Praising the Mahdi Model

hasan bkoor, *Department of Arabic Language and Literature, Al-Hussein Bin Talal University, maan, jordan.*

fuad shtyat, *Department of Arabic Language and Literature, Jerash University, Jerash, Jordan.*

Abstract

This study focuses on the appraisal of Bashshar Bin Bord to Al-Abbasi Khalifa-A;mahdi and this poem treats the subject of the poet executive to Al-Khalifa order in giving up the flirtation and walking as the authority, and the psychological effects which cussed by this controlled in the poet himself, and I put this research under the title "the modernist and inherited waves in Bashshar Bin Bord discourse in Almahdi Appraisal" so, I adoupt that the walking of Bashshar has amodetnist vision which under stand the side which companied Al-Abassi development, and frying to enter on it's favoring and be with the social and religious inherited which represented by Al-Abbassi khalifa, as considered the owner of an inherited religious authority.

The poem consists of three stanzas, the first stanza was titled in modernist discourse which in it, Bashshar soul enter into its world which looking for favorite in Alkohol and woman, and his attention for Almahdi demand for abandon his favorite, the first stanza world and its session and its followers.

But, the second and third stanzas perform the second half of the poem and the second stanza reveals Bashshar trying to persue Almahdi in his abandon of the favorite, and his language waves between persuading and the loyality for Alkhalifa. But the third stanza, he used it for appraising Alkhalifa in appraising adjectives such as generous, strength, and differing from others. But he put in addition to that other oppressing adjectives as the relation to our profit, and a farness of misdeeds and described him of strength, and described the shine of his face as shining from the beautiful girls face. The poem language reflected the form which is included in Bashshar himself as he trying to leave the self world into Almahdi world which is represented in the religious and politic authority.

قدم البحث للنشر في 2008/6/8 **وقبل في 2008/10/26**

الهوامش

1- ابن برد, بشار, الديوان, ج1, ص296-299, جمع وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور, الشركة التونسية للتوزيع, والشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1976.

2- الغذامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985، ص 6.

3- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، الأستاذ سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ص 134.

4- درّاج، فيصل، من النهضة إلى الحداثة المبتورة، نزوى، ع 51، يوليو 2005 ,سلطنة عمان، ص 13

5- المرجع نفسه ص13.

6- ويليامز، رايموند، طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت، حزيران 1999م، ص52، وانظر: القعود, عبد الرحمن محمد ,الإبهام في شعر الحداثة،، عالم المعرفة، مارس 2002 م، ص 74.

7- القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص75.

8- المصدر نفسه، ص76.

9- ويليامز، رايموند، طرائق الحداثة ص68.

10- القعود، الابهاه في شعر الحداثة، ص 76.

11- ويليامز، رايموند، طرائق الحداثة ص52.

12- القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص75.

13- خيربك، كمال، حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، بيروت، ط2، 1986، ص81.

14-السامرائي، ماجد، تجليات الحداثة، الأهالي للطباعة، دمشق، 1995، ص165، 166

15-القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص85.

16-الرباعي، عبد القادر، مقالات في الشعر ونقده، مكتبة عمان، الأردن، 1986م، ص14.

17-المصدر نفسه, ص14.

18-المصدر نفسه ,ص14.

19-الزعبي، أنور، الأصول الفلسفية للحداثة وما بعد الحداثة، مجلة أفكار، ع207، كانون الثاني، 2006م ,وزارة الثقافة، الأردن، ص46.

20- السامرائي، تجليات الحداثة، ص 82.

21- خير بك، حركية الحداثة، ص 82.

22- الرباعي، مقالات في الشعر ونقده، ص14، ص15.

23- الزعبي، الأصول الفلسفية للحداثة....، أفكار، ص27.

24- ويليامز، طرائق الحداثة, ص53.

25- ينظر الرباعي، مقالات في الشعر ونقده، ص15.

26- المصدر نفسه.

27- القعود، الإبهام في شعر الحداثة، ص67.

28- ابن برد، بشار، الديوان, ص51.

29- المصدر نفسه، ص 69.

30- اليوسف، إسماعيل، بشار بن برد أخباره ونماذج من شعره، دار الكتاب العربي، دمشق، 1988، ص24.

31- دراج ,فيصل ,من النهضة إلى الحداثة المبتورة ,ص15

32- ينظر ملحم، إبراهيم أحمد، جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دراسة في شعر بشار بن برد، دار الكندي للنشر، اربد الأردن، 2005، ص18-20.

33- الغذامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير، ص 268.

34- سورة الأنبياء: آية 73.

35- الرِّباعي، عبد القادر، جماليات المعنى الشعري، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص 166.

وانظر: إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، 1964، ص 256.

36- ضيف، شوقي، العصر العبّاسي الأول، دار المعارف بمصر، ط2، ص 208.

37- المصدر نفسه ص 20.

38- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, بيروت, 1948,ج1,ص16.

39- ضيف، شوقي، العصر العبّاسي الأول، دار المعارف بمصر، ط6، 1966، ص 218.

40- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة, تعليق محمد رشيد رضا, دار المطبوعات العربية. ص24.

41- الغذامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير، ص 93.

42- الربّاعي ,عبد القادر، الصورة الفنيّة في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، مكتبة الكتّاني، ط2، 1995، ص 106.

43- الموافي، محمد، حركة التجديد في الشعر العبّاسي,مطبعة التقدم, القاهرة، ص 201.

44- ربابعة، موسى، ظواهر من الانحراف الأسلوبي في شعر مجنون ليلى، مجلة أبحاث اليرموك، م8، ع2، 1989، ص58.

45- الربّاعي، عبد القادر، الصورة الفنيّة في النقد الشعري، ص 118.

46- مغيض، تركي، جماليات المكان في شعر عرار، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، م 4، ع 2، 1989، ص 197.

47- الربّاعي، عبد القادر، الصورة الفنيّة في النقد الشعري، ص 205.

48- الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 3، 1972، ص 70.

49- تشارلتن، فنون الأدب، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1989، ص 51، 52.

50- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج 3، ص 216.

51- شفيع، السيِّد، أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء، مجلة إبداع، ع 6، السنة الثانية، يونيو، 1984، ص 14.

52- محمد، أحمد علي، أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية في العصر العبّاسي، قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، والسيروان, دمشق، ط1، 1993، ص69.

53- المصدر نفسه، ص 70.

54- حسين، طه، حديث الأربعاء،الشركة العالمية للكتاب ,مكتبة المدرسة الدار الأفريقية العربية, مجلد 2, ص524

55- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 3, 187.

56- درو، اليزابيث، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة: إبراهيم محمد الشوس، مكتبة منيمنة، بيروت، 1961، ص29.

57- ضيف، شوقي، العصر العبّاسي، الأول، ص211.

58- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، 3 , 133 – 134.

59- دي لويس، سيسل، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد الجنابي وآخرين، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982، ص91.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم، حسن. (1964). **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية.

ابن برد, بشار. (1976). **الديوان,** جمع وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور, الشركة التونسية للتوزيع, والشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر.

الأصفهاني، أبو الفرج. (د.ت). **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه، الأستاذ سمير جابر، دار الفكر، بيروت.

بك، كمال خير. (1986). **حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر**، دار الفكر، بيروت، ط2.

تشارلتن. (1989). **فنون الأدب**، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الجاحظ. (1948). **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, دار الجيل, بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). **أسرار البلاغة,** تعليق محمد رشيد رضا, دار المطبوعات العربية.

حسين، طه. (د.ت). **حديث الأربعاء**، الشركة العالمية للكتاب, مكتبة المدرسة الدار الأفريقية العربية.

درّاج، فيصل. (2005). من النهضة إلى الحداثة المبتورة، **نزوى**، ع51، يوليو، سلطنة عمان.

درو، اليزابيث. (1961). **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه**، ترجمة إبراهيم محمد الشوس، مكتبة منيمنة، بيروت.

دي لويس، سيسل. (1982). **الصورة الشعرية**، ترجمة أحمد الجنابي وآخرين، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

ربابعة، موسى. (1989). ظواهر من الانحراف الأسلوبي في شعر مجنون ليلى، **مجلة أبحاث اليرموك**، م8، ع2.

الربّاعي، عبد القادر. (1986). **مقالات في الشعر ونقده**، مكتبة عمان، الأردن.

الربّاعي، عبد القادر. (1995). **الصورة الفنيّة في النقد الشعري**، دراسة في النظرية والتطبيق، مكتبة الكتّاني، ط2.

الربّاعي، عبد القادر. (1999). **جماليات المعنى الشعري**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

الزعبي، أنور. (2006). الأصول الفلسفية للحداثة وما بعد الحداثة، **مجلة أفكار**، ع207، كانون الثاني، وزارة الثقافة، الأردن.

السامرائي، ماجد. (1995). **تجليات الحداثة**، الأهالي للطباعة، دمشق.

شفيع، السيِّد. (1984). أسلوب التكرار بين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء، **مجلة إبداع**، ع6، السنة الثانية، يونيو.

ضيف، شوقي. (د.ت). **العصر العبّاسي الأول**، دار المعارف بمصر، ط2.

الغذامي، عبد الله محمد. (1985). **الخطيئة والتكفير**، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1.

القعود, عبد الرحمن محمد. (2002). **الإبهام في شعر الحداثة**، عالم المعرفة، مارس.

محمد، أحمد علي. (1993). **أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية في العصر العبّاسي**، قطري ابن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة، قطر، والسيروان, دمشق، ط1.

مغيض، تركي. (1989). جماليات المكان في شعر عرار، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، م4، ع2.

ملحم، إبراهيم أحمد. (2005). **جماليات الأنا في الخطاب الشعري، دراسة في شعر بشار ابن برد**، دار الكندي للنشر، اربد, الأردن.

الموافي، محمد. (د.ت). **حركة التجديد في الشعر العبَّاسي**, مطبعة التقدم, القاهرة.

الميداني. (1972). **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3.

ويليامز، رايموند. (1999). **طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد**، ترجمة: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت، حزيران.

اليوسف، إسماعيل. (1988). **بشار بن برد أخباره ونماذج من شعره**، دار الكتاب العربي، دمشق.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 113- 132

التناص القرآني في أرجوزة ابن المعتز في الخليفة المعتضد

رائدة أخوزهية *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الحديث عن آليات التناص القرآني التي استعان بها ابن المعتز في أرجوزته التي أرخ فيها لإنجازات الخليفة العباسي المعتضد. وتحاول في البداية أن تعرف بمفهوم التناص بشكل مختصر. ثم تقف الدراسة عند الأرجوزة وتحاول أن تقدم تعريفاً موجزاً بها وبسبب نظم الشاعر لها. ثم تتتبع الدراسة التناص ودلالاته في الأرجوزة، وتركز على توظيف الشاعر للنص القرآني من خلال تتبع الآيات والقصص القرآنية التي استوحاها الشاعر في الأرجوزة، وخلصت الدراسة إلى أن ابن المعتزاستطاع أن يعيد صياغة ما استوحاه من النص القرآني، وأن يدخله في نسيج نصه بحيث بدا وكأنه هو الذي يتحدث وليس النص القرآني.

تمهيد

حظي مفهوم التناص باهتمام كبير في الأدب العربي، وقد حاول كثير من النقاد العرب دراسته وتتبع أصوله وطرق توظيفه في الأدب العربي، فظهرت دراسات متميزة ليس هنا مجال التفصيل فيها، كما أن الدراسة لا تعنى بالجانب النظري لمفهوم التناص، وتكتفي بالحديث الموجز عن ماهية التناص القائمة على تداخل النصوص، وغرض الشاعر من توظيف التناص في أعماله، تمهيداً للجانب التطبيقي الذي غلب على الدراسة.

تنبه النقاد العرب القدامى إلى ظاهرة تداخل النصوص، التي تعد "سمة جوهرية في الثقافة العربية حيث تتشكل العوالم الثقافية في ذاكرة الإنسان العربي ممتزجة ومتداخلة في تشابك عجيب ومذهل"[(1)]، حين استخدموا مصطلحات مثل: التضمين، والسرقات الشعرية، والاقتباس، والاحتذاء... إلخ التي تقترب من ماهية التناص وإن اختلفت عنه بالمسمى؛ فالعمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماماً مثل الكائن البشري، فهو لا يأت من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ، وهو نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وبذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه[(2)]، والنص ابن النص[(3)]، وكل نص ما هو إلا إناء يحوي بشكل أو بآخر أصداء نصوص أخرى، ولاشك أن الشاعر يتأثر بتراثه وثقافته ويبني عليها شعره، فالتناص أمر لا مفر منه وهو

* قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.

موجود في كل نص شعري إذ إنه "الافكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتها"[4]. وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نفسر سبب تضمين الشاعر للنصوص التراثية في نصه الجديد الذي أراد له أن يحمل المضامين الفكرية والفنية التي يود التعبير عنها. وتعد أرجوزة ابن المعتز في مدح الخليفة العباسي المعتضد، أحد النصوص الشعرية التي ظهر فيها جلياً توظيف الشاعر للنص القرآني، موضوع هذه الدراسة.

حول الأرجوزة

تعد أرجوزة ابن المعتز "صورة مصغرة لنمط الملاحم كالإلياذة والشاهنامة سدت بعض النقص في الشعر العربي من هذا النوع"[5]، وهي نص جدير بالتأمل والدراسة لما تحويه من غنى وتنوع في الظواهر الأدبية والفنية. تتكون الأرجوزة من (420) بيتاً، نظمها الشاعر بطلب من الخليفة العباسي المعتضد (289هـ) الذي أراده أن يؤلف كتاباً يترجم فيه لسيرته، ولما اطلع الخليفة على الأرجوزة اكتفى بها عن الكتاب[6]. وفيها يسجل ابن المعتز بعض إنجازات المعتضد في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويقارن بين أوضاع الخلافة العباسية قبل مجيء المعتضد وبعد توليه الخلافة؛ إذ تبدلت الأوضاع إلى الأحسن بما عرف عن الخليفة الجديد من قوة وعدل وإصلاح قضى به على المتمردين[7]، وخلّص الدولة مما اعتراها من ضعف وخور. وتكشف هذه الأرجوزة بجلاء عما كان يعتمل في نفس ابن المعتز من أحاسيس ومشاعر نحو الخلافة العباسية التي كان يحلم بعودتها قوية كما كانت في العهد الأول؛ ولذا "كان يدعو الخلفاء من أهل بيته إلى اليقظة، والحزم والقوة، وإلى العمل المجدي لإعادة مجد الخلافة، وناضل في أرجوزته نضال الأبطال بلسانه وروائع بيانه عنها، ووقف بالمرصاد لكل الخارجين على الدولة والطامعين فيها" [8].

التناص القرآني ودلالاته في أرجوزة ابن المعتز

بعد أن تأسست دولة بني العباس، وقبض العباسيون على السلطة، أعلنوا في غير مناسبة عن عزمهم على اتباع كتاب الله وسنة نبيه، ونددوا بالأمويين أهل الجور. وبدأوا بشرح معنى العمل بالكتاب والسنة، ورسموا أبعاده، ووضحوا أهدافه، وسمَّوا أصحابه، وذكروا أن غايتهم من الالتزام بالكتاب والسنة تتمثل في تطبيق الإسلام، ورفع الظلم، ونشر العدل. وكانوا يرون أنفسهم أقدر الناس على القيام بذلك؛ لأنهم أبصر من غيرهم بروح الإسلام وقواعده، وأعرف بمراميه ومقاصده[9] حتى قال فيهم ابن الطقطقي: "اعلم أن هذه دولة من كبار الدول، ساست العالم ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تديناً، والباقون يطيعونها رهبةً أو رغبةً"[10]. ولما بويع المعتضد بالخلافة سار على نهج الخلفاء السابقين في تطبيق أحكام

الإسلام وإقامة العدل، وإقرار الأمن، وإشاعة السلام. ولعل هذا ما حذا ابن المعتز على توظيف النص القرآني في مدحه للخليفة.

أ- تناص الآية القرآنية:

يستوحي الشاعر النص القرآني في النص الفني، ويحدث تفاعلاً بين النصين من خلال المماثلة والمخالفة لبلرة الفكرة التي يسعى للتعبير عنها في نصه، ففي الأرجوزة يمهد الشاعر للحديث عن إنجازات المعتضد التي أعادت للخلافة هيبتها بذكر الله، وتمجيده بذكر بعض صفاته وأسمائه الحسنى، فقال:

بِاسْمِ الإلـه المَلِك الرَّحْمنِ ذي العِزِّ والقُدرةِ والسّلطانِ

الحَمدُ لـلهِ عـلى آلائـهِ أَحمدُهُ والحَمدُ مِنَ نَعمائهِ[11]

يمثل النص السابق استدعاء لعدد من الآيات القرآنية التي تحث على حمد الله كما في سورة الفاتحة "**الْحَمْدُ للَّهِ**"[12]، وقوله تعالى: "**وَهُوَ اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**"[13]. ويلحظ أن الشاعر اختار في بيتيه السابقين من أسماء الله الحسنى وصفاته ما يدل على القوة (الملك، ذو العز، والقدرة، والسلطان) لتنسجم دلالة هذه الأسماء والصفات مع ما تم تحقيقه من إنجازات لم تكن لتتحقق إلا بالقوة، والحزم والعزم، والشجاعة التي هي متطلب أساسي– كذلك- للقضاء على ثورات المتمردين الذين كان لا بد من إشعارهم بقوة السلطة المركزية لئلا يتمردوا ثانية.

وفي توظيف صفة الرحمن في البيت الأول السابق إظهار لرحمة الله بالمعتضد، الذي منّ الله عليه بتحقيق هذه الإنجازات الكبيرة على يديه، ومكنه من إعادة الهيبة للخلافة؛ ولا شك أن هذا من موجبات الحمد والشكر لله. ويلحظ أن الشاعر استخدم في البيت الثاني صيغة المصدر مرتين عند حمده الله؛ وذلك للدلالة على استحقاقه سبحانه الحمد، فهو محمود قبل حمد الحامدين وشكر الشاكرين[14]. وخص نفسه بالحمد بقوله (أحمده) للتنبيه على ميزة الحمد، وأهمية صدور هذا الفعل عن الإنسان نفسه؛ فحمد غيره لا يغني عن حمده، والتعبير عن هذا الحمد بالفعل المضارع يدل على استمرارية صدور فعل الحمد عن الشاعر الذي يدرك تماماً أن قدرته على مواصلة الحمد، تعد نعمة من نعم الله التي تستوجب الشكر.

وحتى يبين ابن المعتز قدرة الله-سبحانه تعالى– في تحقيق مراده بسرعة غير متناهية استعان بالفاء في قوله:

أبـدعَ خَلْقاً لـم يكـن فكانـا وأظهـرَ الـحُجَّةَ والبيانـا[15]

وقد استوحى الشاعر في البيت السابق مضمون ثلاث آيات قرآنية دالة على قدرته سبحانه وتعالى، وهي قوله: **"قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"**[16]، وقوله تعالى: **"أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً"**[17]، وقوله تعالى: **"بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"**[18]. ويلحظ أن الشاعر دمج بين دلالة النصوص الثلاثة في بيته السابق؛ فالله هو الذي أوجد الخلق من العدم لما أراد ذلك، ويبدو من سياق الأرجوزة، أن الأمر الذي أراده الله هو أن تصان الخلافة ويعاد لها هيبتها على يد المعتضد. واستوحى -أيضا- لفظة (أبدع) من الآية الأخيرة للدلالة على الخلق من العدم، ثم نكر كلمة (خلقاً) لتشمل كل ما خلقه الله دون تحديد، ولا يستطيع فعل ذلك إلا القادر على كل شيء القائل: كن فيكون.

وعد الشاعر انتصارات الخليفة، التي أفاض بالحديث عنها في ثنايا أرجوزته، مظهراً من مظاهر رضى الله على الخليفة، ونعمة من نعمه عليه وعلى المسلمين كما يتضح من قوله:

حَتّى قَضى اللَهُ لَهُ بِالفَتحِ ... مِن بَعدِ طولِ تَعَبٍ وَكَدْحِ

وَنَصَبَ الناسُ لَهُ القِبابا ... وَشَكَروا المُهَيمِنَ الوَهّابا[19]

يمثل البيت الأول استدعاء لغير آية قرآنية تحمل المعنى نفسه من مثل قوله تعالى: **"وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"**[20]، وقوله تعالى: **"وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"**[21]. وتتفق النصوص السابقة في الدلالة على أن النصر من عند الله، يمن به على من يشاء من عباده إذا استحقه، وهذا ما حدث مع المعتضد الذي-كما صوره الشاعر-يبذل كل جهده لتحقيق النصر. ويجمع الشاعر في بيته السابق بين (التعب والكدح) ليكني عن تغلب المعتضد على العقبات التي صادفته بفضل إعداده، واستعداده الجيد، وأخذه بالأسباب ثم توكله على الله. ولم ينس الشاعر المنعم في غمرة التنعم بالانتصارات التي حققها المعتضد؛ فصور الناس يشكرون المهيمن الوهابا الذي لولا توفيقه لهم لما حققوا مثل هذا الإنجاز. وجمع الشاعر الصفتين معاً في سياق واحد؛ ليدل على أن تحقيق النصر يقتضي اجتماعهما؛ أي الجمع بين القوة والشدة من جهة، والمن والعطاء من جهة أخرى.

وختم الشاعر تمهيده بالصلاة على النبي—صلى الله عليه وسلم-فقال:

وَجَعَلَ الخاتِمَ لِلنُبُوَّه ... أَحمَدَ ذا الشَفاعَةِ المَرجُوَّه[22]

مستوحياً في ذلك ما جاء في قوله تعالى: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ من رجَالِكُمْ ولكِن رسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ"[23]، وقوله تعالى: "إِنّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ"[24].

ب- التناص القصصي القرآني:

يوظف ابن المعتز قصص القرآن الكريم في أرجوزته، ويضفي عليها أبعادا جديدة تنسجم والمضمون الذي أراد التعبير عنه. ومن القصص القرآنية التي وظفها ابن المعتز:

1- قصة موسى عليه السلام:

يوظف ابن المعتز قصة موسى–عليه السلام- من خلال استدعاء شخصية فرعون، وما يرتبط بها من تمرد وتيه وضلال. فأثناء حديثه عن الذين عاثوا فساداً في الدولة العباسية، وحاولوا التمرد عليها، وشق عصا الطاعة، خص فرعون بالذكر فقال:

وَكانَ قَد مَزَّقَ ثَوبَ المُلْكِ   طَوائِفُ إيمانُهُم كَالشِركِ
فَمِنهُمُ فِرعَونُ مِصرَ الثاني   عاصي الإِلَهِ طائِعُ الشَيطانِ[25]

و في بادئ الأمر بدا الشاعر متردداً أو متهيباً من وصف المتمردين بالشرك صراحة، ولعل هذا ما جعله يستخدم (الكاف) في تشبيه إيمانهم بالشرك ليشعر القارئ بوجود فاصل بينهم وبين الشرك، ثم تخلى ابن المعتز عن تردده هذا وتجرأ على وصفهم بالشرك صراحة حين عد فرعون واحداً منهم. ولما كان أحمد بن طولون -الذي ملك عرش مصر من (254-270هـ)-[26] في نظر الشاعر رمزاً لقمة التمرد والعصيان البشري؛ جاء وصفه بالعاصي ليتوكد هذا المعنى، وفي ذكره طاعة الشيطان المتضمنة أصلاً في عصيان الله تصويراً لعظم طغيان فرعون، وتمرده الذي استوحاه من خطاب الله لموسى –عليه السلام–: "أذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى"[27]. ومما لا شك فيه أن الشاعر استحضر في ذهنه النص القرآني عندما سمّى مَن تمرد على الدولة العباسية، فرعون مصر، وفرعون الثاني تمييزاً له عن فرعون الأول، مشيراً بذلك إلى اتباع المتمردين نهج فرعون في الضلال والطغيان والفساد؛ ففرعون الثاني لم يرث عن فرعون الأول أسوأ ما فيه من صفات فقط، وإنما تفوق عليه في الضلال كما يتضح من قوله في العلوي*:

شَيخُ ضَلالٍ شَرُّ مِن فِرعَونِ   لِحيَتُهُ كَذَنَبِ البِرذَونِ[28]

وفي قوله (شيخ ضلال) مفارقة قصد ابن المعتز بها أن يعبر عما أراده من توصيف لسوء أفعاله، فكلمة شيخ تطلق على ذي المكانة من علم أو فضل أو رياسة[29]، أما أن تطلق على شيخ في الضلال فهذا غير المتوقع، كما أن كلمة شيخ توحي بتفوق صاحبها وإحرازه درجة عالية، ولكنه تفوق في الضلال! وبذا جاءت هذه الكلمة متلائمة ومنسجمة مع كلمة فرعون. وعبر الشاعر بالجملة الاسمية (شيخ ضلال) لتوحي بتأصل الشر ورسوخه في العلوي، بحيث بات هو والضلال والشر متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر. وإمعاناً في التعريض به رسم له صورة ساخرة مضحكة، فشبه لحيته بذنب البرذون*.

واستوحى الشاعر قصة فرعون ثانية ليصور سوء الأفعال التي ارتكبها المتمردون في الدولة العباسية فقال:

وَهُم بَنَوا حِصناً صُراحاً مُحكَما   فَاتَّخَذوا إِلى السَماءِ سُلَّما[30]

جسد الشاعر الجور (الأمر المعنوي) في صورة الصرح (القصر العالي) المحكم البناء، ولم يكتف بما توحيه كلمة صرح/قصر من فخامة وإتقان، فوصفه بالمحكم (المتقن) ليبالغ في تصوير سوء أفعالهم، وحرصهم على إتقانها، فهم أخلصوا في بناء باطلهم، وفي الوقت ذاته فإن كلمة الصرح تعني فيما تعنيه البناء العالي الذاهب في السماء[31]، وفي هذا تعبير عن شدة عتوهم وظلمهم، وإرادتهم الصعود إلى السماوات العلى بما بنوه من صرح. والشاعر في تصويره السابق يستوحي قوله تعالى: "وَقَالَ فرْعَوْنُ ياهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أسباب السماوات"[32].

يتجسد التناص بين النصين الديني والشعري من خلال المماثلة والمخالفة. فقد شاكل النص الجديد النص التراثي في التمرد والثورة، وخالفه في التنفيذ، فإذا كان فرعون-كما صوره النص القرآني-قد طلب من هامان أن يبني له صرحاً ليصعد به إلى السماء، فإن متمردي الدولة العباسية تفوقوا على فرعون في تمرده، ونفذوا ما عجز فرعون–رمز الطغيان والضلال-عن تحقيقه، فبنوا الصرح واتخذوا منه سلماً للصعود، وتحول الرجاء في قول فرعون (لعلي) إلى أمر نافذ في قول الشاعر عن المتمردين (فَاتَّخَذوا إِلى السَماءِ سُلَّما)، وفي استخدام الفاء ما يدل على السرعة في الإنجاز، وبالتالي السرعة في الصعود. ويعود الشاعر مجدداً إلى المفارقة في الشطر الأول من البيت، فيربط بين الحرص على إتقان العمل والظلم؛ فالإنسان يحرص على إتقان العمل إذا كان فيه (العمل) الخير والصلاح، أما أن يحرص على إتقان الباطل فهذا مما تستهجنه الطبيعة البشرية ويخرج عن المنطق.

وصور الشاعر المعتضد يحقق الإنجاز تلو الإنجاز، فهو بعد أن قضى على المتمردين على الدولة، التفت إلى الواقع الاجتماعي فهاله ما رآه من انتشار اللصوصية في البلاد؛ ولذا جرد حملة للقضاء على هذه الظاهرة، ومن ثم إشاعة الأمن والطمأنينة في البلاد كما يظهر من قوله:

وَكَبَسَ اللُصوصَ وَالأَكرادا   وَأَمَّنَ البِلادَ وَالعِبادا

وَجَزِعَت مِن خَوفِهِ الفَراعِنَه   فَأَصبَحَت سُفنُ التِجارِ آمِنَه[33]

يصور ابن المعتز الفراعنة، رمز الطغيان والتمرد والشر، كما وصفهم النص القرآني، جزعين خائفين لأنهم وجدوا من يقف لهم بالمرصاد، ويضع حداً لجبروتهم، ويكني بذلك عن قوة المعتضد وشجاعته في القضاء عليهم، وتأمين السفن بعد زوال خطرهم.

وفي إطار دفاع الشاعر عن حق العباسيين في الخلافة في صراعهم مع العلويين، رسم صورة مشرقة لجدهم (العباس)* فصوره واقفاً يدعو الله لينزل الغيث فقال:

ذاكَ سَقى اللَهُ بِهِ عَلِيا　　وَعُمَراً مِنَ السَماءِ الرِّيّا
وَنَصَبوهُ قائِماً يَدعو لَهُم　　فَحَقَّقَ الرَحمَنُ فيهِ سؤلَهُم[34]

في النص السابق يوظف الشاعر حادثة تاريخية وقعت في عام الرمادة،زمن الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- حين أجدب الناس، واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس قائلاً: "اللهم إن هؤلاء عبادك وبنو إمائك أتوك راغبين متوسلين إليك بعم نبيك، فاسقنا سقيا نافعة تعم البلاد وتحي العباد، اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك ونستشفع إليك بشيبته"، فسقوا[35]. وقد عبر ابن المعتز عن سرعة استجابة الله لدعاء العباس بقوله: (فَحَقَّقَ الرَحمَنُ فيهِ سُؤلَهُم) مستمداً قوله هذا من قوله تعالى في قصة موسى–عليه السلام-: "**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسَى**"[36]، مستغلاً معنى الفاء الدالة على الترتيب مع التعقيب. ولما كانت الإغاثة بحاجة إلى رحمة الله –عز وجل– اختار الشاعر من أسمائه الحسنى الاسم المتناسب مع المضمون، فجاء الرحمن بدلالته على رحمته سبحانه التي وسعت كل شيء؛ وأنزلت لهم الغيث بعدما قنطوا.

2- قصة سليمان عليه السلام:

صور الشاعر إنجازاً آخر من إنجازات المعتضد التي تمثلت في النهضة العمرانية التي جسدها في بنائه للقصور الفخمة حين قال:

فَمَن رَأى مِثلَ الثُرَيّا قَصراً　　كَم حِكمَةٍ فيهِ تُخالُ سِحرا[37]
وَبِالزُبَيدياتِ لا تَنساها　　قُرَّةُ عَينِ كُلِّ مَن رَآها[38]

وتذكرنا القصور في عهد المعتضد بالتماثيل والمحاريب التي بناها الجن لسليمان-عليه السلام-كما جاء في قوله تعالى: "**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيل**"[39]. ولم يكتف ابن المعتز بتشبيه النهضة العمرانية التي حدثت في عهد المعتضد بالنهضة العمرانية التي حدثت في عهد سليمان، فأبرز تفوق الأبنية في عهد الأول على ما بناه الجن في عهد النبي سليمان، وذلك حين قال:

وَمُذكِراتٍ لِجِنانِ الخُلدِ　　لِكُلِّ ذي زُهدٍ وغيرِ زُهْدِ[40]

فالأبنية في عهد المعتضد لا مثيل لها، وهي تذكر بجنان الخلد على الرغم من أن بناتها من البشر، وليس الجن كما هو الشأن في عهد سليمان؛ ولذا وصفها قائلاً:

أَبنِيَةٌ فيها جِنانُ الخُلدِ　　تَفْقَأُ أحداقَ مُلوكِ الشركِ[41]

وفي قوله السابق كناية عن شدة جمال الأبنية التي تحل فيها جنان الخلد كما يفهم من استخدام الشاعر لحرف الجر (في) الذي يفيد استغراق الظرفية. وفي استخدامه الجملة الاسمية (أَبنِيَةٌ فيها جِنانُ الخُلدِ) تعبير عن استقرار الجمال، وثباته في تلك الأبنية التي توحي بشموخها وعظمتها، وقوة من أمر ببنائها واقتداره:

تُخبِرُ عَن عِزٍّ وَعَن تَمكينِ   وَحِكمَةٍ مَقرونَةٍ بِالدِّينِ[42]

يستوحي ابن المعتز الصفات السابقة مما قصه علينا القرآن الكريم من صفات سليمان، ولم يستوح الشاعر نصاً بعينه، وإنما كون تصوراً عاماً من خلال وصف القرآن الكريم لسليمان بالعلم والحكمة في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً**"[43]، وقوله تعالى: "**وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً**"[44]، ويوحي النص القرآني بقوة سليمان –عليه السلام –واقتداره، وهذا ما استحضره ابن المعتز حين مدح المعتضد، وصور إنجازاته العمرانية.

3- قصة نوح عليه السلام:

أطال الشاعر الوقوف عند حركات التمرد والفتن الكثيرة التي شهدتها الخلافة العباسية، ونجاح المعتضد في القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى بعلو همته. وفي قول الشاعر عن قضاء المعتضد على تمرد محمد بن زيد صاحب طبرستان، وتمكنه من قتله عام 287هـ[45]:

ثُمَّ ابنُ زَيدٍ بَعدَ ذاكَ قَد قُتِلْ   لَم يُنجِهِ حِصْنٌ وَلا رَأسُ جَبَلْ[46]

استيحاء للحوار الذي دار بين نوح –عليه السلام–وابنه في قوله تعالى: "**وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يابُنَيَّ ارْكَبَ مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**"[47]. وحافظ الشاعر في بيته السابق على مضمون النص القرآني وسياقه، فكلا النصين جاءا في معرض الحديث عن الهلاك وعدم النجاة. واكتفى الشاعر بذكر مؤشر سريع دال على النص القرآني (لم ينجه رأس جبل) معتمدا على ذكاء القارئ وثقافته ليدرك مراده في تشبيه حال ابن زيد بحال ابن نوح حين اعتقد كلاهما أن اللجوء إلى الجبل سيحميهما من قدرهما. وكما استحق ابن نوح الغرق لكفره وتمرده على نصح والده، استحق ابن زيد؛ بتمرده على ولي أمر المسلمين وشقه عصا الطاعة، القتل.

وفي تصويره لسوء أوضاع مدينة الكوفة بسبب كثرة الثورات والفتن التي حلت بها، وظف الشاعرحادثة الطوفان في قصة نوح –عليه السلام– فقال:

وَعَشَّشَ السِحرُ بِها وَفَرَّخا   ثُمَّ بَنى بِأَرضِها وَرَسَّخا[48]

لقد كنى الشاعر بقوله (عشش السحر) عن سوء حال الكوفة، مشبها الأمر بالطائر الذي استطاب الإقامة في المكان، ففرخ فيه وأنجب فراخه تمهيداً للاستقرار والثبات، ثم زاد صورته إيضاحا بتشبيهه الأمر الشديد بكائن حي يبني له مسكنا في ذلك المكان. وترك الشاعر للأفعال (عشش– بنى– رسخا) تصوير حال مدينة الكوفة خير تصوير؛ إذ توحي تلك الأفعال على التوالي بالخطر، وبالإقامة الدائمة، وبالثبات والتشبث في الإقامة. واستعان الشاعر بـ(ثم) للدلالة على طول الفترة الزمنية التي قضاها أهل الكوفة وهم يعانون من سوء أوضاعها. وبعد أن مهد لفكرته في بيته السابق، استوحى مضامين الآيات التالية: "**حَتَّى إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ**"[49]، "**وَقِيلَ ياأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَياسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**"[50]، "**فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَآءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**"[51]، ودمج بين ما ورد فيها في قوله:

وَغَرِقَ العالَمُ مِن تَنُّورِها	جَزاءَ شَرٍّ كانَ مِن شُرورِها
وَهَرَبَت سَفينَةُ الطُّوفانِ	مِنها إِلى الجُودِيِّ وَالأَركانِ[52]

ولولا معرفتنا السابقة بالنصوص القرآنية لما أحسسنا أنه استمد قوله السابق منها، ونجح الشاعر فيما فعله لأنه استطاع إدخال ما استوحاه من النصوص القرآنية في نسيج نصه بحيث جعل الجزء المستعار جزءا من لبنات نصه مندمجا معه ورافدا له[53]. وأباح الشاعر لنفسه تحوير ما استوحاه من النص القرآني، وتعديله بمقدار ما يخدم فكرته، فشبه مدينة الكوفة بالتنور الذي كان فورانه علامة دالة على قرب بدء حدوث الفيضان، وتضمن تشبيهه السابق كناية عن تأصل الشر في مدينة الكوفة في ذلك الوقت، فقد صورها بالتنور الذي منه انطلقت شرارة الطوفان، ثم صور العالم يغرق بفعل شرورها وأذاها للدلالة على أنها أصبحت بؤرة للفساد، ولم يقتصر أذاها على نفسها بل شمل العالم كما قال، وفي هذا كناية عن سوء أوضاعها بدليل قوله (جزاء شر كان من شرورها)، ويمكننا ملاحظة إفراده لكلمة شر ثم جمعه لها فيما بعد، ليبين أن ما حدث كان جزاء بسيطاً على شر من شرورها، فكيف لو كان الجزاء على شرورها كلها، وترك الشاعر لخيال القارئ تصور ماهية ذلك الشر الذي كاد جزاؤه يغرق العالم كما وصف. وفي تصويره للسفينة تغادر الكوفة لتفر من شرورها تشبيه للمدينة بالطوفان الذي كاد يغرق السفينة، وصورها تستقر فوق الجودي كما وصف النص القرآني، ولئن حافظ الشاعر على مضمون النص القرآني إلا أنه خالفه عندما صور السفينة تهرب للنجاة بمن فيها، وكأنه أراد بيان أن الشر والأذى الذي عم الكوفة في ذلك الوقت، كان أخطر من الطوفان الذي حدث في عهد نوح–عليه السلام-بدليل تصويره للسفينة وسيلة النجاة من الطوفان تهرب من المدينة خشية الغرق. وعبر الشاعر شأنه

شأن النص القرآني بصورة تموج بالحركة الناتجة عن صورة السفينة والأمواج تتقاذفها يمنة ويسرة وهي تحاول التمسك للنجاة، ثم جاءت الصورة الحسية البصرية المقابلة لها تفيض بالهدوء والأمن باستقرار السفينة فوق الجودي كناية عن زوال الخطر.

وفي حديثه عن السبب الذي أدى إلى غرق الكوفة في الشرور والآثام قال الشاعر:

وَلَـم يـَزَلْ سُكَّانُـها فُجّارا مُستَبصِراً في الشِركِ أَو سَحّارا[54]

مستوحيا بذلك مضامين قوله تعالى: **"وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً"**[55] وقوله سبحانه: **"وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ"**[56] وقوله تعالى: **"وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ"**[57] مكتفيا في هذا بذكر إشارات سريعة يتكئ عليها القارئ في فهم التناص، فهو ضمنا شبه سكان الكوفة الذين انتشر الفساد فيهم بقوم نوح–عليه السلام-بدليل وصفه لهم بالفجار، كما وصف نوح قومه. ثم شبههم بعاد وثمود الذين تمردوا وأفسدوا في الأرض متعمدين؛ فهم لم يكن ينقصهم العقل ولا الفهم كما وصفهم القرآن الكريم(مستبصرين)، ثم شبه الشاعر سكان الكوفة بقوم فرعون وملئه الذين بين لهم موسى-عليه السلام-أن السحرة لا يفلحون، وفي تشبيهه سكان الكوفة بقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وملئه والسحرة قبل إيمانهم، بيان إلى أن مدينة الكوفة استحقت ما حدث لها بما استحقه أهلها الذين وصفهم على التوالي بالفجار والمستبصرين في الشرك والسحار شأنهم شأن عاد وثمود، ولذلك جاءت صيغتا المبالغة(فجار وسحار)لتعبر عن شدة ما هم فيه من تيه وضلال بعدما وضح لهم الأمر واستبان، والمفارقة تتضح في إصرارهم على ضلالهم وفسادهم وتعمقهم فيه، لذا جاءت (في) بدلالتها على الظرفية لتفيد استغراقهم في الشرك، وهو ينكر عليهم فعلهم هذا لأنه جاء بعد وضوح الحق لهم. ويعرض بهم لأنه كان ينبغي عليهم بعد وضوح الحق التمسك به لا الانغماس في الضلال؛ لذا جاءت المفارقة في قوله السابق لتتمم جوانب الصورة السيئة التي رسمها لهم، وهي لا تقل سوءا عما فعله قوم نوح–عليه السلام-مما دفعه إلى الدعاء عليهم، ولا عما فعله ثمود وعاد.

واستحق سكان الكوفة بما فعلوا العقاب كما بين ابن المعتز في قوله:

فَفَرِّقـوا وَبُـلبِـلوا بِلْبـالا وَبُدِّلوا مِن بَعدِ حالٍ حالا[58]

مستوحياً قوله تعالى: **"وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ**

سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ"(59) ليحدثنا عن المصير السيئ الذي آل إليه حالهم، شأنهم شأن الذين كفروا وبخاصة آل فرعون كما وصف النص القرآني. ونعى الشاعر عليهم أنهم بدلوا ما كانوا فيه من خير ونعيم إلى عكسه؛ لذلك بنى الفعل إلى المجهول (بُدلوا) لأن المهم هنا الحدث (التبديل) وليس عمن صدر. وجاء تصويره هذا ليعبر عن سوء فعلهم، وما كان أغناهم عن هذا التبديل الذي انعكست آثاره الوخيمة عليهم بدليل قوله (تفرقوا وبلبلوا بلبالا)، ومع أن كلمة تفرقوا توحي بالتشتت والتجزئة إلا أنه آثر إضافة وبلبلوا بلبالا ليزيد في تعميق المعنى، وفي تصوير سوء حالهم وشدة العذاب الذي حل بهم.

4- قصة عاد:

أكثر ابن المعتز في أرجوزته من الحديث عن حركات التمرد التي نجح المعتضد في القضاء عليها، مستوحياً في تصوير أوضاع المتمردين قصة عاد الذين طغوا وعصوا أمر ربهم، فقال:

وشرَّعوا شـرائعَ الفَسـادِ   وَأُهـلِكوا إهلاكَ قَومِ عـادِ(60)

والشاعر في نصه السابق يوظف الآيات القرآنية التالية: "**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ** "(61)، "**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**"(62)، "**وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى**"(63) في تصويره لشدة العذاب والهلاك الذي حل باللصوص الذين انتشروا في عهد المعتضد، بحيث استأصلهم ولم يبق منهم أحد كما هو شأن الله مع عاد بدليل قول ابن المعتز (أهلكوا إهلاك). وعمد الشاعر بعد أن عمم العذاب في بيته السابق إلى تفصيله وبيانه في البيت التالي فقال:

فَأُودِعـوا السُفـنَ مُكَتَّفينـا   مُغَلْغَلينا وَمُصَفَّدينـا(64)

وأظن أن هذا التفصيل أضعف من قوة الصورة التي رسمتها الآيات القرآنية لإهلاك عاد، فالهلاك بدا عاماً وعظيماً كما صوره النص القرآني، وكما صوره الشاعر في بيته الأول، ولكن الشاعر مزقه في بيته الثاني حين قصره على أناس مكتفين ومصفدين في السفن، ولو اكتفى بالبيت الأول لكان أفضل، إلا أن تصويره للصوص المصفدين يعبر عن حالة الذل والهوان الذي علاهم بعد القضاء عليهم أكثر من تصويره شدة العذاب الذي حل بهم. وفصل النص القرآني في ماهية العذاب الذي حل بعاد؛ فهو تارة الريح العقيم، وتارة الريح الصرصر، وتارة غضب الله عليهم وطردهم من رحمته، وشتان بين صور العذاب الآنفة الذكر والتصفيد في السفن! ولئن لم يوفق الشاعر فيما مضى إلا أنه وفق في توظيف ما استوحاه من قصة عاد حين شبه فساد القرامطة واستحقاقهم العقاب، بفساد عاد واستحقاقهم العذاب.

وَشَـرَّعـوا شَـرائِعَ الفَسـادِ   وَأهـلِكوا إهِلاكَ قَـومِ عـادِ[65]

مشيراً إلى قوله تعالى: "**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**"[66]. وإذا كان النص القرآني تحدث عن طغيان عاد وفسادهم، فإن الشاعر فعل الشيء نفسه، وفصل في الموبقات التي ارتكبها القرامطة بعد أن ذكر المعنى مجملاً في قوله (وَشَرَعوا شَرائعَ الفَسادِ)، مستعيناً بإيجاز القصر الذي يعرف بقدرته على التعبير عن المعنى الكثير والعميق باللفظ القليل الذي يغني عن ذكر كثير من التفاصيل التي يمكن للقارئ تقديمها وفهمها.

5- قصة إبراهيم عليه السلام:

استوحى ابن المعتز في وصفه مدينة الكوفة حين قال:

مَصنوعَةٌ بِكُفرِ بُختَ نُصَّر   وَكُفرِ نَمرودٍ إِمامِ الكُفَّر[67]

قصة النمرود مع إبراهيم-عليه السلام-ليكنى عن سوء أوضاعها، وانتشار الفساد فيها، فشبهها بمدينة مصنوعة من الكفر، مكرراً كلمة الكفر في بيته السابق ثلاث مرات ليوحي بشدة تمردها وطغيانها، واستعان بإيجاز القصر في قوله (نمرود إمام الكفر) ليعبر عن شدة ضلالها وتيهها حيث صور إمام الكفر نمروداً يقودها. ولم يحدثنا الشاعر عن تفاصيل قصة النمرود مع إبراهيم –عليه السلام– مكتفيا بذكر إشارة عابرة إلى تلك القصة لكنها كافية للدلالة على مراده، مستمدا تصويره السابق من قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**"[68].

واستوحى الشاعر قصة إبراهيم ثانية حين قال:

وَهُم رَمَوا في النـارِ إِبراهيـما   لَمّـا رَأَوا أَصنـامَهُـم رَميما[69]

يصور ابن المعتز سوء أفعال سكان مدينة الكوفة الذين انقادوا لأئمة الكفر، مشبهاً إياهم بقوم إبراهيم الذين استشاطوا غضبا منه عندما رأوا أصنامهم مكسرة، واستمروا على ما هم فيه من ضلال وعناد، مستوحيا ما قصه القرآن الكريم في سورة الأنبياء[70]، وأطال النص القرآني في ذكر تفاصيل الحادثة، فسرد لنا الحوار الذي دار بين إبراهيم–عليه السلام–وقومه، وقرارهم إحراق إبراهيم لنصر آلهتهم، لكن الشاعر اكتفى بذكر مؤشر سريع دال على النص القرآني، وخالف النص القرآني بنسبته إلى قوم إبراهيم أفعالا لم يفعلوها، فهو صورهم كسروا دمى إبراهيم في البئر

انتقاما لأصنامهم، مخالفا بذلك ما صرح به النص القرآني من نيتهم حرق إبراهيم. كما أن الشاعر خالف النص القرآني ثانية بتصويره للأصنام باتت رميما، وحقيقة الأمر أن إبراهيم اكتفى بتكسير الأصنام، ويمكن قبول تصوير الشاعر للأصنام بالرميم إذا كان يريد الإيحاء إلى أن الباطل لا محالة زائل، فتكسير إبراهيم للأصنام ممهد لزوالها وزوال عبدتها، فهي ستؤول فيما بعد إلى أن تكون رميما.

6- قصة إرم ذات العماد:

لم يغفل الشاعر الحديث عن الإنجازات العسكرية الخارجية للمعتضد التي تمثلت في فتحه لمدينة آمد في عام 286هـ كما جاء في قوله:

وَأعظَمُ الفُتوحِ فتحُ آمِدِ ... مَعْقِلِ كُلِّ فاجِرٍ مُعانِدِ
لَم تَرَ قَطُّ مِثلُها مَدينَه ... مَنيعَةً بِسورِها حَصينَه(71)

مستوحياً قوله السابق من الآية الكريمة: "**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**"(72) مشبهاً مدينة آمد بأرم ذات الأبنية الرفيعة المحكمة بالعمد التي كما وصفها النص القرآني لم يخلق مثلها في البلاد، أما الشاعر فوصف آمد بـ (لم ترقط مثلها مدينة). والوصف القرآني أعمق من وصف الشاعر؛ لأن النص القرآني قال (لم يخلق)، والخلق يدل على الإبداع والإيجاد دون مثال سابق، أما الشاعر فاكتفى بقوله (لم تر مثلها)، وعدم الرؤية لا ينفي عدم وجود شبيه أو مثيل لتلك المدينة، وكأنه أحس بهذا الأمر، ولذلك أضاف كلمة (قط) للإفادة من اختصاصها بالنفي ودلالتها على استغراق الزمن الماضي، لكن يبقى التصوير القرآني أشمل وأعمق لأنه يوحي بالعظمة والعموم بدليل قوله (البلاد)، بينما يبدو تصوير الشاعر تصويراً جزئياً محدوداً بدليل قوله (مدينة). ويمكننا ملاحظة الفرق بين دلالة المدينة والبلاد من الإفراد والجمع والتنكير والتعريف. وحرص الشاعر على تصوير مناعة المدينة مستفيداً من إيحاءات ألفاظ (معقل، منيعة، حصينة) ليكني عن عظم الإنجاز الذي تحقق، ولو لم يكن الخليفة متميزاً بحسن تدبيره وتخطيطه وقوته لما استطاع فتح مثل تلك المدينة، وإعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية.

وختم الشاعر أرجوزته بالتأريخ لوفاة المعتضد فقال:

وَماتَ بَعدَ مِائتَينِ قَد خَلَتْ ... في عامِ تِسعٍ وَثَمانينَ مَضَتْ
وَالحَيُّ مُنقادٌ إِلى الفَناءِ ... وَالرزقُ لا بُدَّ إِلى اِنتِهاءِ(73)

مستوحياً مضمون عدد من الآيات القرآنية التي تبين حتمية الموت كقوله تعالى: "**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**"(74)، ليعزي نفسه، وليخفف من إحساسه بالألم لرحيل الخليفة الذي أعاد للخلافة هيبتها. وعبر النص القرآني والنص الشعري بالجملة الاسمية عن حتمية الموت تلك الحقيقة الثابتة

والمستقرة في الوجدان؛ فالحي منقاد للموت، خاضع له مستسلم، لا يستطيع النجاة أو الإفلات منه، مستوحياً في ذلك ضمناً قوله تعالى: "**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**"(75) وربط الشاعر بين انتهاء الأجل، وحتمية الموت، وانتهاء الرزق في قوله (وَالرزقُ لا بُدَّ إِلى اِنتِهاءِ) مستخدماً الجملة الاسمية، لأنه يتحدث عن حقيقة ثابتة ومستقرة وهي انتهاء الرزق بانتهاء عمر صاحبه.

خاتمة:

عنيت هذه الدراسة ببحث ظاهرة توظيف النص القرآني في أرجوزة ابن المعتز في مدح الخليفة العباسي عن طريق التناص. وتكشف هذه الظاهرة في الأرجوزة عن قدرة التراث على التواصل مع الحاضر. وبعد أن تتبعت الدراسة المرجعيات النصية في الأرجوزة، توصلت إلى أن الشاعر كان واعياً لما اقتبسه من النص القرآني، ونجح في إعادة صياغة ما استوحاه منه، وأدخله في نسيج نصه بحيث بدا وكأنه هو الذي يتحدث وليس النص القرآني، وهذا دليل على قدرة الشاعر على" إنتاج منظومة نصية مختلفة نوعيا عن مجرد إضافة وحدتين إحداهما إلى الأخرى"(76)، معتمدا في هذا المجال على ما تركه للقارئ من إشارات دالة على النصوص القرآنية.

The Quran Interextualite in Ibn Al-Mu'taz's Poetry (poems in the meter) for Al-Mu'tadh Caliph

Raeda Aku zhia, *Department of Arabic Language and Literature, Hashemite University, Zarqa, Jordan.*

Abstract

The study aims at showing the techniques of the Quran Interextualite which Ibn Al-Mu'taz made use of in his poems written in meter, these poems in which he wrote the history of Al-Mu'tadedh Caliph's achievements. It, first, attempts to identify the concept of "Interextualite" briefly. The study also gives a brief definition of "the poem in meter" as well as introduces the reason for writing it. In addition, the study traces the Interextualite and its indications in his "poem in meter". It is important to mention that there is a focus on the poet's use of the Quran text through tracing the verses and the stories of the Quran which the poet inspired from in his "poem in meter". Finally, the study concludes that Ibn Al-Mu'taz was able to paraphrase what he had inspired from the Quran and to merge it in the texture of his text so as it appears as if he actually speaks not the Quran text.

قدم البحث للنشر في **2008/2/20** وقبل في **2009/9/3**

الهوامش:

(1) الغذامي، عبدالله، ثقافة الأسئلة "مقالات في النقد والنظرية"، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط2، 1992، ص119.

(2) الغذامي، ثقافة الأسئلة، ص 111.

(3) الغذامي، انظر فصل (تداخل النصوص:النص ابن النص).

(4) مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص 123.

(5) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ج1، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. 5، 1969، ص25.

(6) مروة، محمد رضا، عبد الله ابن المعتز خليفة يوم وليلة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990، ص75. وخفاجي، محمد عبد المنعم، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، بيروت، دار الجيل، 1991، ص394.

(7) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الشماعي، ومحمد العثماني، بيروت، دار الأرقم، 2002، ص 152-154.

(8) خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ص172-173.

(9) عطوان، حسين، الدعوة العباسية، مبادئ وأساليب، بيروت، دار الجيل، 1984، ص127.

(10) ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق عبد القادر مايو، حلب، دار القلم العربي، 1997، ص123.

(11) شعر ابن المعتز، دراسة وتحقيق يونس السامرائي، القسم الأول، الديوان، صنعة أبي بكر الصولي، ج1، الجمهورية العراقية، 1977، ص519.

(12) الفاتحة:1.

(13) القصص:70.

(14). الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر، 1995، ص 403.

(15) شعرابن المعتز، ص520.

(16) آل عمران:47.

(17) مريم:67.

(18) البقرة:117.

(19) شعرابن المعتز، ص536.

(20) آل عمران:126.

(21) الروم:4-5.

(22) شعرابن المعتز، ص520.

(23) الأحزاب:40.

(24) الأحزاب:56.

(25) شعرابن المعتز، ص523.

(26) خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ص397.

(27) طه:24.

* صاحب الزنج، هو علي بن محمد، كان يدعي أنه علوي النسب، أخذ يدعو الناس إلى الالتفات حوله، بدعوى العلوية، ثم أغوى الزنج في البصرة، واستطاع بهم أن يكتسح الأمصار والبلاد فيقتل ويحرق ويسبي، ولما استفحل أمره ندم المعتمد أخاه لقتله، وتمكن من ذلك بعد حروب طاحنة دامت أربعة عشر عاماً. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، م6، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1995، ص 206-212. .

(28) شعرابن المعتز، ص529.

(29) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، 1972 (شاخ).

* غير العربي من الخيل والبغال، عظيم الخلقة، قوي الأرجل، عظيم الحوافر، المعجم الوسيط، (برز).

(30) شعرابن المعتز، ص586.

(31) المعجم الوسيط، (صرح).

(32). غافر:36-37.

(33) شعرابن المعتز، ص546. كبس: هجم عليهم.

* لما أصاب الناس القحط والجدب في عام الرمادة، ألح عمر بن الخطاب بالدعاء، وأخذ بيد العباس يستسقي بها الله –عز وجل- فاستجاب الله، وأنزل عليهم الغيث، ورفع عنهم المحل. ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج3، بيروت، لبنان، 1990، ص 244.

(34) شعرابن المعتز، ص556. عمراً: التنوين في البيت ضرورة شعرية.

(35) البلاذري، أحمد بن يحي، أنساب الأشراف، ج4، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت- لبنان، دار الفكر، 1996، ص14.

(36). طه:36.

(37) شعرابن المعتز، ص560.

(38) شعرابن المعتز، ص562.

(39) سبأ:13.

(40) شعرابن المعتز، ص563.

(41) شعرابن المعتز، ص563.

(42) شعرابن المعتز، ص563.

(43) النمل:15.

(44) الأنبياء:79.

(45) خفاجي، ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، ص412.

(46) شعرابن المعتز، ص575.

(47) هود:42-43.

(48) شعرابن المعتز، ص585.

(49) هود:40.

(50) هود:44.

(51) القمر:11-12.

(52) شعرابن المعتز، ص585-586.

(53) ربابعة، موسى، التناص في نماذج من الشعر الحديث، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 86.

(54) شعرابن المعتز، ص586.

(55) نوح:27.

(56) العنكبوت:38.

(57) يونس:77.

(58) شعرابن المعتز، ص586. بلبلوا: تفرقوا.

(59) الأنفال:50-54.

(60) شعرابن المعتز، ص580.

(61) الذاريات:41-42.

(62) الحاقة:6.

(63) النجم:50.

(64) شعرابن المعتز، ص547.

(65) شعرابن المعتز، ص580.

(66) هود:59-60.

(67) شعرابن المعتز، ص585.

(68) البقرة:258.

(69) شعرابن المعتز، ص587.

(70) الأنبياء:57-70.

(71) شعرابن المعتز، ص565.

(72) الفجر:7-8.

(73) شعرابن المعتز، ص591.

(74) الرحمن:26.

(75) النساء:78.

(76) جهاد، كاظم، أدونيس منتحلاً(دراسة في الاستحواذ الأدبي، وارتجالية الترجمة) يسبقها:ما هو التناص؟ مكتبة مدبولي، 1993.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن. (1995). **الكامل في التاريخ**، راجعه محمد يوسف الدقاق، م6، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط2.

ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي. (1997). **الفخري في الآداب السلطانية**، تحقيق عبد القادر مايو، حلب، دار القلم العربي.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد. (1990). **الطبقات الكبرى**، ج3، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، لبنان.

أمين، أحمد. (1969). **ظهر الإسلام**، ج1، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5.

أنيس، إبراهيم وآخرون. (د.ت). **المعجم الوسيط**، القاهرة،

البلاذري، أحمد بن يحي. (1996). **أنساب الأشراف**، ج4، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت-لبنان، دار الفكر.

جهاد، كاظم. (1993). **أدونيس منتحلاً (دراسة في الاستحواذ الأدبي، وارتجالية الترجمة)** يسبقها: ما هو التناص؟ مكتبة مدبولي.

خفاجي، محمد عبد المنعم. (1991). **ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان**، بيروت، دار الجيل.

الرازي، فخر الدين. (1995). **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر.

ربابعة، موسى. (2000). **التناص في نماذج من الشعر الحديث**، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1.

السيوطي. (2002). **تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم الشماعي، ومحمد العثماني، بيروت، دار الأرقم.

شعر ابن المعتز. (1977). دراسة وتحقيق يونس السامرائي، القسم الأول، **الديوان**، صنعة أبي بكر الصولي، ج1، الجمهورية العراقية.

عطوان، حسين. (1984). **الدعوة العباسية**، مبادئ وأساليب، بيروت، دار الجيل.

الغذامي، عبدالله. (1992). **ثقافة الأسئلة "مقالات في النقد والنظرية"**، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط2،

مروة، محمد رضا. (1972). **عبد الله ابن المعتز خليفة يوم وليلة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990.

مفتاح، محمد. (1992). **تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 133- 163

ابن قتيبة وآراؤه النقدية في كتاب الشعر والشعراء

هاشم العزام *

ملخص

سعى هذا البحث إلى قراءة "ابن قتيبة وآراؤه النقدية"، في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة من حيث النظر إلى هذه الآراء ضمن المحاور التالية: فقد تناول المحور الأول طبيعة علاقة المبدع بنصه من خلال النظر إلى ثنائية القدم والحداثة، الطبع والصنعة، وأقسام القصيدة، والمتلقي، كما تناول البحث هذه العلاقة في محور آخر ضمن ثنائيات جديدة وذلك من خلال النظر إلى الألفاظ والمعاني، والأوزان والقوافي، وأثر العامل البيئي، والبواعث النفسية وثقافة لشاعر، وانعكاس ذلك كله على النص الشعري مبدياً المؤلف آراءه في هذه القضايا النقدية.

المقدمة:

لقد شغلت المدونة النقدية القديمة ردحاً من الزمن تبحث في تعليل العملية الإبداعية لدى الشعراء، والكشف عن مواهبهم وقدراتهم الشعرية، ولقد أرجعها النقاد القدامى إلى عوامل مختلفة منها: العامل الوراثي، والاستعداد الفطري، أو ما عرف بالطبع/ الإلهام، وأرجعها بعض الآخر إلى ما عرف بمذهب الصنعة، وأياً كان الأمر، فإن النقد القديم ركز على النص، ومبدعه، ومُتلقيه، بنسب متفاوتة، "ولما كان حوار المشتغلين بالتأويل ينصب على مثلث المؤلف والنص والقارئ، كانت العلاقة بين هذه الأطراف كما يبدو محورها النص"(1). لذلك لا يمكن فهم النص عن طريق إظهار علاقته بمؤلفه أو بالكشف عن بنيته العميقة فقط، بل يجب تحليل العلاقة المتبادلة بين الكاتب والقارئ(2).

كذلك أعلى النقد الحديث من أهمية المؤلف/ الشاعر، فالرومانسية أعلت من شأنه إذ جعلت ذاتيته محور العملية الإبداعية، وحضوره في النص طاغياً(3). وفي الوقت الذي تحدث (LuegiPairson) عن كيفية تشكل الكاتب بوصفه محفلاً ثاوياً في النص(4)، كان المنهج النفسي في تحليل النصوص قد جعله محور العملية الإبداعية وهدفها.

* قسم اللغة العربية التطبيقية، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، إربد، الأردن.

بعد هذا سيتوجه الباحث إلى كتاب نقدي قديم وهو كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، له من الشهرة ولصاحبه ما لهما، ليقرأ فيه محوراً هاماً من محاور العملية الإبداعية، ألا وهو الشاعر بوصفه مبدعاً، وعلاقته بنصه كما يرى ابن قتيبة هذه العلاقة، والشكل الذي يجب أن تكون عليه من خلال ثلاث ثنائيات هي القدم والحداثة، الطبع والصنعة، اللفظ والمعنى. ويرى الدارس أن اهتمام "ابن قتيبة متجه في اغلبه نحو الشاعر، دون إغفال للشعر والجمهور، فهو: إما متكلف أو مطبوع، ولحالته النفسية أثرٌ بين في الشعر. وللغرائز عند الشعراء أثرٌ في تباينهم في الفنون الشعرية المختلفة، ومن ثم التفت إلى الشاعر واهتم به, هذا الاهتمام بين الأركان الثلاثة الشاعر- والشعر- والجمهور"، كان لابد له من أن يعرج على ما يحتاجه الشاعر من ثقافة[5]. ولقد لفت ابن قتيبة المبدع إلى الاهتمام بنصه الشعري، متحدثاً عن العملية الإبداعية بقطبيها الشكلي والموضوعي، تحدث عنها من الداخل كما تحدث عنها من الخارج ولم يترك ابن قتيبة أمام المبدع شاردة من شأنها تجويد النص الشعري إلا وأوردها.

لقد بدأ ابن قتيبة الحديث مع المبدع عن العملية الإبداعية/ النص الشعري بوصفه بناءً معمارياً يحرص البنّاء فيه على أن يسلحه بكل أدوات البناء التي تزيده قوة، وصلابة، ومتانة، تنعكس رونقاً، وجمالاً، وكذا النص الشعري مثل البناء حرص ابن قتيبة أن يظهره قوياً متماسكاً، صلباً، سليماً، مبرأً من العيوب، خالياً من الأخطاء، مبتعداً به عن كل الهنات التي قد تلحق به التشويه والأذى، أو التي قد تتسبب في تعميته وغموضه وتعقيده، لذا جاء حديث ابن قتيبة عن العملية الإبداعية حديثاً متكاملاً ينضح بنصائح يسديها للمبدع/ الشاعر، مطالباً إياه الأخذ والالتزام بها، تحدث عن أقسام القصيدة وشرائحها، وتحدث عن نسب هذه الشرائح، والاعتدال الذي يحكم هذه النسب أو الأحجام، وعن اللياقة الناتجة بعد مراعاة التناسب والاعتدال، وتحدث عن الوجه الآخر عن الفوضى التي قد يسببها تجاوز شريحة وأخرى إفراطاً وتفريطاً.

وتحدث عن الألفاظ عندما تكون مفردة: خصائصها وصفاتها والشروط الفنية الواجب توفرها، كي تكسبها فصاحة وبلاغة، أبهة وجمالاً، رونقاً ورشاقة، كما تحدث عن الوجه الآخر، عن مجافاة الصفات الجميلة للألفاظ، وإحلال الصفات القبيحة: كالغرابة والوحشية والحوشية التي من شأنها أن تجعل الألفاظ كزّه غريبة نادرة ثقيلة على الذوق، لا يستجيزها اللسان، بعيدة عن المتداول والمألوف.

وتحدث عن الألفاظ بعد دخولها في تراكيب/ سياقات تحدث عنها بوصفها جملاً وتأليفات، وكيف يمكن أن تكون سهلة حسنة المطالع والمخارج... وتحدث عن المعاني، كما تحدث عن ذات المبدع، وبواعثه النفسية وعواطفه، وتحدث عن البيئة وأثر العامل البيئي على المبدع، وتحدث عن العوارض التي قد تعترض الإنسان، وتؤثر سلباً في العملية الإبداعية، وتحدث عن المتلقي بوصفه

طرفاً فاعلاً في النص، ومتفاعلاً في الوقت نفسه، وكيف يجب مراعاة احتياجاته من حيث مقامه الطبقي، وثقافته، وحالته النفسية. جاء هذا الحديث بشكل نظري مجرد كما جاء من خلال تعليقات ابن قتيبة على شعر الشعراء أثناء الترجمة لهم، ومثلما تحدث ابن قتيبة عن الإطار في العملية الإبداعية، تحدث عنها من الداخل، تحدث كيف يمكن أن يكون الشاعر متكلِفاً، وكيف يمكن أن يكون الشعر متكلَّفاً أيضاً، وصفات وخصائص كل منهما، وتحدث عن الشاعر والشعر المطبوع. لذلك سيجيء الحديث عن كل هذا مفصلاً في ثنايا البحث.

المحور الأول:

سيناقش الدارس الحالي في هذا المحور ومن خلال نصوص ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء أثر الثنائيات التالية في العملية الإبداعية وتأثر المبدع تحديداً بها وهي: ثنائية القدم والحداثة، الطبع والصنعة، المتلقي وأقسام القصيدة.

يظهر اهتمام ابن قتيبة بالمبدع/ الشاعر في كتابه الشعر والشعراء بشكل واضح، إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب دون أن تكون هناك إشارة واضحة وصريحة إلى المبدع، وقد جاء ذلك من خلال حديث ابن قتيبة عن العملية الإبداعية برمتها كأسلوب فني ينتهجه ابن قتيبة، وعلى اعتبار أن هذا الأسلوب "اختيار واعٍ يسلطه المؤلف على ما توفره اللغة من سعة وطاقات"[(6)]، من شأنها أن تجعل منزلة النص الفنية في مستوى عالٍ، ومرتبة متقدمة، لذلك نجد ابن قتيبة يصر في كتابه على إحداث مبدأ التناسب والاعتدال، من خلال حسن التقسيم، والموازنة المقبولة، وفي المقابل حذره من ارتكاب الخطأ، والإكثار من الضرورات، والإيغال في استعمال الوحشي والنادر والغريب من الألفاظ، وحذره من الألفاظ النابية، أو أن يلج الشاعر في موضوعات قد تصطدم مع العرف والعادة، بكل هذا الحرص على إخراج النص بصورة جميلة متقنة، يدور حديث الرجل في كتابه حول الاهتمام بكيمياء النص وجزئياته من الناحية الفنية والموضوعية، شاملاً حديثه عن الإطار على حد سواء.

ولما كانت منزلة المبدع تتحدد بناءً على تجويده لنصه الشعري، لا باعتبارات أخرى، طمأن ابن قتيبة المبدع من القلق على مكانته الفنية في المواقع التي يخشى فيها على هذه المكانة، طمأنه على سبيل المثال من قضية القدم والحداثة التي كانت تؤرقه، وعلى أساسها كان يرد شعر الشعراء، أو يحظى بمكانة عالية "ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلال لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقهُ"[(7)]. يظهر هنا -بما لا يدع مجالاً للشك- أن ابن قتيبة يبني مقياسه على "أساس فني خالص، وهو الحكم على الشعر بما فيه من قيم شعورية وتعبيرية من غيرما نظر إلى صفة القدم والحداثة"[(8)]، وعلى مدى احترام المبدع قواعد اللغة، وفنية الألفاظ، وصرامة الجملة من الناحية

التركيبية. "فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، فلم يضعه عندما تأخر قائله، ولا حداثة سنة، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه"[9]، فالأساس عنده "أي النظر للشعر من حيث موافقته لمعايير الفصاحة وسلامة التركيب، ودقة المعاني، والأصالة؛ لأن هذه الخصائص جميعاً هي ما ينبغي توفرها في كل ما يستشهد به في الأحوال التي ذكرها"[10].

"فهذا المقياس الذي اقترحه ابن قتيبة لقياس الشعر ونقده، يكاد يكون أصح مقياس التقينا به حتى الآن في تاريخ النقد العربي، وقد وضع به أول أصل من أصول النقد، وهي ضرورة توخي الموضوعية والحيدة تجاه النص الأدبي، الذي ينبغي أن يُقدّر على أساس ما تضمنه من قيم فنية وجمالية، دونما نظر إلى اعتبارات القدم والحداثة أو شهرة صاحبه أو إعجاب الناس به"[11]. لا "بل نجد الرجل قد عاب على من يأخذ معيار القدم والحداثة ميزاناً يضع عليه الشعراء "فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعُه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عندهُ إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله"[12].

كما طمأن ابن قتيبة المبدع على موقفه الفني، ونظرة النقاد إليه شاعراً متكلّفاً كان أو مطبوعاً، فالرجل لم ينحز لأيٍّ من الفريقين على حساب الآخر، إذ بقي المعيار الفني للنص هو الأهم، ونجاحه يقاس بمدى تجنب النص للغلط والخطأ، ونجاحه في انسجامه مع أعراف وقواعد اللغة والنحو. لذلك يؤكد أن من الأسباب الموجبة لتأليف الكتاب اختياره على أساس ما يستحسن من أخبار الرجل وما يستحسن من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم ... وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها"[13]، وهو بوصفه مبدعاً في تأليف كتابه يُنبه إلى أنه يجب أن يذكر من الأمور ما يتعلق منها بما يحتاجه المتلقي وحسب "وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخبر، أو زمان، أو نسب، أو نادرة، أو بيت يُستجاد، أو يستغرب"[14]، يلمس الدارس من النص السابق أنه يكشف عن اللياقة التي تحققها النصوص عند الوقوف على ما يحتاجه المتلقي، دون التجاوز وإشغاله بأمور لا يحتاجها يسهب ويطيل بذكر الأخبار دونما حاجة لها وهذا من مظاهر اللياقة في الحديث والتأليف.

بعد هذا يجيء حديث ابن قتيبة عن القصيدة، وأقسامها محكوماً بجملة من الشروط الموضوعية والفنية، يفصل القول فيها على هذا النحو "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع...، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق، ليُميلِ نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به

إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا، التعب، والسهر، وسرى الليل، فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدا في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح وفضله على الأشباه" (15). كل هذا الحديث عن الأقسام الرئيسة التي تتشكل منها شرائح النص، وبهذه الكيفية، يتأتى لإدراك ابن قتيبة أن القوالب النمطية للقصيدة/الشرائح على هذه السنن التأليفية تستطيع أن تنهض بالمعنى المخبوء في ثنايا النص، كما ينطوي النص أيضاً على عدد من القضايا الفنية والموضوعية، كالحديث عن الوحدة الموضوعية والوحدة المعنوية، والمتلقي، وسيجيء الحديث عنها، إذ يلمس الدارس من النص السابق أن ابن قتيبة، يضع أمام المبدع جملة من الخطوات عليه اتباعها، من حيث البناء العام للنصوص الشعرية، وهو ما سمي بسلم بناء القصيدة الموضوعي، فيرتب أمامه الأقسام والشرائح التي يجب أن يكون عليها النص، وفق الترتيب الذي ذكره، وهذه فائدة فنية أسلوبية من الناحية الموضوعية يقدمها ابن قتيبة للمبدع، والدارس الحالي، يرى أن النص السابق متعدد الأغراض متشعب الأهداف، فابن قتيبة يرمي إلى إصابة أشياء كثيرة، من خلال وضع النص أمام المبدع مجزءاً محللاً إلى مواده الأولية، لكي يعرف كيف استوى بصورته النهائية "وهذا ما يسمى بسجل النص وهو كل ما يعتبر بمثابة المواد الأولية للبناء، ثم يعود من خارج النص إلى داخله"(16)، لذلك يطالبه بالحرص على تحقيق مبدأ التناسب والاعتدال بين شرائح القصيدة من حيث الترتيب وحسن التوزيع.

ثم يجد الدارس في النص السابق حديثاً خاصاً بالمتلقي من حيث ربط السامع/ المخاطب بالمبدع، وذلك من خلال الحديث عن الجغرافيا النفسية , يأتي هذا عندما يقوم بتذكيره بجملة من الأمور العاطفية وإثارته وتشويقه دوماً، في الوقت الذي يحرص فيه ابن قتيبة أن يذكر المبدع بالانتقال المنطقي من غرض إلى غرض، محافظاً في ذلك على حالة نفسية متتابعة، يلح ابن قتيبة في نصه السابق الذي اجتزأ منه الدارس الأجزاء التي تتحدث عن شرائح القصيدة أن يفسر لماذا يجب أن تبدأ القصيدة بالأطلال، فالنسيب، فالرحلة... وهو تفسير مقنع، كل هذا الحرص من ابن قتيبة مبعثه وصول الرسالة التي يحملها النص إلى طرف العملية الإبداعية وهدفها الرئيسي وهو المتلقي، فأي إهمال أو تجاهل له ستؤول العملية الإبداعية إلى الفشل "فابن قتيبة مؤمن أن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه، وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر، وهي عاطفة تسهل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب جميعاً"(17)، "فالمؤلف النموذجي هو الذي يوكل إليه تشكل قارئه النموذجي وذلك على هيئة استراتيجيات نصيّة، وفي هذا يتطابق البحث عنه مقاصد الكاتب ومقصد النص"(18). كما يرى ابن قتيبة أن بناء القصيدة يجب "أن يظل متناسب الأجزاء معتدل الأقسام فلا يطيل قسماً فيها فيمل السامعين، ولا يقطع

بالنفوس ظمأ إلى المزيد[19].فإنه في وقفته هذه عند مبدأ التناسب مرتباً، يحس ابن قتيبة إحساساً دقيقاً، بالطول المعين الذي لا بد للقصيدة أن تحافظ عليه[20].

وليوسف بكار رأيٌ مفاده أن "هذا النص يكشف عن أشياء في ابن قتيبة، فهو يرى أن لا مندوحة عن المقدمة التي تتألف من الوقوف على الأطلال، والغزل، ووصف الرحلة، وثاني الأمور التي يكشف عنها نص ابن قتيبة، سبب المقدمة، وأهمية هذا السبب، فالأطلال لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لإستمالة القلوب، واستدعاء صفاء الأسماع"[21]. وجعل باحث آخر من سلوك هذا المنهج، ومن العدل بين هذه الأقسام وتوزيعها، شرطاً سوياً من شروط الإجادة في الشعر[22].

يقول بكار معلقاً على النص نفسه "وقد كان ابن قتيبة في ما أرى في موضوع مقتضى الحال "أقرب إلى العامل النفسي، بأن التفت في طول القصيدة، إلى علاقتها بالسامع...، وإلى صيرورة القصائد وعلقوها بالأفواه والأسماع... والنص واضح الدلالة على وجوب مراعاة أحوال السامعين كل السامعين في النشوة والسآمة معاً"[23].

ويتفق الدارس مع ما ذهب إليه محمد رمضان الجربي في استنباطه من نص ابن قتيبة السابق من أن الوحدة المعنوية والوحدة العضوية موجودتان، والترتيب فيها طبيعي، والانتقال من غرض إلى غرض ملاحظ في ذهن الشاعر، يترتب عن هذا الانتقال أهداف وأغراض نبيلة، تجعل من النص الأدبي وحدة متكاملة، وليست أشتاتاً متفرقة، وأشلاءً ممزقة لا يربطها رباط، ولا يحدد معالمها منهج فني محدد، كما يدعي بعض النقاد المحدثين الذين حكموا على القصيدة الطللية بأنها فاقدة للوحدة العضوية[24].

ويتابع ابن قتيبة "فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع بالنفوس ظمأ إلى المزيد"[25].

ويستشف الدارس -من خلال النص السابق- أن ابن قتيبة يغري المبدع بالسير على هدي الأساليب التي أوضحها أمامه مراعياً في ذلك المعايير الفنية التي تضمن اللياقة في الخطاب الشعري: كالاعتدال، والتناسب، وحسن التقسيم، والتسوية، دونما إفراط أو تفريط، مراعياً في ذلك احتياجات المتلقين وتشوقهم، محذراً في الوقت نفسه من الملل والسأم.

ولذلك أخفق بعض الشعراء عندما جعل بعض هذه الأقسام أطول من بعض، وعوقب على ذلك "فقد كان بعض الرجاز أتى نصر بن سيار والي خرسان لبني أمية فمدحه بقصيدة تشبيبها

مائة بيت، ومديحها عشرة أبيات، فقال نصر: والله ما بقيت كلمة عذبة، ولا معنى لطيف إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فإن أردت مديحي، فاقتصد في النسيب"[26]. "وقيل لعقيل بن علقة: مالك لا تطيل الهجاء؟ فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق... وقيل لأبي المهوش الأسدي: لمَ لا تطيل الهجاء؟ فقال: لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً"[27].

يلاحظ الدارس على الأخبار التي أوردها ابن قتيبة أن الشعراء قد يخفقون في تحقيق مطالبهم، نتيجة عدم تجويدهم لنصوصهم تلك، وأنهم يغلبون قسماً على قسم، فيطيلون في جانب ويقصرون في آخر، ولذلك أوصى المتلقي المبدع بقوله إن أردت مديحي فاقتصد في النسيب، وطالبه أن يذهب إلى الغرض مباشرة، دونما تطويل، فالإيجاز وتكثيف الدلالة وإصابة الغرض هي من خصائص بلاغة الأمثال، فما يُحسب لابن قتيبة أنه يقوم بالتنظير للعملية الإبداعية ثم بعد ذلك يعطي الأمثلة التطبيقية سلباً أو إيجاباً، ثم أعاد الرجل المحاولة مرة أخرى، فقال لنصر

هل تعرف الدار لأم الغمرِ   دع ذا، وحبّر مدحةً في نصر

فقال نصر: لا ذلك، ولا هذا، ولكن بين الأمرين[28]، لذلك قام المتلقي بتعديل أسلوب المبدع في الخطاب، منبهاً إلى قواعد اللياقة ومقامه الطبقي بما يتناسب وثقافته ومزاجه وميوله.

ولكي لا يشعر المتلقي بالانتقال المفاجئ في الحديث، أو أن يجد نفسه غريباً أمام ما يسمع من عبارات وتراكيب تبدو غريبة، طالب ابن قتيبة المبدع بحسن التخلص، والحرص على تحقيق جماليات التجاور، والارتباط العضوي، والموضوعي بين الأبيات معتبراً عدم تحقيق ذلك من علامات التكلف ومظاهره "وتتبين التكلف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره مضموماً إلى غير لفقه، لذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: ولم ذلك؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"[29].

وقد يقع بعض القراء ضحية بعض العبارات النقدية في كتاب ابن قتيبة إذا لم يقوموا بفحص هذه السياقات ويعيدوا القراءة تلو القراءة فيها، فبعد أن يحرر ابن قتيبة الشاعر المحدث من ربقة الانقياد للشاعر القديم، يعود فيطالبه بالالتزام بمنهجهم. ويبدأ الدارس الحالي في مناقشته هذا النص من حيث ذكر إحسان عباس بقوله "وقد فهم بعض الدارسين أن ابن قتيبة يصر على أن يظل هذا الشكل، نظاماً حازماً لكل شاعر جاهلياً كان أم إسلامياً أم محدثاً، وأنه حرم على المتأخرين التحلل من ربقة هذا النظام، وهذا الوهم منشؤه قول ابن قتيبة فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب... وما أرى ابن قتيبة هنا يؤكد شيئاً سوى التناسب"[30]. فابن قتيبة يريد للشاعر المحدث أن ينهل من الأساليب الجياد على يد من أبدع من الشعراء القدماء، وفي مختلف الموضوعات كما أن للشاعر المحدث حرية الاختيار من موضوعات زمانه وأساليب معاصريه

وأقرانه من الشعراء المبرزين، لذلك هو يفتح الباب أمامه على الماضي والحاضر معاً من أجل إخراج نصٍ قوي متماسك، ولينمي لدى المبدع حس التمييز بين الخطأ والصواب؛ من أجل أن لا ينزل مستوى الشاعر المحدث عما كان قد وصل إليه من التفوق والنجاح.

أما قوله "وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل؛ لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير"[31]، أو يرد على المياه العذاب الجواري؛ لأن المتقدمين وردوا على الأواجن والطوامي، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد؛ لأن المتقدمين جروا على منابت الشيح والحنوة والعرارة"[32] قد يصطدم ظاهر هذا النص مع النصوص التي أباحت للمبدع الحرية التامة في تشكل نصه الشعري، والتي على أساسه سيقيم، ويتفق الدارس مع ما ذهب إليه إحسان عباس إذ يقول "فليس ثمة أوضح منه في الدلالة على تحريم التقليد الشكلي المضحك، وإحلال مواد الحضارة محل مواد البداوة في الشعر... للشاعر أن يجدد بما يناسب عصره دون حكاية قياسية تدل على ضعف الخيال، أو أن يعيد ذكر الرحلة ووصف الطلل، وإن لم يوجد في عصره، فأما المحاكاة القاصرة، فإنها سيئة الوقع تستثير الاهتزاء"[33].

ونبه ابن قتيبة المبدع من تقليد الشاعر القديم في كل شيء، لأنه قد يقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها الشاعر القديم، إذا لم يأخذ بالحسبان متغير الزمان، بل يجب أن يكون للشاعر شخصيته الواضحة في التعبير عن الموضوعات، واختيار أدوات التعبير المناسبة لذلك "وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذي لم يكثر، ككثير من أبنية سيبويه، واستعمال اللغة القليلة في العرب"[34]، ويتفق الدارس الحالي مع الرأي القائل إننا "نجد ابن قتيبة ربما لأول مرة يطلب إلى الشعراء المحدثين أن لا يتبعوا المتقدمين في استعمال وحشي الكلام، واللغة القليلة في العرب"[35]. ولعل ابن قتيبة من أوائل الشعراء الذين وقفوا بجرأة من الشعراء القدامى هذا الموقف الجريء.

فلم يتأثر بتلك النزعة التي كانت سائدة في أوساط علماء اللغة، حيث يقصرون اهتمامهم على الشعر القديم، فلا يرون غيره ويستجيدونه؛ لأنه قديم، وإن كان سخيفاً، ويفضلونه على الجديد، وإن كان يفوق هذا القديم، فتراه يُخلص نفسه منذ اللحظة الأولى من هذه النزعة، فالمتأخر من الشعراء لا يضعه عنده تأخره ولا حداثة سنه"[36]. كما ينجلي نص ابن قتيبة عند معيار هام من معايير النقد العربي إذ إن أول قاعدة قررها هي ضرورة الحيدة تجاه النص الأدبي كما سلف بغض النظر عن الملابسات، وعدم التأثر بآراء العلماء السابقين، فالشاعر الجاهلي

والمخضرم والأموي والعباسي في ميدان الفن والأدب سواء، فالشعر وحده مقياس تقدم الشاعر ونبوغه وعلو منزلته في ميدان الفن، دون النظر إلى من تقدمه أو تأخره في الزمان. فأخص خصائص الناقد، في نظره، أن يقوّم الشعر والشعراء أو يستحسن أو يستهجن أدبهم وفقاً لِما عليه ذوقه، وما يحتوي عليه النص من الخصائص الفنية[37]. على أن الشعراء يجب أن يجودوا في نصوصهم من الناحية الفنية، لأن معيار الحسن والقبول هو سلامة البناء الفني للنص، ولا ضير من تقليد من أبدع وتفوق في موضوعات ابتدعها.

ولذلك ينصح الشعراء باتباع من تفوق قبلهم في نظم القصائد "وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليه الشعراء من استيقافه صحبه ورقة النسيب وقرب المأخذ"[38]. "وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضّله إنه أول من فتح الشعر واستوقف وبكى في الدمن ووصف ما فيها، وذكره عمر بن الخطاب فقال: سابق الشعراء خسف لهم عين الشعر"[39]، ولكن الشاعر نفسه قد لا يحظى بنفس الإطراء في موضوعات أخرى كان المجتمع قد تعامل معها على قاعدة الرفض وعدم القبول "ويعاب عليه تصريحه بالزنا والدبيب إلى حرم الناس، والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته"[40]، ويكون شاعر آخر أقل منه منزلة شعرية لكن يتفوق عليه في موضوعات يقرها المجتمع ويحببها في الشعر، "كان زهير يتأله ويتعفف في شعره، ويدل شعره على إيمانه بالبعث"[41].

وسيناقش الباحث في نهاية المحور الأول ثنائية الطبع والصنعة، هذه الثنائية ترددت في كتاب الشعر والشعراء بشكل واضح وقد جاء فيه "ومن الشعراء المتكلف والمطبوع"[42]، وجاء فيه أيضاً "والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة ما بالمعاني غنىً عنه"[43]. وجاء فيه أيضاً "فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف"[44].

ولعل النقاد المحدثين وقفوا عند لفظة المتكلف من الشعراء السابقين وذهبوا في تأويلها كثيراً، منهم من ذهب إلى أن الرجل لم يفرق بين التكلف بمعناه الإيجابي أو السلبي، وغير هذا كثير، ولا يرى الدارس بأساً من مناقشة هذه القضية؛ ولأنها تقع ضمن هذا المحور.

فإحسان عباس يعلل استخدام المتكلف في موضع واحد ولكن في معنيين مختلفين بقوله "وقد خفي على الدارسين المحدثين، أن قلة المصطلح لدى ابن قتيبة جعلته يستعمل هاتين اللفظيتين بمدلولات مختلفة، فالتكلف حين يكون وصفاً للشاعر، مختلف عن التكلف حين يكون وصفاً للشعر"[45].

ويرى باحثٌ آخر قائلاً ونستشف من هذه العبارة عدم فصله بين التكلف والصنعة، وكأنه يجاري الأصمعي في القول بقبح التكلف. ويعتبر زهيراً والحطيئة من المتكلفين، ولكن النظر الأصح إليهما يعتبرهما من الصانعين المثقفين، ففرق بعيد بين الصنعة والتكلف، إذ في الصنعة قدرة وحنكة وجمال، وفي التكلف قصور وعدم اكتمال وقبح.

وفي الصنعة لا تختفي الموهبة الشعرية، أو الطبع الشعري، وكذلك لا يعني الطبع القدرة على الارتجال أو القول على البديهة، ففرق بين الشعر المطبوع، والشعر الذي يقال على البديهة دون تروّ. وربما كان الشعر مطبوعاً، أو عليه رونق الطبع وقضى فيه صاحبه أياماً في عمله. ولكنه لم يثقفه ولم يعد فيه النظر والفكر ليعدل بين ألفاظه ومعانيه[46].

ولكن في الحديث عن مواصفات الشعر المتكلف وما ينتاب صاحبه من الكد والعي والضنك والحصر وعن مخرجات العملية الإبداعية المتكلفة، نصوص شعرية تحتشد فيها الضرورات، والخروج على قواعد اللغة نصوص مشوهة تصدم المتلقي مع ما تربى عليه ذوقه من الجمال لما فيه من تعقيد لفظي وتعمية في المعاني. إذ يطرح طه إبراهيم رأياً في هذه القضية حول خصائص الشعر المتكلف والمطبوع لدى ابن قتيبة قائلاً: "وأمارات الشعر المتكلف ترجع إلى أمرين: إلى الروح، والسليقة والطبع، وإلى التعبير والإبانة، وهو في نقد روح الشعر، يحيل القارئ على ما له من ذوق وحس، يدرك بهما ما نال الشاعر من طول التفكير وشدة العناء ورشح الجبين، فجمود النفس أو ركوده، والفجوة التي تحدث بين الشعر وروح قارئه، والشيء الذي يشعر به القارئ كأنه صاعد جبلاً حين يقرأ، كل ذلك من أمارات الشاعر المتكلف وكل ذلك دليل على أن الطبع غير قوي في الشاعر، وأن شعره لم ينبعث عن فطرة خالصة، كذلك يظهر التكلف في الإبانة والإفصاح، فكثرة الضرورات في النظم من مد المقصور، وتسهيل المهموز، وصرف الممنوع، ذلك من علامات التكلف، كما أن منها غموض الكناية، ولم يذكر ابن قتيبة أمارات الشعر المطبوع، ولكنها تأخذ ضمناً مما سبق، ومن كلامه عن المطبوعين من الشعراء، فالشعر المطبوع هو الذي صدر عن نفسٍ تجد ما تقول، وانبعث عن سليقة، ووفق الشاعر فيه إلى الإبانة المصقولة الواضحة... فالينبوع الشعري وقوة الطبع والعبارات التي يدعو بعضها بعضاً ويأخذ بعضها بحجز كل أولئك من أمارات الشاعر المطبوع"[47]. لذلك يعاين الشعراء نصوصهم عبر مراحل مختلفة تتدرج في التنقيح وتنقية النصوص مما علق بها من قبح وصفات تشين الألفاظ والتراكيب.

ولو أمكن للرواة والمدونين أن يظفروا ببعض النصوص الأصلية، لكان من الطريف أن نتبين حظ كل مبدع من النقد، ونكشف عن كيفية انفعاله بنصه، عبر مقارنة بين المراحل التي قطعها النص حتى يصل إلى صيغته النهائية"[48].

المحور الثاني:

بعد أن يُفهم ابن قتيبة المبدع ويدله موضوعياً وأسلوبياً إلى الشكل الذي يجب أن تكون عليه القصيدة، وكيف تترتب الشرائح والأقسام والنسب والأطوال التي يجب أن تكون عليها هذه الشرائح، وعلاقة المبدع بمن سبقه من أجداده الشعراء، وطبيعة موقفه منهم، وعلاقته بالمتلقي وحرصه على إرضائه وتشويقه وإبقائه نفسياً مربوطاً بنصه، والاعتدال في كل ما طرح من موضوعات، يبدأ معه الخطوة الفنية الثانية التي تتحدث عن جملة من التوازنات، هذه المرة ليست بين الأقسام والموضوعات، ولكن في القطب الفني للنص الشعري: الألفاظ والمعاني، الأوزان والقوافي، السياقات والتراكيب، وتحدث عن البواعث النفسية، وأثر العامل البيئي على الشاعر، واهتم بثقافته، مُنبهاً المبدع إلى ضرورة تنزه ألفاظه عن المبتذل والساقط والرخيص، وأنه يجب عليه أن يكد نفسه في البحث عن الشريف من الألفاظ والمعاني، واللطيف والمتجانس منها، ويجب أن يبتعد عن الغلط والخطأ واللحن والحوشي والوحشي من الألفاظ، هذه الصفات من شأنها أن تحدث التعقيد اللفظي وتُعمي المعنى، وتشوه النص، وترهق المتلقي وتربكه فيكد نفسه ولا يصل إلى مراده، وهذا ليس هو هدف الشعر. وقد سبق الجاحظ ابن قتيبة إذ يقول: "من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلاً، يرود فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره"[(49)]. وإذا كان التنظيم الجمالي للغة يُعد قاسماً مشتركاً بين جميع الأجناس الأدبية اللفظية، فإنه أظهر في الشعر من غيره، فهذا الجنس الأدبي بمكوناته المتمثلة في شكله المنظوم أساساً يفرض انتباهاً خاصاً ومباشراً إلى النسيج اللفظي[(50)].

"وتبدو العملية التي وصفها الجاحظ معقدة إلى حد كبير إذ يعيش المبدع ازدواجاً عميقاً بين وظيفتي الخلق والتذوق، فهو ينشئ عالمه ويحدد في الآن نفسه مدى مطابقة هذا العالم المتخيل لما يتطلبه القول الأدبي من خصائص نوعية ملازمة له"[(51)]. ولا نجد عند ابن قتيبة قطعاً ثقافياً، بل تاريخاً موصولاً من الاعتناء بالنصوص يصل إلى حد القلق والتوتر الإيجابيين، مطالبةٌ حثيثة بفحص النص وعرضه على أدوات النقد ذاتياً، ووفق ما تعترف به قواعد اللغة، قبل أن يرى النور ويصبح عرضة للنقد من الآخر فضلاً عن أن هدف ابن قتيبة الأول هو حرصه على الجمال الذي يجب أن يتزيا به النص.

فعندما يقول ابن قتيبة "فالمتكلف هو الذي قَوّم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة. وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك"[(52)].

يكشف النص السابق للرجل عن أن الكلمات/ المفردات في الشعر تصبح غايات في ذاتها، ولأجل ذلك كان التركيز فيه على النسيج اللفظي، الذي يملك نوعاً من السحر، إن الشاعر يجعل التنظيم اللفظي هدفه الأول، فهو يحرص على التفنن الدقيق في الصياغة؛ لذلك يلح على معاينة النص مراراً"[53].

وجدير بالذكر أن يسجل الدارس التفوق لابن قتيبة في بنائه للنصوص معمارياً من الداخل بناءً قوياً متماسكاً مبتعداً به عن العبارات القلقة، الضعيفة، غير المستقيمة وغير المستقرة، وعن اللفظة الخشنة غير المستحبة، فإن المبدع إذا ما أخذ بوصايا ابن قتيبة، يصبح قادراً على أن يرد على أيّ تحدٍّ منطقي، لأنه يضبط النصوص، ويحكم قواعده، بطريقة يأمن فيها المبدع من العثرات؛ لذلك يذكر أن من علامات التكلف التي تحدث نشازاً في الذهن والنفس معاً، كما مر معنا، أن ترى البيت مقروناً إلى غير جاره، ومضموماً إلى غير لفقه، فالبيت وأخوه هو ما يسمى عند النقاد بالوحدة العضوية. وقد فطن ابن قتيبة إلى هذا المقياس الفني منذ أقدم العصور[54].

كما يركز ابن قتيبة على المبدع، يلفت نظره أيضاً إلى البواعث النفسية التي من شأنها رفع منسوب العملية الشعرية، التي من شأنها أيضاً أن تلعب دوراً محرضٍ، والمحفز على استفزاز المبدع، وألا يقترب من النظم، إذا لم تؤاتيه الأهواء يقول "وللشعر دواعٍ تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب"[55]. ويورد ابن قتيبة أمثلة كثيرة في هذا المجال في كتاب الشعر والشعراء سيذكر الدارس بعضاً منها في حديثه ضمن هذا السياق: "أما دواعيه، وأسبابه، ومثيراته التي تحفز المشاعر وتحرك الانفعالات والعواطف، والنبوغ في غرض دون آخر فذكرها بقوله "وقيل لبعضهم من أشعر الناس فقال: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب"[56]. والدارس لا يتفق مع الرأي القائل "إن ابن قتيبة ينتقل إلى موضوعات أخرى تقع على هامش الموضوع الأساس كالدواعي النفسية التي تسهل قول الشعر على الشاعر، والدواعي النفسية المضادة التي من شأنها أن تنضب معين الشاعر"[57] وأظنه قد فارق الحقيقة، فمثل هذه الدوافع والبواعث النفسية في منتهى الضرورة إذ هي التي تشكل مزاج الإنسان وتنضج حسه الشعري والإبداعي وتحت وطأتها ينظم الشعر. "وقيل للحطيئة: أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً، كأنه لسان حية فقال: هذا إذا طمع[58]، وقال عبد الملك بن مروان لأرطأة بن سُهيّه: هل تقول الآن شعراً؟ فقال: كيف أقول؟ وأنا ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه[59]. فمثل هذه الانفعالات تؤدي إلى تنشيط النفس على الإبداع.

فابن قتيبة يتحدث حين يتحدث عن البواعث النفسية، إنما يتحدث عن المبدع بوصفه إنساناً، وعن احتياجاته الغرائزية كالطعام، والشراب، وغيرها، أو يتحدث عن نوازعه العاطفية كالمحبة والكراهية، ويتفق الدارس مع من يعتقد أن الشعراء يتفاوتون في ملكة الشعر، تفاوتاً كبيراً، وأن الينبوع الشعري عندهم يتفاوت غزارة ونضوباً أيضاً[60]. ويضيف الدارس أن هذه الغزارة أو النضوب تتفاوت تبعاً لنصيب الشعراء من العواطف (المحبة والكراهية)، وحظهم من متع الحياة ولذائذها، وتوفرهم على بيئات جميلة غناء معطاء، وأثر العامل البيئي فيهم وتأثرهم به، بمعنى انفعالهم وتفاعلهم مع ثلاثة المؤثرات: الغرائز والعواطف والبيئة، يكون حظهم من الشعر غزارة او نضوباً، قوةً أو ضعفاً. وكيف تساهم هذه المحاور الثلاثة في تشكل العملية الإبداعية لدى المبدع. "وقد حام ابن قتيبة بكلامه حول العاطفة التي هي أحد عناصر الأدب، وان لم يسمها باسمها وذلك عندما تكلم عن بواعث الشعر وعلى الأوقات التي يبعد فيها قريبه"[61]. وقيل للشنفرى حين أُسر: أنشد. فقال: الإنشاد على حين المسرّة[62]. وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريمي: مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد يعني كاتب البرامكة أشعر من مراثيك فيه وأجود؟ فقال كنا يومئذٍ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بونٌ بعيد"[63].

ولذلك نرى ابن قتيبة يورد الأمثلة على تمنع الشعر، أو اختلاف مستوياته عند الشاعر الواحد باختلاف العامل النفسي والبيئي معاً هبوطاً وارتقاءً، "ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب"[64]. كما يتفاوت الشعراء أيضاً من حيث الاستعداد الفطري للنظم في موضوعات دون أخرى أيضاً منهم الطبع مختلفون، منهم من يُسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل"[65]. وكان الفرزدق زير نساء وصاحب غزل، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب، وكان جرير عفيفاً عزهاة عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً[66]. ففي كل هذه الأمثلة التفات إلى النواحي النفسية، وربطها بنظم الشعر الذي لا ينبعث إلا عن إحساس، ولا يصدر إلا عن عاطفة ووجدان[67]. وقد يتمنع الشعر في ظروف، ولذلك أسباب جاء عليها ابن قتيبة.

"وتحدث ابن قتيبة في تعليل وقت النظم ولم يكن باستطاعة النقاد تعليل هذه الحالات لكنهم حاولوا ذلك وأرجعوها إلى أسباب وحالات نفسية تعرض للإنسان بحياته"[68]، قال ابن قتيبة "ولا يعرف لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء، أو خاطر غم"[69]. وقال ابن قتيبة "وللشعر تارات يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريضه، وللشعر أوقات يسرع

فيها آتيه ويسمح فيها أبيه، منها أول الليل قبل تغشي الكرى، ومنها أول صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء أو غير ذلك"[70].

والتفت ابن قتيبة أيضاً إلى عامل البيئة وأثرها وتأثيرها بالعملية الإبداعية، إذ يورد شاهداً على ذلك "قيل لكثير: يا أبا صخر كيف تصنع إذا عَسُر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة فيسهل عليّ أرصنه ويسرع إليّ أحسنه". ويقال أيضاً: أنه لم يستدعَ شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي[71].

أما إحسان عباس، فقد تحدث عن البواعث النفسية عند ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء، ضمن ثلاثة محاور، يقول (ولما وقع ابن قتيبة في نطاق الحديث عن الطبع بمعنى المزاج، كان لا بد له أن يلتفت إلى الحالات النفسية، وعلاقتها بالشعر، وقد تناولها من ثلاثة جوانب سيوردها الباحث وهي: من جانب الحوافز النفسية الدافعة لقول الشعر كالطمع والشوق والطرب، ومن جانب العلاقة بين الشاعر والزمن؛ لأن بعض الأوقات ذو تأثير خاص في المزاج الشعري كصدر النهار قبل الغداء، ومراعاة الحالة النفسية في السامعين[72].

وطالب ابن قتيبة المبدع والمتلقي بثقافة عالية وذلك لتوفر الشعر على مفردات قد يضطر إليها المبدع والمتلقي على حدٍ سواء "ولهذا نجد ابن قتيبة يخص الثقافة السماعية بالاهتمام"[73]. "وكل علم محتاج إلى السماع وأحوجه إلى ذلك علم الدين ثم الشعر لما فيه من الألفاظ الغريبة، واللغات المختلفة، والكلام الوحشي، وأسماء الشجر والنبات والمواضع والمياه. فإنك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين شابه وسابه وهما موضوعان"[74]. فإن جهل المبدع، وثقافته الضحلة قد يوقعانه في كثير من المغالطات والأخطاء الفنية. ثم يلفت نظر المبدع إلى الأبعاد الفنية الأخرى التي على أساسها يتم اختيار الشعر والاعتناء به، والأساليب التي تجعله ملفتاً لنظر المتلقي، بمعنى أن مقياس نجاح النصوص الأدبية لا يتوقف فقط على تزويق الشعراء لنصوصهم من ناحية الاهتمام بقطبه الفني فحسب، بل هناك أمور أخرى تلعب دوراً بارزاً في تقديم هذه النصوص إذ "وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه، وقد يُختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليل عزيز، وقد يختار ويحفظ لأنه غريب في معناه، وقد يختار ويحفظ لنبل قائله"[75]. وهذه هي الأبعاد الفنية والموضوعية والاجتماعية التي تعطي الشعر قيماً في نظر المتلقين برأي ابن قتيبة.

المحور الثالث: الوزن والألفاظ والمعاني

أولى ابن قتيبة اهتمامه بالوزن، والموسيقى، وذلك من خلال وضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها، واختيار القوافي المناسبة، اهتماماً بالغاً، فقد جاء في كتابه، فصل خاص تحت عنوان "عيوب الشعر"، تحدث فيه عن عيوب القافية، وما تحدثه هذه العيوب من اضطرابات في القصيدة، ينعكس سلباً على الذائقة السمعية، وذلك من خلال الإيقاع المضطرب، فقد تحدث عن الأقواء وهو: اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة، والإطاء وهو إعادة القافية مرتين(76) وتحدث عن الإكفاء والإجازة وعن الإرداف، وطالب المبدع تجنب هذه العيوب "فلذيذ الوزن هو ما أمكن للمبدع أن يتجنب فيه الإفراط في الجوازات التي سمح له بها العلماء في باب التزحيف"(77) لذلك عاب ابن قتيبة على الأصمعي إدخاله بيتاً من الشعر في مختاراته، ليس سوياً من ناحية الوزن "والعجب عندي من الأصمعي أن أدخله في متخيره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخيّر اللفظ ولا لطيف المعنى"(78) "وكان يقال: إن النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم كانا يقويان، فأما النابغة فدخل يثرب فغُنىّ بشعره ففطن فلم يعد للإقواء"(79).

ونصح ابن قتيبة المبدع باختيار الألفاظ السهلة التي تحدث الأوزان السهلة، وفيما ذكرت منه ما دلك على ما أردت من اختيارك أحسن الروي، وأسهل الألفاظ، وأبعدها عن التعقيب والاستكراه، وأقربها من إفهام العوام..."(80) وحديثه هذا يشمل الألفاظ من حيث موسيقاها وجرسها ومن حيث إنها قافية للأبيات الشعرية وقريبة من ألفاظ الثقافة السائدة "واستحب له ألا يسلك فيما يقول الأساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو من الأسماع"(81).

ثم يذكر في مكان آخر رأياً يدلل فيه على قدرة الشاعر وكفاءته الفنية التي تتجلى بمقدرته على ضبط الإيقاع والموسيقى، عندما سُئل الحطيئة عن زهير فقال: "ما رأيتُ مثله في تكفيه على أكناف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذماً"(82).

كذلك من جملة ما امتدح به المطبوع من الشعراء، تفوقه في مجال القدرة على اختيار الكلمات التي تحسن في مواقعها قوافي وتحدث إيقاعاً متجانساً، ويتجنب فيها الشاعر الخلل العروضي وهذا محور أساس من محاور النبوغ، ولذلك المطبوع من الشعراء عنده هو الذي "سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزهِ، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة"(83) فقدرة الشاعر على إحداث المواءمة بين الصدر والعجز، ومنح المتلقي القدرة على التنبؤ والاستكشاف كل ذلك من مظاهر تفوق الشعراء ونبوغهم، وعلامة من علامات تمكنهم وفحولتهم، وقال عمر لابن عباس: أنشدني لشاعر الشعراء الذي لم يعاظل

بين القوافي، ولم يتبع وحشي الكلام، قال من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير[84] وسيورد الدارس بعض الأمثلة التي خالفت قوانين العروض الخليلي.

ولكن بعض هذه الأخطاء ما يقع في حيز الضرورات الجائزة، أو غير الجائزة التي يلجأ إليها الشاعر مضطراً لإقامة الوزن أو القافية. ومن عيوب القافية غير الجائزة الإقواء والإكفاء، وهو اختلاف حركة الروي كقول النابغة:

قالتْ بنو عامرٍ خالُوا بني أسد   يا بؤس للجهل ضرار لأقوامِ

ثم قال:

تبدو كواكبه والشمسُ طالعة   لا النور نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

أو السناد وهو اختلاف إرداف القوافي، كقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحِينا فالحاء مكسورة

ثم قال:

تصفقُها الرياحُ إذا جرَينا فالراءُ مفتوحة وهي بمنزلة الحاء

ومن الجائز تسكين الروي المتحرك كقول امرئ القيس:

فاليوم أشربُ غير مستحقبٍ   إثماً من الله ولا واغِلْ

ومن عيوب الوزن اللجوء إلى الأوزان الثقيلة أو القبيحة.

أما في إطار نقده للألفاظ والمعاني، فيذكر مُنذ المقدمة أنه سيورد "عما يستحسن من أخبار الرجل ويُستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم"[85]. والأمور التي تؤدي إلى كساد الشعر، "فابن قتيبة قد قسم الشعر على أساس حسن الألفاظ والمعاني ورداءتهما، جعل لهذا فصلاً كاملاً في مقدمته للكتاب بعنوان أقسام الشعر وهي: ضرب منه حسُنَ لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه، وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه[86].

وبالنظر إلى هذا التقسيم الرباعي لابن قتيبة في جودة الشعر وقبحه، اعتماداً على صفات الألفاظ، والمعاني، والأوزان والصلات بينهما، نرى أنه قد بدأ الخطوة الأولى نحو توجيه النقد إلى القواعد البلاغية التي وضعها قُدامة في نقد الشعر، معتمداً على هذه القاعدة نفسها، كما نرى أن معاني ابن قتيبة التي يقصدها، ليست معاني الشعر المطلقة متضمنة حسن التعبير عن الحال والموقف أو التصوير للشيء تصويراً فيه إشباع وإرضاء لحس الشاعر وشعوره "[87]. "ولكل من اللفظ والمعنى في منهج ابن قتيبة مدلول خاص، ومدلول اللفظ عنده يعني "النظم والتآلف" المتمثل في اللفظ المفرد، والوزن والروي، وعلى هذا عندما يشير في الأضرب السابقة إلى حسن اللفظ، فإنه يعني صحة الوزن، وحسن الروي، واللفظ المفرد المتخير، أو بعبارة أخرى يعني الأسلوب، أما مدلول المعنى عنده فيعني الفكرة التي يبين عنها البيت أو الأبيات.

أما نعوت الحسن في اللفظ المفرد عنده، فيمثلها في كثرة الماء، والرونق، والسهولة، وحسن المخارج، والمطالع والمقاطع، وقربها من أفهام العوام، وبعدها عن التعقيد والاستكراه"[88]. ثم إن تعميق ابن قتيبة وتركيز الحديث على مواصفات وخصائص اللفظ الجيد منفرداً، وابتعاده عن كل ما يسوءه، وهو في طريقه لينضاف في تركيب وسياق، حتى ينتهي به الأمر مشكلاً نصاً شعرياً ناجزاً أمام المتلقي، هو حديث عن العملية الإبداعية/ التأليف، الشكل الآخر للكلمات بعد دخولها في السياقات. يظهر جدية الرجل وحرصه البالغ عن الجمال الذي هو نتيجة ومطلباً ملحاً ويظهر هذا جلياً من خلال المثال الذي يرويه بحق زهير، إذ يتجلى الصدق الفني والموضوعي في أبهى صوره. روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: أنشدني لأشعر شعرائكم قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[89]. فالمعاظلة هنا وصف للقول بشكل شامل، ولأسلوب الشاعر أيضاً، وبابتعاد زهير عنها، صار ينظر عمر بن الخطاب له على أنه أشعر الشعراء، والمعاظلة هي صفة من صفات عدم الحسن في التأليف الفني، والصدق الموضوعي. لذلك يجب أن تسلم الألفاظ من الغرابة، والحوشية، والتعقيد ومن اختلال الوزن، بمعنى أنه يريد اللفظ على صورتيه في الإفراد والتأليف[90].

ويتفق أكثر من باحث على أن ابن قتيبة يعني في حديثه عن الألفاظ والمعاني "التأليف والنظم، أنه يريد الصياغة كلها بما تضمه من لفظ، ووزن، وروي، وظاهر الأمر أن هذه الأضرب الأربعة لأقسام الشعر جاءت نتيجة حصر علمي، فللشعر عنصران اثنان عند ابن قتيبة لفظٌ ومعنى، وكلاهما يجيء حسناً حيناً ورديئاً حيناً"[91]. ويعلل باحث آخر "على أي أساس تكون الصياغة حسنة أو حلوة أو قاصرة، وعلى أي أساس يكون المعنى جيداً أو متخلفاً؟ تكون الصياغة حسنة، عندما تكون حسنة المخارج والمطالع والمقاطع والسبك، عذبة، لها ماء ورونق، سهلة، بعيدة عن

التعقد والاستكراه.... وتكون حسنة إذا خلت من عيوب الشعر، وضروراته، واستقام الوزن وحسن الروي، أما المعاني الجيدة فهي الحيوية المادية إن صح التعبير، والمعاني التي تتحدث عن تجربة أو أمر واقع في الحياة"[(92)]. ويتفق الدارس مع من ذهب إلى أن ابن قتيبة كان موضوعياً في النظر إلى ثنائية اللفظ والمعنى إذ يقول: "فيما انحاز الجاحظ إلى جانب اللفظ، ذهب ابن قتيبة مذهب التسوية ولهذه القضية ركنان (اللفظ والمعنى) ومميزان (الجودة والرداءة) ولا بأس أن يتجه ابن قتيبة في هذا نحو المنطق، وإن كان يكرهه علماً، فيجد أن الشعر أربعة أضرب لا تسمح العلاقة المنطقية في نظره بأكثر منها... فالمسألة إذن مسألة صلة بين المعنى واللفظ، وعلاقة الجودة في كليهما معاً هي المفضلة، وهذا يعني أن المعاني نفسها تتفاوت، ويستشف من أمثلة ابن قتيبة ان المعنى عنده قد يعني الصورة الشعرية، مثلما يعني الحكمة... إن قضية اللفظ والمعنى لم تتناول العمل الأدبي كله، بحيث تتطور إلى ما نسميه الشكل والمضمون "[(93)]. ويرى آخر "أن المعنى عنده فكرة واضحة، تحوي حكمة أو فلسفة أو أخلاقاً[(94)].

لذلك يعجبه من المعاني قول لبيد:

ما عاقب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح[(95)]

هذا الضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه، وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق. يقول العربي درويش "نستطيع القول بأن الشعر الجيد عند ابن قتيبة هو الذي يحتوي على معنى، وأن المعنى عنده فكرة، أو معنى أخلاقي"[(96)].

وسيقوم الدارس بإيراد الأمثلة بناء على هذا التقسيم سواء أكانت سلبية أم إيجابية مورداً رأي ابن قتيبة، ويجد الدارس تطبيقات ابن قتيبة النقدية في مجالات مختلفة في نقده للنصوص، علميةً قد يعز نظيرها.

المثال:

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجةٍ ومسَّحَ بالأركانِ مَنْ هو ماسحُ

وشدَّتُ على حُدبِ المهاري رحالُنَا ولا ينظرُ الغادِ الذي هُوَ رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيِّ الأباطحُ

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ويدرجها تحت صنف ضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى[97] لكنها تخلو من المعنى الجيد.

وقال كقول النابغة (للنعمان)

خطاطيفُ حجنُ في حبالٍ متينةٍ تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازع

قال أبو محمد رأيت علماءنا يستجيدون معناه ولست أرى ألفاظاً جياداً ولا مُبنيةً لمعناه وعلى أني أيضاً لست أرى المعنى جيداً[98].

ويعلق على أشعار أخرى بقوله وهذا الشعر بيّن التكلف رديء الصنعة[99]. ويذكر:

وتقولُ بوزعُ قد دببتُ على العَصَا هلاً هزئتِ بغيرِنَا يا بوزَعُ

قال له أفسدت شعرك بهذا الاسم وكان رد هذا البيت بسبب عدم انسجام موسيقى لفظه بوزع.

أما بالنسبة للاعتناء بالألفاظ فقد أورد ابن قتيبة في أكثر من مكان في كتابه أنه سيذكر من الشعراء "أهل الأدب الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو"[100]. "وقال كل علم محتاج إلى السماع وأحوجه إلى ذلك علم الدين ثم الشعر لما فيه من الألفاظ الغريبة واللغات المختلفة والكلام الوحشي وأسماء الشجر... فإنك لا تفصل في شعر الهذليين إذا أنت لم تسمعه بين شابه وسابه وهما موضعان"[101]. فقال معلقاً على بيت النابغة:

كليني لهمٍ يا أميمة ناصبُ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبُ

لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب[102].

وقال:

فاليوم أشرب غير مستقبِ إثماً من الله ولا واغلِ

ولولا أن النحويين يذكرون هذا البيت ويحتجون به في تسكين المتحرك لاجتماع الحركات، وأن كثيراً من الرواة يروونه هكذا لظننته

"فاليوم أسقى غير مستحقبِ"[103]

والبيت السابق لامرئ القيس.

وجاء فيه "وقال أبو محمد وقد رأيت سيبويه يذكر بيتاً يحتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض، على المعنى لا على اللفظ وهو قول الشاعر:

معاوي إننا بشرٌ فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

قال: كأنه أراد: لسنا الجبال ولا الحديدا، فرد الحديد على المعنى قبل دخول الباء، وقد غلط على الشاعر لأن هذا الشعر كله مخفوض".[104]

ولذلك في إطار نقده أثناء ترجمته قال: "والعرب لا تروي شعر أبي دُؤاد وعدي بن زيد وذلك لأن ألفاظهما ليست بنجدية"[105]. وفي نقده لآخر كان يقول: "كان يتتبع الألفاظ الأجنبية" وفي تعليق آخر كان يقول "جمع ثلاثة ألفاظ أعجمية في بيت واحد"[106].

ومما يعاب على الأعشى قوله:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد" وكان قد يستغني بإحداها عن جميعها[107] فالتكرار في البيت لا طائل من ورائه، بل أدى إلى التعقيد اللفظي. ولذلك يذكر خبراً عن النابغة الذبياني "كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونقاً وأجزلهم بيتاً كان شعرهُ كلاماً ليس فيه تكلف..."[108]. والشاعر نفسه قال أبو عبيدة يقول من فضّل النابغة على الشعراء وهو أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع وأحسنهم مطالع، ولشعره ديباجه..."[109].

فالوضوح مطلب أساسي للمبدع أن يتتبعه في الألفاظ، وفي التراكيب، وفي المقاطع والمطالعُ، كأنه يحذر من المبدع المتكلِف الذي يعاني في صناعته لشعره من الأمور التي تبهم الشعر، وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة بالمعاني غنىً عنه"[110].

لذلك نبه ابن قتيبة المبدع إلى ضرورة أخذ الحيطة من الضرورات، لأنه "قد يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه" [111]، كقول لبيد:

ترّاك أمكنتة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها

يريد أترك المكان الذي لا أرضاه إلى أن أموت، لا أزال أفعل ذلك[112].

ويعلق ابن قتيبة على بيت للفرزدق:

وعض زمانٍ يا ابن مروان لم يدع   من المال إلا مُسحتاً أو مجلفُ

قائلاً: "فرفع آخر البيت ضرورة وأتعب أهل اللغة في العلة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيء يرضي، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر، أن كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه، وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال: عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا؟"[113]، وهذه إشارة إلى الغموض والتعقيد الذي يطال بعض الأبيات نتيجة مخالفتها لقواعد اللغة، أو الإغراق فيها، وهو تمحل ومخالفة لأجل المخالفة.

وقد يضطر الشاعر فيقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور، وقد يضطر فيصرف غير المصروف، وقبيح أن لا يصرف المصروف[114]. وهذه مخالفات تؤدي إلى تعقيد النصوص تقع في دائرة اللحن والتصحيف.

فمن أخطاء الألفاظ خطأ اللحن كخطأ الفرزدق في كسر راء "ريرُ" آخر بيته:

على عمائمنا تُزجى وأرحُلنا   على زواحف تُزْجى مُخها ريرُ

وحقها الرفع.

كما أن من عيوب الشعر ما يقع فيه بعض المصحفين في كتابته كخطئهم في قراءة "الرتلات" في البيت:

زوجُك يا ذاتَ الثَّنايا الغُرِّ   والرَّتلاتِ والجَبين الحُرِّ

يرويه المصحفون والآخذون عن الدفاتر "والربلات" بالباء، وهو أصول الفخذين، يقال فلان عظيم الربلتين أي عظيم الفخذين، وإنما هي الرتلات، يقال: "ثغر رتلٌ إذا كان مفلجاً".

أما الغموض الفني فهو مطلب لذوي الاختصاص، يزيد الشعر جمالاً؛ لأنه يبتعد بالنص عن المباشرة والتسطيح، لكنه لم يفضل الغموض الناتج عن التعقيد لأجل التعقيد الناشئ عن استعمال النافر من الألفاظ، أو الخشن من الأساليب، أو ما ينشأ عن التصحيف من أغلاط قد تنأى بالمعنى بعيداً في النص. قال رشيد للمفضل الضبي: اذكر لي بيتاً جيد المعنى يحتاج إلى معاركة الفكر واستخراج خفيه ثم دعني وإياه فقال له المفضل الضبي: أتعرفُ بيتاً أوله أعرابي في شملتهِ هابٌ

من نومته، كأنما صدر عن ركبٍ جرى في أجفانهم الوسن، يريد يستفزهم بعنجهية البدو وآخره مدني رقيق، قد غُذي بماء العقيق، قال: لا أعرفه، قال هو بيت جميل: ألا أيها الركب النيام ألا هبّوا/ ثم أدركتهُ رقة المشوق فقال أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُ؟[115]. ولذلك امتدح ابن قتيبة الشاعر الذي يستطيع أن يذهل المتلقي ويضفي عليه جو المتعة ويشغله بطريقة جذابة وممتعة، (وعند ابن قتيبة نقرأ حكماً نقدياً يصور لنا مفهوم الاتحاد الفني في بساطة واختصار، فيخيّل للإنسان أن صاحبه كان يتمثل نظرية الاتحاد الفني تمثيلاً صادقاً وهذا الحكم هو (أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه) ولم يخفِ ابن قتيبة إعجابه بهذا المفهوم حين صدرّ هذه العبارة بقوله "ولله دَرُّ القائل" فأشعر الناس من جعلك تعيش في شعره، فتكون أنت هذا الشعر، وصلة الحكم على هذا النحو بالقيمة الجمالية، شأنها شأن الصورة السابقة[116] ولا يكون هذا الاستمتاع بالنص إلا بعد الجهد المبذول من قبل الشاعر ومعاينته لنصه واكتشاف مواطن الجمال بعد ذلك.

وفي نهاية البحث يؤكد الدارس أن ابن قتيبة قد طوف على كل عناصر التأليف الشعري ولقد وقف على هذه العناصر وقوف مدقق متدبر، يكشف عن تمكن ودربة وثقافة عالية وتجربة طويلة في معاينة النصوص الشعرية، في النظر في النصوص، كما تنبع أهمية هذا البحث من أنه بدأ الحديث عن أهمية تثقيف النصوص وتنقيتها من الأخطاء والعيوب في مرحلة مبكرة نسبياً من تاريخ النقد الأدبي، إذ أن ابن قتيبة تحدث حديثاً شيقاً في ثقافة النصوص الشعرية والاعتناء بها من قبل المبدع، منذ أن تكون ألفاظ منفردةً مروراً بدخولها في سياقات وتأليفات وتراكيب إلى أن تكون نصوصاً جاهزةً أمام المتلقي، لقد كان المبدع في كتاب الشعر والشعراء هو محور اهتمام ابن قتيبة والعملية الإبداعية على حد سواء، لقد أحاطه علماً بكل ما يمكن أن يجود ويحسن نصه الشعري، وحذره في الوقت نفسه بكل ما قد يلحق بالنص الشعري من القبح أو السوء أو التشويه، لقد بدأ ابن قتيبة الحديث مع المبدع من الإطار النقدي والثقافي مطمئناً إياه من ثنائية القدم والحداثة، إذ أن مقياس نجاح المبدع يقاس بمدى مطابقة نصه لمعايير الفصاحة والبلاغة ومراعاة قواعد اللغة، وليس بمدى تقدم الشاعر أو تأخره، كما طمأنه من طبيعة انتمائه الفني شاعراً متكلفاً كان أو مطبوعاً، ولقد ذهب في الحكم على الشعراء في هذه الثنائيات مذهب التسوية والاعتدال، دون أن ينحاز لأي منهما.

وتحدث ابن قتيبة عن ابتعاد الألفاظ بعد ذلك عن الأخطاء والأغلاط والوحشي والناثر من الأساليب وعن كل الصفات التي تبعد اللفظ عن الفصاحة والبلاغة وتقربه من التعقيد والاستكراه والغموض، وتحدث عن الألفاظ بعد دخولها في تراكيب مشكلة سياقات، وكيف يجب أن تكون سهلة المخارج حسنة المطالع رشيقة بليغة ذات رونقٍ وجمال، وتحدث عن أقسام هذا الشعر بحسب هذه الصفات للألفاظ والمعاني كما تحدث عن عيوب القوافي والأوزان والموسيقى ونبه

المبدع من الإكثار من الضرورات كما تحدث عن مخالفة السياقات والنصوص لقواعد اللغة ومعايير الفصاحة.

كما لفت ابن قتيبة نظر المبدع إلى مراعاة الحالة النفسية له وقت النظم، متحدثاً عن عواطف المحبة والكراهية وعن الغرائز واحتياجات المبدع النفسية والمادية من متع الحياة وأثر ذلك كله على العلمية الإبداعية، كما تحدث عن أثر العامل البيئي على الشعر، ثم لم يترك ابن قتيبة موطناً من مواطن النصح والإرشاد إلا ولفت المبدع إليه كالاهتمام بثقافته، والاعتناء بالمتلقي ومقامه الطبقي ومزاجه وحالته النفسية.

Ibn Kuteibah and His Critical Views

Hashim Al-Azzam, *Department of Applied Arabic, Irbid University College, Al_balqa'a Applied University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This reach sought to study "ibn khuteibeh and his critical views " in ibn khuteibah's Al-shai'r walshu'ara book by considering these views through the following cores: the first core examined the nature of the composer's relation –ship with his text by considering the dualism of oldness and recency ,nature and artificiality ,poem section and the tecpient .

The research examined this relationship in another core through new dualisms by considering words and meaning ,rhymes ,the effect of the environmental factor , psychological motives,the poet's culture and their whole reflction on the poetic text with the author's views inregard to thes critical issues.

قدم البحث للنشر في 2008/2/25 وقبل في 2008/8/28

الهوامش

(1) عبد القادر الرباعي، التأويل: دراسة في آفاق المصطلح، عالم الفكر، ع30، مج 13، ص 167.

(2) د. غسان السيد، النص الأدبي بين المبدع والمتلقي، المعرفة، ع407، 1997، السنة السادسة والثلاثون تصدر عن وزارة الثقافة السورية، ص 163.

(3) التأويل، ع 31، ص 167.

(4) Amberto Eco، ملاحظات حول سيميائيات التلقي، ترجمة محمد العماري، علامات المغربية، ع10، 1998 ص 26.

(5) احسان عباس، تاريخ النقد عند العرب دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 101.

(6) محمد عزام، الأسلوبية، منهجاً نقدياً، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، 1989، ص 84.

(7) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، ج1، 1977، ص 68.

(8) د. عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1986، ص 391.

(9) الشعر والشعراء، ص 69.

(10) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع، جامعة الإسكندرية/ منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 138.

(11) عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 379.

(12) الشعر والشعراء، ص 68.

(13) المصدر نفسه، ص 66.

(14) المصدر نفسه، ص 80-81.

(15) المصدر نفسه، ص 80-81.

(16) محمد خرماش، فعل القراءة، علامات المغربية، ع10، ص 58.

(17) احسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، ص 100.

(18) امبرتو ايكو, ملاحظات حول سميائيات التلقي, علامات المغربية، ص 37 1998.

(19) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 100 وانظر الشعر والشعراء، ص 82.

(20) المصدر نفسه، ص 100.

(21) د. يوسف بكار، بناء القصيدة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، الفجالة، 1979، ص 280.

(22) محمد الربداوي، المتخير من كتب النقد العربي ,مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1ن 1981، ص 71.

(23) بناء القصيدة، ص 327.

(24) محمد رمضان الجربي، ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس- ليبيا، ط1، 1984، ص 201.

(25) الشعر والشعراء، ص 82.

(26) المصدر نفسه، ص 83.

(27) المصدر نفسه، ص 82.

(28) المصدر نفسه، ص 82.

(29) المصدر نفسه، ص 96.

(30) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 100.

(31) الشعر والشعراء، ص 83.

(32) المصدر نفسه، ص 83.

(33) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 101.

(34) الشعر والشعراء، ص 107.

(35) يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، ص 185.

(36) نقلاً عن عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق- بغداد، ط3، 1986، ص 191.

(37) محمد رمضان الجربي، ص 200.

(38) الشعر والشعراء، ص 116.

(39) المصدر نفسه، ص 133.

(40) المصدر نفسه، ص 143.

(41) المصدر نفسه، ص 145.

(42) المصدر نفسه، ص 83.

(43) المصدر نفسه، ص 94.

(44) المصدر نفسه، ص 83.

(45) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 97.

(46) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع، ص 163.

(47) طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة، بيروت- لبنان، ص 126.

ويذكر الجربي هنا رأياً مفاده أن ابن قتيبة "قد اضطرب في التفريق بين التكلف وتثقيف الشعر"(ابن قتيبة، ص 205)، وبناء على هذا الرأي لنا أن تعتبر زهيراً والحُطيئة من المبدعين النقاد.

(48) شكري المبخوت، جماليات الألفة،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ط1 1993 ص 55.

وقد علق عز الدين إسماعيل على هذا الرأي في الاسس الجمالية في النقد الأدبي عندما قال: "وقد يخلط ابن قتيبة بين معنى الصنعة، والتكلف حيث تحدث عن هذه المدرسة... فالمتكلف هو الذي... ويتابع عز الدين إسماعيل ويسود مفهوم الصنعة هذا، فنجده عند من أخذوا أنفسهم بالمثل الفنية القديمة فلم يكن شعرهم يخلو من صنعة، والنقاد أنفسهم كانوا يقيمون وزناً لهذه الصنعة، مهما كان تخوفهم وتزمتهم من هذه الصنعة (الأسس الجمالية، ص 147-148).

(49) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص 139.

(50) محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي عالم الفكر، ع 1، مج 30، 2001، ص 14.

(51) شكري المبخوت، جماليات الألفة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، 1993، ص 54.

(52) الشعر والشعراء، ص 83.

(53) محمد مشبال, البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، ص75.

(54) محمد رمضان الجربي، ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية ص 204.

(55) الشعر والشعراء، ص 84.

(56) نقلاً عن محمد رمضان الجربي، ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية، ص 88.
(57) محمد الربداوي ,المتخير من كتب النقد، ص 72.
(58) الشعر والشعراء، ص 85.
(59) المصدر نفسه، ص 86.
(60) طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 125.
(61) عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 391.
(62) الشعر والشعراء، ص 86.
(63) المصدر نفسه، ص 85.
(64) المصدر نفسه، ص 87.
(65) المصدر نفسه، ص 100.
(66) المصدر نفسه، ص 100.
(67) يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، ص 80-81.
(68) المصدر نفسه، ص 89.
(69) الشعر والشعراء، ص 87.
(70) المصدر نفسه، ص 88.
(71) المصدر نفسه، ص 85.
(72) احسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، ص 100.
(73) المصدر نفسه، ص 101.
(74) الشعر والشعراء، ص 88.
(75) المصدر نفسه ص 91-92.
(76) المصدر نفسه، ص101-103.
(77) شكري المبخوت، جماليات الألفة، ص 67.
(78) الشعر والشعراء، ص79.
(79) المصدر نفسه، ص 101.
(80) المصدر نفسه، ص 109.

(81) المصدر نفسه، ص 108.

(82) المصدر نفسه، ص 149.

(83) المصدر نفسه، ص 96.

(84) نقلاً عن محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، المصدر نفسه، ص 149.

(85) المصدر نفسه، ص 66.

(86) المصدر نفسه، ص 99.

(87) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع، ص 142.

(88) نقلاً عن عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 382.

(89) الشعر والشعراء، ص 144.

(90) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع، ص 142 وانظر طه إبراهيم.

(91) طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 124.

(92) المصدر نفسه، ص 124.

يظهر من تقسيم ابن قتيبة للألفاظ والمعاني على هذا الشكل أنه "وسع شقة الخلاف بين اللفظ والمعنى وفصل بينهما فصلاً صارماً وقسم الشعر تبعاً لجودة اللفظ والمعنى. وهو بذلك يخضع الشعر لقواعد العلم التي لا تقبل الجدل" (د. العربي حسن درويش، النقد الأدبي، ص 82).

(93) احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي، ص 96.

(94) د. العربي حسن درويش، النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 83.

(95) الشعر والشعراء، ص 74 وانظر محمد زغلول سلام تاريخ النقد الأدبي والبلاغة.

(96) العربي حسن درويش، النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين، ص 86.

(97) الشعر والشعراء، ص 72.

(98) المصدر نفسه، ص 74.

(99) المصدر نفسه، ص 76.

(100) المصدر نفسه، ص 65.

(101) المصدر نفسه، ص 88.

(102) المصدر نفسه، ص 72.

(103) المصدر نفسه، ص 105.

(104) المصدر نفسه، ص 105.

(105) المصدر نفسه، ص 441.

(106) المصدر نفسه، ص 211.

(107) المصدر نفسه، ص 270.

(108) المصدر نفسه، ص 163.

(109) المصدر نفسه، ص 101 وانظر محمد زغلول سلام، ص 174.

(110) المصدر نفسه، ص 94.

(111) المصدر نفسه، ص 104 وانظر محمد زغلول سلام، ص 174.

(112) المصدر نفسه، ص 104.

(113) المصدر نفسه، ص 95.

(114) المصدر نفسه، ص 107.

(115) المصدر نفسه، ص 79.

(116) عز الدين إسماعيل، لأسس الجمالية، ص 204.

المراجع والمصادر

ابراهيم، طه أحمد. (د.ت). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الحكمة، بيروت -لبنان.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1977). **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط3، ج1.

اسماعيل، عز الدين. (1986). **الأسس الجمالية في النقد العربي**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق، ط3.

بكار، يوسف. (1979). **بناء القصيدة العربية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، الفجالة.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. (د.ت). **البيان والتبيين**، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

الجربي، محمد رمضان. (1984). **ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1.

الجويني، مصطفى الصاوي. (2000). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار المعرفة الجامعية.

درويش، العربي حسن. (د.ت). **النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الربداوي، محمد. (1981). **المتخير من كتب النقد العربي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

سلام، محمد زغول. (د.ت). **تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع**، جامعة الإسكندرية / منشأة المعارف بالإسكندرية.

عباس، احسان. (1997). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

عبد العال، عبد السلام عبد الحفيظ. (د.ت). **نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا**، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف.

عتيق، عبد العزيز. (1986). **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، د .عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط4 ،.

عزام، محمد. (1989). **الأسلوبية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.

المبخوت، شكري. (1993). **جمالية الألفة**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1.

الدوريات

خرماش، محمد. (1998). **فعل القراءة**، علامات، ع 10، **مجلة فصلية**، المدير المسؤول سعيد بنكراد، المغرب

درابسة، محمود. (1995). نظرة في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي عند النقاد العرب القدماء، **مؤتة للبحوث والدراسات**، جامعة مؤتة، مؤتة، الأردن، المجلد العاشر، ع2.

الرباعي، عبد القادر. (2002). التأويل: دراسة في آفاق المصطلح، **عالم الفكر**، مج 3.

السيد، غسان. (1997). النص الأدبي بين المبدع والمتلقي، **دار المعرفة**، ع407 السنة السادسة والثلاثون تصدر عن وزارة الثقافة السورية.

المتقن، محمد. (2004). **في مفهومي القراءة والتأويل**، **عالم الفكر**، ع2، مج 33.

مشبال، محمد. (2001). البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، **عالم الفكر**، ع1، مج 30.

البحوث المترجمة

Amberto Eco. (1998). ملاحظات حول سيميائيات التلقي، ترجمة محمد العماري، **علامات المغربية**، ع10.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 165- 184

أثر التكرار في شعر الصاحب بن عباد

محمد ابنيان وسهيل خصاونة وفرحان القضاة *

ملخص

التكرار ظاهرة أسلوبية متشعبة الدلالات، عميقة الإيحاءات، لا تكاد تحصر معانيها، ولها - وإن تعددت الدراسات فيها- طعوم ومذاقات تختلف من شاعر إلى آخر- وإن جمع بينهما عنوان مشترك- وهذا مبرر ألا يقع التكرار في التكرار. من هنا، عمدت هذه الدراسة إلى ديوان الصاحب بن عباد؛ فتعقبت هذه الظاهرة فيه، ولكنها عرضت لمفهوم التكرار أولا، ثم وقفت عند اختلاف النقاد وتباين آرائهم فيه ثانيا، ثم أشارت إلى الأنواع التي يمكن يصنف فيها التكرار أخيراً.

مقدمة:

يبدو أن التكرار يشكل في حس الإنسان عموما نوعا من الإشكالية المربكة للوهلة الأولى، فالعقل العربي واجه أسلوب التكرار بكثير من الحيرة والتوجس، خصوصا لأنه ورد في كثير من الآيات القرآنية،ولأن التكرار مرتبط في الحس بمفهوم الزيادة وليس في القرآن زيادة، ولهذا انصرف جماعة من النقاد إلى نفيه جملة وتفصيلا عن القرآن، مقدمين التعليلات الموجبة لذلك، بينما أقر آخرون بوجوده، في حين نفاه فريق آخر دون تقديم الأسباب[1].

ولم يقتصر مثل هذا الفهم للتكرار على العقل العربي كما يبدو، بل إن كلمة التكرار تثير نوعا من الحساسية في العقل الغربي كذلك، فالتكرار عند بعضهم يبدأ في اللحظة التي يصل فيها الإنسان إلى نقطة العجز وعدم القدرة على الإبداع، أو كما عبر هارولد بلوم حين قال: (حيثما تنتهي الرغبة يبدأ التكرار بالنبض)، ولذلك فهو أحد الخصوم الرئيسين الذين يجب محاربتهم، لأنه يتقلص بالتالي إلى غريزة الموت بفعل اللامبالاة، وقد تكفل علم النفس عندهم بمهمة التصدي لهذا الخصم اللدود[2].

يبقى التكرار- رغم كل ما قيل وما يقال- ظاهرة موجودة في الكلام، أي كلام، دون أن يعني بالضرورة إعادة المعنى من دون سبب أو لضحالة في الفكر، أو لعدم قدرة، بل ينصرف التكرار إلى دلالات مغنية لمعاني الكلام، وإيحاءاته فهو قد يؤكد أهمية اللحظة الواحدة وتشظيها إلى آلاف

* قسم العلوم الإنسانية - اللغة العربية، جامعة العلوم التكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

اللحظات، أو يشير إلى أهمية الموقف، أو أهمية الفعل، أو أهمية الاسم في بناء الموقف وتطوره، وأحيانا أهمية الروي في ضبط الإيقاع العام، كما يسهم أحيانا في إشراق زمن القصيدة الأسطوري(3).

نستطيع القول مطمئنين، إن التكرار ظاهرة أسلوبية تدعو الحاجة اليه أحيانا في مواطن، إن ترك فيها كما يقول "الخطابي" كان مثل تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار، ويواصل "الخطابي" قائلا يحتاج الى التكرار، ويحسن في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط، والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها، وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل: عجل عجل، وارم ارم، كما يكتب على الأمور المهمة على ظهور الكتب: مهم مهم مهم، ونحوها من الأمور(4).

نعتقد باختصار، أن أسلوب التكرار يعكس حالة نفسية معينة عند مستعمله، فقد يأتي التكرار للتنبيه على الأهمية، وكأنه يطلب أن نضع أكثر من خط تحت هذا المكرر، وربما يأتي ليزيد في درجة اللون، أو الألم، أو الفرح، أو الخطر، أو الجمال، أو القبح، إلى آخر هذه الأشياء التي تتأبى على الحصر.

مفهوم التكرار:

للتكرار مفهومان؛ واحد لغوي، والآخر اصطلاحي، فاللغوي؛ هو مصدر الفعل "كرر" بمعنى ردد وأعاد، ويقال كرر الشيء تكرارا وتكريرا بمعنى أعاده مرة بعد أخرى(5) والتكرار (بفتح التاء المشددة) مصدر، وبكسرها اسم.

أما المفهوم **الاصطلاحي** للتكرار، فهو "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"(6)، أو هو "تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة"(7) كما يقول "ابن معصوم" وهو الذي نفذ إلى عمق التعليل كما هو واضح من خلال قوله "لنكتة"، ولم يقف على الحدود الخارجية للوصف، فالتكرار يأتي لتحقيق بعض الفوائد المقصودة التي لا تتحقق إلا به.

ويعد التكرار وسيلة نقدية مهمة من وسائل نقدية أخرى تعين القارئ على تحديد سلوكيات النص الفنية وإدراك ما يحفل فيه من أفكار ودلالات. ويخلق نوعاً من العلاقة بين النص والمتلقي تقوم على المنافسة والتحدي والتأويل التي تعد شرطاً لبقاء الخطابين المقروء والحالي(8).

قِدم التكرار:

إن ظاهرة التكرار ملازمة للخطاب الشعري، وقد يكشف التكرار عن رؤى الشعراء بحيث يمنح المتلقي قدرة أخرى لفهم النصوص، والتكرار قديم الوجود في الاستعمال الأدبي فهو موجود في الشعر الجاهلي، ويبرز حارا يتلظى في معلقة عمرو بن كلثوم حين فتحها أنفاسا من جهنم بوجه عمرو بن هند، فساءله "بأي مشيئة عمرو بن هند" مساءلة لم يستطع الزمن أن يخفف من حدتها، وفاخره بضمير الجماعة "نحن"، مفاخرة ما زال صداها يتردد في وعي الزمان وذاكرته،وانتقل بعد ذلك إلى "أنا" مؤكدا بأنهم العاصمون، وأنهم الباذلون وأنهم المانعون، وأنهم المنعمون، وأنهم المهلكون، وأنهم الشاربون الماء صفوا حين يشربه غيرهم كدراً وطيناً[9].

وهكذا يجسد التكرار اهتمام الشاعر الجوهري بصورة أو بموقف أو بحركة أو غيرها يلح عليها ويكررها في غير موقع واحد، وبذلك يمكننا رصد هذه المكرورات واستقرائها وكشف ما وراءها وما يختزن بداخلها.

موقف النقاد من التكرار:

انقسم النقاد في نظرتهم إلى التكرار ثلاثة أقسام:

ا- فريق مؤيد　　2- فريق مؤيد بشروط　　3- فريق رافض

الفريق المؤيد:

يعد أحمد بن فارس على رأس هذا الفريق، ويرى أن التكرار والإعادة من سنن العرب، وأنه يأتي لغرض الإبلاغ بحسب العناية بالأمر[10]، وعلى هذا جرى "ابن جني"، فبين أن العرب تستخدم التكرار لتوكيد الأمر، وتمكينه، والاحتياط له[11]، أما "ميثم البحراني" فقد عد معرفة المرء التكرار من الأمور المهمة في النظم[12]، ولعل من اللافت أن نعرف أن" التبريزي "عد معرفة الشاعر التكرار، من الأمور الواجبة[13] وفي النقد الحديث، انضم "جيمس مونرو" إلى فئة المؤيدين للتكرار، حيث يقول: "والشعر مبني كله على شكل أو آخر من أشكال التكرار"[14].

الفريق المؤيد بشروط:

يعد هذا الفريق التكرار عيا وعجزا، ولا يقبله إلا بشرط أن يكون له فائدة، بحيث يأتي بالقدر الضروري الذي يحتاج إليه، فهذا "الجاحظ" يرى أن التكرار ليس بعي ما دام أنه جاء لفائدة؛ مثل مخاطبة الساهي، وأنه غير زائد عن الحد الضروري الذي يحتاج إليه[15].

ويرى أبو "هلال العسكري"، أن العرب استعملت التكرار من أجل توكيد القول للسامع[16]، أما "ابن معصوم" فقال: "لا ريب في قبح التكرار إذا خلا من نكتة"[17].

الفريق الرافض:

يظهر "ابن سنان" في طليعة هذا الفريق، إذ يرى أن التكرار من الأمور التي تذهب ببهاء الكلام وفصاحته ورونقه، يقول: "ولا أعرف شيئا يقدح في الفصاحة، ويغض من طلاوتها، أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه[18]. وهذا حكم قطعي لا يظهر فيه صاحبه استعداده للنظر في المواقف والاستعمالات المختلفة لظاهرة التكرار وهذا النوع من الأحكام هو الأخطر على الفكر والأشد على المعرفة وربما كان هذا النوع من التفكير هو السائد في عالمنا إلى وقت ليس ببعيد. وقد انضم القزويني إلى هذه الفئة وعد "التكرار من عيوب الكلام[19]، ومن المحدثين انظم "دويدري" الذي شرح كتاب التلخيص إلى "القز ويني" في عده التكرار من عيوب الكلام[20].

والحق بعد هذا التطواف كله؛ أن التكرار لا يعيب الكلام ما دام أنه جاء خدمة للسياق، وتمكينا للمعنى، فإن لم يكن كذلك، فإنه عبث لا طائل من ورائه، بل لا يسمى عند ذلك تكرارا، بل هو تطويل يتنافى مع قاعدة العرب المشهورة: "خير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل"[21]، وقولهم الآخر: "خير الكلام ما قل في الخطاب، ودل في الصواب"[22]، يقول أحد الباحثين المحدثين بحق التكرار في الشعر الحديث: "إنه إن لم يحقق هدفا معنويا أو موسيقيا لا غنى عنهما، يصبح التكرار نافلة يمكن حذفها، بل يصبح مخلا ببناء القصيدة، وعبئا ثقيلا عليها"[23].

التكرار اللفظي في شعر الصاحب بن عباد:

الصاحب بن عباد هو إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس، أحد شعراء القرن الرابع الهجري ولد سنة 326هـ وتوفي سنة 385هـ اتصل بأبي الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه، ثم أصبح كاتباً لابن العميد، ثم اختاره الأمير أبو منصور بويه بن ركن الدولة مرافقاً وكاتباً له، تتلمذ على عدد من علماء عصره كأبي الفضل محمد بن العميد وأبو الحسين أحمد بن فارس والسيرافي وغيرهم، له ديوان شعر تردد ذكره في المصادر القديمة والحديثة، تميز فيه منهج الأدب في عصره والخصائص التي كانت تطبع الأدب بطابعها آنذاك، وكان اهتمام الصاحب بن عباد بتضمين قصائده بعض القصص والحوادث واهتم بالمضامين الدينية المتعلقة بعلي بن أبي طالب، كما اهتم بالزخرفة المتعمدة في شعره[24].

وقد كثر التكرار في شعر الصاحب حتى غدا ظاهرة وتعددت أنواعه وتباينت أغراضه ودلالاته المعنوية، وهذا ما سنعمل على بيانه وتوضيحه، ويكشف لنا أبعاداً ترتبط بالمؤلف ويسلط الضوء على رؤيته للأشياء ونظرته إليها بكل ما يوحي به خياله المبدع. بحيث يمكن للمتلقي تلمس مواطن الإبداع في النص وعناصر الجمال المختلفة فيه ويحفزه على الاستجابة لقراءة نقدية واعية وعميقة، ويجعله أكثر قرباً لفهم بنية النص وتحليل دلالاته وشيفراته.

أنواع التكرار:

ينقسم التكرار اللفظي في شعر الصاحب بن عباد - تبعا لعدد الألفاظ المكررة - إلى ثلاثة أقسام هي:

أولاً: تكرار الكلمة الواحدة:

وهذا النوع من أبسط أنواع التكرار، وفيه يكرر الشاعر كلمة واحدة في بداية كل بيت من أبيات متتالية من قصيدة كما تقول "نازك الملائكة"(25)، وهو يحتاج إلى شاعر كبير مقتدر ليرتقي به إلى ذرى التعبير، وإدراك قيمة الكلمة المكررة وما بعدها من الكلام، وهذا كثير عند" الصاحب"، ومثاله قوله في مدح "علي" كرم الله وجهه، يقول:

عليٌ علي في المواقف كلِها ولكنكم قد خانكم فيه مولـدُ

عليٌ أخو خير النبيين فاخرسوا أو استبصروا فالرشد أدنى وأقصـدُ

عليٌ له في الطيرِ ما طار ذكرهُ وقامت به أعداؤه وهي تشهـدُ(26)

يكرر الصاحب في هذه الأبيات كلمة "علي" وهي كلمة تدل على اسم علم له مكانته المقدسة المجبولة بالعاطفة الدينية المشحونة بقضايا فكرية في نفس الشاعر تكرارا يكشف تفرد علي كرم الله وجهه ببعض الصفات؛ فهو الفذ ذو المنزلة العالية، وهو أخو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أحب الناس إليه، كان جواب دعوته صلى الله عليه وسلم عندما دعا ربه أن يأتيه بأحب الناس إليه ليشاركه في أكل طائر مشوي كان لديه صلى عليه الله وزاده تعظيما كما يلمح البيت الأخير(27).

يستحضر الشاعر كلمة "علي" غير مرة بشكل تتابعي تصاعدي لا تبدو في هذه الأبيات تكرارا لفظيا عاديا، بل يسعى إلى تعميق مكانة "علي" وتأسيس صورة جاءت عناصرها مشحونة بمعانى العلو والرفعة، جسدت لإرث فكري قيمي وجداني حي، فحلق في سموق يوحي به معنى البيت الأخير، وهذا هو البديع في بديع المعنى الذي تحكمه طرافة وجدة وليس ملء فراغ وحشوا(28).

ثانياً: تكرار كلمات معينة في صدر البيت أو تكراره كاملاً مع تغيير بسيط:

وهو ما أسماه "مونرو" القالب الصيغي، إذ يقول: يشتمل القالب الصيغي بمعناه الدقيق على التكرار الحرفي، أو شبه الحرفي فقط، ويمكن أن يختلف في الطول متراوحا من كلمتين إلى ثلاث كلمات، وقد يمتد إلى شطر كامل، أو بيت كامل من الشعر(29).

يقول الصاحب:

مَن كالوصي عليٍ عند سابقةٍ والقومُ ما بين تضليلٍ وتسفيه
مَن كالوصي عليٍ عند ملحمةٍ والسيفُ يأخذ من يهوى ويعطيه
مَن كالوصي علي عند مشكلةٍ وعلمهُ البحرُ قد فاضت نواحيهِ
مَن كالوصي علي عند مخمصةٍ قد جادَ بالقوتِ إيثارا لعافيهِ (30)

تتجلى في هذا الشكل من التكرار _التساؤلي الملح- أ نفاس حرى مخلصة "لعلي" كرم الله وجهه، نتلمس من خلالها خطاباً وجدانياً جسدت التركيز على صفاته الطيبة وإبرازها فبدت عميقة راسخة، نبضت الألفاظ بالحياة والإيمان أفضت إلى فلسفة الحياة والموت، فـ"علي" رضي الله عنه فارس الحرب والملاحم، وهو فارس العلم والمعرفة والسلام. ويكشف الشاعر هنا عن إشراقات هذه الشخصية وما تثيره من تأملات لا متناهية. يقول وهب رومية إن التكرار عبر ظاهرة الأسئلة المتلاحقة التي لا تنتظر جوابا تعبر عن كثافة عاطفية يرزح الشاعر تحت وطئتها(31).

ثالثاً: تكرار صدر البيت كاملا:

ورد هذا التكرار في مواضع متعددة في ديوان الصاحب وبأشكال مختلفة:

أ- تكرار صدر البيت في صدور أبيات متتالية مثل قوله:

لم يعلموا أنّ الوصيَّ هو الذي غلب الخضارمَ كلَّ يومِ غلابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي آخى النبي أخوة الانجابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي سبق الجميع بسنة وكتابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي لم يرض بالأصنام والأنصابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي آتى الزكاة وكان في المحرابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي حكم الغدير له على الأصحابِ
لم يعلموا أن الوصي هو الذي قد سام أهل الشرك سوم عذابِ (32)

يسعى هذا الشكل من التكرار إلى نقل أهمية الفكرة التي يرمي إليها الشاعر، وهو تكرار موظف لتقرير جهل الأعداء، وبيان عدم معرفتهم بعلي كرم الله وجهه ومزاياه الرفيعة ومآثره الطيبة، فهو الفرد الذي لا يجارى في الشجاعة والعلم، وهو الذي آخى الرسول، وهو الذي لم يسجد لصنم، وهذا ما لم يفعله غيره[33]، والشاعر متشيع لعلي بن أبي طالب بوضوح. فهو يؤكد ما يذهب إليه بعض الشيعة من حيث أنه وصي الرسول- صلى الله عليه وسلم- الذي أوصى له بالإمامة من بعده، وقدمه يوم "غدير خم" على جميع أصحابه[34].

ولا يخفى على قارىء هذه الأبيات المدقق هذا "اللهاث" المتشكل من التكرار المتوالي للضمير المنفصل "هو" وهو ما يشكل انعكاسا واقعيا للأفعال التي تلته في عجز البيت اللاحق فغلاب الخضارم يعقبها النصب والتعب كما في البيت الأول والمؤاخاة يلزمها الصبر كما في البيت الثاني والسبق في البيت الثالث وعدم السجود الى الأصنام في البيت الرابع ودفع الزكاة وتأديتها تحتاج كلها إلى جهاد نفسي كما في البيت الخامس وفي البيتين السادس والسابع فواضح فيهما سبب اللهاث.

إن التكرار هنا حاصل للازمة بنائية تتمثل بصدر البيت كاملا، وهذا التكرار له أهميته من حيث قدرته على صيانة وحدة النص من التشتت، حيث تعيد أطرافه جميعا إلى بؤرة واحدة هي اللازمة نفسها على نحو ما هو موجود في عينية أبي ذؤيب ولازمتها: " والدهر لا يبقي على حدثانه" حيث كانت هذه اللازمة حاضنة للقصيدة حمتها من الخلخلة والتشعث[35].

ب- تكرار صدر البيت الأول من القصيدة في عجز البيت الأخير منها:

يقول في قصيدة في مدح آل البيت بلغت ستة وثلاثين بيتا مطلعها:

دمنٌ عفون بذي الأراكِ خلَّفن قلبي ذا ارتبـاكِ [36]

ومختتمها:

أنشِد وردِّد وارو لي دمنٌ عفونَ بذي الأراكِ [37]

يعيدنا الصاحب بهذا الأسلوب من التكرار في المختتم إلى المبتدأ، وهذا من الناحية النفسية إكمال للبناء النفسي؛ فالدمن التي أربكت قلبه في البداية، عادت لتحط رحالها في النهاية، ولكن بعد أن ضمت بين حضنيها مدح علي كرم الله وجهه، وذم أعدائه، وهذا ملمح نفسي مهم، ربما يشير إلى أن الشاعر يريد أن يقول إنه لا ينتهي من مدح علي وذم أعدائه، وكلما اقترب من النهاية يتحفز وينطلق من جديد.

ولربما نطلق على هذا النوع من التكرار "تكرار القصيدة كاملة"، وليس تكرار صدر البيت الأول في عجز البيت الأخير، فالشاعر يطلب صراحة إنشاد وترديد "دمن عفون بذي الأراك"، وهو يتضمن معنى القصيدة كاملة وليس فقط الصدر، وهو ما نفعله نحن اليوم ونعنيه.

ج- تكرار البيت كاملا:

لا نجد في أشعار الصاحب تكرارا للبيت الكامل في القصيدة الواحدة، ولكننا نعثر على مثل ذلك في قصائد مختلفة أو في مقطوعات متفرقة، يقول عن "علي" كرم الله وجهه وقد كان يعرف بحيدرة(38):

سـيدُ الناسِ حيـدرَة هذه خيرُ تذكـرة (39)

وعاد لتكرار هذا البيت في موضع آخر في ديوانه، يقول:

سيدُ الناسِ حيـدره هـذه خـيرُ تذكـرة

لعـن اللهُ كلَّ مَـن ردَّ هذا وأنكـره (40)

يبدو واضحاً أن الشاعر يستند على التكرار في نقل ثقافته الفكريه إلى الآخرين، ويستحضر سيادة "علي"، ويرى في ذلك أمراً واقعاً، ويمزج بين شريف اللفظ وعفيف المعنى، فهو يستغل التكرار هنا كتقنية تبشيرية للمذهب الذي يعتقده، بطريقة تكثيفية مباشرة وظاهرة. ويقابل الشاعر بين معنيين الأول يتمثل بالمجد العام والسيادة المطلقة لشخصية علي بي أبي طالب، بينما يتمثل الآخر باللعنة والتخصيص لفئة من الناس حدد إطارها. لذا يأتي التكرار أداة بيد المتلقي تساعده على معالجة النص وكشف شيء من مكنوناته المختبئة.

د- تكرار الحرف:

يكثر الشعراء المحدثون والقدامى استخدام تكرار الحرف في قصائدهم كما تقول "نازك الملائكة"(41)، فهو شكل من التكرار الدقيق، وقد شاع أسلوب تكرير القافية عند العرب في قصائدهم لما في ذلك من نغمة إيقاعية متساوية(42)، وقد ورد عند "الصاحب" ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها "عليا" كرم الله وجهه، حيث كرر حرف النداء "يا"، وشخص المنادى بصورة ملفتة، يقول:

ويا "حـنينُ "احتفل لتنبىء عـن مقامهِ والسيوفُ تـغشـاهُ

يا" أحـدُ" اشهد بحقٍّ مشهده واسعَ لتفصِح بقدرِ مسعـاهُ

يا "خيـبرُ "انطق بما خبرت وقل كيف أقـام الهـدى وأرضاهُ

ويا "غديرُ" انبـسط لتسمعهم من كنت مولاه فهو مولاهُ (43)

إن التكرار عبر "ياء" النداء الذي يتردد في جو الأبيات، ويستلهم صداه من التاريخ الحافل وظروف الحضارة المشرقة، ولا ريب ذلك الإرث الحضاري الذي شارك "علي" كرم الله وجهه في صياغته وصنعه. ولا يشترط أن تتناسب قوة التاثير مع حجم المؤثر طرديا بل تتناسب أحيانا عكسيا ولعل هذا ما ألمحت إليه نازك الملائكة حين قالت إن تكرار الحرف نوع دقيق فتكرار الحرف أحيانا يأتي بما لا تأتي به الجملة بل القصيدة كاملة وربما نلمس هذا في تكرار حرف الياء في المقطوعة التي أمامنا وهو نداء يشكل انحرافا عن المألوف اذ ليس من المألوف أن تتلاحق كل هذا التلاحق وبالتالي فهي ليست سوى تعبير عما يعتلج بين جوانح الشاعر من مشاعر[44]. فقد استطاعت هذه الياءات أن توقظ التاريخ وتبعثه من مراقده ولكن إيقاظ التاريخ وبعثه كان من أجل الشهادة لعلي كرم الله وجهه.

ولعلنا نلاحظ في تكرار حرف الهاء أن الشاعر يتأوه على الماضي، ويستند على هذه الآهات لكسر ما يحتقن في صدره من ضغط نفسي كبير.

دلالات التكرار المعنوية في شعر الصاحب:

يعرف التكرار في علم الأسلوب، بأنه الملمح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية تفوق مجرد دوره اللغوي كما يقول "صلاح فضل"[45]. والتكرار من حيث الدلالة، هو إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بغيرها كما ترى "نازك الملائكة"[46]، وهذا مؤشر نفسي على صاحب النص، يوحي بسيطرة هذا العنصر على فكره أو شعوره أو لا شعوره، ويظهر بين لحظة وأخرى[47]. ويذهب باحث آخر، إلى أن اللفظ المكرر، هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم يكرر ما يثير اهتماما عنده، ويحب في الوقت ذاته نقله إلى الآخرين؛ من مخاطبين، أو من هم في حكم المخاطبين، ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والمكان[48].

ولعل الغرض الرئيس من التكرار كما يقرره صاحب كتاب "المرشد إلى فهم أشعار العرب"، هو تقوية العواطف كالحنين والتعجب وغير ذلك[49]، وهذا أمر صحيح إلى حد بعيد، إذ أن دور التكرار اللفظي كبير في الإيحاء بأمور تعجز عن الإيحاء بها أساليب أخرى كثيرة.

إن التكرار لا يأتي إلى النصوص منساقا يجرر أذياله، بل هو فن وقدرة من صاحب النص، وتوظيفه هو المقياس الذي يعتمد عليه في نجاحه أو عدمه[50].

لقد أدى التكرار في شعر الصاحب، دلالات معنوية شتى يمكننا إجمالها على النحو التالي:

- التخصيص:

من آثار التكرار أنه يزيد الشيء المكرر تميزا عن غيره، كما يقول أحد الباحثين(51)، لذا فقد وجدنا "الصاحب" يكرر الضمير المنفصل "أنت" العائد على أمير المؤمنين تسعة وأربعين مرة في إحدى قصائده متبوعاً بالاسم الموصول "الذي"، وكأن "عليا" كرم الله وجهه ماثل أمامه، سامع قوله،وما هذا إلا لقوة حضوره في نفس الشاعر الذي انقطع عن الحاضر وعاش في الماضي؛ فرأى ممدوحه ماثلا أمامه، قد انكشفت عنه حجب الغيب، فشرع يخاطبه هذا الخطاب الحافل الطاغي الصادق، الذي تتفجر من بين ثناياه حرارة الصدق والانفعال، يقول:

أنتَ الذي بسـيفهِ ورمحه الدين كمــلْ
أنتَ الذي في الوحي تبـ يين علاه قد نــزلْ
أنتَ الذي نام على الـ فراشِ في ليل الوجـلْ
أنتَ الذي صلى أمـا م الناس مع خير مصـلْ
أنتَ الذي جـدل في بـدر العفاريت العضـلْ
أنتَ الذي في أحـدٍ ثبت طودا كالـجبلْ
أنتَ الذي بخيــبرٍ أزحت أصناف العـللْ

ومنها:

أنتَ الذي قد زوج الـز زهـراء يا خـير الوصــلْ
أنتَ الذي بالحسنيـ ـن السيدين قد نســلْ(52)

إن مدلول الضمير المنفصل "أنت" متلو باسم الموصول "الذي" في هذه الأبيات، وهذا يوحي بالقوة والحضور والشخصية من خلال احتلاله رتبة المبتدأ من الناحية الإعرابية، وأن البروز والتصدر تعززه صلة الموصول التي تلت الأخبار التي تلت كل مبتدأ حيث تضمنت معاني القوة والشجاعة والانتصار، وهي معان تجمعها صفة واحدة بالتالي هي البطولة، فيصبح بناء على ذلك المبتدأ والخبر وصلة الموصول مكررة، ويصبح معنى الأبيات جميعها بشكل مختصر أنت بطل وهي المادة الخام الأولى التي تشكلت منها الصور المختلفة للمقطوعة السابقة، وهو ما يساوي بالتالي قوله المشهور الذي سبق وهو: "سيد الناس حيدرة" وليس بخاف ما يوحيه التكرار من معنى الحصر، وكأنه يقول أنت أنت وليس سواك.

- التوكيد:

استخدم "الصاحب بن عباد" التكرار في شعره وقصد به توكيد الفكرة التي يتحدث عنها وتقويتها، يقول:

يا عذوليَّ عليه رمتما مني سفَاهــا
اذكرا أفعالَ بدرٍ لستُ أبغي ما سواهـا
اذكرا غزوةَ أحدٍ انه شمسُ ضحاهــا
اذكرا حزبَ حنينٍ انه بدرُ دجاهــا[53]

يتخيل الصاحب في هذه الأبيات عذولين يلومانه على حبه "عليا" كرم الله وجهه؛ فينبري للدفاع عنه، مبينا فضائله التي تدفع لحبه، فيكرر "اذكرا " طالبا منهما بإلحاح- حتى لا يترك لهما فرصة للتجاهل أو التناسي- استحضار فضائله كرم الله وجهه التي لا تنكر،وقد أذكى بحرارة عاطفته هذه، عاطفة قارئه، وأثر فيها تأثيراً بيناً، ولا عجب فبعض القصائد تعتمد في قوة تأثيرها على التكرار، كما تشهد بذلك "اليزابث درو"[54].

- التعليل:

ورد في شعر الصاحب نوع من التكرار يراد به التعليل، وليس خافيا أن إيراد العلة يكون في مجال الإقناع، إذ إن ذكر الحكم للشيء أو عليه معللا، أدعى إلى قبول الكلام والرضا به[55]، يقول الصاحب:

إذا ولاكَ سلطانٌ فزدْهُ من التعظيم واحذره وراقبْ
فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحر محذورُ العواقبْ [56]

استعمل الشاعر لفظة السلطان مرتين كما هو واضح؛ ففي الأولى أمر باحترام السلطان وتوقيره إذا أسدى معروفا، لكن مع الحذر والمراقبة والتوقي وعدم التهاون في التعامل معه، ثم جاءت اللفظة الثانية؛ لتقرع الأذن مرة أخرى، ولكن بطعم آخر ونكهة مختلفة، وهو ضرب المثل الذي يأتي دليلا مقنعا على صواب الفكرة الثانية، ولقد طغت فكرة التحذير من البحر أو كادت على فكرة السلطان أو تساوتا؛ لانهما متعادلتان في ذهن الشاعر من حيث الخطورة وعدم الوثوق في دوام الحال، وسرعة التغير والتبدل، وكل هذا أدعى إلى قبول الفكرة والإيمان بها.

- التحسر:

والتحسر نفثات تبث شوقا ولهفا على أمور فقدت، وذكريات طويت، وماض لفته ضوضاء الحاضر وعجيج الانشغال به، إنه الوفاء للماضي الذي ربما يشعرنا ولو لهنيهة بالراحة، يقول الصاحب متحسرا:

لهفي على عيشي الرقيـ ـقِ وطيب هاتيك المواردْ
لهفي على شملي الجميـ ـعِ وعهدنا بين المعاهدْ(57)

إن حرقة الشاعر على أيامه الخوالي لتنزى من لفظة "لهفي" أنفاسا حرى، نكاد نحسها تلفحنا، فنرثي له، ونشعر معه، فنرتاح من الداخل كما ارتاح هو، وهذه إحدى فوائد التحسر النفسية. من هنا يركز الشعراء على حديث النفس للتأكيد على رؤية خاصة تمكن نفسه من تجاوز حدود اللغة وتمنحه قدرة في التعبير عما يريد بالطريقة التي يريد(58).

- بيان الهيئة:

استخدم الصاحب التكرار في شعره أحيانا لغرض معنوي، هو بيان هيئة الحدث، خصوصاً أنها كانت هيئة فظيعة مريعة، يقول:

ذبحوه ذبح الأضاحي فيا قلـ ـبُ تصدعْ على العزيز الذليلِ
وطأوا جسمه وقد قطعوه ويلهم من عقاب يومٍ وبيلِ (59)

إن كلمة ذبحوه متلوة بمصدرها، لتتفجر دما وألما، وتبرز من بين حروفها الفظاعة والبشاعة والاستهجان والألم الذي يحرق قلب الشاعر، كما أن المعنى يبرز مصورا من موسيقا الحاءات المتتالية وكأنها حشرجات القتيل المنحور بمدية جزار ظالم لا يعرف قلبه الرحمة. ويعبر عن هيئة الفعل كما هو ظاهر الا أنه يحمل في ثناياه التفظيع والتشنيع والاستنكار علاوة على الوعيد والتهديد الديني الممزوج بحب جارف للثأر.

- بيان الكثرة:

من دلالات التكرار في شعر "الصاحب بن عباد" بيان الكثرة والتدليل عليها، ومن ذلك قوله:

لك الله كم أودعت قلبيَ من أسىً وكم لك ما بين الجوانح من كَلْمِ
لحاظُكَ طول الدهر حربٌ لمهجتي ألا رحمةٌ تثنيك يوماً إلى سلـمِ (60)

إن المعنى الذي تحمله "كم" مفردة، هو التكثير، فعندما جاءت مكررة، صار المعنى التكثيري مضغوطا مكثفا؛ بحيث أدى المعنى الذي يريده الشاعر بأجلى صوره، خاصة في ظل هذا الوضع النفسي الذي يحياه الشاعر مع صاحبته.

- الغزل:

وهذا النوع من الشعر قليل في شعر الصاحب، وذلك لقلة شعره الغزلي عموما، ومنه قوله:

يا قمراً عارضني على وجلْ وصالهُ يشبه تأخير الأجلْ

وقال:تبغي قبلة على عجلْ قلت:أجلْ ثم أجلْ ثم أجـلْ(61)

ما بين سؤال "القمر" الوجل العجل صاحبه الوله الذي يقاسى الشوق مقاساة الميت أثناء النزع، جاء هذا الجواب السريع الحاضر المكرر ثلاث مرات؛ فأيقظ فينا استشعار الصدق والإخلاص، وكدنا نسمع وجيب قلبه الذي أوحت به موسيقا أجل أجل أجل التي تشبه صوت ضربات القلب، لكن مترجمة بلغة اللسان.

- بيان البعد النفسي:

يخرج الكلام مشحونا بالمعنى الذي يجول في نفس صاحبه، ويتجلى لمتلقيه بقدر درجة الصدق التي صنعته، والتي قد تصل في بعض الأحوال درجة الاحتراق أو تكاد، يقول" الصاحب" في حبه" عليا" كرم الله وجهه وذمه كارهيه، يقول:

أشهدُ بالله وآلائـهِ شهادةً خالصةً صادقةْ

أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ زوجةُ مَنْ يبغضُهُ طالقَةْ

ثلاثةُ ليس لها رجعـةُ طالقةُ طالقـةُ طالقـةْ(62)

وبلغة الطلاق التي يتحدث بها الشاعر نقول: إنها حالة من الوجد "البائن بينونة كبرى" و"بالثلاث"- على رأي الفقهاء- "بعلي" كرم الله وجهه وآله، يقابلها كره شديد لا "رجعة" عنه لمبغضيه، وهو ما "يفسره إيحاء الطلاق الموجب للبعاد والفرقة الذي يسيطر على جو الأبيات، والمكرر ثلاثا، ولعل الشهادة التي أعلنها الشاعر في البداية بالله وآلائه -عهدا غليظا- تبوح بوضوح بمقدار التصميم الذي ينويه الشاعر، ويتعمده في قصد المعنى.

خاتمة:

التكرار أسلوب موجود في اللغة - أي لغة- مكتوبة كانت أم محكية، وقد وجد في شعرنا ونثرنا العربي قديمه وحديثه، ونال اهتمام النقاد قديمهم وحديثهم أيضا؛ فمنهم من رضيه وعده من محاسن الشعر، ومنهم من قبله مشروطا، ومنهم من رفضه جملة وتفصيلا، وعده عيبا من عيوب الشعر، وقد عمد هذا البحث إلى بيان ذلك وتوضيحه متبنيا رأي من عده من محاسن الشعر.

والتكرار أنواع وأصناف، حاول هذا البحث تتبع بعضها وبيانه والوقوف عند نكاته الملفتة؛ إذ هو يؤدي معاني دقيقة، ويوصل رسائل نفسية لا تفهم إلا من خلاله.

لقد اهتم النقد الحديث بمثل هذه الظواهر الأسلوبية حتى بدت وكأنها وليدته هو وحده، في حين لم يتعد دوره الحقيقي أثارتها وبعثها من جديد، فلقد كانت كامنة تنتظر من ينفخ في بوق بعثها.

After The Repetition in the Poetry of Alsaheb Ben Abbad

Mohammad Ibnian, Suhail Khasawneh and **Farhan Al-Qthah,** *Department of Humanities, Jordan University Of Science And Technology, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at showing the phenomena of verbal repetition in Al-Sahib Bin Abbad's poetry, and its semantic connotations. Before verbal repetition phenomena details, there was surveying Opinions of arab authors, and their different attitudes toward repetition.

قدم البحث للنشر في 2008/7/10 وقبل في 2008/10/26

الهوامش:

1. التكرار، حسين نصار، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2003، ص5.
2. قلق التأثر، هارولد بلوم، نظرية في الشعر، ترجمة: عابد إسماعيل، بيروت، دار الكنوز، 1998م. ص88 وص94.
3. الزمن والمكان في ديوان محمود درويش، بسام قطوس، أبحاث اليرموك، سلسلة الاداب واللغويات، مجلد 14،عدد1، 1996، ص75.
4. الباقلاني و الخطابي و الرماني، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، ص 52، 53.

5. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، ج2، ص 130. وينظر: مختار الصحاح، الرازي، مادة كرر.
6. المثل السائر، ابن الأثير، شرح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، 1984، ط2، ج3، ص7.
7. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، النجف، 1969، ج5، ص346.
8. شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رومية، سلسلة عالم المعرفة (207)، الكويت، 1996، ص24.
9. شرح المعلقات السبع، الزوزني، مكتبة المعارف، بيروت، 1972, ص 160-187.
10. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، 1963، ص207.
11. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1956، ج3، ص101-102.
12. أصول البلاغة، ميثم البحراني، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الثقافة للنشر، الدوحة، 1986، ص79.
13. الوافي في العروض والقوافي، التبريزي، تحقيق: فخري الدين قباوة، دار الفكر للطباعة، دمشق، ط4 1986، ص231.
14. النظم الشفوي في شعر ما قبل الإسلام، جيمس مونرو، ترجمة: إبراهيم السنجلاوي ويوسف الطراونة، مكتبة الكتاني، اربد، ص79.
15. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط4، ص105.
16. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص212.
17. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، ج5، ص350.
18. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تصحيح وتعليق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح بميدان الأزهر، 1952،ص114.
19. التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، ص316.

20. شرح التلخيص في علوم البلاغة، محمد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1982، ص109.

21. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء, الراغب الأصبهاني, اختصار إبراهيم زيدان, دار الآثار, بيروت, ص26.

22. أدب الإملاء والاستملاء، السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص68.

23. ظاهرة التكرار في الشعر الحر، صالح أبو إصبع، مجلة الثقافة العربية، م5، ع3، 1987، ص33.

24. ينظر: ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار القلم، ببيروت، ط2، 1974، ص6-13.

25. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1983، ص264.

26. ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار القلم، ببيروت، ط2، 1974، ص35.

27. شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين، اليماني المعتزلي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، 1965، ص91.

28. مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة، محمد بركات أبو علي، دار البشير، عمان، 1988، ص117.

29. النظم الشفوي في شعر ما قبل الإسلام، جيمس مونرو، ص20.

30. ديوان الصاحب بن عباد، ص143, 144.

31. الشعر والناقد، وهب رومية، عالم المعرفة، الكويت، عدد 331،2006،ص44.

32. ديوان الصاحب بن عباد، ص100، 101.

33. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، المطبعة الحيدرية، النجف، 1972، ص11.

34. شرح قصيدة الصاحب بن عباد، ص103.

35. الشعر والناقد، وهب رومية، ص40.

36. ديوان الصاحب بن عباد، ص135.

37. المصدر نفسه، ص139.

38. الشذرات الذهبية في تراجم ألائمة ألاثني عشر عند الإمامية، ابن طولان، تحقيق: صلاح الدين المنجد, دار بيروت، 1958، ص47.
39. ديوان الصاحب بن عباد، ص165
40. المصدر نفسه، ص219, 220.
41. قضايا الشعر المعاصر, نازك الملائكة، ص273.
42. ينظر: موسى ربابعة، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، مكتبة الكتاني، دار الكندي، 2001، ص23.
43. ديوان الصاحب بن عباد، ص62.
44. الشعر والناقد، وهب رومية، ص 70.
45. ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، صلاح فضل، مجلة فصول، م1، ع4، 1981، ص210.
46. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ص273.
47. أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، النعمان القاضي، دار الثقافة للنشـر، الأزهر، ص403،402.
48. التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين السيد، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، ص137.
49. المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب المجذوب، مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي بمصر، 1955، ج2، ص45.
50. شعر عبد القادر رشيد الناصري، عبد الكريم جعفر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989، ص241.
51. مبادئ علم النفس العام، يوسف مراد، مطابع دار المعارف بمصر، ط9، 1969، ص250.
52. ديوان الصاحب بن عباد، ص68، 69.
53. المصدر نفسه، ص115.
54. الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابث درو، ترجمة: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة, بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، 1961، ص255.
55. التكرير بين المثير والتأثي، 192.
56. المصدر نفسه، ص191-192.
57. ديوان الصاحب بن عباد، ص152.
58. ينظر: موسى ربابعة، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، ص146.

59. ديوان الصاحب بن عباد، ص262.
60. المصدر نفسه، ص283.
61. ديوان الصاحب بن عباد، ص272.
62. المصدر نفسه، ص249.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الأثير. (1984). **المثل السائر**، شرح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط2، ج3.

ابن جني. (1956). **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج3.

ابن طولان. (1958). **الشذرات الذهبية في تراجم ألائمة ألاثني عشر عند الإمامية**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار بيروت.

ابن عباد، الصاحب. (1974). **ديوان الصاحب بن عباد**، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار القلم ببيروت، ط2.

ابن فارس. (1963). **الصاحبي في فقه اللغة**، تحقيق: مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت،.

ابن معصوم. (د.ت). **أنوار الربيع في أنواع البديع**، ج5.

أبو إصبع، صالح. (1987). **ظاهرة التكرار في الشعر الحر**، مجلة الثقافة العربية، م5، ع3.

أبو علي، محمد بركات. (1988). **مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة**، دار البشير، عمان.

الأصبهاني، الراغب. (د.ت). **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**، اختصار: إبراهيم زيدان، دار الآثار، بيروت.

الباقلاني والخطابي والرماني. (د.ت). **ثلاث رسائل في اعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط4.

البحراني، هيثم. (1986). **أصول البلاغة**، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الثقافة للنشر، الدوحة.

بلوم، هارولد. (1998). **قلق التأثر، نظرية في الشعر**، ترجمة: عابد إسماعيل، بيروت، دار الكنوز.

التبريزي. (1986). **الوافي في العروض والقوافي**، تحقيق: فخري الدين قباوة، دار الفكر للطباعة، دمشق، ط4.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (د.ت). **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط4.

جعفر، عبد الكريم. (1989). **شعر عبد القادر رشيد الناصري**، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

الحمداني، أبو فراس. (د.ت). **الموقف والتشكيل الجمالي**، النعمان القاضي، دار الثقافة للنشـر، الأزهر.

الخفاجي، بن سنان. (1952). **سر الفصاحة**، تصحيح وتعليق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح بميدان الأزهر.

درو، اليزابث. (1961). **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه**، ترجمة: محمد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمنة، بالاشتراك مؤسسة فرانكلين.

دويدري، محمد هاشم. (1982). **شرح التلخيص في علوم البلاغة**، دار الجيل ببيروت، ط2.

الرازي. (د.ت). **مختار الصحاح**.

رومية، وهب. (2006). **الشعر والناقد**، عالم المعرفة، عدد 331.

السمعاني، محمد بن محمد بن النعمان. (1981). **أدب الإملاء والاستملاء**، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيد، عز الدين. (د.ت). **التكرير بين المثير والتأثير**، دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

العسكري، أبو هلال. (1981). **كتاب الصناعتين**، تحقيق: مفيد قميحه، دار الكتب العلمية، بيروت.

فضل، صلاح. (1981). **ظواهر أسلوبية في شعر شوقي**، مجلة فصول، م1، ع4.

الفيروز أبادي، أبو طاهر مجد الدين. (د.ت). **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، ج2.

القزويني. (د.ت). **التلخيص في علوم البلاغة**، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.

قطوس، بسام. (1996). الزمن والمكان في ديوان محمود درويش، **أبحاث اليرموك، سلسلة الاداب واللغويات**، مجلد 14،عدد 1.

المجذوب، عبد الله الطيب. (1955). **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي بمصر، ج2.

محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد. (1972). **الإرشاد**، المطبعة الحيدرية، النجف.

مراد، يوسف. (1969). **مبادئ علم النفس العام**، مطابع دار المعارف بمصر، ط9.

المعتزلي، اليماني. (1965). **شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد.

الملائكة، نازك. (1983). **قضايا الشعر المعاصر**، دار العلم للملايين، بيروت، ط7.

مونرو، جيمس. (د.ت). **النظم الشفوي في شعر ما قبل الإسلام**، ترجمة: إبراهيم السنجلاوي ويوسف الطراونة، مكتبة الكتاني، اربد.

نصار، حسين. (2003). **التكرار**، مكتبة الخانجي، مصر.

اتجاهات آراء طلبة مساق التربية الوطنية في جامعة اليرموك حول خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين أمام الكونغرس الأمريكي

مسعود الربضي *

ملخص

تهدف هذه الدراسة الميدانية إلى التعرف على اتجاهات أراء طلبة مساق التربية الوطنية / الفصل الثاني في جامعة اليرموك بشأن خطاب جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين أمام الكونغرس الأمريكي بمجلسيه النواب والشيوخ في 2007/3/7م من حيث مدى تمثيله لموقف عربي موحد، ورؤية النظام العربي الرسمي والمجتمع المدني العربي للدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم والشرق الأوسط، وأولوية القضايا والمشاكل التي تعترض سبيل السلام في الشرق الأوسط من العالم، والأثر الذي تركه الخطاب الملكي لدى أعضاء الكونغرس الأمريكي، وأسبابه، ومظاهره، والسبيل إلى الخروج من خطر تعرض العالم والشرق الأوسط والولايات المتحدة إلى المزيد من عنف أيدولوجيات الأرهاب والكراهية، وإمكانية التعايش مع الوضع الراهن، والآثار المترتبة على "تفاقم الحلقة الشيطانية"، واللاعبين الخارجيين أصحاب الاستراتيجيات الخاصة، ومصادر الانقسام الاقليمي والحقد والاحباط، ومرتكزات السلام المنشود، وممكنات المنطقة للتطلع بشوق وأمل إلى الأمام، وتوظيف مواردها لتحقيق المزيد من النمو المثمر، وأسس العلاقات بين الدول، وطبيعة المدخل المستخدم في الخطاب الملكي، ودور الخطاب الملكي في فك الحصار عن الشعب العربي الفلسطيني ومعنى الإرهاب، وردود الفعل المحلية (الأردنية) على الخطاب الملكي، وظروف الولايات المتحدة الأمريكية الداخلية والإقليمية والدولية المرافقة للخطاب االملكي، والفروقات ذات الدلالات الإحصائية تبعاً لمتغير الكلية والجنس والاتجاه الساسي.

1- مقدمة البحث

1-1 مشكلة البحث

لما كانت أبواب الكونغرس الأمريكي ليست مشرعة أمام رؤوساء وحكومات دول العالم، فإن من الطبيعي أن ينظر إلى من تواتيه الفرصة للحديث أمام الكونغرس الأمريكي على أنها فرصة تاريخية على صاحبها أن يستغلها بحنكة وصولاً للهدف الذي سعى إليه. والحنكة لا تتبدى من

* قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

خلال لغة الخطاب ومضمونه فقط، وانما فوق هذا وذاك من خلال المدخل الذي يختاره المتحدث لإحداث التأثير المطلوب على سامعيه ومشاهديه ليس على صعيد مستمعيه من رئيسي مجلس الكونغرس الأمريكي (النواب والشيوخ) فحسب، بل على مستوى الرأي العام الأمريكي والمؤسسات والقوى والأحزاب المؤثرة في صنعه وتشكيله.

بيد ان من حظوا بفرصة الحديث أمام الكونغرس الأمريكي لم يحظوا بها على خلفيته مكانتهم السلطوية أو دورهم في تشكيل الرأي العام، وصنع القرار السياسي في بلدانهم او لمكانتهم الإقليمية والدولية فحسب، بل لاسباب تتعلق بالمصالح الأمريكية وتصريفها داخلياً، او تلك ذات الطبيعة الكونية وأهمية المتحدث، ودوره في المساهمة في تحقيق المصالح الأمريكية سواء على الصعيد الداخلي، او على الصعيد الدولي. فمثلاً ان تعطى الفرصة لأكثر من رئيس حكومة إسرائيلي للحديث أمام الكونغرس. فهذا يعود الى مدى تأثير الساسة الإسرائيليين في تشكيل الرأي العام الأمريكي باتجاه العديد من القضايا منها ما هو داخلي مثل الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأمريكية، ومنها ما هو دولي مثل قضية الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، والعراق، وإيران، ودارافور، والصومال التي باتت في معظمها وبفعل تأثير قادة الكيان الصهيوني والمنظمات اليهودية الصهيونية المرتبطة بهم مثل "ايباك" على سبيل المثال لا الحصر تندرج بهذا القدر او ذاك في إطار القضايا الأمريكية الداخلية.

وكذا الحال بالنسبة لحديث رئيس حكومة الاحتلال في العراق نوري المالكي الذي ما كان ليحلم بفرصته الحديث أمام الكونغرس الأمريكي لو لم تتحول ورطة إدارة الرئيس جورج بوش الابن في العراق، وغوص قواته في رمال صحرائه قضية داخلية عليها يتوقف عليها مستقبل الحزب الجمهوري الحاكم الذي تحتم عليه ان يتجرع مر الهزيمة النكراء في انتخابات الكونغرس النصفية في العام الماضي بانتزاع الديمقراطيين للأغلبية في مجلس الكونغرس، الأمر الذي جعل الإدارة الأمريكية تعيش في قلق دائم وصراع سلطوي بين الكونغرس من جهة وبين ادارة الرئيس بوش من جهة أخرى.

وكان من بين القادة الذين أتيحت لهم فرصة الحديث أمام الكونغرس الأمريكي الملك عبدالله الثاني ليكون بذلك ثاني زعيم أردني بعد والده الملك الحسين يخاطب الكونغرس الأمريكي. وقد تظافرت عدة عوامل في إتاحة هذه الفرصة التاريخية للملك أهمها:

- مكانة الملك عبدالله الثاني الداخلية ودوره المفصلى في رسم معالم السياسة الداخلية والخارجية لبلاده.
- مصداقيته وسمعته الإقليمية والدولية.

- ارتباط الأردن بمعاهدة سلام مع إسرائيل.
- روابط الصداقة والعلاقات المتينة التي تجمع بين الأردن والولايات المتحدة الأمريكية سواء على مستوى الكونغرس الأمريكي، او على مستوى الإدارة الأمريكية.
- التفويض العربي شبه المطلق الذي منحه قادة الدول العربية الملك عبدالله الثاني.
- للتحدث نيابة عن العرب استناداً الى مبادرة السلام العربية المقرة في قمة بيروت عام 2002، والمؤكد عليها في قمة مكة المكرمة في آذار من هذا العام 2006، من جهة، ولما يتمتع به جلالته من ثقافة عالية وسعة الاطلاع وفهمه للذهنية الأميركية بخاصة والغربية بعامة من جهة أخرى؛ فهو خير من يمكن له من بين القادة العرب ان يؤثر في دوائر صنع القرار السياسي الأمريكي وأهمها الكونغرس الأمريكي بمجلسيه النواب والشيوخ.
- المتغيرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة على صعيد الكونغرس بمجلسيه، اذ اعتقد كل من طرفي الصراع الديمقراطيون الممسكون بالكونغرس الأمريكي من جهة، والإدارة الأمريكية من جهة أخرى ان خطاب جلالته قد يتيح لهما فرصة توظيف الخطاب الملكي لصالحه في الصراع الداخلي الدائر بينهما الذي يتمحور بالدرجة الأساس حول حرب الرئيس بوش الابن في العراق.
- المتغيرات الإقليمية والدولية وتطورات "الحرب على الإرهاب" التي تشير كل الدلائل إلى ان أمريكا في طريقها الى خسارتها، اذ تغوص في المستنقع العراقي بما يهدد مكانتها ليس على صعيد العراق وأفغانستان والشرق الأوسط فحسب، بل على الصعيد الدولي، بما قد يفتح المجال أمام إعادة تشكيل العالم والنظام الدولي على أساس تعدد الأقطاب مع دور مميز للصين الشعبية، وروسيا الاتحادية، والاتحاد الأوروبي.
- عجز الكيان الصهيوني عن النهوض بالمهمات الموكولة إليه في لبنان، الأمر الذي ظهر جلياً في الحرب التي شنها ضد المقاومة الوطنية اللبنانية التي تؤكد جميع المصادر وبخاصة الأمريكية والغربية على ان إسرائيل قد خسرت الحرب وربما هي في طريقها الى ان تخسرها في فلسطين، ليس فيما يتعلق بقدراتها التدميرية، بل على صعيد عدم قدرتها على كسر إرادة الصمود والتصدي والقتال لدى الشعب العربي الفلسطيني.

ولما كان مجلس التعليم العالي الأردني قد قرر تدريس مادة التربية الوطنية مساقاً إجبارياً في الجامعات الأردنية العامة والخاصة.

ولما كانت خطابات جلالة تشكل إحدى أهم مصادر هذا المساق وبما يجري من حوارات حولها، فان من المهم ان تجرى الدراسات حول مدى معرفة طلبة مساق التربية الوطنية على مضامين هذه الخطابات واتجاهات الرأي لديهم حولها.

ونظراً لأهمية خطاب الملك عبدالله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي، سواء لجهة مضامينه، او لجهة توقيته والظروف الأمريكية الداخلية، وكذلك الظروف الإقليمية والدولية المرافقة له ارتأى الباحث ان يتخذ منه موضوعاً لدراسته الميدانية.

واستناداً إلى ما تقدم من عرض يمكن صياغة إشكالية البحث على النحو الآتي:

- ما مدى اطلاع طلبة مساق التربية الوطنية في جامعة اليرموك للفصل الثاني من العام الدراسي 2006م/2007م على خطاب الملك عبدالله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي؟
- ما مدى إدراك طلبة مساق التربية الوطنية في جامعة اليرموك للفصل الثاني للعام الدراسي 2006م/2007م لمضامين الخطاب الملكي أمام الكونغرس وللظروف المحلية والإقليمية والدولية المرافقه له؟
- ما مدى معرفة طلبة مساق التربية الوطنية في جامعة اليرموك للفصل الثاني للعام الدراسي 2006م/2007م ببعض خصائص النظام السياسي الأمريكي مثل رئاسة الكونغرس بمجلسيه النواب والشيوخ، ومظاهر وعي الملك عبدالله الثاني للنظام القيمي والثقافة والذهنية الأمريكية؟
- ما مدى تمثيل الخطاب الملك للموقف العربي الرسمي؟
- ما مدى اتفاق آراء أفراد عينة البحث مع الرؤية الملكية للدور الأمريكي الكوني والإقليمي؟
- ما مدى اتفاق آراء أفراد عينة البحث مع الرؤية الملكية بشأن أولوية القضايا التي تتهدد السلم والأمن الدوليين؟
- ما تقييم أفراد عينة البحث للانطباع الذي خلفه الخطاب الملكي السامي لدى الكونغرس والرأي العام الأمريكي والعالمي؟
- ما الأسباب التي يراها أفراد العينة وراء الانطباع المحدث؟
- ما مظاهر تأثير الخطاب الملكي على الكونغرس الأمريكي والإدارة الأمريكية من منظور أفراد عينة البحث؟

- ما مدى اتفاق أفراد العينة مع وجهة النظر الملكية للخروج من مأزق خطر تعرض الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية والعالم الى مزيد من عنف أيديولوجيات الإرهاب والكراهية؟
- ما رؤية أفراد العينة لامكانية التعايش مع الوضع الراهن، وما مدى التوافق بينها وبين الرؤية الملكية والأمريكية للتعايش؟
- ما الأسباب التي يراها أفراد عينة البحث وراء تزايد نطاق دائرة الإرهاب (الحلقة الشيطانية) وما مدى توافقها مع الأسباب التي تضمنها الخطاب الملكي؟
- ما مدى توافق آراء أفراد العينة مع الرؤية الملكية بشأن اللاعبين الخارجيين؟
- ما مدى اتفاق رؤية أفراد العينة مع الرؤية الملكية بشان مصادر الانقسام الإقليمي والحقد والإحباط؟
- ما مدى اتفاق رؤية أفراد العينة مع الرؤية الملكية بشان مرتكزات السلام المنشود؟
- ما مدى رؤية أفراد العينة لفاعلية مساعي الملك عبدالله الثاني في تمكين المنطقة من التطلع إلى الأمام بشوق وأمل وتوظيف الموارد لتحقيق مزيد من النمو المثمر وعقد الشركات العابرة للحدود والبحث عن حلول للتحديات المشتركة في ظل الظروف الإقليمية والدولية السائدة حالياً؟
- ما مدى اتفاق أفراد العينة حول رؤيتهم لنمط العلاقات بين الدول على اختلاف أحجامها؟
- ما مدى اتفاق افراد العينة بشأن المدخل الذي اعتمده الملك عبدالله الثاني في مخاطبته للكونغرس الأمريكي؟
- ما مدى مساهمة الخطاب الملكي من منظور إفراد العينة في فك الحصار عن الشعب الفلسطيني؟
- ما الأسباب التي يراها أفراد العينة تكمن خلف الارهاب؟ او بتعبير آخر. ما طبيعة نظرة أفراد العينة للإرهاب؟
- كيف ينظر أفراد العينة لردود الفعل المحلية على خطاب الملك؟
- ما تقييم أفراد العينة للظروف المحلية والإقليمية والدولية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية؟

2-1 هدف البحث

يهدف هذا البحث الميداني الى التعرف على الآتي:

- مدى اطلاع أفراد عينة البحث من طلبة مساق التربية الوطنية / الفصل الثاني 2006م/2007م في جامعة اليرموك على نص خطاب الملك عبدالله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي، ووعيهم لمضامينه، والظروف المحلية والإقليمية والدولية المرافقة له، والمدخل الذي انتهجه جلالته في مخاطبة الكونغرس.
- مدى اتفاق رؤية أفراد العينة مع رؤية جلالة الملك بخصوص تمثيل الخطاب الملكي للموقف العربي الرسمي، وألوية القضايا الإقليمية والدولية، وسبل الخروج من مأزق انعدام التسوية للصراع الإسرائيلي – العربي، وامكانية التعايش مع الوضع الراهن، واسباب تفاقم الحلقة الشيطانية، وتحديد اللاعبين الخارجيين، ومصادر الانقسام الإقليمي، ومرتكزات السلام العادل والدائم والشامل، ومستقبل الحلول المطروحة للخروج من مأزق عدم تسوية القضية الفلسطينية، وأسس العلاقات بين الدول على اختلاف أصحابها.
- مدى مساهمة الخطاب الملكي في فك الحصار الإقليمي والدولي المفروض على الشعب العربي الفلسطيني.
- معنى الإرهاب واسبابه
- ردود الفعل الأردنية على الخطاب الملكي.

3-1 منهج البحث

لما كان تحديد منهج البحث يعتمد على إشكالية البحث ومصادره وأهدافه، فان البحث سيعتمد على المزاوجة بين المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، بمعنى وصف المتغيرات المستقلة لأفراد العينة، وتحليل بيانات العينة، ومقارنة اتجاهات الآراء لدى أفراد العينة مع الرؤية الملكية لموضوعات البحث.

4-1 أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في طبيعته الميدانية بهدفها التعرف على أهمية مساق التربية الوطنية في تنشئة جيل المستقبل تنشئة وطنية قوامها الولاء والانتماء والتعرف على مدى قدرة المنهاج وعضو هيئة التدريس على أحداث التواصل الفكري والسياسي بين القيادة السياسية من جهة، وبين جيل المستقبل وبخاصة الطلبة من جهة أخرى.

كما تكمن أهمية هذا البحث الميداني في الوقوف على مدى التوافق بين رؤى القيادة السياسية الأردنية للقضايا الوطنية والإقليمية والدولية، وبين رؤية طلبة مساق التربية الوطنية باعتباره مساقاً إجبارياً لجميع الجامعات الأردنية الرسمية.

5-1 عينة الدراسة

تتكون عينة الدراسة من (562) طالباً وطالبة من مختلف الكليات في جامعة اليرموك من اصل (2570) هم مجتمع الدراسة، أي ما يساوي (21.4%) وهي نسبة تمثيلية مقبولة، لا بل جيدة لأغراض الدراسة والتحليل واستقراء الدلالات الإحصائية؟

6-1 أداة الدراسة

استناداً الى إشكالية البحث وهدفه تم تصميم استبانة من جزأين: الأول ذو طبيعة معرفية، والثاني ذو طبيعة تتصل بالتعرف على اتجاهات الرأي لدى أفراد العينة بخصوص خطاب الملك عبدالله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي.

7-1 ثبات الأداة

قام الباحث بالتأكد من ثبات أداة الدارسة باستخدام طريقة الاتساق الداخلي من خلال معادلة كرونباخ ألفا حيث بلغ معامل الثبات للأداة (0.84) ويعتبر هذا مقبولاً لأغراض إجراء البحث.

كما تم التأكد من ثبات الأداة من خلال توزيع الاستبانة على (15) فرد من العينة وبعد أسبوعين من التطبيق تم إعادة التطبيق ومن ثم حساب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين حيث بلغت قيمته (0.86) ويعتبر هذا كافياً لأغراض تطبيق الدراسة.

8-1 صدق الأداة

تم التأكد من صدق الأداة من خلال الصدق الظاهري (صدق المحكمين) حيث تم عرض الاستبانة على مجموعة من ذوي الاختصاص من جامعة اليرموك وطلب منهم إبداء الرأي حول مدى ملاءمة فقرات الاستبانة. وقد تم الأخذ بجميع ملاحظات المحكمين لهدف تطبيق الدراسة.

9-1 الأساليب الإحصائية المستخدمة:

- التكرارات والنسب المئوية (Frequency) بهدف وصف العينة.
- واختبار معدل الاتساق الداخلي لأسئلة الاستبيان تم فحص مدى الاتساق الداخلي لأسئلة الاستبيان وفقاً لمقياس كروني أخ – آلفا، فوجد ان معامل الاتساق الداخلي وفقاً لهذا المقياس كان (0.86) مما يشير إلى اتساق متين في اسئلة الاستبانة.

2- تحليل البيانات

1-2 توزيع افراد عينة الدراسة وفق متغير الكلية

جدول رقم (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الكلية

الكلية	التكرار	النسبة المئوية
الآداب	66	11.70
التربية	127	22.60
العلوم	56	10.00
الشريعة	28	5.00
الاقتصاد	57	10.10
التربية الرياضية	27	4.80
هندسة	86	15.30
تكنولوجيا المعلومات	53	9.40
القانون	28	5.00
الفنون	9	1.60
الآثار والأنثروبولوجي	25	4.40
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (1) أن توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير الكلية يشير الى أن أعداد الطلبة في مساق التربية الوطنية قد تراوح ما بين (9) بالنسبة الى كلية الفنون و(127) بالنسبة الى كلية التربية التي احتلت الدرجة الأولى بنسبة (22.60%)، تليها كلية هندسة الحجاوي بنسبة (15.30%)،في حين جاءت كلية الفنون في المرتبة الأخيرة بنسبة (1.60%) من مجموع عينة الدراسة، الأمر الذي قد يعود إلى تذبذب أعداد الطلبة وفق الكليات المختلفة في الجامعة.

2-2 توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير الجنس

جدول رقم (2): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الجنس

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	235	41.8
أنثى	327	58.2
المجموع	**562**	**100**

يتضح من الجدول رقم (2) أن توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير الجنس قد تراوح ما بين (235- 327)، أي ما نسبته (41.8 - 58.2). وقد احتلت الإناث الدرجة الأولى بنسبة (58.2%). أما الذكور فكانت نسبتهم (41.8%). وهذا يعود على ما يبدو الى ان عدد الطالبات في جامعة اليرموك يفوق عدد زملائهن من الطلاب، اذ تبلغ نسبتهن اكثر من (60%) من مجموع طلبة اليرموك.

3-2 توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير الاتجاه السياسي

جدول رقم (3): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير الاتجاه السياسي

الاتجاه السياسي	التكرار	النسبة المئوية
مستقل	130	23.10
وطني	142	25.30
قومي	17	3.00
يساري	18	3.20
إسلامي	60	10.70
لا سياسي	195	34.70
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (3) أن توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير الاتجاه السياسي قد تراوح بالنسبة لأعداد الطلبة في مساق التربية الوطنية ما بين (17-195)، أي ما نسبته (3.0% - 34.70%). وقد مثل التيار اللا سياسي أعلى تكرار بنسبة (34.70%)، يليه التيار المستقل في المرتبة الثانية بنسبة (23.10%)، فالتيار السياسي الوطني بنسبة (25.30%)، فالتيار الإسلامي بنسبة (10.70%)، في حين جاء التيار القومي في المرتبة الأخيرة بنسبة (3.00%) فقط.

واذا ما اضيف عدد المستقلين (130) بنسبة (23.10%) الى الاتجاه اللا سياسي فيعني ذلك ان نسبة التيار اللا سياسي / المستقل تصل الى (57.80 %) من مجموع عينة الدراسة.

3- محور الآراء

3-1 الجهة التي يمثلها خطاب جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين

جدول رقم (4): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب جهة التمثيل "خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي يمثل موقفا موحدا ل"

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
كل الدول العربية	543	96.60
المجتمع المدني العربي	19	3.40
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (4) ان (96.60%) من مجموع أفراد عينة الدراسة يرى بان الخطاب الملكي امام الكونغرس الأمريكي يمثل مواقف كل الدول العربية، في حين ان (3.45%) فقط يرى انه يمثل موقف المجتمع المدني العربي. وهذه الرؤية تتفق الى حد بعيد مع الاتجاه السائد في الأوساط السياسية والاعلامية واوساط الراي العام الأردني وحتى العربي

3-2 الدور القيادي الأمريكي

جدول رقم (5): توزيع اجابات أفراد عينة الدراسة حسب الدور الأمريكي القيادي: اتفق والرأي القائل بان الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة مجددا للممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي العربي لان

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
النظام الرسمي العربي ينظر إليها على أنها مفتاح السلام والبلد	239	42.50
دول الاعتدال الرباعية تنظر على أنها مفتاح السلام	52	9.30
الناس في المنطقة لا يزالون ينظرون إليها	271	48.20
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (5) ان (48.20%) من مجموع افراد عينة الدراسة يرى بأن الناس في المنطقة لا يزالون ينظرون الى الولايات المتحدة الامريكية بأنها مدعوة لممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي العربي، في حين يرى (42.50%) من مجموع افراد عينة الدراسة بأن النظام الرسمي العربي ينظر للولايات النتحدة الأمريكية على أنها مفتاح السلام في المنطقة. اما الذين يرون بان دور الاعتدال فقط هي من ترى الولايات المتحدة الامريكية تملك مفتاح السلام في المنطقة. وهنا يلحظ المرء تجاوبا بشكل او بآخر مع الرؤية الملكية، الامر الذي قد يعود الى تاثير الهيئة التدريبية على طلبة مساق التربية الوطنية.

3-3 أولوية المشاكل والقضايا

جدول رقم (6): توزيع اجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لأولوية المشاكل والقضايا: اتفق والرأي القائل بأولوية

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
المشكلة الفلسطينية	538	95.70
الحرب على الإرهاب	24	4.30
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (6) بان الغالبية شبه المطلقة من إجابات أفراد عينة الدراسة قد اتجهت فيما يخص اولوية المشاكل والقضاية الى ان المشكلة الفلسطينية تحتل المرتبة الأولى وبتكرار بلغ (538)، أي ما نسبته (95.70%)، في حين ان (24) فرداً من مجموع افراد العينة، أي ما نسيته (4.30%) يرى بأن الحرب على الارهاب تحتل الاولوية. الامر الذي يشير الى توافق معظم افراد عينة الدراسة مع رؤية جلالة الملك بشأن اولوية المشكلة الفلسطينية على ما سواها من مشاكل اقليمية او دولية مثل الحرب على الارهاب.

4-3 الانطباع الذي تركه خطاب جلالته لدى الكونغرس الأمريكي

جدول رقم (7): توزيع اجابات أفراد عينة الدراسة حسب الانطباع الذي ولده الخطاب لدى الكونغرس الأمريكي: ترك خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي أثرا

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
إيجابيا فاعلا	442	78.6
أثرا محدودا مؤقتا	47	8.4
غير ذي اثر	73	13
المجموع	**562**	**100**

يتضح من الجدول رقم (7) ان اكثر من ثلاثة ارباع أفراد عينة الدراسة يرى بأن الخطاب الملكي أمام الكونغرس الامريكي قد ترك أثراً ايجابياً فعالاً لدى اعضائه وبتكرار بلغ (442)، أي ما نسبته (78.6%)؛ اما عدد الذين يرون بأنه لم يكن ذي اثر فكان (73)، أي ما نسبته (13%)، في حين ان القائلين بأنه ترك أثراً محدوداً ومؤقتاً فكانوا (47)، أي ما نسبته (8.4%) من مجموع افراد العينة.

وعليه فإن الاتجاه الغالب لآراء افراد العينة يتفق الى حد كبير مع اتجاهات الرأي لدى الاوساط السياسية والاعلامية المحلية والعربية والاجنبية، كما تم رصده في وسائل الاعلام على اختلاف اشكالها.

3-5 أسباب الانطباع الإيجابي للخطاب الملكي أمام الكونغرس الأمريكي

جدول رقم (8): توزيع اجابات أفراد عينة الدراسة حسب أسباب التأثير: الانطباع الإيجابي الذي تركه جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي كان بسبب

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
المدخل القيمي الذي بدا وأنهى به خطابه	304.00	54.10
استشهاده بمقولات للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت	89.00	15.80
الظروف المحلية والإقليمية والدولية الصعبة للإدارة الأمريكية	169	30.10
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (8) ان اكثر من نصف أفراد عينة الدراسة رأى بأن الانطباع الايجابي الذي خلفه الخطاب الملكي لدى الكونغرس الامريكي يعود الى "المدخل القيمي الذي بدأ وأنهى به خطابه" بتكرار بلغ (304.00)، أي ما نسبته (54.10%) محتلاً بذلك المرتبة الاولى، يليهم القائلين بأن السبب يعود "للظروف المحلية والإقليمية والدولية الصعبة للإدارة الأمريكية" وبتكرار بلغ (169)، أي ما نسبته (30.10%)، في حين ان من يرى بأن "استشهاد جلالته بمقولات الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت" هو السبب فجاء في المرتبة الثالثة والاخيرة بتكرار بلغ (89.00)، أي ما نسبته (15.80%) من مجموع افراد عينة الدراسة، وهذا يعني ان جلالته كان موفقاً في ابتداره واختتامه لخطابه بمدخل قيمي "لا نتكلم الا اذا كان الكلام افضل من الصمت".

3-6 مظاهر تأثير خطاب جلالته على الكونغرس الأمريكي.

جدول رقم (9): توزيع اجابات أفراد عينة الدراسة حسب مظاهر تأثير خطاب جلالته على الكونغرس الأمريكي

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
تأكيد بوش على أن السلام في الشرق الأوسط يحتل أولوية بالنسبة لإدارته	230	40.90
إيفاد بوش وزيرة خارجيته رايس لتحريك السلام في الشرق الأوسط	190	33.80
موافقة مجلس النواب على ميزانية الحرب الأمريكية في العراق	93	16.50
ممارسة مزيد الضغط على إيران من خلال السعي بتشديد العقوبات	49	8.70
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (9) ان معظم أفراد عينة الدراسة يرى بأن "تأكيد الرئيس بوش على ان السلام في الشرق الأوسط يحتل أولوية بالنسبة لإدارته" هو ابرز المظاهر بتكرار بلغ (230)، أي ما نسبته (40.90%)، تليها "إيفاد الرئيس بوش وزيرة خارجيته رايس لتحريك عملية السلام في الشرق الأوسط" بتكرار بلغ (190)، أي ما نسيته (33.80%)، فـ "موافقة مجلس النواب على ميزانية الحرب الامريكية في العراق" بتكرار بلغ (93)، أي ما نسبته (16.50%)، أما "ممارسة مزيد من الضغط على ايران من خلال السعي لتشديد العقوبات عليها" فجاء في المرتبة الرابعة والاخيرة بتكرار بلغ (49)، أي ما نسبته (8.7%) من مجموع افراد عينة الدراسة.

وبهذا فإن معظم افراد عينة الدراسة لا يزال يولى تصريحات كبار المسؤولين الامريكيين اهمية مع ان مثل هذه التصريحات التي تدخل في اطار التعمية والتضليل السياسيين لم تسفر حتى الآن عن شيء في مجال التوصل الى تسوية عادلة للصراع الاسرائيلي – العربي من ناحية، الامر الذي يعني عدم الوعي السياسي من ناحية اخرى.

7-3 سبل الخروج من المأزق

جدول رقم (10): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعاً للسبل الكفيلة بالخروج من "خطر تعرض الشرق الأوسط وUSA والعالم إلى مزيد من عنف أيدلوجيات الإرهاب والكراهية لا يمكن أن يتم إلا من خلال

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
عالم منفتح ملؤه الأمل والتقدم والعدالة للجميع	240	42.70
إحلال السلام في الشرق الأوسط	283	50.40
تخلي إسرائيل عن طبيعتها العنصرية العدوانية	39	6.90
المجموع	**562.00**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (10) ان نصف افراد العينة ونيّف يرى بأن "احلال السلام في الشرق الاوسط" هو السبيل للتصدي والتغلب على "خطر تعرض الشرق الاوسط والولايات المتحدة الامريكية والعالم الى مزيد من عنف أيدلوجيات الإرهاب والكراهية " وبتكرار بلغ (283)، أي ما نسبته (50.40%)، يليها في المرتبة الثانية "عالم منفتح ملؤه الأمل والتقدم والعدالة للجميع" بتكرار بلغ (240)، اي ما نسيته (42.70%)، في حين احتلت الفقرة الخاصة بـ "تخلي اسرائيل عن طبيعتها العنصرية العدوانية" المرتبة الثالثة والاخيرة وبتكرار بلغ (39)، أي ما نسبته (6.90%). وهذا يشير الى ان (93.10%) من مجموع افراد عينة الدراسة يتفق مع السبيلين الثاني والاول الواردين في الخطاب الملكي، في حين ان نسبة ضئيلة من افراد العينة ترى في تخلي

اسرائيل عن عنصريتها وعدوانيتها سبيلاً للخروج من المأزق، ولعل ذلك يعود الى ان جلالته لم يورد هذا السبب في خطابه امام الكونغرس الامريكي!

8-3 قابلية التعايش مع الوضع الراهن

جدول رقم (11): حسب التعايش مع الوضع الراهن غير ممكن في ظل توزيع اجابات افراد عينة الدراسة

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
عالم منغلق شعوبه منقسمة	215	38.30
غياب السلام في الشرق الأوسط	212	37.70
عدم قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس	116	20.60
انسحاب أمريكيا من المنطقة وتركها وشانها	19	3.40
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (11) أن اجابات أفراد عينة الدراسة قد اتجهت ظغلى عدم قابلية التعايش مع الوضع الراهن في ظل "عالم منغلق شعوبه منقسمة" بتكرار بلغ (215)، أي ما نسبته (38,30%) محتلة بذلك المرتبة الأولى، يليها في الترتيب "غياب السلام في الشرق الأوسط" بتكرار بلغ (212)، أي ما نسبته (37,70%)، فـ "عدم قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس" في المرتبة الثالثة، في حين أن (19) فرداً من مجموع أفراد العينة، أي ما نسبته (3,40%) يعيدون عدم قابلية التعايش مع الوضع الراهن إلى " انسحاب أمريكا من المنطقة وتركها وشأنها".

وعليه يمكن القول بأن معظم أفراد عينة الدراسة يتفق مع الرؤية الملكية في الأسباب الحائلة دون قابلية التعايش مع الوضع الراهن حتى فيما يتعلق بمضمون الفقرة الرابعة "انسحاب أمريكا من المنطقة وتركها وشأنها"، التي لم ترد في الخطاب الملكي أمام الكونغرس الأمريكي.

9-3 تفاقم الحلقة الشيطانية

جدول رقم (12): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة حسب تفاقم الحلقة الشيطانية: ازدياد نطاق دائرة الإرهاب واشتداد حدته والدوران المتسارع لحلقة الإرهاب يعود إلى

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
تناقص ثقة الناس في عملية السلام	158	28.10
النهج العسكري المتغير والأسلحة المستخدمة فيه	26	4.60
تزايد أعداد اللاعبين الخارجين	245	43.60
دفع الأديان بالتصادم والمواجهة	133	23.70
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (12) أن (245) فرداً من مجموع أفراد عينة الدراسة، أي ما نسبته (43,60%) يعيدون تفاقم الحلقة الشيطانية إلى "تزايد أعداد اللاعبين الخارجيين" لتحتل بذلك هذه الفقرة المرتبة الأولى من بين جميع الأسباب الواردة في هذا الجدول، يليها في المرتبة الفقرة (أ) المتعلقة بـ "تناقص ثقة الناس في عملية السلام" بتكرار بلغ (158)، أي ما نسبته (28,10%)، يليها في المرتبة الثالثة الفقرة (د) الخاصة بـ "دفع الأديان للتصادم والمواجهة" بتكرار بلغ (133)، أي ما نسبته (23,70%)، في حين أن الفقرة (ب) "النهج العسكري المتغير والأسلحة المستخدمة فيه" قد جاءت في المرتبة الرابعة والأخيرة بتكرار بلغ (26)، أي ما نسبته (4,60%) من مجموع أفراد العينة.

وعليه يمكن الاستنتاج بأن معظم أفراد عينة الدراسة قد اتفق بقدر أو بآخر مع الأسباب التي أوردها جلالة الملك عبد الله الثاني في خطابه باستثناء الفقرة المتعلقة بـ "النهج العسكري المتغير والأسلحة المستخدمة فيه".

10-3 اللاعبون الخارجيون أصحاب الاستراتيجيات الخاصة

جدول رقم (13): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة حسب اللاعبين الخارجيين أصحاب الاستراتيجيات الخاصة هم

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
إيران	67	11.90
سوريا	9	1.60
الصين	29	5.20
إسرائيل	457	81.30
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (13) أن (457) فرداً، أي ما نسبته (81,30%) يرون بأن إسرائيل هي اللاعب الخارجي الأول صاحب الاستراتيجية الخاصة، يليها في المرتبة الثانية إيران بتكرار بلغ (67)، أي ما نسبته (11,90%)، فـ "الصين" في المرتبة الثالثة بتكرار بلغ (29)، أي ما نسبته (5,20%)، فـ "سوريا" في المرتبة الرابعة والأخيرة بتكرار بلغ (9)، أي ما نسبته (1,60%) فقط.

وعليه يمكن الاستنتاج بأنه بقدر ما كان أفراد عينة الدراسة واعون للخطر الاسرائيلي، فإنهم وإن هم وضعوا إيران في المرتبة الثانية، لم يقدروا حقيقة الخطر الايراني حق قدره، ولعل ذلك نابع من تستر إيران تحت غطاء الدين الإسلامي من جهة والادعاء بمحاربة أمريكا من جهة اخرى.

3-11 مصادر الانقسام الاقليمي والحقد والاحباط.

جدول رقم (14): حسب تتمثل مصادر الانقسام الإقليمي والحقد والإحباط ب... توزيع اجابات افراد عينة الدراسة

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
الأزمة العراقية	42	7.50
الأزمة اللبنانية	21	3.70
إنكار العدالة والسلام في فلسطين	311	55.30
السياسة الأمريكية المنحازة لإسرائيل	188	33.50
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (14) أن معظم أفراد عينة الدراسة يعيد مصادر الانقسام الاقليمي والحقد والاحباط إلى سبب "انكار العدالة والسلام في فلسطين" بتكرار بلغ (311)، أي مل نسبته (55,30%)، يليه في المرتبة الثانية "السياسة الأمريكية المنحازة لإسرائيل" بتكرار بلغ (188)، أي ما نسبته (33,50%) يليه في المرتبة الثالثة "الأزمة العراقية"، بتكرار بلغ (42)، أي ما نسبته (7,50%) في حين جاءت الأزمة اللبنانية في المرتبة الأخيرة وبتكرار بلغ (21)، أي ما نسبته (3,70%) وبهذا يكون معظم أفراد العينة قد اتفق في رؤيته لمصادر الانقسام الاقليمي والحقد والإحباط مع الرؤية الملكية التي ترى وبحق أن المشكلة الفلسطينية هي أم المشكلات وأن حلها سيفضي إلى حل المشكلات والأزمات المتولدة عنها مثل الأزمتين العراقية واللبنانية.

3-12 السلام المنشود

جدول رقم (15): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لمرتكزات السلام المنشود من اهل المنطقة

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة عاصمتها القدس	385	68.50
دمج إسرائيل في إقليم الشرق الأوسط لتكون بذلك جزء منه	90	16.00
تمكين دول المنطقة من التطلع بشوق وامل إلى الأمام	68	12.10
المقاومة على اختلاف أشكالها	19	3.40
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (15) ان معظم افراد عينة الدراسة يرى بأن السلام المنشود من اهل المنطقة يستند بالدرجة الأساس الى ضرورة "قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة عاصمتها القدس" بتكرار بلغ (385)، اي ما نسبته (68.50%)، يليه في المرتبة الثانية مرتكز "دمج اسرائيل في اقليم الشرق الأوسط لتكون بذلك جزء منه" بتكرار بلغ (95)، اي ما نسبته (16.00%)، فـ "تمكين دول المنطقة من التطلع بشوق وامل الى الامام" في المرتبة الثالثة بتكرار بلغ (68)، اي ما نسبته (12.10%) في حين جاء مرتكز المقاومة على اختلاف اشكالها في المرتبة الرابعة والاخيرة بتكرار بلغ (19)، اي ما نسبته (3.40%). وبهذا يمكن القول بأن معظم افراد عينة الدراسة يتفق مع رؤية جلالة الملك عبدالله الثاني بشأن قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة عاصمتها القدس، في حين ان (16%) فقط يتفق معه بشان "دمج اسرائيل في اقليم الشرق الأوسط لتكون جزءا منه" (12.10%) يتفق مع الرؤية الملكية بشأن "تمكين دول المنطقة من التطلع بشوق وامل الى الامام". ولكن الامر الذي يلفت النظر في ذات الوقت هو ان (3.40%) من مجموع افراد عينة الدراسة يرى في "المقاومة على اختلاف اشكالها" مرتكزا للسلام المنشود، الامر الذي يستدعي الدراسة والتحليل.

13-3 طبيعة الأهداف المنشودة

جدول رقم (16): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لطبيعة الهدف المنشود

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
طوباوية مثالية	1	0.20
واقعية	347	61.70
استراتيجية	187	33.30
تكتيكية	27	4.80
المجموع	**562**	**100**

يتضح من الجدول رقم (16) بأن معظم اجابات افراد عينة الدراسة قد اتجهت الى ان هدف "تمكين المنطقة من التطلع بشوق وامل الى الامام وتوظيف مواردها" هدف ذو طبيعة واقعية بتكرار بلغ (344)، اي ما نسبته (61.70 %)، يليه في المرتبة الثانية بانه هدف ذو طبيعة استراتيجية بتكرار بلغ (187)، اي ما نسبته (33.30%) فذو طبيعة تكتيكية في المرتبة الثالثة بتكرار بلغ (27)، اي ما نسبته (41.80%)، في حين جاء اعتباره هدفا ذا طبيعة طوباوية (خيالية) مثالية في المرتبة الاخيرة وبتكرار (1)، اي ما نسبته (0.20%)، الامر الذي يمكن نسيانه. ولهذا يمكن القول بان معظم افراد العينة اتفق في رؤيته لطبيعة هذا الهدف مع الرؤية الملكية بنسبة (61.70%)، وبانه ذو وظيفة استراتيجية بنسبة (33.30%).

14-3 اسس العلاقة بين الدول

جدول رقم (17): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لاسس العلاقة بين الدول صغيرة كانت أم كبيرة

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
احترام الحقوق التي لا تشوبها شائبة	327	58.2
دعم الحريات الأساسية للمجتمعات المدنية	51	9.10
احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها	184	32.7
المجموع	**562**	**100.0**

يتضح من الجدول رقم (17) بان معظم افراد عينة الدراسة قد اتجه في رؤيته الى ان العلاقات بين الدول صغيرة ام كبيرة يجب ان تستند الى مبدأ "احترام الحقوق التي لا تشوبها شائبة" بتكرار بلغ (327)، اي ما نسبته (58.20%)، يليه في المرتبة الثانية مبدأ "احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها" بتكرار بلغ (148)، اي ما نسبته (32.70%)، فمبدأ "دعم الحريات الأساسية للمجتمعات المدنية" في المرتبة الثالثة والاخيرة بتكرار بلغ (51)، اي ما نسبته (9.10%) وبهذا فان معظم افراد عينة الدراسة تتفق في رؤيته مع الرؤية الملكية فيما يتعلق بأن العلاقات بين الدول وبقطع النظر عن اجماعها يجب ان تستند الى مبدأ "احترام الحقوق التي لا نشوبها شائبة" وكذلك فيما يتعلق بالمبدأين الاخرين، وان هو اختلف معه بشان اولويتها.

15-3 طبيعة مداخل الخطاب الملكي أمام الكونغرس الامريكي

جدول رقم (18): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا للمدخل الذي استخدمه جلالة الملك عبدالله الثاني في خطابه امام الكونغرس الامريكي

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
المدخل القيمي والتاريخي	205	36.50
المدخل القيمي والوجداني	27	4.80
المدخل الوجداني والتاريخي	27	4.80
كل تلك المداخل	303	53.90
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (18) بأن معظم افراد عينة الدراسة قد اتجه في رأيه الى ان جلالة الملك في خطابه امام الكونغرس الامريكي قد زاوج بين عدة مداخل بتكرار بلغ (303)، أي ما نسبته (53.90%) يليه في المرتبة الثانية المزاوجة بين المدخل القيمي والتاريخي بتكرار بلغ (205)، اي ما نسبته (36.50%)، فالمزاوجة بين المدخل القيمي والوجداني والوجداني والتاريخي في المرتبة الثالثة والاخيرة بتكرار بلغ (27) وبنبة بلغت (4.80%) لكل منها.

والحقيقة ان جلالته قد زاوج بين كل تلك المداخل، وان هو ابتدأها بالمدخل القيمي التاريخي.

3-16 فك الحصار عن الشعب الاردني الفلسطيني

جدول رقم (19): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا للهدف الرئيس للخطاب الملكي

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
أن يفك الحصار الدولي عن الشعب الفلسطيني كليا	445	79.20
أن يفك الحصار عن الشعب الفلسطيني جزئيا	1	0.20
أن يفتح الباب أمام تعاطي أمريكيا والاتحاد الأوروبي مع حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية.	72	12.80
أن لا يغير شيئا	44	7.80
المجموع	**562**	**100.00**

يتضح من الجدول رقم (19) بأن (445) فردا، اي ما نسبته (79.20%) من مجموع افراد عينة الدراسة يرى بأن الخطاب الملكي امام الكونغرس الامريكي من شانه ان "يفك الحصار الدولي عن الشعب الفلسطيني كليا"، في حين رأى (72) فردا، اي ما نسبته (12.80%) من مجموع افراد عينة الدراسة بأن الخطاب الملكي من شانه "ان يفتح الباب امام تعاطي امريكا والاتحاد الاوروبي مع حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية". اما من رأى بأن الخطاب الملكي لا يغير شيئا، ومنهم على حق في رؤيتهم، فكان (44) فردا اي ما نسبته (7.80%)، في حين ان من قال بأن من شأنه "ان يفك الحصار عن الشعب الفلسطيني جزئيا" فكان واحدا فقط، اي ما نسبته (0.20%) الامر الذي يمكن تجاهله تماما.

17-3 معنى الارهاب

جدول رقم (20): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لرؤية افراد العينة للارهاب

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
استخدام العنف لأغراض شخصية	114	20.30%
استخدام العنف لمصالح سياسية	208	37.00%
استخدام العنف لأغراض سلطوية	194	34.50%
استخدام العنف في التحرر الوطني من الاحتلال والاستعمار	46	00%8.2.
المجموع	**562**	**100.00%**

يتضح من الجدول رقم (20) ان (208) فردا من مجموع افراد عينة الدراسة، اي ما نسبته (37.00%) يرون ان الارهاب يعني "استخدام العنف لمصالح سياسية" يليه في المرتبة الثانية ان الارهاب يعني "استخدام العنف لاغراض سلطوية" بتكرار بلغ (194)، اي ما نسبته (34.50 %) يليه في المرتبة الثالثة "استخدام العنف لاغراض شخصية" بتكرار بلغ (114)، اي ما نسبته (20.30%)، في حين ان (46) فردا، اي ما نسبته (8.2%) فقط ترى الارهاب بأنه "استخدام العنف للتحرر الوطني من الاحتلال والاستعمار" بمعنى ان (91.80%) من مجموع اجابات افراد عينة الدراسة لا ترى في حركات التحرر الوطني ارهابا، الامر الذي يدلل على وعي سياسي ملفت للنظر، لا سيما وان افراد عينة الدراسة من طلبة السنة الاولى.

18-3 ردود الفعل المحلية على خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني.

جدول رقم (21): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لردود الفعل المحلية (الاردنية) على خطاب جلالة الملك امام الكونغرس الامريكي

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
إيجابية جدا	172	30.6
إيجابية	347	61.7
متباينة	24	4.3
سلبية	19	3.4
المجموع	**562**	**100**

يتضح من الجدول رقم (21) بأن (519) فردا من مجموع افراد عينة الدراسة، اي ما نسبته (92.30%) يرون بأن ردود الفعل المحلية (الاردنية) على خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني امام

الكونغرس الامريكي تراوحت بين ايجابية وايجابية جدا، في حين ان من يرى بأنها كانت متباينة فكان عددهم (24)، اي ما نسبته (4.3%). اما القائلين بانها سلبية فكانوا (19) فردا فقط، اي ما نسبته (3.4%) ليحلوا بذلك في المرتبة الاخيرة.[1]

19-3 الظروف الداخلية والاقليمية والدولية المرافقة للخطاب الملكي بالنسبة لأمريكا

جدول رقم (22): توزيع اجابات افراد عينة الدراسة تبعا لظروف امركيا الداخلية والاقليمية والدولية

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
مريحة	371	66
مزعجة	168	29.9
مقلقة	23	4.1
المجموع	**562**	**100**

يتضح من الجدول رقم (22) ان ثلثي افراد عينة الدراسة قد اتجهت اجاباتهم الى ان الظروف المحلية والاقليمية والدولية المرافقة للخطاب الملكي قد كانت مريحة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية بتكرار بلغ (371)، اي ما نسبته (66.00%). اما القائلون بانها "مزعجة" فحلوا في المرتبة الثانية وعددهم (168) فردا، اي ما نسبته (29.9%)، في حين حل القائلون بأنها "مقلقة" بالمرتبة الثالثة والاخيرة بتكرار بلغ (23)، اي ما نسبته (4.10%)، وبهذا يمكن للمرء ان يلحظ محدودية إطلاع غالبية طلبة مساق التربية الوطنية على الظروف الداخلية والاقليمية والدولية للولايات المتحدة الامريكية.[2]

4- الفرو قات الإحصائية

1-4 الفرو قات الإحصائية تبعا لمتغير الكلية

جدول رقم (23): قيمة كاي تربيع تبعا لمتغير الكلية

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي يمثل موقفا موحدا ل	12.2	0.10
الدور الأمريكي القيادي اتفق والرأي القائل بان الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة مجددا للممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي العربي لان	10.9	0.11
أولوية المشاكل القضايا اتفق والرأي القائل	11.3	0.11

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
الانطباع الذي ولده الخطاب لدى الكونغرس الأمريكي ترك خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي أثرا	13.7	0.09
أسباب التأثير الانطباع الإيجابي الذي تركه جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي كان بسبب	10.2	0.11
مظاهر تأثير خطاب جلالته على الكونغرس الأمريكي	9.1	0.12
الخروج من المأزق اتفق والرأي القائل بان الخروج من خطر تعرض الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية والعالم إلى مزيد من عنف أيدلوجيات الإرهاب والكراهية لا يمكن أن يتم إلا من خلال	11.2	0.10
التعايش مع الوضع الراهن غير ممكن في ظل	10.8	0.10
تفاقم الحلقة الشيطانية ازدياد نطاق دائرة الإرهاب واشتداد حدته والدوران المتسارع لحلقة الإرهاب يعود إلى	13.6	0.09
اللاعبون الخارجيون أصحاب الاستراتيجيات الخاصة هم	14.6	0.08
تتمثل مصادر الانقسام الإقليمي والحقد والإحباط ب	12.5	0.09
السلام المنشود من أهل المنطقة يستند إلى	12.1	0.10
تمكين المنطقة من التطلع بتشوق وامل إلى الأمام وتوظيف مواردها لتحقيق مزيد من النمو المثمر هدف ذو طبيعة	10.3	0.10
أسس العلاقات بين الدول صغيرة كانت أم كبيرة يجب أن تستند إلى مبادئ	9.8	0.12
طبيعة المداخل التي اعتمدها جلالة الملك في خطابه منهج المزاوجة بين	11.8	0.11
فك الحصار عن الشعب الفلسطيني من خلال خطاب جلالة الملك من شانه	9.9	0.12
الإرهاب يعني	10.9	0.11
جاءت ردود الفعل المحلية على خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس	11.2	0.11
جاء خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي في ظروف داخلية وإقليمية ودولية بالنسبة لأمريكا	10.3	0.11

يتضح من الجدول رقم (23) ان ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (& = 0.05) في مدى اطلاع طلبة التربية الوطنية على مضامين خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين تعزى الى متغير الكلية.

2-4 الفروقات الاحصائية تبعا لمتغير الجنس

جدول رقم (24): قيمة كاي تربيع تبعا لمتغير الجنس

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي يمثل موقفا موحدا ل	13.6	0.09
الدور الأمريكي القيادي اتفق والرأي القائل بان الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة مجددا للممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي العربي لان	14.6	0.09
أولوية المشاكل القضايا اتفق والرأي القائل	12.5	0.11
الانطباع الذي ولده الخطاب لدى الكونغرس الأمريكي ترك خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي أثرا	12.1	0.10
أسباب التأثير الانطباع الإيجابي الذي تركه جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي كان بسبب	10.3	0.12
مظاهر تأثير خطاب جلالته على الكونغرس الأمريكي	9.8	0.12
الخروج من المأزق اتفق والرأي القائل بان الخروج من خطر تعرض الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية والعالم إلى مزيد من عنف أيدلوجيات الإرهاب والكراهية لا يمكن أن يتم إلا من خلال	13.6	0.09
التعايش مع الوضع الراهن غير ممكن في ظل	14.6	0.08
تفاقم الحلقة الشيطانية ازدياد نطاق دائرة الإرهاب واشتداد حدته والدوران المتسارع لحلقة الإرهاب يعود إلى	12.5	0.09
اللاعبـون الخارجيون أصحاب الاستراتيجيات الخاصة هم	12.1	0.08
تتمثل مصادر الانقسام الإقليمي والحقد والإحباط ب	10.3	0.09
السلام المنشود من أهل المنطقة يستند إلى	9.8	0.12
تمكين المنطقة من التطلع بتشوق وامل إلى الأمام وتوظيف مواردها لتحقيق مزيد من النمو المثمر هدف ذو طبيعة	13.6	0.10
أسس العلاقات بين الدول صغيرة كانت أم كبيرة يجب أن تستند إلى مبادئ	11.0	0.12
طبيعة المداخل التي اعتمدها جلالة الملك في خطابه منهج المزاوجة بين	11.8	0.11

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
فك الحصار عن الشعب الفلسطيني من خلال خطاب جلالة الملك من شانه	9.9	0.12
الإرهاب يعني	10.9	0.11
جاءت ردود الفعل المحلية على خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس	11.2	0.11
جاء خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي في ظروف داخلية وإقليمية ودولية بالنسبة لأمريكا	10.3	0.11

يتضح من الجدول رقم (24) ان ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (&= 0.05) في مدى اطلاع طلبة التربية الوطنية على مضامين خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين تعزى الى متغير الجنس.

3-4 الفروقات الاحصائية تبعا لمتغير الاتجاه السياسي

جدول رقم (25): قيمة كاي تربيع تبعا لمتغير الاتجاه السياسي

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي يمثل موقفا موحدا ل	10.3	0.09
الدور الأمريكي القيادي اتفق والرأي القائل بان الولايات المتحدة الأمريكية مدعوة مجددا للممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي العربي لان	9.8	0.12
أولوية المشاكل القضايا اتفق والرأي القائل	13.6	0.10
الانطباع الذي ولده الخطاب لدى الكونغرس الأمريكي ترك خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي أثرا	11.0	0.12
أسباب التأثير الانطباع الإيجابي الذي تركه جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي كان بسبب	11.8	0.11
مظاهر تأثير خطاب جلالته على الكونغرس الأمريكي	9.9	0.12
الخروج من المأزق اتفق والرأي القائل بان الخروج من خطر تعرض الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية والعالم إلى مزيد من عنف أيدلوجيات الإرهاب والكراهية لا يمكن أن يتم إلا من خلال	10.9	0.11
التعايش مع الوضع الراهن غير ممكن في ظل	11.2	0.11

الفقرة	قيمة كاي تربيع	دلالتها الاحصائية
تفاقم الحلقة الشيطانية ازدياد نطاق دائرة الإرهاب واشتداد حدته والدوران المتسارع لحلقة الإرهاب يعود إلى	10.3	0.11
اللاعبـون الخارجيون أصحاب الاستراتيجيات الخاصة هم	10.3	0.09
تتمثل مصادر الانقسام الإقليمي والحقد والإحباط ب	9.8	0.12
السلام المنشود من أهل المنطقة يستند إلى	13.6	0.10
تمكين المنطقة من التطلع بتشوق وامل إلى الأمام وتوظيف مواردها لتحقيق مزيد من النمو المثمر هدف ذو طبيعة	13.6	0.09
أسس العلاقات بين الدول صغيرة كانت أم كبيرة يجب أن تستند إلى مبادئ	14.6	0.09
طبيعة المداخل التي اعتمدها جلالة الملك في خطابه منهج المزاوجة بين	12.5	0.11
فك الحصار عن الشعب الفلسطيني من خلال خطاب جلالة الملك من شانه	12.1	0.10
الإرهاب يعني	10.3	0.12
جاءت ردود الفعل المحلية على خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس	9.8	0.12
جاء خطاب جلالة الملك أمام الكونغرس الأمريكي في ظروف داخلية وإقليمية ودولية بالنسبة لأمريكا	13.6	0.09

يتضح من الجدول رقم (25) ان ليس هناك فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (& = 0.05) في مدى اطلاع طلبة التربية الوطنية على مضامين خطاب جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين تعزى الى متغير الاتجاه السياسي.

5- خاتمة

5-1 استنتاجات

من خلال ما تقدم من وصف للمتغيرات المستقلة لعينة الدراسة والتحليل للبيانات ودلالاتها الاحصائية يمكن استنتاج الاتي:

5-1-1 تمثيل خطاب جلالة الملك امام الكونغرس الامريكي لمواقف الغالبية العظمى للدول العربية وبنسبة بلغت (96.60%) من مجموع افراد عينة الدراسة، الأمر الذي قد يشير الى ان هذا الخطاب الملكي قد جاء في اعقابه انعقاد قمة الملوك والرؤساء والامراء العرب في مكة

المكرمة وتاكيدهم على مبادرة السلام العربية التي تم اعتمادها في مؤتمر القمة العربي المنعقدة في بيروت في عام 2002 م.

5-1-2 اتفاق نصف افراد عينة الدراسة بنسبة (48.20%) مع الرؤية الملكية بأن "الناس في المنطقة لايزالون ينظرون الى الولايات المتحدة الامريكية بأنها القادرة على التوصل الى تسوية النزاع الاسرائيلي _ العربي" متقدمين بذلك على من يرى بأن الولايات المتحدة الامريكية ممارسة دور قيادي في حل النزاع الإسرائيلي _ العربي لأن النظام العربي الرسمي ينظر اليها على انها مفتاح السلام، وهذا مخالف للواقع السياسي في الوطن العربي، اذ ان الناس قد فقدوا الامل في الولايات المتحدة الامريكية بسبب انحيازها المطلق لاسرائيل وسياستها العدوانية التوسعية.

5-1-3 ترى الغالبية الساحقة من افراد عينة الدراسة بنسبة (95.70%) بأن المشكلة الفلسطينية "تتقدم على ما سواها من مشاكل اقليمية ودولية بما في ذلك على الحرب الدولية على الارهاب" التي تزعم الولايات المتحدة الامريكية بأنها تقودها، وهي بذلك تتفق مع الرؤية الملكية لأولوية المشكلة الفلسطينية.

5-1-4 اتفاق اكثر من ثلاثة ارباع افراد عينة الدراسة بنسبة (78.60%) على ان الخطاب الملكي امام اعضاء الكونغرس الامريكي قد ترك اثرا ايجابيا فاعلا لديهم.

5-1-5 يرى اكثر من نصف افراد عينة الدراسة (54.10%) بأن الاثر الايجابي والفاعل الذي خلفه الخطاب الملكي لدى اعضاء الكونغرس الامريكي يعود الى اختياره للمدخل القيمي بداية ونهاية لخطابه، وذلك لادراكه بأن الرأي العام الامريكي وممثليه يتأثرون بحديث من يحسن الاطلاع على ثقافتهم وقيمهم اخلاقية كانت ام روحية ام دينية. وهذا حال الغرب عموما.

5-1-6 اتفاق بنسبة (47.70%) من مجموع افراد عينة الدراسة على ان الخطاب الملكي كان وراء تشديد الرئيس بوش على ان السلام في الشرق الاوسط يحتل لديه الاولوية من جهة، وإيفاد الرئيس بوش لوزيرة خارجيته كونداليزا رايس في مهمة لتحريك عملية السلام في الشرق الاوسط.

5-1-7 اتفاق نصف افراد عينة الدراسة ونيف بنسبة (59.40%) مع الرؤية الملكية بان احلال السلام في الشرق الاوسط هو السبيل الى الخروج من خطر تعرضه والولايات المتحدة الامريكية والعالم الى مزيد من عنف ايديولوجيات الحقد والارهاب والكراهية.

واذا ما اضيف الى ذلك اتفاق (42.70%) من افراد عينة الدراسة مع جلالته بأن السبيل للخروج من مأزق الارهاب يكمن في "عالم منفتح ملؤه الامل والتقدم والعدالة الاجتماعية للجميع" يتبين بان من يتفق مع الرؤية الملكية بشأن هذين السببين يصل الى ما نسبته (93.10%) من مجموع افراد العينة.

5-1-8 اتفاق معظم افراد عينة الدراسة، وان بنسب متفاوتة (96.6%) مع الرؤية الملكية بشأن عدم امكانية التعايش السلمي في ظل "عالم منغلق شعوبه منقسمة، وغياب السلام في الشرق الاوسط" و"عدم قيام دولة فلسطينية وعاصمتها القدس"

5-1-9 اتفاق معظم افراد عينة الدراسة مع الرؤية الملكية بشأن اسباب "تفاقم الحلقة الشيطانية"، وان بنسب مختلفة تراوحت ما بين (43.60%) في اعلاها و(4.60%) في ادناها.

5-1-10 اتفاق (81,30%) من مجموع أفراد عينة الدراسة على أن الأطراف المعنية باللاعبين الخارجيين في خطاب جلالته هم: إسرائيل، تليها في المرتبة الثانية إيران، وإن بنسبة ضئيلة مقارنةً بإسرائيل، الأمر الذي يشير إلى أن إيران قد نجحت في تغليف سياستها العدوانية التوسعية ضد العرب وبخاصة في العراق والخليج تحت غطاء الدين ومحاربة "الشيطان الأكبر" الولايات المتحدة الأمريكية. كما يشير أيضاً إلى انخداع هذه الفئة الجامعية بشعارات إيران حتى الآن.

فإيران التي ترفع شعار الإسلام، ولان ظاهر الخطاب الإيراني خطاب إسلامي شامل ومعادي لإسرائيل وأمريكا يكسب الشارع العربي، بمسوغ تحقيق مكاسب لقضايا العرب والمسلمين كدعم منظمات المقاومة الإسلامي – حماس، الجهاد الإسلامي، حزب الله – في فلسطين ولبنان مكن إيران من التقاسم العلني للنفوذ والاستحواذ على العراق، فإذا بالعدوان اللدودان، إيران وأمريكا تعلنان عن نوع تلك الشراكة الالتباسيه المنعقدة بينهما، منذ التوافق على ضرب أفغانستان، وقد مهددة بدورها إلى غزو العراق، بوجهيه العسكري الأمريكي، والاجتماعي المذهبي والاقتصادي الإيراني، ولولا هذا التواطؤ لما تم تحيد الكتل الكبيرة من سكان محافظة الجنوب تحت ضغط بعض القيادات المذهبية الممالئة لملالي طهران، ومنعها من مقاومة العدوان، وكان ذلك المدخل إلى الفرز بين مكونات المجتمع الواحد، والانشقاق الخبيث بين جناحي الإسلام العربي، وتدمير الهرم المدني والوضيفي الحيوي للمجتمع. كما وانتهجة القيادة الإيرانية نهجاً براغماتياً وحنكة سياسية حيث حافظة

على نفسها وحطمت خصمها، واستغلة الأزمة العراقية لتمرير مشروعها النووي، وأدواتها بالمنطقة تعمل بفاعلية ونجاح من المنظور الإيراني.

ولعلى الخيار المركزي الإيراني يتوقف على النقاش الاستراتيجي للقيادات الإيرانية خلال هذه الحقبة الغاصة بشتى الاحتمالات والتهديدات المتعارضة، يدور حول إن كانت النواية الإيرانية الحقيقية متوجهة نحو إحدى الشركتان، فأما صداقة ومؤازرة متبادلة مع العرب، وإما أن تتصرف إيران وكأنها مرشحه لتكون وريثاً إقليميا أخر للإمبريالية العالمية، قد تتمتع بوكالة غير حصرية طبعا – فلا ننسى إسرائيل – تخولها الحصول على حصة معينة من الصفقات الجيوسياسية والاقتصادية الكبرى المنعقدة على ظهر المصالح الحقيقية لشعوب المنطقة[3].

5-1-11 اتفاق (55,30%) من مجموع أفراد عينة الدراسة مع الرؤية الملكية بأن "انكار العدالة والسلام في فلسطين" لهو المصدر الرئيس للانقسام الاقليمي والحقد والاحباط، وإن كان (33,50%) يرون في انحياز السياسة الأمريكية لاسرائيل المصدر الرئيس لذلك.

5-1-12 اتفاق (68,50%) من مجموع أفراد عينة الدراسة مع الرؤية الملكية بشأن أن السلام لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال "قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة عاصمتها القدس"، وهو ما يكاد يجمع عليه جميع الأطراف العربية رسمية ومدنية وبخاصة الطرف الفلسطيني.

5-1-13 اتفاق معظم أفراد عينة الدراسة وبنسبة (61,70%) مع الرؤية الملكية بأن هدف تمكين المنطقة من التطلع بشوق وأمل إلى الأمام وتوظيف مواردها لتحقيق المزيد من النمو المثمر هدف واقعي، وكذلك اتفاقه بنسبة (33,30%) على أنه هدف استراتيجي، الأمر الذي يعني أن (95,00%) من مجموع أفراد عينة الدراسة يرى بأنه هدف "واقعي استراتيجي"، أي أن الغالبية الساحقة تتفق والملك بشأن طبيعة الهدف.

5-1-14 اتفاق (58,20%) من مجموع أفراد عينة الدراسة مع الرؤية الملكية بشأن أن العلاقات بين الدول صغيرة كانت أم كبيرة يجب أن تستند إلى مبدأ "احترام سيادة الدول، وكذلك عدم التدخل في شؤونها" بنسبة (32,17%)، بمعنى أن (90,90%) من مجموع عينة الدراسة يتفق مع الرؤيةالملكية بشكل أو بآخر فيما يخص المبدأين سالفي الذكر.

5-1-15 اتفاق (53,90%) من مجموع أفراد عينة الدراسة على أن جلالة الملك كان موفقاً في المزاوجة بين أكثر من مدخل في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي جمعت بين المدخل القيمي والتاريخي والوجداني.

5-1-16 اتفاق (79,20%) من مجموع أفراد عينة الدراسة على أن خطاب جلالة الملك عبد الله الثاني أمام الكونغرس الأمريكي من شأنه "أن يفك الحصار الدولي عن الشعب الفلسطيني كلياً"، الأمر الذي لم يحصل فعلياً من جهة، ويشير في ذات الوقت إلى أن توافق الدول الكبرى وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية تحددها مصالحها الحيوية أولاً وأخيراً من جهة أخرى، وهو ما يلحظه المرء الآن. إذا أعلنت الإدارة الأمريكية وإسرائيل وكذلك الاتحاد الأوروبي عن استعدادهم لرفع الحصار عن حكومة الطوارئ الفلسطينية التي أمر الرئيس الفلسطيني محمود عباس وزير المالية السابق في حكومة الوحدة الوطنية سلام فيَاض بتشكيلها يوم الجمعة الموافق 2005/6/15.

5-1-17 اتفاق معظم أفراد عينة الدراسة على أن "الارهاب يعني بالدرجة الأولى "استخدام العنف لمصالح شخصية" بنسبة (37,00%)، و"استخدام العنف لآغراض سلطوية" بنسبة (34,50%)، و"استخدام العنف لأغراض شخصية" وبنسبة (20,30%). بمعنى أن (91,80%) من مجموع أفراد عينة الدراسة مجمع على معنى الارهاب وإن بنسب مختلفة. وهذا يشير إلى وعي لدى طلبة مساق التربية الوطنية، الأمر الذي لا يشير على ما يبدو إلى دور فاعل لمدرسي هذا المساق في خلق هذا الوعي وتنميته.

5-1-18 اتفاق (92,30%) من مجموع أفراد عينة الدراسة على أن ردود لفعل المحلية (الأردنية) على الخطاب الملكي أمام الكونغرس الأمريكي تراوحت بين "إيجابية" و"إيجابية جداً"، وهو ما يتفق مع الاتجاه السائد لدى الأوساط السياسية والاعلامية الأردنية.

5-1-19 اتفاق (66%) من مجموع أفراد عينة الدراسة على أن الخطاب الملكي أمام الكونغرس الأمريكي قد جاء في ظل ظروف داخلية وإقليمية ودولية "مريحة" للولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما لا يتفق والواقع.

إذ أن الرأي العام الأمريكي، وكذلك الحزب الديمقراطي، وإلى حدٍ ما الحزب الجمهوري، واقتناع شبه إجماعي لدى قادة الرأي ورجالات الدولة السابقين أمثال كلنتون، كيسينجر، بريجينسكي وسكوكروفت، فضلا عن مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية، يعترفون بالمأزق والإخفاق الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، ويصب هذا الإخفاق في تكريس ظواهر سلبية تضرب مكانة الولايات المتحدة على الساحة الدولية ومستقبل دورها، ويأتي في مقدمها تفاقم ظاهرة الترهل الاستراتيجي، أو الترهل الإمبراطوري، وألحقت الحرب على العراق "ضرراً كارثياً بالموقف الأمريكي في العالم"، فقد تمزقت مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية في العالم، وانعدام الثقة وتقوضت صدقية الشرعية

الأمريكية، وألحقت بذاتها "عاراً اخلاقياً في أبو غريب" وأغرقت العراق في وحل التطهير العرقي والعنف والفوضى التي قللت من احترام العالم لأمريكا كما أن الحرب أسقطت مصداقية القيادة الأمريكية العالمية وتراجعت الحنكة الأمريكية السياسية التي تواجه في العراق إمكانية التعرض لهزيمة استراتيجية، كما قوضت الحرب الموقع الجيوسياسي على نحو خطير، فكانت "هزيمةً ألحقتها أمريكا بنفسها ومكسباً صافيا لإيران"[4]

فاوروبا الان تغترب عن امريكا اكثر فاكثر، وروسيا والصين تقتفيان الدروب التي لا تفضي اجمالاً الى باحة المصالح الامريكة واسيا تنئ ابعد فابعد وتدير ظهرها. واليابان تشتغل بذاتها عاى امنها الذاتي، وديمقراطية امريكا اللاتينية تزداد شعباوية وعداء لامريكا. والشرق الاوسط يتشظ ويدنو من حافة الانفجار، وعالم الاسلام تلهبه الحمية الدينية المتصاعدة، والنزعاة القومية المعادية لامريكا، وعلى امتداد العالم تبين استطلاعات الرأي ان سياسات الولايات المتحدة لا تثير الا الذعر والرفض.

5-1-20 عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغير الكلية أو الجنس أو الاتجاه السياسي.

5-2 الآفاق المستقبلية

إن نتائج هذه الدراسةالميدانية تشير بوضوح إلى أن الطلبة لديهم الاستعداد الذهني والنفسي للتعاطي مع القضايا الوطنية والقومية وأخطرها القضية الفلسطينية وكل ما يتعلق بها من معطيات بأبعادها المختلفة، ومع السياسة الأردنية المنبثقة عنها التي جاء الخطاب الملكي أمام الكونغرس الأمريكي بمجلسيه النواب والشيوخ ليعكس هذه الحقيقة.

كما أن نتائج هذه الدراسة الميدانية تعكس بوضوح مدى اهتمام الطلبة بالموضوعات السياسية الراهنة، واستعدادهم وقدرتهم على إبداء أرائهم بشأنها بكل جرأة ووضوح وموضوعية، علماً أن الباحث تقصد أن يصيغ أسئلة دراستهِ بطريقة غير مباشرة ودونما إقحام لإسم جلالة الملك عبد الله الثاني في التقديم لأسئلة الاستبيان حرصاً منه على موضوعية ورصانة الدراسة، وتجنيبها كل ما من شأنه أن يؤثر على استجابات أفراد عينة الدراسة.

كما تشير نتائج هذه الدراسة الميدانية إلى دور هيئة التدريس في التوعية والتنشئة والتربية الوطنية الآنية والمستقبلية، الأمر الذي يدعو إلى إعطاء مدرسي مساق التربية الوطنية مزيداً من المساحة الزمنية لإحداث الأثر التربوي المطلوب، وتكثيف المنهاج، والابتعاد عن التلقين، وعدم التعامل مع مادة مساق التربية الوطنية بطريقة تقليدية تقوم على التلقين والاستماع والبصم، بل على المشاركة والتفاعل وتنمية التفكير العقلاني والحس النقدي

Yarmouk University National Education Students' Opinion Direction towards it is Majesty Jordan King Abdullah II's Speech to the American Congress

Masaoud Al-Rabadi, *Department of Political Science,Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This field study aims at recognizing Yarmouk University students' attitudes towards His Majesty King Abdullah II's speech before the American Congress on March 7, 2007. The sample of the study included students enrolled in the National Education during the second semester of the academic year 2006/2007. Specifically, the study aimed at eliciting students' views towards the speech representing a unified Arab stance, the formal and civil Arab position from the United States' leading role in the world and the Middle East. It also investigated the issues and problems that confront peace in the Middle East, and the effect of the speech on the US congress members. In addition, the study elicited opinion regarding ways to rid the world of the dangers of terrorist ideologies. It also highlighted the role of the speech in lifting the siege on the Palestinian people, the meanings of terrorism, and the US internal, regional and international circumstances. [The study underscored any statistically significant differences according to college, gender and political orientation]. The study concluded that there was a big awareness by the students of the importance of the speech and its effect on the regional and international fields.

قدم البحث للنشر في 2007/7/16 وقبل في 2007/11/22

الهوامش

1- مجلس النواب الأردني ((صوت العقل والحكمة الحق))،3/12/ 2007 www.alrai.com

2- الرئيس محمود عباس، ((خطاب الملك يعزز الموقف الفلسطيني دولياً))، عن أصداء الخطاب التاريخي لصاحب الجلاله الهاشمية الملك عبدالله الثاني بن الحسين المعظم أمام الكونغرس الأمريكي، إصدار الجامعة الهاشمية، 2007، ص 31.

3- زبيغنيو بريجينسكي، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمة الاميركية، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي ط1 2007، ص ص 140-155

كذلك انظر :

د.عصام نعمان. ((أمريكا: الخروج من العراق والمنطقة؟)) في www.alquds.co.uk 2007/5/3.

د.رضوان السيد. ((من اجل استنفاذ المشرق والخليج)) في www.asharqalawsat.com 2006/7/31.

4- زبيغنيو بريجينسكي، الفرصة الثانية، المصدر السابق، ص ص 153-155

المصادر

لمزيد من الإطلاع على ردود الفعل المحلية والعربية والدولية انظر ما يلي:

ادريس، محمد السعيد. (2007). خطاب الملك... هو عام الفرص، **جريدة الخليج العربي**، 2007/5/23.

بريجينسكي، زبيغنيو. (2007). **الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمة الاميركية**، ترجمة عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي ط1، ص ص 140-155.

بريجينسكي، زبيغنيو. (2007). **حول مصداقية أمريكا**، جريدة الغد 2007/6/17

بريجينسكي، زبيغنيو. (2007). **صحيفة اتايم**، عن المستقبل اللبنانية 2007/6/17

راب، شارلوت. (2007). **الملك عبدالله يحذر من تزايد حلقات الأزمات والدمار**، *www.aljazeera.net*، 2007/4/18.

رابين، جمس ج. (2007). الملك عبدالله وتحديه أمام الكونغرس *http//tharwacommunity.typepad.com*، 2007/4/18

السيد، رضوان. (2006). **من اجل استنفاذ المشرق والخليج**، في *www.asharqalawsat.com* 2006/7/31.

الشريف، نبيل. (2007). **خطاب تاريخي لسلام فلسطين واستقرار العالم**، *www.addustour.com* 2007/3/15

شيلبي، ديفيد. **العاهل الأردني يشد على الحاجية لعملية السلام في الشرق الأوسط**، المحرر في موقع يو إس إنف – وزارة الخارجية الأمريكية.

عباس، محمود. (2007). **خطاب الملك يعزز الموقف الفلسطيني دولياً**، عن أصداء الخطاب التاريخي لصاحب الجلاله الهاشمية الملك عبدالله الثاني بن الحسين المعظم أمام الكونغرس الأمريكي، إصدار الجامعة الهاشمية، ص 31.

فوكوياما، فرانسيس. **التاريخ عند نهاية التاريخ**، الغارديان، عن *www.alghad.jo*.

كابلور، لاري ودبكي، كريستوفر. (2007). **غارق في وصول بغداد**، ينوزويك، 26/يونيو/2007، ص 10-11 Newsweek النسخة العربية.

كيسينجر، هنري. (2007). **كيسينجر يستبعد النصر العسكري في العراق**، في *aliraqnews* 2007/4/2

كيسينجر، هنري. (2007).برنامج سياسي للخروج من العراق، في 2007/7/6 www.alarabalyawm.net

كيسينجر، هنري. *http://kurdvan.maktoobblog.com/?post=142678*

المجالي، ركان. (2007). **الهوية الفلسطينية وخطاب العاهل الأردني**، 2007/3/14 *www.moheet.com*

مجلس النواب الأردني. (2007). **صوت العقل والحكمة الحق**، 2007/3/12 *www.alrai.com*

موسى، عمر، امين عام جامعة الدول العربية. (2007). **خطاب الملك.... عظيم وغير مسبوق**، *www.ammonnews.com*، 2007/4/18.

ناي، جوزيف س. (2007). أستاذ بجامعة هارفارد بروجكت سينديكيت، عن الغد، 2007/3/28 *www.alghad.jo*

نعمان، عصام. (2007). **أمريكا: الخروج من العراق والمنطقة؟**، في *www.alquds.co.uk* 2007/5/3.

وكالة الإنباء الصينية/شينخوا، العاهل الأردني يضع الولايات المتحدة أمام مسؤولياتها لإحلال الأمن في المنطقة.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 219- 259

وسائلُ الاتصالات من التاريخ والشعر في حُروبِ الرِّدَّة

حسن محمد الربابعة * وأحمد حسن الربابعة**

ملخص

نَهَضَ البحثُ بمقدمةٍ ومحورين وخاتمة، أما المقدمةُ فبيَّنَتْ أهميةَ الاتصالاتِ في إدارة شؤون المعارك، وأمَّا المحور **الأول** فتوقف عن الاتصالات لغةً واصطلاحاً، وأمَّا المحور **الثاني**، فاستوقفته وسائل الاتصالات عند المسلمين والمرتدين؛ من خطابة ومناظرة ووصية وشورى وحراسة، ومراسلات، ورموز، ورايات عند طرفي القتال، أمّا الخاتمة فأوجزت ما خلص إليه البحث.

مقدمة

تعدُ الاتصالات إحدى فقرات أوامر العمليات، قي جميع مراحل الحرب، من هجوم ودفاع، وانسحاب وتقدّم لأهميتها، إذ بها يتم تفهم القادة لواجباتهم، وإفهامها للجند، وما يطلب منهم من إجراءات لإنجاز الواجب الموكول إليهم، وبها يتم تنسيق الجهود المشتركة، للتعامل مع سير المعركة وإجراءاتها في مراحلها المتعددة.

وبالاتصالات يعرف القادة والجند ما تم إنجازه، وما عليهم أن ينجزوه، ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟؛ ذلك لأن الاتصالات بمعنى أوجز هي سمع القائد وجنده وبصرهم، وهي التي تجلّي لهم الموقف سلباً وإيجاباً في جميع مراحل المعركة، وعلى هداية الاتصالات يتمُّ إنجاز المهمة العسكرية، وبأقلِّ الخسائر المادية والمعنوية، إن الاتصالات تُعَدُ بمثابة أوصالِ المعلومات التي تغذّي الجندَ والقادةَ في سُوحِ القتال، بدءاً من هرم القادة إلى قاعدته، والعكس صحيح، ولك أن تتصورَ وحدة عسكريةً انقطعت اتصالاتها، وعميت عليها أخبارُ القاعدةِ والقمّةِ، فماذا تفعل؟ إنَّها بالتأكيد تكونُ صمَّاء عمياءَ، لا تدري ما تفعل ولا أين تتجه أو تسير فيسهلُ قصفها إعلامياً وتسيِّرها منحرفة عن جادّة الطريق، وعلى هذا فالاتصالات بين الوحدات العسكرية هي سمعُ الجند وبصرهم، وراشدهم ومرشدهم في جميع مراحل الحرب،، هذا عامّة، أما خاصة فكيف أدار الصِّدِّيق عمليات ألويته الأحد عشر في صحراء الجزيرة العربية، المترامية الأطراف، وجنوده بين رمال لاهبة صيفاً وقارة شتاءً، والمسافات بين ألويته مئات الأميال إن لم تَكُن ألوفاً.

---

* قسم اللغة العربية وآدابها، **جامعة مؤتة**، الكرك، الأردن.

** قسم اللغة العربية وآدابها، **جامعة البلقاء التطبيقية**، معان، الأردن.

وقد دفعنا إلى تناول هذا الموضوع، طرافته وجدته وأهميته، حيث لم يسبق- في حدود علمنا- أنْ بُحِثَ من قبل، وبغيتنا أن نتوقَّف عند اتصالات حروب الرِّدَّة؛ لتنجلي الاتصالات بأنواعها المتعددة بين طرفي القتال؛ مسلمين ومرتدين؛ لعلها تكونُ أنموذجات في دروس التراث من منظور حديث.

الاتصالات لغةً واصطلاحاً

وصل[1] خلاف الفصل ووصل الشيء يصلهُ وصلاً وصِلَةً والأخيرة عند ابن جني والضمة تشعر بأن المحذوف إنما هي الفاء هي الواو، وقال أبو على الضمة في صُلة هي ضمة الفاء المحذوفة – وفي التنزيل العزيز "ولقد وصّلنا لهم القول[2]" بمعنى وصّلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يعتبرون، واتصل الشيء لم ينقطع وقوله انشده ابن جني:

قام بها ينشد كلَّ مُنشِد وايتصلت بمثل ضوء الفرقد

وأراد ايتصلت أبدلت من التاء الأولى بباء كراهية التشديد وقوله انشده ابن الأعرابي:

سحيراً وأعنان المطيِّ كأنها مدافع ثغبان اضرَّ بها الوصل

بمعنى اضرَّ بها فقدان الوصل، وفي القاموس المحيط[3] وصل الشيء بالشيء وصلاً وصُلةً بالكسر والضم ووصّله لأمه ووصلك الله بالكسر لغة، والشيء وإليه انتهى، وأوصله واتصل لم ينقطع، والوُصلةُ بالضم الاتصال، وكُلُّ ما اتصل بشيء فما بينهما وصلة، ومنها الوصيلة الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، ومن الشاة التي وصلت سبعة أبطن، عَناقين عَّناقين، فإن ولدت في السابعة عَّناقاً وجَدْياً قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبنَ الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة.

وفي معاجم المعاني[4] وصل الشيء بغيره فاتصل، ووصل الحبال وغيرها توصيلاً بمعنى وصل بعضها ببعض ومنه "لقد وصّلنا لهم القول"[5] وخيط موصل بمعنى فيه وصل كثير، ووصلني بعد الهجر ووصلني،، وقطع الله أوصاله بمعنى مفاصله. ونحا الفيومي في المصباح المنير نحو علماء المعاجم فعرض "وصل" إليه وصولاً ووصل الخبر بمعنى بلغ، وعاد يستفيد من دلالات وصل المرأة شعرها بشعر غيرها وذكر مادة واصلة ومستوصلة، وأدرج مشتق اتصل ووصلت وصلاً ضدْ هجرته، ولا تجديد عنده في معنى وصل[6].

أمّا وصل في بعض المعاجم الحديثة نحو المعجم الوسيط والمنجد، فتجد توسعاً في اشتقاقات وصل، ذلك في المعجم الوسيط مادة "اتصل" بمعنى دعا دعوة الجاهلية وتجد "الإيصال" بمعنى الخط الذي يُعطاه من أَدّى مالاً ونحوه إلى آخر سنداً به يستلمه، وهو لفظ اقره مجمع اللغة العربية(7). ويرد الإيصال في "المنجد" بمعنى ورقة تثبتُ دَفْعَ مبلغٍ من المالِ أو تسليمَ شيء إلى صاحبه "لديَّ إيصال منك"(8)، ويفهم مما سبق من معنى (وصل) لغةً تعدّدُ تصريفاتها ومصادرها وهي بمعنى توصيل أخبار الأمم السابقة إلى اللاحقة، أو إيصال شيء بشيء كشعر المستوصلة بالواصلة، ثم تعدّت إلى معنى "إيصال" بمعنى ورقة تثبت حقاً لآخر كما هو في الوثائق الرسمية الآن، كما يفاد من تشقق "وصل" وتصاقب لفظها "اتصل" ومصدرها "اتصال" وجمعها اتصالات وهو الغاية المبتغاة في هذا البحث، حيث ورد اتصال في المعجم الوسيط.

أمّا الاتصالات؛ اصطلاحاً فانفرد بها المنجد في ضوء ما اطلعت عليه من المعاجم الحديثة باسم المواصلات بأنه اسم عام لوسائل الاتصالات من طرق برية وبحرية وجوية، وبرق وهاتف وغيرها(9)، ويحدد معنى الاتصال من الموسوعة العربية الميسرة بأنه "إرسال واستقبال الرسائل عبر المسافات، وتجب التفرقة وبين نقل الضائع والأشخاص ... وحدّد طرق الاتصالات البدائية كالنار ليلا، والدخان نهارا، والحمام الزاجل، وعرف الاتصالات الحديثة التي تعد خارجة عن موضوع البحث (الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف الأستاذ محمد اشرف غربال وآخرين، دار نهضة لبنان، بيروت، لبنان، 1406هـ ـ 1986م ج49/1)

ويفهم مما سَبَقَ أنّ الاتصالات تعني وسائل إيصال المعلومات من القمة إلى القاعدة، وبالعكس، وبالطرق البرية والبحرية، من مراسلات نتقرّاها بالعين أو بالخطب والتشاور مما تراها وتسمعها وتنقدها، وبوسائل أخرى أدرجتْ في البحث، لإيصال المعلومة اتخاذ إجراء مناسب على ضوء ما وصل إليه من خبر،

وسائل الاتصالات

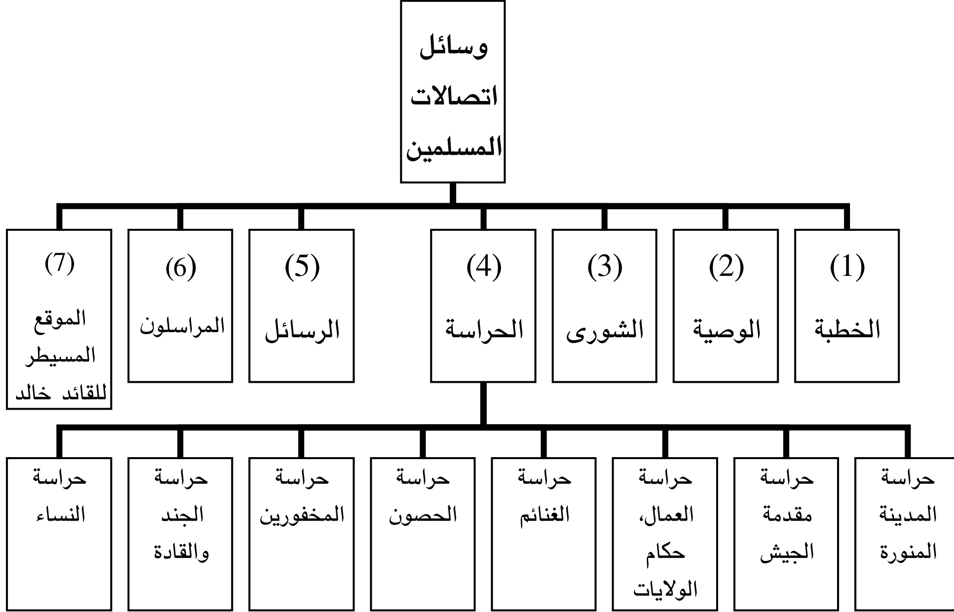
وتنقسم إلى قسمين هما:

أ. وسائل اتصالات المسلمين.

ب. وسائل اتصالات المرتدين.

أ. وسائل اتصالات المسلمين

تنوَّعَتْ وسائلُ اتصالات المسلمين من القِمْة إلى القاعدة ممثلة بالخليفة والقادة من جهة واتصال قادة الألوية مع الخليفة وقادة الألوية مع بعضهم من جهةٍ أُخرى، وها نحن نضع مخطَّطاً تشجيرياً يوضحُ سبع وسائلَ للاتصالات منها ثمانٍ للحراسة تمهيداً لدرسها على النحو التالي:



وسائل الاتصال عند المسلمين متعددة داخلية وخارجية منها:

(1) الخطبة

الخطبة: هي مصدرُ الخطيب، وهي اسم الكلامِ الذي يتكلَّم به الخطيبُ، فَيُوْضَعُ مَوْضعَ المصدر[10]. والخطبة خير وسيلة اتصال بالمتلقين، إذ لها أثر في نفوس المتلقين إيجاباً وسلباً. ولعلَّ من أَثر الخطبة في النفوس المتلقية أن نأخذ أمثلة تطبيقية للصِّدِّيق في غير زمانٍ ومكانٍ في خلافته، مُذ أَسْكَتَ الفاروقَ الذي كان يكذِّب وفاة الرسولﷺ في المرحلة الأولى لهول صدمته، واقنع الأنصار بحججه أنهم وزراء لا أمراء في المرحلة الثانية، كما برز دور الفاروق في تقديم الصِّدِّيق على غيره في خطبة له، بويع في الصِّدِّيق بيعةً عامة ثم تلاه الصِّدِّيق خطبته في بيعته، إذ بيّن سياسة خلافة المسترشدة بنور هداية النبيﷺ في مرحلة ثالثة. أما خطبة الصِّدِّيق في المرحلة الأولى فأعلن فيها نعي النبي الكريم وصدَّقَهُ بعد ذلك كُلُّ من سمعه، عندما أنصدم المسلمون، بل

انذهلوا لهول وفاتهﷺ حتى أن الفاروق انذهل فتوعد من يزعم أن محمداً قد مات إلى أن اقبل الصِّدِّيقرضي الله عنه إلى المسجد النبوي، لينعى لهم النبيﷺ والفاروق لا ينصتُ إلى ما سيقوله الصِّدِّيق، فتركه، فحمد الله وأثنى عليه بعد أن أقبل الناس على الصِّدِّيقرضي الله عنه فقال[11]: "أَيُها الناسُ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيُ لا يموت، ثم تلا هذه الآية" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل،أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شياً، وسيجزي الله الشاكرين"[12].

وكان لخطبةِ الصِّدِّيقرضي الله عنه هذهِ، دور في بروز عقيدة الصِّدِّيقرضي الله عنه المتماسكة، برغم هول الصدمة، وسرعة بديهته في إقناع الحضور، ثم أورد الطبري الخبر مرفوعاً عن أبي هريرة" فو الله لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول اللهﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ قال أخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، قال أبو هريرة، قال عمر: والله ما هو إلاّ أنْ سمعت أبا بكر يتلوها، فَعُقِرْتُ حتى وقعتُ على الأرض، وما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله قد مات[13].

وفي المرحلة الثانية يتحركُ الصِّدِّيقرضي الله عنه من المسجدِ النبويِ إلى سقيفةِ بني ساعدة، ومعه الفاروق وأمين الأمة؛ بعد أن تناهي إليهم اجتماعُ الأنصار في السقيفة، ليبايعوا سعدَ بنَ عُبادة، فأتاهم الصِّدِّيقرضي الله عنه ومعه عمر وأبو عبيدة رضي الله عنه فقال الصِّدِّيق ما هذا؟ فقالوا: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرُ، فقال الصِّدِّيق: "منا الأمراء، ومنكم الوزراء، ثم قال إني رضيت لكم أمر هذين عمر وأبي عبيدة"[14]، ثم أصغى الصِّدِّيقرضي الله عنه إلى خُطبة ثابتِ بن قيسٍ الأنصاري، وكان خطيبُ الأنصار أشارَ إلى فضلِ الأنصارِ في مناصرة المهاجرين، ومقاسمتهم إياهم بالدار والحماية، والقرآن الكريم أشار إليهم، ودعا للأنصار بالإمامة فقال الصدِّيق: "يا معشر المهاجرين، لقد علمتم وعلمنا أن الله- تبارك وتعالى- بعث نبيه محمداً وكان في بدءِ أمرهِ مقيماً في مكَّةَ على الأذى والتكذيب، لا يأمره الله- عزَّ وجَلَّ- إلاّ بالكفّ والصفحِ الجميل، ثم أمرَهُ بعد ذلك بالهجرة، وكتبَ عليهِ القتالَ وَنَقَلَهُ من دارِهِ فَكُنّا أنصارَهُ، وكانت أرضُنا مهاجرَهُ وقرارَهُ، ثم إنَّكم م قَدِمْتُمْ علينا فقاسمناكم الأموال، وكفيناكم الأعمال، أنزلناكم الديارَ، وآثرناكم بالمرافق، فنحنُ أنصارُ الله وكتيبةُ الإسلامِ ونحنُ الذين أَنْزَلَ الله فينا "والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"[15]. وغيرُها في كتابِ الله عزَّ وجلَّ ما لا ينكرهُ منكرٌ، وأخرى فإنَّكُمْ قد علِمْتُمُ ما ذَكَرَهُ النبيُّ ﷺ فينا من الفضائل الشريفة، وقد خرج من الدنيا ولم يستخلفْ رجلاً بعينه، وإنَّ ما وُكّلَ الناس إنَّما وكَّلَ اللهُ- عزَّ وجلَّ- من الكتاب والسنة الجامعة، والله تبارك وتعالى لا يجمعُ هذه الأمةَ على الضَّلالةِ فنحنُ أنصارُ الله ولنا إمامةُ في النَّاسِ"[16].

ففي خطبة الأنصاري، حقائقُ وحججُ لا ينكرُها أحد، ويطلب الخلافة بحجة، ولا سيَّما أنَّ الرسولَ الكريّمَ تُوفي ولم يُوْصِ بها لحدٍ، فلماذا لا يكونُ لهم نصيبٌ في الخلافة على ما لهم من فضلٍ وخير؟ ذكرها في خطبته منها آيات الله تعالى، وأحاديثُ رسولِهِ الكريمِ، وقد آزروا الرسول ودافعوا عنه بدمائِهم وسلاحِهم، أنزلوهُ وصحبُه المهاجرينَ في منازِلهم في المدينة، ولا ريبَ أَنَّ الرَّدَّ على هذا الصحابي، يحتاجُ إلى أدلّة مُفْلِجَةٍ أحقبْةَ المهاجرينَ في الخلافةِ لأنهم أمراء، والأنصار وزراء وعليه فبيّن الصِّدِّيقﷺ بالحُجَّةِ الدامغةِ أهليةَ المهاجرينَ وأحقّيتَهم مُشْهِداً سعدَ بنَ عُبادةُ على أقوال الرسول ﷺ بأنَّ المهاجرينَ أمراءُ والأنصار وزراءُ، فصدّق سعدٌ وشَهِدَ للصِّدِّيق، فقال الصِّدِّيقُ- يوَّجُه خطابَهُ إلى ثابتِ بن قيسٍ الأنصاري يصدِّقُهُ فيما قال:" يا ثابت، أنتم لعمري كما وصفت به قومَك، لا يدفعهُم عن ذلك دافعُ، ونحن الذين أَنْزَلَ الله – عزَّ وجلَّ- فيهم:" للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون[17]، في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وقد أكرمكم الله أنْ تكونوا الصادقين لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الصادقين"[18]،وأخرى فإنكم تعلمون أن العرب لا تُقِرُّ بهذا الأمرِ إلا لقريش؛ لأنهم أوسطُ العرب داراً ولهم دعوة إبراهيم عليه السلام. ثم يخبّر المستمعين بأحد الرجلين عُمَرَ وأبي عبيدة[19]، ويلتفتُ خطابهُ العامُ إلى خطابٍ خاصٍ يوجِّهُ إلى سعدِ بن عبادة، يشهده على حديث الرسول الكريم بأن المهاجرينَ أمراء والأنصار وزراءُ، فيقول: ولقد علمتَ يا سعدُ، أنَّ الرسولَ ﷺ قال وأنت قاعدٌ: قريش ولاة هذا الأمر، خيرُ الناسِ تَبَعُ لِبرِّهِم، وفاجرُ الناسِ تابعُ لفاجرهم. فقال سعد: صَدَقْتَ نحن الوزراءُ وأنتم الأمراء[20]. لقد انبرى الصِّدِّيقﷺ بخطبته هذه وحججه الدامغة مشهداً سعداً الساعي إلى الخلافة بقول الرسول الكريم فاخمدَ الفتنةَ بقوة حججه، وفهمه وقوة إيمانهﷺ، ويُبايَعُ الصِّدِّيقﷺ في السقيفة بيعةٌ صغرى، وفي المرحلة الثالثة يتحرّك الصِّدِّيقﷺ إلى المسجد النبوي ليُبايعَ بيعةَ كبرى، وكان للخطابة دور في ذلك؛ إذ قَدَّمَهُ الفاروقُ بخطبةٍ بليغة موجزة، دعا المسلمين إلى الحضور إلى مبايعة الصِّدِّيقﷺ بيعة عامة فقال عمر: "أَيُها الناسُ، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت إلاّ عن رأيي، وما وجدتُها في كتابِ الله، ولا كانت عهداً عَهِدَهُ إليَّ رسولُ اللهﷺ ولكنَّي أرى أن رسولَ الله سيدبِّر أمرَنا؛حتى يكونُ آخرَنا، وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابَ الله الذي هدى به رسولَ اللهﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله، لما كان هَداه له، وإنَّ الله قد جمعَ أمرَكم على خَبرِكُم، صاحبِ رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوا"[21] فبايع الناسُ أبا بكر بيعةً عامة بعد السقيفة. لقد بيّنَتْ خطبةُ الفاروق فَضْلَ الصِّدِّيقﷺ على كُلِّ الصحابةِ لأنه أقدمُ الصحابة ورفيقهُ، فوافق الناس على بَيْعَهِ بيعةً عامة.

وينهض الصِّدِّيقﷺ في المرحلة **الثالثة**، يخاطب المسلمين ويعلن في خطبته سياسةَ الخلافة، ويطلبُ من المسلمين أنْ يعينوه على تبعاتها ويقوّموه إذا أخطأ، ويعدهم بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وطاعتُه واجبةٌ ما دام يأمرُ بأمرِ الله ورسولِهِ، وإلاّ فلا طاعةَ له عليهمْ، واتخذ الجهادَ منهجاً؛لأنه عزٌّ نَشْرَهُ، وذلٌّ تَرْكُهُ، يقول:" أيها الناسُ، قد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم؛فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، الصِّدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى آخذَ له حَقَّهُ، والقويُّ ضعيف عندي حتى آخذَ الحقَّ مِنْهُ، إن شاء الله تعالى، لا يَدَعْ أحدٌ منكم الجهادَ فإنه لا يدعُهُ قومٌ إلاّ ضربَهم الله بالذلّ، أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإن عصيتُ اللهَ ورسولَهُ، فلا طاعةَ لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله"[(22)]. لقد بين الصِّدِّيقﷺ في خطبته تواضُعَهُ على علو منزلته، وحثَّ المجتمعَ الإسلامي على النقد البنّاء القائمِ على طاعةِ الله، ورسولِه، فهو القسطاسُ الذي يوزَنُ به عملُ الحاكمِ المسلم، ودعاهم إلى مراقبةِ أعماله، وإطاعتهِ إن التزم بأمر اللهِ ورسولِه، وإلا فلا طاعة له على المسلمين، كما اشترط المساواة، فالناس سواء، ودعا إلى تينك الركيزتين، الصدق أمانة والكذب خيانة. لقد كان للخطابة دور في إقناع المتلقين لتخليفِ المهاجرين، ورصِّ الصفوف، وقمعِ الفتنة التي كانت تطلّ برأسها بعد وفاة النبيِّ الكريم،وفي أَنموذجات الخطابة.

(2) الوصية، التي هي ما أوصيت به[(23)] فقد برزت وسيلة اتصال جديدة في إنفاذه جيش أسامة إلى مؤتة برغم من خطورة وضع المدينة وخلوها من أكثرية الجند، ومع كل ذلك، أنفذ الصِّدِّيقﷺ جيش أسامة من الجُرف[(24)] وأوصاه قائلاً: "أوصيك أن تفعل ما أمر به رسول اللهﷺ[(25)]".

ثم ذكّره بوصية الرسول الكريم "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً أو شيخاً كبيراً ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب؛ فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله"[(26)]. إذ يُلحَظُ أن الصِّدِّيقﷺ أوصاه بما أوصاه به الرسولُ الكريمُ من قبلُ حيناً تأدّباً مع الرسول الكريم حيّا وميّتاً، وأوصاه بأخلاق إسلامية، وقدم له معلومات استخبارية تُعينُه على تمييزِ صنوفِ الرهبان، ليترك العابدَ في صومعتهِ ولا يؤذيهِ ويقتُلَ من حلقَ شَعْرَهُ إلا ما استبقاه من عصائب شَعْرِهِ، ولعل الوصيةَ هذه تُعَدُّ آخرَ المعلومات التي يزوّدُهُ الصِّدِّيقﷺ بها، لتنجلي أمورُ حملته حتى للحظة الأخيرة "

(3) الشورى

الشورى وسيلةَ اتصالاتٍ انتهجها الصِّدِّيقﷺ فَعَرَضَ غَيرَ أَمْرٍ على أصحابهِ، واختلفوا في وجهاتِ النّظر، ثم رجّح الصِّدّيقﷺ الأمرَ واتخذَ فيهِ قرارَه، ونمثّلُ على الشورى بطلب الصِّدِّيقﷺ من المسلمين أن يبادروا إلى المسجد النبوي ليعرضَ عليهم أمرَ إنفاذِ جيشِ أسامة إلى مؤتة والمسلمون كانوا بأمسّ الحاجة إلى جندِهِ، فاستشارهم الصِّدّيقﷺلاستبيان رأيَهم تحقيقاً لأمر الشورى قال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه "أيُها النّاسُ، إنما أنا رجلٌ منكم أغنى ما تغنون، وأحامي كما تحامون وأنتم شركائي في هذا الأمر، فهاتوا ما عندكم من الرأي"، فقام عمر بن الخطاب وطَلَبَ من الصِّدِّيقﷺ أن يحبسَ جيشَ أسامة ليتقوى به على بعض القبائل المرتدّةِ قال: "يا خليفة رسول الله ﷺ، إنّ العربَ قد ارتدّتْ على أعقابها كفّاراً كما قد عَلِمْتَ، وأنت تريدُ أن تنفذَ جيشَ أسامةَ بن زيدً، وفي جيشِ أسامةَ خيرُ نفيرِ العربِ وأبطالِهم، فَلو حَبَسْتَهُ عِنْدَكَ لَقَوَيْتَ على من ارتدت من هؤلاء العرب"[27].

ولعلَّ رأي الفاروق مناسبُ أن يصفيَ الصِّدِّيقﷺ ما يسمى اليوم "جبهته الداخلية" قبل أن يسعى إلى القتال في جبهته الخارجية، فرَفضَ الصِّدِّيقﷺ رأي الفاروق بحِدة وشِدّة، إذ كيف للصديق أن لا ينفذ جيشاً أوصى بإنفاذه الرسول الكريم قبيل وفاته، وكان محتشداً في الجُرفِ قال له الصّدّيقﷺ: لو علمتُ أن السّباع تأكلني في هذه المدينةِ لأنفذتُ جيشَ أسامةَ بن زيد، كما قال النبيﷺ "امضوا جيشَ أسامة" وتلا قوله "قل لن يصيبَنا إلا ما كتب اللهُ لنا"[28] وأمّا من ارتدّت من هؤلاء العرب فمنهم من لا يصلي وقد كفر بالصلاة، ومنهم من يصلي ويدفع الزكاة، ولا والله، يا أبا حفص، ما أفرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقترنتان[29]" ثم أشار الفاروق على الصِّدِّيقﷺ أن يتجافى عن زكاة العرب ذلك العام، رجاء أن يعودوا عن ما هم عليه واحتجَّ على الصِّدِّيقﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام "أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا اللهُ محَمّدُ رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها وحسابهم على الله[30]" فرفضَ الصِّدِّيقﷺ رأي عمر قائلاً: "والله لو منعوني عقالاً مما كان يأخذه منهم النبي ﷺ لقاتلتهم عليه أبدا ما حييتُ، ثم لنحاربهم أبدا حتى يُنجزُ اللهُ وَعْدَهُ، ويفي لنا عَهْدَه فإنه قال وقوله صدق لا يخلف له "وَعَدَ الله الذين آمنوا وَعَملوا الصالحاتِ لَيستخلفنّهم في الأرض كما استَخْلَفَ الذين مِنْ قَبْلِهِمْ، وليمكن لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وَلَيبدّلنهم من بعد خوفِهِم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا"[31] ولما تبيّن للفاروق قوّة حجّة الصِّدِّيقﷺ وتَمَيُّزَهُ في حُسْنِ تفسير الآيةِ، والصِّدِّيقﷺ لا يُجارى في فهمِ آي الله بعد الرسول ﷺ وافقه رأيه على رأيه قائلاً: يا خليفةَ رسول الله، أنما شرح الله صدرك بقتال القوم، فسمعُ وطاعة[32]، فتتابع الناس على رأي الصِّدِّيقﷺ فأنشأ الحارث بن

هشام المخزومي يسجّل الشورى بين المسلمين، ويدرجُ رأي الصِّدِّيقﷺ المتميّزَ والمطاعَ الذي بذّ رأيه جميع الآراء، فأتبعوه في رأيه قال الحارث بن هشام[33]:

عُمَرُ رأى واللهُ بالغث أمـرهِ ... رأياً فَخالَفَ رأيَه الصّدّيـقُ

إذ قال غمّض في الهدى إغماضةً ... وأرفق فانك في الأمور رفيقُ

وتجافَ عن أموالهم فأبى لـه ... إلا قتالَ عدوّه التوفيــق

إن الذي كانت عليه نفوسُنـا ... في الحادثات من الحروب تتوق

قال الخليفةُ: قاتلوا أعداءَكـم ... إنَّ الدنيَّة ردّة التعـويق[34]

لرميتُ قوما بالقنائل والقنــا ... منعوا الزكاة وإنني لَمحوق

بقتالكم في قلّة أو كثــرة ... ما دام للسهم المريّش فُوْقُ

إن الشورى وسيلة اتصالات اجتمع الصِّدِّيقﷺ بأهل الرأي، وأدلى أهل الرأي ي بآرائهم،فلما عرضت شورى عمر- على كبر قدره - رفضها الصّدّيق، لأن رأيه يعتمد على تتبع النبوة وإلهامها، وهذا هو ديدن الصِّدِّيقﷺ وهكذا قرر، فاستحسن الحضور رأيَهُ، وتابعه الفاروق. وفي مشهد ثان يستشير الصِّدِّيقﷺ صحبه بعد أن تمادى الأشعث بن قيس الكندي، فقتل رسولَ أبي بكر، وحصر زياد بن لبيد في مدينة تريم، واشتد القتل بالمسلمين، فأشار أبو أيوب الأنصاريﷺ على الصِّدِّيقﷺ أن يسامحَ أهل كندة بزكاة ذلك العام، لعلهم يؤدُّونها العام المقبل فقال أبو أيوب: "اسمع ما أشير عليك إنَّ القومَ عددُهم كثير، وفيهم نخوة المُلك ومنعته، وإذا اهتموا بالجمع جمعوا أضعافا كثيراً، فلو صرفتَ الخيلَ عنهم في عامك هذا، وصفحتَ عن أموالهم لرجوتُ أن ينيبوا إلى الحق"[35] فتبسّم الصِّدِّيقﷺ لما سمع رأيه وقال له: "والله يا أبا أيوب، لو منعوني عقالا واحدا؛ مما كان النبيﷺ وضعه عليهم لقاتلتُهم عليه أبداً أو ينيبوا إلى الحق"[36] فسكت أبو أيوب أمام حجّة الصِّدِّيقﷺ القوية، النابعة من شخصيته الإيمانية،، فالصِّدِّيق يستنّ بسنة النبي ولا يسمح بانتقاض - وإن قليلاً - مما كان يؤدى لرسول الله، فهو خليفته، ومطبق شريعته فقصَّ حسَّان بن ثابت في قصيدته ما دار بينهما، وعرض رأي أبي أيوب، وتميّز الصِّدِّيقﷺ بحسن رأيه[37]:

لمّا أبو أيوبَ قامَ بِخُطْبَـةٍ ... ينهى أبا بكر وقَالَ مقــالا

إن تلقَ كندةَ تلقهم يومَ الوغى ... تَحتَ العجاجِ فوارساً أبطـالا

فاتركهمُ عاماً هناك لَعلَّهـم ... أن يجمعوا نحو الهدى أمـوالا

فذلك خيرٌ إن قَبِلْتَ نصيحتي — مِن أن تُرى متعسفاً قتّـالا
فأجابه الصِّدِّيق أنْ لو أنَّني — ممَّا الرسول حوى منعت عقالا
قاتلتُهم بالمرهفات وبالقنـا — وثنيتُ خيلي نحوهم ورجـالا
حتى ينيبوا راجعين إلى الهدى — وَيُرَوْنَ طراً تاركين ضـلالا

فالشورى أمر إلهي، تمّ من خلالها عرض الآراء، واختير أفضلها، وسيلة اتصال مهمة.

(4) الحراسة

الحراسة: تعني حمايةَ المدينة أو الشخص أو الجيش من العدو المباغت فظاهرة بارزة في الخدمات الإدارية ووسيلة اتصال جيدة بين القائد وجنده، في حروب الرِّدَّة وهي ثمانية أصناف في المخطط هي:

(4 ـ أ) حراسة المدينة

أمَّا حراسة المدينة المنورة فأسندها الصِّدِّيقﷺ لكبار الصحابة، أثناء غيبة أسامة في حملته على مؤتة، منهم علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وابن مسعود، وقد أحرسهم الصِّدِّيقﷺ على مداخل المدينة؛ لتوقّعه مفاجأتها، بغزاة من أسد، وغطفان وطئ وفزارة؛ لأنّ وفدا منهم قدم إلى أبي بكر، يطالب بإعفائهم من الزكاة، وقد رفض أبو بكر ذلك، وهدّدهم بمحاربة كُل من يفرُّق بين الصلاة والزكاة، وألزم أبو بكر أهلَ المدينة بحضور المسجد؛ خوفَ الغارة من العدو، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة، كما توقّع الصّدّيق؛ فوافوا ليلاً أنقاب "مداخل" المدينة المحروسة، وأرسل حرس المدينة إلى أبي بكر الذي كان في جاهزية جهادية فطاردهم على النواضح.[38]

(4 ـ ب) حراسة مقدمة الجيش

أمَّا حراسة مقدمة الجيش التي كانت تسمى طليعةً فذات واجباتٍ متعددةً منها؛ تقديم معلومات أولية، عن العدو، والاصطدام به، وإيقاع خسائر بالعدوّ؛ قتلى وجرحى، وجلب الأسرى، فجرى من خلال حملة خالد بن الوليد إلى طليحة الأسدي؛ ذلك أن خالد بن الوليد أرسل عُكاشة بن المحصن، وثابت بن أرقم الأنصاري طليعة؛ فلقيهما حَبال اخو طليحة فقتلاه، فبلغَ طُليحةَ خَبَرُه، فخرج هو وأبوه سلمة ثأراً لأخيهما، فقتل طُليحةُ عُكاشةَ وقتل أخوه ثابتاً[39]، وقد حدّد خالد بن الوليد واجبَ الطليعة وهم عُكاشة بن المحصن وثابت بن أقرم الأنصاري، ومعبد بن عمرو المخزومي بقوله لهم: "انطلقوا وتجسَّسوا الخبر، عن طليحة بن خويلد وعن موضع عسكره".[40] وتجسُّس الخبرِ وسيلة اتصالات جيدة قبل التماس مع العدو، وقد استشهد الرجالُ

الثلاثة،طليعةُ خالد، فتأسّف طليحة الاسدي على قتله إيّاهم بعد أن أسلم، وأدرج أسماء الشهداء الثلاثة في شعره قال:[41]

نَدِمتُ على ما كان من قتلِ ثابتٍ وعُكاشةَ الغنمي، والمرء مَعْبَدِ

(5ـ ج) حراسة عمال الولايات

ونالت حراسة عمال الولايات الإسلامية ممن جمعهم الصّدّيق، لواجبات أخرى، أو لتخوّفه على قتلهم بعد ردة بعض القبائل التي كانوا يحكمونها، نحو حراستهم عمرو بن العاص، والي عُمان، وأبان بن سعيد والي البحرين برغم نجاحهما في عمليهما، فاتصل عمال الصديق بقائدهم الصديق رضي الله عنه.

أما حراسة عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة، ففيها أخبار عن وفاء أهل عمان إلى الوالي المسلم، وحسن معاملتهم له، فأبرَزَها الشعر التالي على لسان عقبة بن النعمان العتكي: [42]

وَفَينا لعمروٍ يومَ عمروٍ كأنَّهُ طريدُ نفته مَذْحِجُ والسكاسكُ

رسولُ رسولِ الله أعظم بحقّه ! علينا ومن لا يعرف الحقّ هالك

رَدَدناه لم يُشتَم لؤي بن غالب به الآن إذ ضاقت عليه المسالك

أمّا حراستهم أباناً من البحرين إلى المدينة، ففيها ذكر المرافقين والحراس، وعددُهم وأخبار عن ثبات أهل البحرين على دينهم، وإسلامهم طوعاً كما أخبر أحد الحراس شعراً: [43]

جُزي الجارودُ خيراً عن أبان بن سعيد

وصُباحُ وأخـوه هَرِمُ خيرُ عميد

وابنُ سـوار فنعم المر (م) ءُ في العام الشديد

أسلمــوا طوعاً وكفُّوا كلَّ شيطانٍ مريد

(4 ـ د) حراسة الغنائم

أمّا حراسة الغنائم كإبلِ الصّدَقَةِ، فأبرَزَتها حروبُ الرِّدَّةإذ كان أبو هند حارساً للغنائم،من حضرموت إلى المدينة؛ ومعه رَجُلُ يدعى قنبر على راحلة خفيراً له، يحرسه إلى صنعاء والمسافة من صنعاءَ إلى المدينة[19] تسع عشرة ليلة[44]، ولمّا وصل إلى المدينة، سأله الصّدّيق، إن كان لقي المغيرةَ بن شعبةَ في الطريق ذاتِ المراحل المذكورة، فلم يلقه، فعلم الصّدّيق، أن المغيرة أخطأ الطريق[45] وفي الحراسة وما رافقها من خفارة، وسؤال الصِّدِّيقﷺ لأبي هند إن كان لقي المغيرة في الطريق وسيلة اتصالات بين قيادة الخليفة وحرّاس الغنائم.

(4 ـ هـ) حراسة الحصون

أمّا حراسة الحصون فجلتها حروبُ الرِّدّة، وسيلةَ اتصال بين جند الحصون من الداخل والمحاصرين من الخارج وفيها معلومات استخبارية عن معنوياتهم ونصيحة في قتالهم، فان حراس حِصنِ حؤاثي، أسدٌ في النهار في حراستهم وضباع في الليل، ومفتاح نصر العلاء الحضرمي أن يكبسهم ليلاً، وقد أخذ العلاء بالنصيحة فانتصر فأصخ إلى أحدهم يقول:[46]

قُلْ للعَلاءِ لِيَفْهَمْ ما كَتَبْتُ لَـهُ	مِنّي إليك، وخيرُ الرأي ما حَضَرا
إنّ العدوَّ الذي أشْجَاكَ منـزلةً	مِثْلُ الأساودِ والحَيِّ الذي نَظرَا
أُسْدُ النَّهار، ضباعُ اللّيلِ لَيْسَ لَهُمْ	إلا البياتُ بمـا لا قـلَّ أو كَثُرَا
هذا الذي لا أرى إلا عزيمتَـهُ	والأمرُ للهِ يُعطي النّصْرَ مَنْ صَبَرَا

وبرز إهمال حرّاس الحصون ـ لان إهمال الحارس يعني انقطاع الاتصال بينه وبين القائد وجنده شأن إهمال حرس جزيرة دارين، فداهمهم المسلمون؛ بقيادة العلاء الحضرمي وقتلوهم، فقال بعضهم:[47]

ضاقَ الفضاءُ بدارينا وساكِنها	ذرعاً فَخُضْتُ إلى كُفّار دارين
من حيثُ لم يعلموا حتَّى رَمَيْتَهُمْ	وَسْطَ الجزيرةِ بالصِّيـدِ الميامين

(4 ـ و) حراسة الأسرى مخفورين

وحراسة الأسرى إلى الصِّدِّيق رضي الله عنه أبرزتْها حُرُوْبُ الرّدّة؛ ذلك ما كان من أمر إرسال عُيينة بن حصن، مخفوراً محروساً أسيرا إلى المدينة، بعد معركة البُزاخة سنة إحدى عشرة للهجرة، فنخسه أطفال المدينة بالعِصّي قائلين له: "يا عدوَّ الله، كفرت بعد إيمان؟!"[48] ومثله أبو شجرة عمرو بن عبد العُزى، الذي كان يفخر بقتله، عدداً من المسلمين من كتائب خالد.[49]

فروّيت رُمحي من كتيبةِ خالدٍ	وإنّي لأرجو بعدها أنْ أعمَّرا

لقد أسر عيينة، وصفح عنه الصّدّيق، بعد أن أرسِلَ محروسا إلى المدينة المنورة.

(4 ـ ز) حراسة الجندي لغيره

والحراسة نالت الجنديَّ لغيره، شأن جفنةَ بنِ قتيرة السكوني، الذي حماه ابن عمٍّ له من الأشعث بن قيس، لمّا رآهُ الأشعثُ يقاتل جنودَه ببسالة، فأفلتَ جَفْنَةُ، وأنشأ ذلك الفتى يقول:[50]

تداركتُ جَفْنَةَ من أشعثَ كَرَرْتُ عليهِ ولـم أنْكُلِ

تَدَارَكْتُهُ بَعْدَ ما قد هَوى رهينَ العَجاجةِ في القسْطَلِ

فَأَنْجَيْتُهُ من حيَاضِ الرّدى فَآبَ سلـيماً ولم يُقْتَلِ

فالحراسة مَنَعَتِ الإجهازَ على جَفْنَةَ، وأنطقت لسان الحارس يخبرنا دوره.

(4 ـ ح) حراسة النساء

وَخُصِّصَ حَرَسُ للنّساءِ، ممن كُنَّ يَخْرُجْنَ مع الرجال إلى الحرب، ذلك ما يروى عن لقيط بن مالك الذي ارتد، وأخرج معه بعضَ النسوة، فلم يستطع حراستهن، وهزمه لواء عكرمة بن أبي جهل.[51]

وحراسة النساء حلقة اتصال بين الجيش نَفسِهِ وجيشِ عدوّه، ذلك أن للنساء دوراً في الإعداد الإداري والمعنوي، من جهة، وتشكّل عبئاً نفسيا عند سبيهن من جهة أخرى.

5. الرسائل

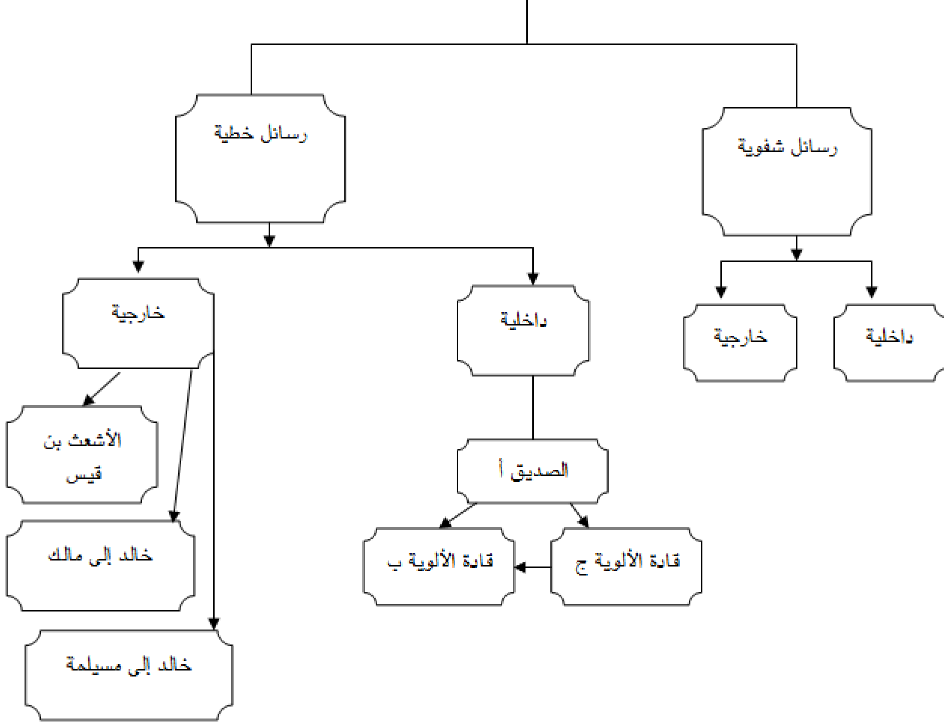
تُعَدُّ الرّسائلُ من أبرزِ وسائلِ الاتصالاتِ في حروب الرِّدّةخاصة عند المسلمين، بدءاً برسائل الصِّدِّيقﷺ إلى قادةِ ألوية المسلمين الأحدَ عَشَرَ، مروراً برسائلِ قادةِ الألويةِ إلى الصِّدِّيقﷺ، وقادة الألوية إلى بعضهم، وقد بَرَزَ في الرسائلِ نوعان منها هي: رسائلُ خطبة ورسائلُ شفوية، أمّا من الرسائل الشفوية التي هي كالتعليمات فبرزت تعليماتُ الصِّدِّيقﷺ الشفويّة إلى حرّاس المدينة أثناء غيبةِ أسامةَ إلى مؤتة، وواجبُ الحرّاسِ أنْ يُبلغوا الصِّدِّيقﷺ عن كلِّ طارقٍ للمدينة، غازياً كان أم دافعَ صَدَقات للاستعداد وكلماتها الرمزية "بشير " و" نذير".

والرّسائلُ كانت داخلية بين أطرافِ القتالِ مسلمين ومرتدّين، كما كانت مراسلاتٌ خارجيةٌ جرت بين طرفي القتال في سُوح القتال.

والرّسائلُ كان يحملها مراسلون ذكرت الدراسة بعضَ أسمائهم، كما تضمنت الرسائلُ أنموذجاتٍ شعريةً قالها بعضُهم يصفُ حالتَهُ كأنما هي برقية مشَفّرة – اليوم – لإنقاذه.

ولعلَّ التقصي الدقيق للرسائل في حروب الرِّدّةيحتل بحثاً منفصلاً قد يخرج عن مظانه، لذا نتكلف مخططاً هيكلياً نتبيّنُ أنموذجات من الرسائل إذ قليلها في هذا المجال يغني عن كثيرها.

5 – أ مخطط مشجر لرسائل المسلمين



5 – أ - 1 الرسائل الشفوية

ومن الرسائل الشفوية أوامر نحو رسالة الصِّدِّيقﷺ إلى سيف الله المسلول يأمره شفوياً أن يتحرّكَ إلى محوره ضدَّ طليحة الأسدي، وإذا أنجز مهمته هناك عليه، أن يتحرك إلى البُطاح من أرض تميمٍ، حيث يلقى مالكَ بنَ نويرة وأصحابَه، وأبلغ خالداً لعلَّهُ يلقاه من ناحيةٍ أخرى، ويقول الصِّدِّيق في رسالته الشفوية إلى خالد "يا خالدُ، سِرْ نحو طليحةَ بنِ خويلدٍ الأسدي، ومن مَعَهُ من بني أسد وغطفان وفزارة، وانظر إذا وصلت إلى القوم، ونزلت بديارهم، وسمعت آذاناً؛ فلا تقاتل أحداً حتى تعذر إليهم وتنذرَهم، ثم دسّ إلى أمرائهم، فأعطهم من المال مع أقدارهم، وانظر إذا وافيتَهم فلا تنزلنَّ بهم نهاراً فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزل بهم ليلاً؛ عند وقت نومهم، ثم ارعوا إليكم وحركوا أسلحتكم، وهوّلوا عليهم ما قدرتم، وإنْ أظفركم الله بطليحةَ بن خويلد وأصحابِهِ فَسِرْ نحو البُطاح من أرض تميم، إلى مالك بن نويرة وأصحابه ولعلي آتيك من ناحية أخرى إن قدرنا على ذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"(53)

إننا نلحظُ في هذه الرسالة تعليمات شفوية، بل هي رسالة شفوية يوجِّهُها الصِّدِّيقﷺ إلى سيف الله، يحدّد له فيها محور جهاده إلى طليحة الأسدي، ومن معه من المرتدين، ويمنعه من قتالهم إن سمع الأذان في منازلهم، كما يعي تعليمات أخرى، منها أن يدس إلى أمرائهم ويعطيَهم المال على أقدارهم عالم بأسباب ردتهم، يعلم من منظور قبلي، كيف يعالج نفوس مشايخهم المرتدة، وإذا تعذّرت على خالد هذه الوسيلة فعليه أن ينذرَهم قبل قتاله إياهم، فسفكُ الدماء آخر ما التفت إليه الصّدّيق، إذا تمكن بالوسائل الأخرى من إعادتهم من ردتهم إلى الإسلام مؤمنين به يقيمون ا لصلاة ويؤتون الزكاة.

وفي رسالته الشفوية تَبْرُزُ تعليماتُ الصّدّيق عسكريةً، فذّةً،فيها خبرة القائد الملهم، إذ يطلبُ من خالدٍ أن ينزل بطليحةَ ليلاً، لأنّ في حركتهِ اللّيليةِ مفاجأةً لطليحة، فلا تُعْرَف أعدادُ القوةِ ولا أسلحتُها، ولا المحورُ الدقيقُ الذي يهاجمونه فيه، وهو درسٌ قياديٌ فيه تحريضٌ على الهجوم الليلي، إذ فيه إرعابٌ للمرتدين، وإقلاقٌ لراحتهم عند نومهم خاصة، فتنهارُ معنوياتُهم، ولا يعلمونَ عددَ القوةِ الهاجمةِ، فالليل أخفى للويل، ويركّزُ الصِّدِّيق على الحربِ النفسية؛ في رسالته إلى خالد إذْ أمره أن يُحَرِّكَ سلاحَهُ، لِتُسْمِعَ قَعْقَعَتُهُ، لِيُمثّلَ مرحلةً أولى من الرُّعْبِ، ووقتِ نومِهم، في الليل،وفي مراحلَ أخرى، ليهوّلوا على المرتدينَ، فَتنْخَلِعَ قلوبُهم في مثل هذه الحرب النفسية، خاصّة أن الصِّدِّيق وَعَدَ خالداً بملاقاته من ناحية أخرى، فيما يُسمّى اليومَ "بمحور ثانوي" للإطباق على العدوّ، وإنْ كان ذلك من ناحية نفسيّة، إذ لا يأتمنُ الصِّدِّيق على أسراره عدوا؛ قد يبوح بها أو يستنتجها، مما قد تفشلُ خِطّةُ خالد. وقد أتت خِطّتُهُ المُحْكَمةُ أُكُلَها فانتصر.

وفي هذه الرسالةِ المقتضيةِ تحديدُ مراحلِ الحربِ أيضاً،ذلك أنّ عمليات خالد من مرحلتين:أولهما إلى طليحة، وإذا أنجزَ واجبَه فيها انتقلَ إلى الثانية، حيث مالكِ بن نويرةَ، ويستفهمُ سيفُ الله من الصِّدِّيق بعد أن سَمِعَ توجيهاتِهِ بقوله "يا خليفةَ رسولِ الله، فإذا أنا وافيتُ القومَ فإلامَ أدعوهم؟"(54) قال له الصّدّيق: "ادعوهم إلى عَشْرِ خِصالٍ؛ شهادةِ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمّداً عبدُه ورسولُه، وأقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المُنْكرِ، والطاعةِ، والجماعةِ"(55).

إن هذه الرسالة الشفويّة من الصِّدِّيقﷺ إلى خالد فيها توجيهُ كافٍ إليه، ليعرفَ مُهمّته بدقة، وما استفسارُ خالدِ تفصيلاً من الصِّدِّيقﷺ عمّا يسْأَلُهُمْ إنْ وافى القومَ، وإجابةُ الصِّدِّيقﷺ لخالدً، إلا رسالةٌ شفويَّةٌ أخرى فيها تفهيمُهُ واجباتِهِ عِنْدَ ملاقاةِ المرتدينَ، وإن كانت إجابةً عن سؤال كبير، عمّا يفعله إنْ واجه المرتدين.

ومن الرسائلِ الشفويّة توجيهاتٌ استخباريةٌ لاستطلاعِ قواتِ المرتدين في أراضي بني أسد، إذ أمرَ خالدُ بنُ الوليدِ عُكّاشةَ بنَ محصن الأسدي وثابت بن أقرم الأنصاري ومعبد بن عمرو

المخزومي أنْ ينطلقوا إلى مواضعِ عسكرِ طليحةَ ويتجسَّسوا الخبرَ عن طليحةَ وأصحابه [56] وكان جوابُ الصحابةِ الثلاثة تنفيذَ الأمر، كما ذكرنا، وتذكر الحادثة بعد إسلامه [57].

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم وأيقنت أني ثائر لحبـال

عشيَّة غادرت ابن أقـرم ثاوياً وعكّاشة الغنمي عند مجال

وها هو يظهر ندمه على قتله المسلمين الثلاثة، وذكرهم بأسمائهم:[58]

ندمتُ على ما كان من قتلِ ثابتٍ وعكّاشة الغنمي والمرءِ معبد

وبرزَ من رسائل الصّدّيق تحريرية شفوية بآن واحد؛ أرسلها الصِّدِّيق إلى الأشعث بن قيس الذي حَصَرَ المسلمين بقيادة زياد بن لبيد في بلدة تريم بالقرب من حَضْرَموتَ، واستنجدَ زيادٌ بالصّدّيق، فَبَعَثَ الصِّدِّيق‎ﷺ بعد مشورةِ أصحابه ـ رسالةً تحريريةً مختومةً مع المراسل مُسلم بن عبد الله وهي رسالة تحريرية فيها أبيات شعر لحسان تتضمن مطالب الصِّدِّيق‎ﷺ من الأشعث؛ أبرزها أن يتقيَ الأشعثُ رَبَّهُ ولا يشرك بالله شيئاً. وينصحُ الأشعث قومه بأن يشيموا السيوف ويعودوا إلى الإسلام، فهم ذوو شرف عالٍ، ومحتدً تليد، وطوى الصِّدِّيق الكتابَ وسلّمه إلى المراسل مسلم بن عبدا لله.

ولما وصل الكتاب إلى الأشعث وقرأه، أقبل على حامل الرسالة وقال له "إنَّ صاحبك أبا بكر هذا يلزمنا بالكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه (يعني زياد بن لبيد) الكفر بقتله قومي"[59] مما يدلُّ على أنَّ الرسالة تحريرية أمّا القول بالشفوية فلأنَّ مسلم بن عبد الله أجاب الأشعث بقوله "نعم، يا أشعثُ يلزمك الكفر، لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أوجب عليك الكفر، لمخالفتك جماعة المسلمين" فوثب إلى الرسول غلام من بني مُرّة ابن عم الأشعث فضربه بسيفه ضربةً فلق هامته، فسقط الرسول ميتاً، فقال الأشعث له مستحسناً فعلته "أقصرت العتاب وأسرعت الجواب مما يدل على أن الرسول كان ينقل رسالة شفوية إضافة إلى تحريرية، أو أنه كان يفهم مضمون الرسالة، وكيف يردُّ عليها لأنه مخالف للجماعة بدليل رسالة الصِّدِّيق بعد البسملة"[60] من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ وعلى أمته، إلى الأشعث بن قيس ومن معه من قبائل كندة، أما بعد فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول في كتابه المنزل على نبيه عليه السلام "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون"[61] وأنا آمركم بتقوى الله وحده وأنهاكم أن تنتقضوا عهده، وأن ترجعوا عن دينه إلى غيره، ولا تتبعوا الهوى فيضلّكم عن سبيل الله، وإن كان إنما حملكم عن الرجوع عن دين الإسلام ومنع الزكاة ما فعله بكم عاملي زياد بن لبيد، فإني أعزله عنكم، وأولي عليكم من تحبون، وقد أمرت صاحب كتابي هذا إن أنتم قبلتم الحق أنْ يأمرَ زياداً

بالانصراف عنكم، فارجعوا إلى الحقِّ، وتوبوا من قريب، وفقنا الله وإياكم لكلّ ما كان من رضا والسلام"[62]

ثم كتب حسان بن ثابت يقول قطعة من ستة أبيات تتضمن فحوى رسالة الصِّدِّيقﷺ حملها مسلم بن عبد الله معه:[63]

أنيبوا إلى الحق يا قومنا	فإني لكم ناصحٌ فاقبلوا
ولا تأنفوا اليوم أن ترجعوا	فإنّ الرجوعَ بكم أجملُ
رميت بنصحي لكم جاهداً	فلا ترتدوا ثم تستجهلوا
فأنتم أناس لكم سؤدُدُ	وينميكم الشرف الأطولُ
صِباحُ الوجوه نماكم إلى	كريم الثنا الشرفُ الأولُ
فشيموا السيوفَ ولا تبعثوا	حروباً تُذَلُّ بها النّزّلُ

وقد أدى مقتل الرسول هذا إلى شقِّ عصا الطاعة على الأشعث بن قيس فانصرف عنه أبو قسرة الكندي ورجاله من جهة ذلك قوله مستنكراً فعلة الأشعث:[64]

قتلتم رسولاً أنْ أتى برسالة	وليس عليه أو إليه سبيل
فجئتم بأمرٍ فيه خوفُ عليكم	وذلك خزيٌ في الحياة طويل

ومن جهة أخرى رحل بنو الأرقم عن الأشعث غضباً لفعلته في قتله رسول أبي بكر ذلك ما أنشأه جبر بن القشعم من شعر دال[65]:

سيرحل عنكم بنو الأرقم	عشية جُرْت على المسلم
أيؤذي الرسول بأن حلّكم	بخط كتاب ولم يحرم
أخاف عليكم بأفعالكم	نحوساً من الطائر الأشأم

ومن رسائل المسلمين الخطيّة رسالة الصِّدِّيقﷺ إلى الألوية الأحدَ عَشَرَ، التي كانت من نسخة واحدة كتبت إحدى عشرة نسخة بمعدل نسخة لكل قائد لواء، مضمونُها واحدٌ، وهي رسالة داخلية بها تعليمات وافية إلى قادة الألوية، وتعليمات أخرى خارجية إلى مشركي الجزيرة العربية، فيها تحذير من الشرك لعامة المشركين وخاصتهم بدليل قول الصِّدِّيق[66]: "من عبد الله بن عثمان إلى جميع من قرأ هذا من خاص وعام، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلامٌ على من اتّبع الهدى ورجعَ من الضَّلالة والرّدى، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحَده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[67] و"لينْذِرَ

مَنْ كَانَ حيّاً ويَحقّ القَولُ على الكافرين"[68] يهدي الله من أقبل إليه، وضرب بالحق من أدبر عنه وتوّلى، إنّي أوصيكم بتقوى الله وأدعوكم إلى ما جاء به نبيّكم محمدﷺ فقد علمتم أنّه من لم يؤمن باللهِ فهو ضالٌ، ومن لم يؤمنّهُ اللهُ فهو خائف، ومن لم يحفظهُ اللهُ فهو ضائع، ومن لم يُصدّقهُ فهو كاذب ومن لم يُسْعِدْه فهو شقيٌ، ومن لم يرزقْهُ فهو محرومُ... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد الإقرار بالإسلام والعمل بشرائعه اغتراراً بالله- عزَّ وجلَّ-، وجهالة بأمره وطاعة للشيطان و"الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنَّما يدعو حِزْبَهُ ليكونوا من أصحاب السعير"[69].

وفي الرسالة نفسها، وبعد تحذيره إياهم من الشرك، وتخويفهم من عصيان الله، يخبرهم انه يوجه إليهم خالدَ بن الوليد ومعه تعليمات واضحة لقتالهم، أولها أنه يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ، ويُعْذِرُ إليهم وَيُنْذِرُ، فمن دَخَلَ الإسلام أمن، وإلا فالقتال الشديد، وعرض صنوفاً من العقاب منها؛ الحرق بالنار، وسبّي الذراري والنّساء، وأَخْذَ الأموال، وقد أعذر من أنذر "وبعد، فقد وجهت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار، وأمرته أن لا يقاتلَ أحداً حتى يدعوه إلى الله عزَّ وجلَّ، ويعذر إليه وينذر، فمن دخل في الطاعة، وسارع إلى الجماعة، ورجع من المعصية إلى ما كان يعرف من دين الإسلام، ثم تاب إلى الله تعالى وعمل صالحاً، قَبِلَ الله منه ذلك، وأعانه عليه، ومن أبى أنْ يَرْجِعَ إلى الإسلام بعد أن يدعوه خالد بن الوليد ويعذر إليه، فقد أَمَرْتُهُ أنْ يُقاتِلَهُ أشدَ القِتال، بنَفْسِهِ ومن معه من أنصار دين الله وأعوانه، وعليه ألا يترك أمراً قدر عليه إلاّ أحرقَ بالنّارِ إحراقاً ويسبي الذراري والنساء، ويأخذ الأموال، فقد اعذر من أنذر، والسلام على عباد الله المؤمنين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى خالد، وأمره أن يعمل بما فيه.

ويبدو أن رسالة الصِّدِّيق ذاتُ شقين: أحدهما موَّجهُ إلى المشركين ليعودوا إلى سابق عهدهم بالإسلام فعسى أنْ يغفرَ الله لهم، والثاني تهديد ووعيد لمن ظَلَّ على شِرْكِهِ.

وقد أحدثت رسالة الصِّدِّيقﷺ أثراً في نفوس المتلقين، إذ أرسل ضرار بن الأزور الأسدي رسالةً إلى قومه يحذِّرُهُمْ من كَذِبِ طَليحة بن خويلد الأسدي وسِحْرِهِ وكهانتِهِ، وأخذ عليهم إمعانَهم في الضّلالة والكفر، وتماديهم، لأنّ في ذلك سَبْي النساء وَسَفْكَ الدّماءِ منها قوله[70]:

بني أسد ما لكم عاذرٌ	يردُّ على السامع الناظر
فهل لكم اليومَ من مُخبِرٍ	يُخَبِّرُ عن كاهن ساحر
طليحةُ أكذبُ منَ يَلْمَعٍ [71]	وأشأمُ في الشؤم من قاشِر[72]
كأني بكم قد حوى جمعكم	وجمعُ السّقاة بني عامر

ومن مراسلات الصِّدِّيقﷺ الداخلية مراسلاتُه إلى قادة الألوية منهم خالد بن الوليد إذ تضمّنت رسائلهُ إليه الشكرَ حيناً، واللومَ حيناً آخر، إذ شكرَهَ بعد انتصاره على طليحة الأسدي قال له:" لِيَزِدْكَ ما أنعمَ الله به عليك خيراً، واتقِ الله في أمركَ، فإنَّ اللهَ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، كما شكره بعد انتصاراته في بُزاخة، وأمرَهُ بأن يواصلَ هجومَهُ إلى اليمامةِ حَسَبِ الخطّة التي كان رَسَمها له الصِّدِّيقﷺ لإنجازها على مراحل قال له فيها "من أبي بكر إلى خالد، أما بعد؛ فقد جاء في كتابك مع رسولِكَ، تذكرُ ما أظفرك الله ببزاخة، وما فعلتَ بأسد، وأنكَ سائر إلى اليمامة، وذلك عهدي بك، فاتقِ الله وحَدهُ لا شريكَ له، وعليك بالرفق بمن معك من المسلمين، كن لهم كالوالد"[73] كما لام الصِّدِّيقﷺ خالداً لزواجه من ابنة مُجّاعة الذي خدعه وصالح قومه ظناً أن في الحصون رجالاً مع أنهنّ كنّ نساءً بلباسِ رجال، كما لامَهُ على زواجِهِ منها في سُوْحِ الجهادِ وفي مدرجة خالد دماء ألف ومائتين شهيد مسلماً تسنّموا مدارج الشهداء، في عقرباء اليمامة، إذ قال له الصِّدِّيق "يا خالد؛ ابن أم خالد، إنّكَ لفارغٌ تَنْكِحُ النّساءَ وتعرّسُ بهن وببابك دماء ألف ومائتين من المسلمين لم يَجِفَّ بَعْدُ، ثم خَدَعَكَ مُجَّاعة- عن رأيك- فصالَحَكَ على قوم وقد أمكن لك منهم[74]" وقد أدرج حسان بن ثابت قصيدة الصِّدِّيقﷺ يصف فيها خطورة زواج خالد من ابنة مُجّاعة، وفي ساحه دماء ألف ومائتين مسلماً لم يجفّ بعد؛ قال[75]:

ألاّ أبلغِ الصِّدِّيق قولاً كأنّـه	إذا بُث بين المسلمين المباردُ
أترضى بأنّا لا تَجفُّ دمـاؤنا	وهذا عَروسٌ باليمـامة خالدُ
فكيفَ بألفٍ قد أُصيبـوا ونيّفٍ	على المائتين اليـومَ أو زاد زائدُ
فإن ترضَ هذا فالرّضا ما رضيته	وإلا فأيقظ إنَّ من تحـتُ راقد

تمتاز رسائل الصِّدِّيقﷺ لخالد بسمات منها؛ شكره، وتوجيهه، ولومه على زواجه، كما تمتاز من جهة أخرى بردّ خالد على الصِّدِّيقﷺ يوضّح وجهة نظره، ويحاجج الصِّدِّيق بصحّة زواجه بعد انتصاره على مسيلمة، وما كان زواجه بمحرّمٍ، وفيها أنه عرّض نفسه للموت مراراً فلم يمت، ولو كان الحزن يعيد الموتى لحزن، وما المانع من زواجه بعد أن أورث الله المسلمين الأرض وجعل الله لهم خير الدراين؟

وقد ردّ خالد على الصِّدِّيقﷺ برسالة أزجاها مع مراسل حربي يدعي سليمة بن سلمة قائلاً له فيها منها "فإن كنت لدينٍ أو دنيا أعتبتك، وأمّا حسنُ عزائي على قتل المسلمين، فوالله لو كان الحزن يبقي حياً، أو يردّ ميتاً، لأبقي حزني الحيّ، وردّ الميت، ولقد أقحمت في طلب الشهادة، حتى يئستُ من الحياة، وأيقنت بالموت، وقد صنعَ اللهُ للمسلمينَ خيراً، أورثهم الأرض، وجعل لهم عاقبة المتقين"[76].

والزواج في ساحة المعركة ليس حراماً، وإلاّ لما سكت الصِّدِّيقﷺ الذي إليه تنتهي الأخبار عن خالد، ولما سكت الصحابة على زواجه، لأنّ الشريعةَ الإسلاميةَ تبيحه وزواج الرسول من صفية شاهد.

ومن مراسلات الصِّدِّيقﷺ إلى قادة الألوية لومه عكرمة بن أبي جهل، وسمّاه بابن السوداء، لأنّ أمه مجالدة امرأة من بني هلال بن عامر، وأمها نوبية،والصِّدِّيقﷺ نسّابة معروف، لأمه لأنهُ تعجَّلَ في مهاجمة مسيلمة،دونَ أمر من الصِّدِّيق، فَنُكِبَ عكرمة فلامه الصِّدِّيقﷺ ونزّل رتبته من قائد لواء إلى مساعد؛ يساند غيره ويقاتل أهل عُمان ومهرة، لأنّ عكرمة بن أبي جهلﷺ لم ينتظر وصول لواء شرحبيل ليهجما معاً على مسيلمة، وكان قصدُ عكرمة أن يحظى بسبق النصر، فانهزمَ فأرسل إليه الصِّدِّيقﷺ رسالة يقول له فيها: "يا ابن أم عِكرمة، لا أَرَيَّنكَ ولا تراني على حال، ولا ترجعْ فتوهنَ الجُنْدَ، امضِ على وجهك حتى تساندَ حذيفةَ وعرفجة، ثم تسيرا وتسيّرْ جُنْدَكَ تستبرؤون من مَرَرْتّمْ به، حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أميةَ باليمنِ وحضر موت"[77]. وكان عكرمة بن أبي جهل أرسل للصِّدِّيقﷺ رسالة يبلغه فيها هزيمته أمام مسيلمة، فأَرسل إليه الصِّدِّيقﷺتلك التي بأعلاه[78].

لقد كانت مراسلات الصِّدِّيقﷺ إلى قادة ألويته دقيقة وسريعة، تنقل إلى مقر قيادته في المدينة، أخبار الجبهات بسرعة، وكان من أبرز المراسلين له أبو خيثمة النجاري، وسلمة بن سلامة، وأبو برزة الأسلمي وسلمة بن وقش[79].

لقد كان الصِّدِّيقﷺ جغرافياً دقيقاً يعرف أماكن جنده، وقادتهم بدقة، بدليل أَنَهُ كتب إلى شرحبيل بن حسنة، وكأنما يراقبُ مكانهم من كثب، ويعرف أهميَّةَ وجوده فيه" ابقَ حيث أنتَ حتى يأتيكَ أمري"[80]، وكتب إلى طريفةَ بني حاجز يعلمه بأمر الفُجاءة الذي كذب على الصِّدِّيقﷺ مدعياً رغبته في نصرة المسلمين، فزوّده بالرجال والخيل والسلاح، فَقَتَلَ المسلمين، ووزّعَ سلاحَهم على الرّعاع فعاثوا في الأرض فساداً، لا يميّزون بين مسلم ومرتد؛ فأرسل الصِّدِّيقﷺ له رسالة مختصرة فيها" بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر الصِّدِّيقﷺ خليفة رسول الله إلى طريفةَ بن حاجز، سلام عليك فإني أَحْمَدُ إليكَ اللهُ الذي لا إله إلا هو، وأسألُهُ أن يصليَ على محمدﷺ أمّا بعد؛ فإن عدّو اللهِ الفجاءةَ أتاني فزعم أنه مسلم وسألني أن أقويَهُ على قتال من ارتّد عن الإسلام، فقويته، وقد انتهى إليّ الخبر اليقين، أنه قد استعرض المسلم والمرتد، بأخذ أموالهم، ويقتل من امتنع منهم، فَسِرْ إليه بمن معك من المسلمين، حتى تقتله أو تأسره، فتأتيني به في وثاقٍ إنْ شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله"[81].

لقد اختصر الصِّدِّيق له حادثة الفجاءة، وحدّد مهمته إليه، فجيء به أسيراً محروساً، فقَمَطَهُ الصِّدِّيقﷺ ثم حرقه، وها نعرض مشهدين للفجاءة بالسّلاح والرجال فحاد بهم إلى غير الطريق المخصص له من الصِّدِّيقﷺ فقتل الرجال وعاث فساداً في الأرض، لا يميز بين الصالح والطالح فيقول منها[82]:

ألم ترني خدعتُ القومَ حتى	قَوِيْتُ بما أَخَذْتُ من السِّلاحِ
فملِتُ بها إلى الأدنين قتلاً	وفي الأدنين آثارُ الجراح

والمشهد الثاني يقمط بعد أسره ويحرق بالنار فيتشفى المسلمون بحرقه جزاءً وفاقاً، فقيل فيه[83]:

إنّ حَرْقَ الفُجاءة من نِعَمِ الله على من أَقَرَّ بالإسلام

أخذ الخيلَ والسِّلاحَ على العهدِ فخانَ الفُجاءُ عَهْدَ الإمام

ويبدو أنَّ الصِّدِّيقﷺ كان يرسلُ الكتابَ تلوَ الكتاب إلى خالد خاصّةً، لصعوبة محور جهاده وملاقاته أشرس الأعداء؛ ويحذِّرُهُ من شَرِّ بني حذيفة ويزودُّهُ بمعلومات عنهم، ويَعْرِضُ عليه خطةً حربيّة لقتالهم، السهم للسهم والرمحَ للرمح والسيف للسيف، ويحذّرهُ منهم فكلٌّ بني حذيفة عليه وأرضُهم واسعةٌ، وما على خالد إلا أن يباشرَ المعركة بنفسِهِ، ولا بد أن يستشيرَ كبار الصّحابة، ولا بدّ من اتخاذه تشكيلةَ الجهادِ ميمنةً وميسرةً وخيلاً وساقاً، لقد أرسل الصِّدِّيقﷺ هذه الرسالة مع شريكِ الفزاري فيها:

"أما بعدُ؛ فقد جاء كتابُكَ مع رسولِكَ تذكرُ ما أظفركَ الله بأهلِ بُزاخة، وما فعلتُ بأسد وغطفان، وإنّك سائر إلى اليمامة وذلك عهدي بكَ فاتقِ الله وحده لا شريك له، وعليك بالرِّفْقِ بمن معك من المسلمين، كن لهم كالوالد، وإياك يا خالدُ نخوةً بني المُغيرة، فإني قد عَصَيْتُ فيك مَنْ لَمْ أعْصِهِ في شيءٍ قَطُّ، فانظر بني حذيفة إذا لقيتَهم، إن شاء الله، فأَنكَ لَمْ تَلْقَ قوماً يُشبهون بني حذيفة، كلُّهُمّ عليك، ولهم بلاد واسعة، فإذا قَدِمْتَ فباشر الأمرَ بنَفْسِكَ، واجعلْ على ميمنتكَ رَجُلاً، وعلى مَيْسَرَتِكَ رجلاً، واجعلْ خَلفَكَ رجلاً، واستشر مَنْ معك من الأكابر من لأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، واعرف لهم فَضْلَهُمْ، فإذا لقيتَ القومَ وهم على صفوفهم، فالقَهُمْ إنْ شاءَ اللهُ وقد أَعْدَدْتَ للأمور أقرانُها، فالسهمَ للسهم والرمحَ للرمحِ والسيفَ للسيف، وأحمل أسيرَهم على السيفِ وَهوّلّ فيهم القتلَ، واَحْرِقهُم بالنار، وإياك أن تخالفَ أمري، والسلام عليك"[84]. فلما وصل الكتاب إلى خالد قرأه وقال: "سمع وطاعة"[85] إنها تعليمات حربية يتقيد بها خالد، وكان يعمّم هذه الكتب المهمة التي تضر بالأمن والخطة.وكان الصِّدِّيقﷺ يهتمُ بمحور خالد، لأنه أهم المحاور، وكان يكثر من مراسلة خالد، بدليل قوله لوفد بني حذيفة: "أمّا إنِّي قد كتبتُ إلى خالدٍ

كتاباً في إثر كتابٍ آمرُهُ أنْ لا يستبقي من بني حذيفة أحداً مَرّت عليه الموسى"[86]، ممّا يدّل على تتابع مراسلاته إلى خالد لمعرفة حالتهِ الحربيةِ في مسرحِ العمليات والتطورات مبدياً توجيهاته إلى خالد بن الوليد.

واستكمالاً لدائرة الاتصالات المركزية فقد راسل الصِّدِّيقﷺ بعضَ الولاة؛ يبلغونه بأوضاع ما استجدَ من ولاياتهم منهم زياد بن لبيد والي كندة، إذ أبلغ الصِّدِّيق إجماع بني كندة على محاربته، وهاهم حصروه في مدينةِ تَرِيْمَ بالقرب من حَضْرَ مَوْتَ، ويطلب زياد من الصِّدِّيقﷺ النجدة والإسراع بها، فأنشأ الجبر بن قشعم يلخص استنجاد زياد بالصِّدِّيقﷺ منها قوله[87]:

أخبرْ زياداً أَنَّ كِنْدَةَ أجْمَعَتْ	طراً عليك فَكَيْفَ ذَلك تَصْنَعَ؟
أحياءُ كِنْدَةَ قد أَتَتْكَ بَجْمعِهـا	ولديك منها جيرةٌ لـو تَنْفَعُ
قد صَيَّرَتْكَ إلى التحصّنِ صاغراً	حتى كتبتُ إلى عتيقٍ تَضْرَعُ
فاصبرْ ولا تجزعْ لِوَقْعِ سُيوفِنا	إنَّ الكريمَ إذا جنى لا يَجْزَعُ

وما إنْ وَصَلت الرسالةُ إلى الصِّدِّيقﷺ حتى اغتّم واستشارَ، فأرسلَ إلى الأشعثِ رسالةً أشرنا إليها من قبل، مما يدّل على اكتمالِ حلقةِ الاتصال بين الصِّدِّيقﷺ وقادته سواءً كانوا قادة ألوية أو حكّامَ ولايات.

والمراسلات الجانبية بين قادة الألوية تستكملُ صورةَ الجهادِ، إذ إنَّ زيادَ بن لبيد كان يراسلُ المهاجرَ بنَ أميةَ يستنجدُهُ على الأشعث وقومه بني كندة، فلمّا استنجده زيادُ سارَ إليه فيمن معه، وهم ألفُ فارسٍ تعزيزاً له، وبلغت الأشعثَ هذه الأخبارُ، فَمَكَرَ بالمهاجر، إذ أخلى للمهاجر بابَ مدينة تَرِيْمَ فدخلها؛ لنجدةِ زياد، فرجع الأشعثُ وجَلَسَ على الباب وحضرَه معه[88]، وتطوّرت أحداثُ الحصار هذا، فأرسلَ الصِّدِّيقﷺ رسالةً إلى الأشعثِ يطلبُ منه أن يَشِيْمَ السيفَ كما أشرنا إليها، وقد أرسل زياد بن لبيد إلى الصِّدِّيقﷺ رسالةً يستنجده ويخبره بقتل الرسول ويعلمه بأنه محاصرٌ في تَرِيْمَ قال[89]:

هل راكبُ يردُ المدينةَ مُخْبِراً	رَهطَ الرسولِ وسادةَ الأنصار
ويقولُ للصِّدِّيقِ عِنْدَ لقائِهِ	والدمعُ يهمي كالبديّ الجاري
إنّا حُصِرْنا في تَرِيْمَ كأننّـا	بالمُرهفات وبالقنا الخُطّـارِ
فامنعهمُ بمهاجرينَ فَوارسٍ	فرسان صدقٍ، من بني نَجّارِ
وَبكُلِّ قَرنٍ في الهِياجِ مُهَذبٍ	يسمو بعِصْبٍ صارمٍ بتـارِ

ويتطوّرُ خَبَرُ حصارِ المسلمين في تَرِنْمَ فيستثيرُ الصِّدِّيقﷺ صَحْبَهُ، فيرى الفاروقُ أن يكتبَ إلى عكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وكان في مكة لينْجِدَه، ولا يرسلَ علياً لأنه على شدته قد "يأبى قتالَ القوم فلا يقاتلهم، فإن أبي فلن تجد أحداً يسيرُ إليهم، إلا على المُكْرَهِ منه"[90]، فأخذ الصِّدِّيقﷺ برأي الفاروق وكتب إلى عكرمة يأمره بنجدّه زيادٍ بن لبيد، وَيُعْلِمُهُ الموقفَ، ويعينهُ مساعداً لزياد بن لبيد، ويأمرهُ أن يستنهضَ في حملته من الرجالِ في محورِ حركتهِ إليه هذا نصّه: "أما بعدُ؛ فقد بلغَكَ ما كان من أمرِ الأشعثِ بن قيسٍ وقبائلِ كِنْدَةَ، وقد أتاني كتابُ زيادِ بن لبيد، يذكرُ أن قبائل كندةَ قد اجتمعوا عليه وعلى أصحابه، وقد حصروهم في مدينة (تريم) بحضر موتَ، فإذا قرأتَ كتابي هذا، فَسِرْ إلى زيادِ بن لبيد في جميع أصحابك، ومن أجابك من أهل مَكَّةَ، واسمعْ له وأطعْ، فإنه الأميرُ عليكَ وانظر لا تمرّنَّ بحيٍّ من أحياءِ العَرَبِ إلا استنهضتَهم فأخرَجْتهم معك إلى محاربةِ الأشعث بن قيس وأصحابهِ إن شاء اللهُ والسلام"[91].

فتلحظ في هذه الرسالة أموراً منها، إكمال دائرة المعلومات بين القيادة العليا في المدينة وأطراف القاعدة؛ منهم، زياد وعكرمة بن أبي جهل، وهو ما يسمى بالتنسيق الجانبي، إذ كان زيادُ أبلغَ عكرمةَ بوضعهِ محصوراً في تريم، بدليل قول الصِّدِّيق لعكرمة "فقد بلغك ما كان من أمر الأشعث" مما يدلُّ على تبادلِ المعلومات الجانبيةِ بين القادة كما تلحظ في رسالة الصِّدِّيقﷺ لا إخفاءَ المراسل، لأن المهمَّ وصولُ الرسالة، وتلحظ معرفةَ الصِّدِّيقﷺ الدقيقة بموقع عكرمةَ في مكّة، وإبلاغَهُ بتفاصيلِ مهمته الجديدة، وتعيين منصبه مساعداً لزياد بن لبيد، وتحديدَ مَهمَّتَهُ وهي فَكُّ الحصار عن زياد في بلدة تريم- حضر موت، وعليه أن يستنصرَ من أهل مَكّةَ ما أمكنه، ثم يوصيهِ بإطاعةِ زياد، بكلمات مختصرة، لا تجد فيها حرفاً واحداً أدرج حشواً، ولا يستغنى عن حرف فيها. وما إن وصلت الرسالةُ إلى عكرمةَ حتى عممّها على جنده، وأفهمهم إياها وبدأ بتنفيذ الأمر.

لقد تمحورَ عِكرمةُ إلى نجران- صنعاء- مأرب- دبا، فعرض على جرير البَجليّ في نجرانَ مؤازرته للجهاد معه فأبى، فتركه، أما أهلُ صنعاءَ فأجابوه وتوجّه بهم إلى مأرب فنزلها، ولمّا بلغ أهل دبا غضبوا على مسيرِ عكرمة إلى محاربةِ كِنْدَةَ، فطردوا حذيفة بن عمرو، والي أبي بكر، فالتحق بعكرمة وكتب حذيفة بن عمرو، إلى الصِّدِّيقﷺ يبلغه ذلك، فلما وصلت للصِّدِّيق رسالتُهُ غيَّرَ مهمةَ عكرمة؛وطلب منه أن لا يقصِّرَ فيهم،وأن يرسلَهم أسرى إليه، ممّا يدلُّ على أهمية الاتصالات في الميدان، إذ بها يتمُّ معالجةَ الأمورِ الطارئةِ، وهذا نصُّ رسالة الصِّدِّيقﷺ إلى عكرمة "أما بعدُ؛ فإذا قرأت كتابي هذا فسر إلى أهل دبا على بركة الله، فأنزل بهم ما هم له أهل، ولا تقصرْ فيما كتبت به إليك، فإذا فرغتَ من أمرهم فأبعث ليّ بهم أسرى، وسِرْ إلى زياد بن لبيد، فعسى الله أن يفتحَ على يديك بلادَ حضر موت، إنْ شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم"[92]. إن للمراسلةِ بين الصِّدِّيقﷺ وعكرمة، دوراً في تنفيذ أمرِ الصِّدِّيقﷺ فهاجمهم عكرمة- وقتل من أهل دبا ما يزيد على مائة رجل، وحاصرهم في بلدتهم، وشدّد عليهم الحصارَ، ثم أخرجوا من بلدتهم دون سلاح، وقَتَلَ أشرافهم وسبوا نساءَهم وأولادُهم، وبلغ عددُ الأسرى ثلاثمائة رجلٍ من المقاتلة وأربعمائة من النساء والذراري وأُرسلوا إلى الصِّدِّيق[93]، ويتابعُ عكرمةُ مَهمتهُ إلى تريم، وَيحصرُ الأشعث في حِصن النُّجير "حضر موت" بدليل قول الجبر بن قشعم الأرقمي[94]:

قد حُصِرَتْ كِنْدَةَ في النُّجَيْرِ

ما إنْ لها عن الدفاع غيري

ويؤسَرُ الأشعثُ بن قيس، وكادَ يُقْتَلُ لولا رسالةٌ من الصِّدِّيقﷺ وَصلَتْ إلى زيادِ بنِ لبيد تأمره بإرسال الأشعث إلى الصِّدِّيقﷺ أسيراً يقول الصِّدِّيقﷺ فيها" أما بعدُ؛ يا زياد، فقد بلغني أنَّ الأشعثَ بن قيس قد سألك الأمان، وقد نَزَلَ على حكمي، فإذا وَرَدَ عليك كتابي هذا، فاحمله إلى مكرمًا، ولا تقتلنَّ أحداً من أشراف كِندةَ صغيراً ولا كبيراً والسلام"[95].

ولعلَّ رسالة الصديق تلك، تَدلُّ على دقة متابعته ﷺ لمجريات الأحداث لحظة بلحظة، كما تدل على كثرة المراسلين ممن يبلغون المعلومات والأخبار من القاعدة إلى القمة وبالعكس، على مدار الساعة، لأن في الرسالة هذه معلومات تدلُّ على متابعة دقيقة لها، وأية ذلك أن الأشعث طلب الأمان له، ولعشرة من قومه مقابل تسليم حصن النُّجير، لكنه لم يدرج اسمه معهم لأنه يفهم ضمناً فأراد زياد قتله فرفض الأشعث محاكمته أمامه وطلب محاكمته أمام الصِّدِّيق؛ عزّز ذلك بقصيدة من سبعة أبيات منها قوله[96]:

ما كنت أنسى في أمانك فاعلمن   نفسي واثبت غيرَها يا خاسرُ

لو خفتُ غدرَك يا زيادُ سفاهةً   ما كان غيري في الكتاب العاشرُ

ومن المراسلات الداخلية الإسلامية أن يُرْسَل ناعٍ يدعي جهيلاً من المدينة إلى حضر موت لينعى رسول الله، لِيكذِّبَ البغايا ممن كُنّ يَزْعُمْنَ أنّ محمداًﷺ لم يمُتْ، لقول الشاعر[97]:

شَمَتَ البغايا يومَ أَعْلَنَ جَهْبلُ   بنعيّ أحمدَ النبيِّ المهتدي

ومن المراسلات الداخلية الإسلامية أن تكون كأنها برقيةً مشفرةً_ في أيامنا ـ من جندي محاصر في حِصن "جؤاثى- حضر موت" إلى العلاء الحضرمي، يبلغهُ أنَّ القوم المحاصرين ليس لهم إلا البيات، كما أشرت إلى ذلك من قبل[98].

لقد اتَّضح من المراسلاتِ الخارجيةِ، عَرْضُ الصِّدِّيقﷺ عَزْلَ زيادِ بنِ لُبيد والي حضر موت إنه كان سبباً لنشوب نزاع بينه وبين الكنديين في رسالته إلى الأشعث بن قيس كما أسلفنا.

ومن المراسلاتِ الخارجيةِ اتصالٌ بين خالد بن الوليد ومالك بن نويرة الذي جَفَّلَ إبلَ الصّدقة ومنعَ الزكاة، وأجْلَفَ في منافرتِهِ خالد بنِ الوليدِ فأمر خالد بِضَربِ عُنقِهِ فضربت، وقد جرت المنافرةُ بينهما عندما قدّم خالدً لبن الوليد مالكَ بن نويرة لِضَرْبَ عنقه، فقال مالك: "أتقتلني وأنا مسلم أصلي القبلة" فقال له خالد: "لو كنت مسلماً لما منعتَ الزكاة ولا أمرتَ قومكَ بمنعها"[99]. ويبدو أنَّ خالداً قتله لشعره الذي كان حجّة عليه قاله في تحريض قومه على أخذ أموالهم ونصحهم ألا يدفعوها صدقة إلى المسلمين بقوله[100]:

يقول رجال سُدّد اليوم مالك	وقم يقول مالك لم يسـدّد
وقلت خذوا أموالكم غير خائف	ولا ناظر من تخافون من غد
ودونكموها إنها صدقاتـكم	مصرّرة أخلافها لم تُجـدد
فإن قام بالأمر المخوّف قائم	أطعنا وقلنا الدين دين محمـد
وإلا فلسنا فقعة بتــنوفةٍ	ولا شحمَ شاء أو ظباءً بفدفد

فَقَتْلُ مالك مبرّرٌ بدليل شعره الذي يدينه بتجفيل إبل الصدقة، وتحريضه قومه على منع الصدقات وانتظار القائم بالأمر، فإن كان من يرضاه قبل به، وإلا رفضه ولطالما أن الصِّدِّيقﷺ خُلِّف بالبيعة الصغرى والكبرى، فما المانع من أن يكون مالك من مقيمي الصلاة ودافعي الزكاة؟، ومن القائم المنتظر الذي يسبق الصِّدِّيقﷺ قدمه في الخلافة؟!

ومن المراسلات الإسلامية الخارجية رسالة شعرية قالها طليحة بن خويلد الأسدي نادماً لردته عن الإسلام عمداً، وقتله عدداً من المسلمين في تصّديه لرجال خالد، وها هو يعتذر للصِّدِّيق عما كان بدر منه وها هو يطلب الصفح من الصِّدِّيقﷺ فهل يسمح له بالعودة من الشام بعد أن التجأ إليها غريباً طريداً، وهو هو ظلّ على دينه مسلماً، فليس بمشرك ولا منافق، ولا هو بيهودي ولا نصراني، وإنما فتنة إبليس[101]:

ندمت على ما كان من قتل ثابت	وعكاشة الغنمي والمرء معبد
وأعظم من هاتين عندي مصيبة	رجوعي عن الإسلام رأي التعمد
وترك بلادي والحوادث جمّة	طريداً وقدماً كنت غير مطـرّد
فهل يقبل الصِّدِّيق أني مراجع	ومعطي لما أحدثت من حدث يدي
ولكن رمى إبليس قلبـي بفتنة	ظللت بها؟أشقى وأخلفتُ موعـدي

فلما انتهى إلى الصِّدِّيق خبر الرسالة وقرئت عليه رقّ أبو بكر له وعلم أنه ندم(102).

ومن الاتصالات الإسلامية الخارجية توسّط الفاروق عند الصِّدِّيقﷺ ليعفو عن وفد بني حذيفة، مع أن أحد أفراد الوفد كان قتل زيد بن الخطاب شقيق الفاروق، وعلى الرغم من مرارة الموقف المؤلم الذي تجرّعه الفاروق من وصف قتله أخاه، لكن هذا لم يمنع الفاروق لجلالة قدره أن يتوسط لهم عند الصِّدِّيق ليعفو عنهم، على أن ينصحوا للإسلام، كما في المحاورة التالية:

قال مُجّاعة: من هذان الغلامان؟ قال عمر: هذان ابنا زيد بن الخطاب رحمه الله. مُجّاعة: (وجمعنا لأننا قتلنا زيداً) قال عمر: أفيكم قاتل زيد؟! فقام أبو مريم وقال: أنا قاتل زيد. قال عمر: وكيف قتلته؟ قال أبو مريم: اضطربت أنا وهو بالسيفين حتى انقطعا، ثم اطعنا بالرمحين حتى تكسرّا، ثم اصطرعنا فشحطته بالسكين شَحْطاً. (ووجم القوم) فقال عمر: مالكم سَكَتّم؟ هذا أمرٌ قد ذهب، حاجتكم؟ قالوا: احتُبسنا ولا نقدرُ على الدخول على أبي بكر ولا الروّاح إلى بلادنا، قال عمر: عليكم عهدُ الله وكفالتُهُ أن تُناصِحوا الإسلام وأهلهُ قالوا: نعم، قال عمرُ: ارجعوا حتى تأتوني هذه السّاعة من غد فأوصلكم إلى أبي بكر، وأوصلَهُمُ الفاروقُ إلى الصديق، وسمع الصِّدِّيق جزءاً من قرآن مسيلمة منهم، فاسترجعَ الصِّدِّيقﷺ وقالَ وَيْحَكُم أيّ كلام هذا؟(103)

ومن اتصالات المسلمين اتخاذ القادة كخالد بن الوليد موقعاً **مسيطراً**، استطلع منه مَسْرَحَ العمليات، شأنُهُ على موقعه في عقرباء اليمامة، إذ قَدَرَ مَوْقِفَهُ من العدوِّ والأرض والأسلحة، وقد ضَرَبَ خالدُ عسكرَه في عقرباءَ وسارَ مسيلمةُ في جمعِ بني حذيفةَ حتى نَزَلَ حِذاء خالدٍ، فأقاموا يومَهم ذلك، ينظر بعضُهم إلى بعض وعبّى خالد جيشه هناك،(104) وكانت المواقع المسيطرة خيرَ وسيلة اتصال، يستطلع كُلٌ من الجيشين مواقعَ الآخر.

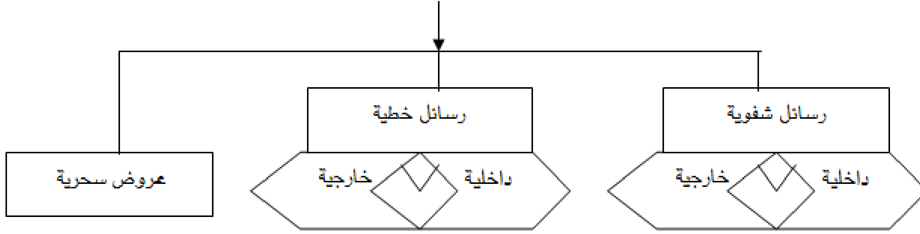
وقد سلّت بنو حذيفةَ سيوفها في أجفانِها وأبرقوا بها، وضجوا ضَجَّةً، ونظروا نظرةً منكرةً في حالة من الإرهاب النفسي وَرْوزِهِ، غير أن خالد بن الوليد حلّل الموقف بقوله" ابشروا فإنَّ القوم مخذولون إنْ شاءَ الله تعالى، وإنما سلّوا السيوف ليرهبوكم، ولم يفعلوا إلا جَزَعاً ثم قال خالد متقدّماً جيشه(105):

لا توعدونا بالسيوف المبرقةْ

لا ذهبٌ يُنجيكم ولا رِقةْ

وخالـدٌ من ربّـه على ثقة

مخطط رسائل المرتدين في حروب الردة



ومن أبرز اتصالات المرتدين الشفوية- اتصالات طليحة الأسدي؛ داخلية وخارجية.

أمّا اتصالاته الداخلية فتنبأ في حياةِ الرسولﷺ مدّعياً أن جبريلَ يأتيه، وكان يسجعُ للناس الأكاذيبَ، وأوهَمَهُمْ بتِرْكِ السجود في الصلاة يقول لهم" إنَّ الله لا يَصْنَعُ بتعفير وجوهِكم وتقبيحِ أدبارِكُم شيئاً، اذكروا لله واعبدوه قياماً"[106] واقتنع بنبوته بعض الأعراب من أسد وغطفان وطئ على حدود أراضيهم وأسد بـ "سميراء"، واجتمعت عبس وثعلبة ومُرة بالأبرق من الرَّبَذة[107]، أما اتصالاته الخارجية فبدأت بزيارة شخصيته، إذ قَدِمَ على النبيﷺ في وفد بني أسد سنة تسعٍ، واسلموا، ولما رجع ارتدّ طليحة فأرسلَ إليه ضرارُ بن الأزور فضربَهُ فلم يقتله، فزاده غروراً، وشاعَ في الناس أنَّ السِّلاح لا يؤثر فيه، ولما مات النبي_صلى الله عليه وسلم _ كثر أشياعه[108]، وقد تباهى طليحة أن نجا من ضربة ضرار فقال:[109]

وأقسمتُ لا يلوي بي الموتُ حِيْلَةً	وباقي عُمْرٍ دُوْنَهُ وسِـرَارُ
وانفكُّ من عوف الخَنا وأروعُه	ويشربُ منها بالمرارِ ضرار

فأجابه ضرار يُقسِمُ أن سيظلُّ مذعوراً خائباً خائفاً ولا ينجيه منه رحم ولا جوار أرض[110]:

أَقْسَمْتُ لا تنفكُ خزيانَ خائفاً	وإنْ نَزَحتْ بالمسلمين ديارُ
وأنفكُّ حتى أقرعَ التُرْكَ طائعاً	وتُقطَعَ قُربى بيننا وجوارُ

وثمة اتصالات داخل أتون المعركة في أيام بُزاخةَ مع خالد بن الوليد حيث يضِيقُ عُينية بن حصن بالحرب الضروس مع خالد ذرعاً وطليحة متلفِّفُ في عباءة يحشّر ويكذب، ويقول لعينية لمّا سأله مراراً إنْ كان جاءه ذو النون بشيء؟ قال: نعم، قد جاءني وقال لي إنَّ لك يوماً ستلقاه ليس لك أولُهُ ولكن لك آخرهُ، ورحى كرحاه وحديثاً لا تنساه، فقال عينية: يا بني فزاره، هذا كذاب"[111].

نرى مما سبق أنَّ اتصالات طليحة الأسدي الداخلية والخارجية جميعها شفوية، أما التحريرية فأتت قصيدة كَتبها إلى الصِّدِّيق يَعْتَذِرُ عمّ كان بدر منه؛ أشرت إليها سابقاً، أما اتصالاتُ

مسيلمة الكذّاب فداخليةٌ وخارجيةٌ شفويةٌ وتحريريةٌ، وعُروضٌ سِحريةٌ. فكانت خارجية قبل التنبؤ إذ طاف في أسواق العرب والعجم، نحو سوق الأنبار وسوق الحيرة، وكان يلتمس تعلم الحيل والنيرّجان، واختيار النجوم والمتنبئين، وكان احكمَ السّدنة والحُوّاء، وأصحاب الزّجرِ والخطِّ، ومذهب الكاهن والعيّاف والساحر وصاحب الجن الذي يزعم أنه معه تابعة، وكان يَصبُ على البيضةِ من خَلٍّ قاطع شديد الحموضة، فيلين قشرة الأعلى ويستطال ويَدِقُ ويمتد كالعلك، وكان يُدْخِلُ البيضة في القارورة ضيقة الرأس، ويتركُها حتى تجفَّ، فتنتظم وتستديرَ وتعودَ لهيئتها الأولى، ويخرجَها إلى مُجّاعة وأهل بيته وهم أعراب، ويدعي أمامهم أعجوبة على أنها آية له فآمن له مُجّاعة.

وحَمَلَ في جولات معه ريشاً في لون ريش أزواج حمام، وكان يراهن في منزل مُجّاعة مقاصيص فالتفت بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام، فقال لمُجّاعة إلى كم تعذّبُ خَلْقَ الله بالقصِّ؟ وسأله مُجّاعة أن ينبتَ للحمام أجنحةً، وكان يَطلبُ خَلوةً ُ، وكان خلال خلوته يُغززُ الريشَ في جناح الحمام، فيدخل من الرِّيْشِ الذي معه في أجواف الرِّيْشِ المقصوصِ من عند المقطع والمقص، وقصب الريش أجوف، فلما أوصله طار(112)، وخدعهم مسيلمة بأن أرسَلَ طائرة ورقية بها خيطان في ليلةٍ فيها رياحُ وأمرّهم أن لا يقتربوا منه، بل يدخلُ كُلُّ في بيته ويرى من بعيد كيف ينزل الملكُ إليه، لأنّ الملائكة تهبط إليه،(113) فصدقوه فأطبقوا على نصرته فقال احدهم في احتياله وتمويهه(114):

ببيضةِ قارورٍ ورايةِ شادن وتوصيلِ مقصوصٍ من الطيرِ جادفِ

واتّصل مسيلمة مع القبائل معتمداً على أسجاعه زاعماً كاذباً أن قرآناً أنزلَ إليه فهذى في "قرآنه" عن الضفدع "يا ضفدعُ نقي، كم تنقيّن، نصفك في الماء ونصفُك في الطين، لا الماء تكدّرين، ولا الشاربُ تمنعين"(115)، وزعم مسيلمةُ أنّ له اتصالاً بعالم الجنّ والرئيِّ فقيل فيه(116):

ببيضةِ قارورٍ ورايةِ شادن وخُلّة جني وتوصيلِ طائرِ

واتصل مسيلمة خارجياً بـ"سَجاح" التميمية أم صادر، وبنى لها خيمةً جمرّها، وتبادلاً حديثاً غزلاً عرض عليها أنموذجات كاذبةٍ مسجوعة، وزعم أنها قرآنٌ أنزل عليه، فاستحسنت (قرآنه) وتزوجته ومَكَثَتْ في خيمته ثلاث ليال، ثم أسقطَ عنها صلاتي العتمتين مهراً لها، وجرى في الخيمة شعرٌ بذيء فيه زيادة(117)، وانتصرَ مسيلمةُ على عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة، لمّا هاجماه منفردين دون إذن من الصِّدِّيق ﷺ وخالد فلامهما الصِّدِّيق ﷺ وخالد على تعجلهما في الهجوم دون أمره، وكانت من وسائل اتصالات مسيلمة الداخلية استعانَتُهُ بكاذبين، أحدهما يدعى"

نهاراً والثاني" الرّجال بن عنفوة" وكان الثاني مُسْلِماً يحفظُ بعض آيات القرآن الكريم وجزءاً من سيرة النبيﷺ، فاتخذه مسيلمةُ مستشاراً له في الرَّدِّ على بعض الأسئلة التي ترد إليه من بني حذيفة، فقد شكا بني بعض حذيفة من قلة مائهم، وسحق دخلهم، وطلبوا منه أن يبارك مواليدهم، وان يحنِّكهم أسوة بما كان يفعله رسول اللهﷺ فكان مسيلمة، يسأل مستشاره الرّجال، فيفسر له كيف كان يفعل الرسول فيقلده، فكانت نتائجه عكسية، فما أن تقل في دلو ليدلقه في بئر ماء،حتى غاض الماء، والنخل الذي سقاه انحنى على جراهن، وما مدّ يده على رأس مولود يباركه إلا أصيب بالصلع،ولم ينبت له شعر وما حنَّك طفلاً إلا أصابه اللثغ(118).

وقد كان الرّجال أخطرَ على الإسلام من الدّجال،كما أشار الله إليه حنيف بن عمر اليشكري فيقول(119):

يا سعادَ الفؤاد بنتَ أثال	طال ليلي لفتنةِ الرّجال
أنها يا سعادُ من حدثِ الدّه (م)	رِ عليكم كفتنة الدّجال

وكان من اتصالات مسيلمة الكذاب الداخلية توبيخه جماعياً، لتأخر النصر المزعوم لمسيلمة، يوم حديقة اليمامة فقالوا له: ألا ترى ما نحن فيه من قتال هؤلاء الأعداء؟ فقال لهم مسيلمة: بهذا أتاني الوعد، أن القوم يلجئونكم إلى هذه الحديقة، ويكون قتالكم معهم في جوفها، فقال له بعضهم: وأين ما وعدتنا من ربك أن ينصرنا على عدوِّنا، وأنَّ هذا الدين الذي نحن فيه هو الدين القيم؟ فقال لهم مسيلمة: أمّا الدين، فلا دينَ لكم، ولكن قاتلوا على أحسابكم، أتظنون أنا إنما نقاتل إلى الساعة ونحن على حقٍّ وهم على الباطل؟ إنه لو كان على ما تظنون إذن، لما قهرنا ولا فلّ جمعنا ثم ارتجز مسيلمة(120):

فَلَوْ على الحَقِّ صَبَرْنا صبرَنا
وعَانَدَ القومُ فكانوا مِثْلَنـا
وكانَ في حَقّ يجوزُ أمرُنـا
ما فَلْ خُلقُ في الأنامِ جَمْعُنا

فَوَبَّخَهُ بعضُهم لأنَّهُ أوقعهم في غُرور وضَلالٍ، ولاموا أنفسهم؛لأنهم تمسكوا بدينِه الكاذب قال(121):

لَبئِس ما أوردَنا مسيلمهْ
أبقى لنا بعدنا أُغيلمهْ
ونسوةً جرى لهن منيمنهْ

وفي حميّا معركة اليمامة استشاط مسيلمة حيث حسر عن رأسه وتحدّى خالداً بقوله(122):

أنا رسولٌ وارتضاني الخَالقُ

القابضُ الباسطُ ذا الرَّازقُ

يا ابن الوليدِ أنتَ عندي فاسقُ

وكافرٌ بربّه منـــافِقُ

وكانت الجولات الأولى لمسيلمة إلى أن ميزّ سيف الله المسلول بين القبائل فاقتحم حديقة مسيلمة وقتله فيها(123): مسلمان هما: وحشي قاتل حمزة وعبد الله بن زيد الأنصاري بدليل قوله(125):

ألم تَرَ أنّي ووحشيهُم قَتَلْنا مسيلمة المفتـنْ

تساءلني الناس عَنْ قَتْلِهِ فقلت ضَرَبْتُ وهذا طَعَنْ

الرموز والإشارات عند المسلمين والمرتدين:

وكان من وسائل الاتصالات الرموز والإشارات والرايات في حروب الردة، إذ كانت لغة ذات معنى ومفهوم خاص، عند كل من الجيوش المتحاربة: إسلامية ومرتدة، كما يبينها هذا المخطط: كلمة سر ومعناها، وصاحبها والمكان الذي قيلت فيه

التسلسل	كلمة السّرَ	معناها	صاحبها	مكانها
1	الله أكبر	توحيد الله والاستعانة به	خالد بن الوليد	بُزاخة(126)
2	وامحمداه	استغاثة لنصرة دينه عليه السلام	خالد بن الوليد	اليمامة(127)
3	وامحمداه	استغاثة لنصرة دينه عليه السلام	خالد بن الوليد	عقرباء(128)
4	التكبير	توحيد الله هجوم للفتح	المسلمون	حصن النجير الكندي(129)
5	امتازوا يا ناس	قاتلوا بقبائلكم متميزين	خالد بن الوليد	اليمامة- عقرباء(130)
6	العير العير	احرصوا عليها	الأشعث بن قيس	حصن النجير(131)
7	الحديقة الحديقة	ألزموها	مسيلمة الكذاب	معركة اليمامة- عقرباء(132)
8	اليوم يوم الغيرة	دفاع دنيوي	مسيلمة الكذاب	معركة اليمامة- عقرباء(133)

الرموز

التسلسل	الرمز	معناها	صاحبها	مكانها
1	ابسط يدك نبايعك	تخليف الصِّدِّيق والاتفاق عليه	المسلمون	بيعة الصِّدِّيق في سقيفة بني ساعدة والمسجد النبوي(134)
2	عضوا على أضراسكم	تصميم على الجهاد	زيد بن الخطاب	معركة عقرباء(135)
3	رفع الآذان	انهم مسلمون	أبو بكر ووصيته إلى القادة	رسالة الصِّدِّيق من ذي القصة(136)
4	امتازوا يا ناس	قاتلوا بقبائلكم متميزين	خالد بن الوليد	حصن النجير(137)

الرايات

التسلسل	لون الراية	حاملها	مكانها
*	الراية الصفراء	ثابت الأنصاري	اليمامة(138)

الخاتمة:

لعلَّ من أهم ما خلص إليه هذا البحث أن يكون قد أبرز صنوفاً من وسائل الاتصالات بين الطرفين المتحاربين في سوح القتال.

لقد برزت الاتصالات جلية عند المسلمين، أكثر منها عند المرتدين، وتعددت أصنافها من خطب تُلقى أوامرَ وتعليماتٍ؛ يفهمها المتلقون، ومنها المناظراتُ للفهم والتفهيم، ومنها الوصايا التي فيها خلاصةُ تجارب، ومنها المراسلاتُ بنوعيها؛ التحريرية المختومة، إذ كانت تُرْسَلُ مع غير واحد أحياناً لضمان إيصالها إلى المعنيين بالأمر، ومنها الشفوية تنقل عن لسان القائد إلى من يعينه الأمر.

وكان للمراسلين دورٌ في إيصال الحلقات المفقودة أو المعتمة، بين القاعدة والقمة، في تسلسل قيادات الألوية والخلافة من جهة، أو بينهم وبين المرتدين من جهةٍ أخرى.

وبرز دور الموقع المسيطر من أحسن وسائل الاتصالات؛ إذ يطلعُ القائد كخالد بن الوليد على ساحِ المعركةِ بنفسه، فيوجِّهُ معركته كما يشاءُ، ويستغني عن كثيرٍ من التعليماتِ المكتوبةِ، أو

المنقولة عنه، لأنه يفهمُ جنده خطته بأقصر عبارة، وحسن إشارة، فيختصرَ المشهدُ الحربي في سوح القتال، كثيراً من نافلة القول.

لقد أبرزت الدراسةُ أهمية الاتصالات الخارجية بين القوى المتحاربة، فَعَرَفَ كُلُّ طَرَفٍ ما طلبه الطرفُ الآخر، وبرزت الاتصالات الخارجية على نحوٍ من بثٍّ دعايةٍ بنبوءةٍ لنفسه- وإن كانت كاذبة- تقومُ على استغواءِ بعضِ الجهلة شأنُ مسيلمة وطليحة الكذابين.

وأوضحت الدراسة صنوفاً من الاتصالات الأخرى بين القوى المتحاربة منها؛ الرموز والإشارات والرايات عند المسلمين والمرتدين؛ إذ كانت لها معانٍ يفهمها كل طرف كوسائل اتصالات صامتةٍ وناطقةٍ، يُستغنى بها في كثير من الحالات عن الكلام، وتكمن فيها بعض أسرار، وكتمان الخطة، وكان يُرفع بها المعنويات عند الاستنخاء بهمم الجاهلية، أو يستنصر فيها بقوة الله ونصره، "والناس عند راياتها"، فيما يقال، يذاد عنها بالغالي، وفي بعضها مما استشهدنا به يغني عن كثيرها في الدلالة.

ولعلَّ من هذه الدراسة ما يُفادُ منها في إيصال حلقات المعلومات، في اتصالات الحروب الحديثة، في عصرنا الحديث، مما يُحفزُ على دراسة التراث من منظورٍ حديث.

Means of Communication in History and Poetry during Al-Rida Wars

Hasan Rababah , *Department of Arabic language and literature, Mu'tah University, Karak, Jordan.*

Ahmad Al-Rababeh, *Department of Arabic language and literature, Al-Balqa Applied University, Al-Salt, Jordan.*

Abstract

The paper consists of an introduction, two sections and conclusion. The introduction delineates the importance of communication in the management of battles. The **first** section deals with the meaning of word "communication" as a linguistic and technical term. The **second** section deals with the various means of communication used the warring parties, signs, codes, and flags, the conclusion summarizes the findings of the paper.

قدم البحث للنشر في 2008/5/20 وقبل في 2008/9/3

الحواشي:

1. ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خيّاط وتقديم عبد الله العلايلي، بيروت، لسان العرب مادة "وصل".
2. سورة القصص 51./28
3. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، عالم الكتب، بيروت، ج4/ 64 مادة "وصل".
4. الزمخشري: محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982، مادة "وصل"، ص .501
5. سورة القصص، 51/28.
6. الفيومي: احمد بن محمد علي: كتاب المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم بيروت، مادة "وصل".
7. المعجم الوسيط: إخراج الدكتور إبراهيم أنيس وزملائه، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استانبول، (د.ت) مادة "وصل"، ص.1037
8. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، د27، .1965
9. المصدر نفسه: مادة مواصلات ص.965
10. ابن منظور: لسان العرب المحيط، مادة "خطب".
11. أبو جعفر محمد الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط4، ص 1962، مجلد 201./3
12. سورة آل عمران 144./3
13. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/ 210، والواقدي كتاب الرّدّة، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص.31
14. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/ 210-.203
15. سورة الحشر: .9
16. الواقدي: كتاب الرِّدَّة، ص35-.36
17. سورة الحشر:.8
18. سورة التوبة: .119
19. الواقدي: كتاب الرِّدَّة، ص.36

20. سالم بهنساوي، الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط2، 1997، ص.50
21. الطبري: تاريخ الطبري، ج210./3
22. المصدر نفسه، ج210./3
23. ابن منظور: لسان العرب، مادة "وصى".
24. الجُرف يقع شمالي المدينة المنورة على ثلاثة أميال منها، ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، مادة "جرف" ج149./2
25. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1995، مجلد200./2
26. المصدر نفسه، مجلد200./2
27. الواقدي: كتاب الردة، ص.51
28. سورة التوبة: .51
29. الواقدي: كتاب الردة، ص.51
30. الواقدي: كتاب الردة، ص51، والحديث في صحيح مسلم، إيمان، ص32-.36
31. سورة النور:55، وانظر الصِّدِّيق عند الوافدي: كتاب الرِّدَّة، ص.52
32. الواقدي: كتاب الردة، ص 52-.53
33. المصدر نفسه، ص52-53. والحارث بن هشام مخزومي ابن عم خالد بن الوليد، كان شريفا في الجاهلية والإسلام، يضرب المثل ببنانه في الحسن والشرف وغلاء المهور، مدحه كعب بن اشرف، شهد بدرا وانهزم، فاعتذر بأبيات هي أحسن ما قيل في الاعتذار، خرج إلى الشام واستشهد في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة (الزركلي: الأعلام، مجلد158/2)
34. في البيت إقواء، كذا في الأصل.
35. الواقدي: كتاب الردة، ص.196
36. المصدر نفسه، ص.169
37. المصدر نفسه، ص197، والأبيات ليست في ديوان حسان بن ثابت وانفرد بها الواقدي.
38. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، 208-.209
39. المصدر نفسه، ج208/2-209.
40. الواقدي: كتاب الردة، ص.86
41. المصدر نفسه، ص.100

42. المصدر نفسه الصفحة نفسها. لم يترجم له الزركلي مما يعني ان تراجم بعض الصحابة فاتت الزركلي رحمه الله تعالى (الزركلي: الأعلام مجلد240/4)
43. المصدر نفسه، ص.57
44. ابن حُبيش، غزوات ابن حبيش، تحقيق أحمد غنيم، ط1، 1983، ص.135
45. المصدر نفسه، ص .195
46. الواقدي: كتاب الردة، ص.159
47. المصدر نفسه، 162، والإطارين بمعنى نوم مرفه في الحرير أو ضرب من الخز وبمعنى السُكر(لسان العرب: طرن).
48. الجنرال أكرم الباكستاني: سيف الله- خالد بن الوليد- دراسة عسكرية، عن معاركه وحياته، ترجمة صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1988، ص.177
49. البلاذري: فتوح البلدان، ص 64-.65
50. الواقدي: كتاب الردة، ص.194
51. ابن حُبيش، غزوات ابن حُبيش، ج121/1-.120
52. العقاد، عباس محمود: عبقرية خالد، تقديم الدكتور محمد محمود رضوان، دار المعارف بمصر، تقديم 1972، ص121-.122
53. الواقدي: كتاب الردة، ص.70
54. المصدر نفسه، ص.70
55. المصدر نفسه ص.70
56. الواقدي: كتاب الردة، ص.86
57. البلاذري، فتوح البلدان، ص.105
58. الواقدي: كتاب الردة، ص.100
59. الواقدي: كتاب الردة، ص192-.194
60. المصدر نفسه، ص191-.192
61. سورة آل عمران: .102
62. الواقدي: كتاب الردة، ص.191
63. المصدر نفسه، ص191-.192
64. الواقدي: كتاب الردة، ص192-.193

65. المصدر نفسه، ص.193

66. الواقدي: كتاب الردة، ص 71، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/250-251، مع خلاف في اللفظ زيادة ونقصاً.

67. سورة الصف:9، والفتح 28 والتوبة .33

68. سورة يس:.70

69. سورة فاطر:.6

70. الواقدي: كتاب الردة، ص72-.73

71. يلمع: السراب: وقاشر مثل "أشام من قاشر" وملخصه أن قومه طرقوه ليؤنث لهم إبلهم، فماتت الأمهات والنسل، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة "قشر".

72. قاشر: هو حمل لبني عوافة بن سعد من ني تميم ، كان لقوم ابل تذكر، فطرقوه رجاء أن يؤنث لهم إبلهم ؛ فماتت الأمات والنسل، ويقال هو اخو زرقاء اليمامة الذي جلب الخيل إلى الجو فاجتاحتهم (الميداني: احمد مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر ط1972،2م،ج1/380)

73. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/263، وشوقي أبو خليل: حروب الرّدّة، ص156.

74. شوقي أبو خليل: حروب الرّدّة، ص.98

75. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيد حسنين، ص318، والواقدي: كتاب الردة، ص145-.146

76. شوقي أبو خليل: حروب الرّدّة، ص.98

77. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2/.219

78. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

79 المصدر نفسه، ص.154

80. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3/.281

81. شوقي أبو خليل: حروب الرّدّة، ص.154

82. الواقدي: كتاب الردة، ص76، والقصيدة من تسعة أبيات.

83. البلاذري، فتوح البلدان، ص.107

84. الكلاعي: الاكتفاء، تحقيق الدكتور أحمد غنيم باسم، القاهرة، ط1979،1، ج2/.16

85. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص.79

86. المرجع نفسه، ص.157

87. الواقدي: كتاب الردة، ص.190

88. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

89. الواقدي: كتاب الردة، ص195-.196

90. المصدر نفسه، ص .197

91. المصدر نفسه، .198

92. الواقدي: كتاب الردة، ص199-.200

93. المصدر نفسه، ص.200

94. المصدر نفسه، ص.206

95. الواقدي: كتاب الردة،ص .211

96. المصدر نفسه، ص.210

97. ابن حبيب: المحبَّر، رواية ابن السكري، صححته ايلزه ليختن، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 186 وابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، نشر دار النهضة مصر، 1970، ج1/.253

98. الواقدي: كتاب الردة،ص .159

99. المصدر نفسه، ص.107

100. الواقدي: كتاب الردة،ص 100-.101

101. المصدر نفسه، ص.101

102. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/.244

103. شوقي أبو خليل: حروب الردة، ص101-.103

104. الواقدي: كتاب الردة،ص .220

105. المصدر نفسه، ص.123

106. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/.206

107. المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

108. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط5، 1980، مجلد، 3/.230

109. د. علي العتوم، ديوان الردة، ص103-.104

110. المرجع نفسه، ص.104
111. الحموي، معجم البلدان، ج485/1، مادة" بُزاخة".
112. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الريان، ط3، 1969، ج369/4-.374
113. المصدر نفسه، ج373/4-.374
114. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، ج369/4-374.
115. المصدر نفسه، ج5/.530
116. الجاحظ، عمر بن بحر، كتاب الحيوان، ج205/6-.206
117. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج215/2، وزيد عليها منحول، أدرجه د. على االعتوم، ديوان الردة، ص173، وانظر الواقدي، كتاب الردة، ص.111
118. الواقدي، كتاب الردة، ص.110
119. المصدر نفسه، ص.135
120. الواقدي، كتاب الردة، ص135.
121. المصدر نفسه، ص.129
122. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص.131
123. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص.94
124. الواقدي، كتاب الردة، ص137. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص94-.95
125. العقاد، عبقرية خالد، ص.55
126. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص.88
127. الواقدي، كتاب الردة، ص204.
128. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج221/2.
129. محمد حسين هيكل، الصديق، دار المعارف، مصر،ط6، .149
130. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص.90
131. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج220/2. شوقي أبو خليل، حروب الردة، ص.84
132. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/.193
133. المصدر نفسه، ج2/.221

134. د. صالح الأشقر، معارك وبطولات- معركة اليمامة- دار الشرق العربي، بيروت، 1982، ص.13.

135. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2/.221.

136. الواقدي، كتاب الردة، ص.131.

137. محمد باشميل، حروب الرِّدَّة من معارك الإسلام الفاصلة، دار الفكر للنشر، 1979، ص.100.

138.الواقدي : كتاب الرِّدَّة، ص131

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد. (630هـ). **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

ابن حبيب، محمد. (245هـ). **المُحبّر**، رواية سعيد السكري، صححته اليز ليختن، منشورات الكتب التجاري، بيروت، (د.ت).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن محمد. (852هـ). **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق على البجاوي، نشر دار نهضة مصر، 1970م.

ابن كثير، أبو الفداء لحافظ الدمشقي. (774هـ). **البداية والنهاية**، ضبط وصحح على عدة نسخ، بيروت، ط1، 1990.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (711هـ). **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، تقديم عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).

أبو خليل، شوقي. (د.ت). **حروب الرِّدَّة من قيادة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أسره أبي بكر الصديق**، دار الفكر.

الأشقر، صالح. (1982م). **معارك وبطولات- معركة اليمامة-**، دار المشرق العربي، بيروت،.

الأنصاري، حسان بن ثابت. (54هـ). **ديوان حسان بن ثابت**، ضبطه وحققه عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، (د.ت)، وتحقيق الدكتور سعيد حنفي حسنين، دار المعارف بمصر، (د.ت).

باشميل، محمد أحمد. (1979م). **حروب الرِّدَّة من معارك الإسلام الفاصلة**، دار الفكر للنشر.

الباكستاني، أكرم. (1988م). **سيف الله، خالد بن الوليد- دراسة عسكرية تاريخية من معاركة وحياته**، ترجمة العهد الركن صحبي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (279هـ). **فتوح البلدان**، قوبل على نسخة الأستاذ الشنقيطي، عني بمراجعته والتعليق عليه، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

بهنساوي، سالم. (1997م). **الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية**، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط2.

الجاحظ، عمر بن بحر. (255هـ). **كتاب الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الريان، ط3، 1969م.

الخطيب، محيى الدين. (1989م) **العواصم من القواصم**، إعداد محمد سعيد، دار الثقافة، الدوحة، ط2.

الزركلي، خير الدين. (1980م). **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط5.

الزمخشري، محمد بن عمر. (538هـ). **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحمن محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م.

الطبري، محمد بن جرير. (310هـ). **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت (د.ت).

العتوم، علي. (1407هـ- 1987م). **الرِّدَّة**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، وديوان الرِّدَّة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1408هـ-1987م.

العقاد، عباس محمود. (1973م). **عبقرية خالد**، تقديم الدكتور محمد محمود ورضوان، دار المعارف، مصر، تقديم.

الفيروز أبادي، مجد الدين. (837هـ). **القاموس المحيط**، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

الفيومي، أحمد محمد بن علي. (770هـ). **كتاب المصباح المنير، وغريب الشرح الكبير،** للريفي، دار القلم، بيروت، (د.ت).

مجمع اللغة العربية، القاهرة. (د.ت). **المعجم الوسيط،** إخراج الدكتور أنيس وزملائه، دار الدعوة الإسلامية، استنبول.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (346هـ). **مروج الذهب ومعادن الجوهر،** تحقيق محمد محيى الدين، (د.ت).

المنجد في اللغة والعلام، (1965م). دار المشرق، بيروت، ط7.

الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد. (518هـ).**مجمع الأمثال،** حققه وفصله وضبط حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط2، 1392هـ 1972م .

الواقدي، محمد بن عمر. (207هـ). **كتاب الرِّدَّة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني،** رواية أحمد بن محمد الأعثم الكوفي المتوفى ت(314هـ)، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، 1480هـ-1990م.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 261- 281

إبراهيم بن إسماعيل الإخباري (515 -589هـ) ودراسة مرويات كتابه "البغية والاغتباط فيمن وليّ مصر والفسطاط"

ياسر نور *

ملخص

معلوم أن الكثير من المخطوطات التي أرخت لمصر الإسلامية في شتى عصورها وعلى مختلف الموضوعات قد نُشِرت وحُقِقت، ولكن ثمة حجاب مازال يحول بيننا وبين العديد من هذه المصادر فضلا عن مؤلفيها، ذلك أن جُلها فُقِد حتى لا نكاد نتعرف عليها إلا من خلال بعض الإشارات أو المقتبسات التي نقلها عنهم بعض المؤرخين في كتبهم، أو نوه إليها أصحاب الفهارس والمعاجم المعنية برصد عناوين المصنفات ومؤلفيها في كافة العلوم والمعارف.

وهذا التوصيف في واقع الأمر ينطبق على حال المؤرخ موضوع الدراسة، وهو: أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري، صاحب المؤلف المفقود "البغية والاغتباط فيمن وليٍّ مصر الفسطاط". وعلى ندرة المادة التاريخية التي تعرضت للحديث عن هذا المؤرخ ومصنفه السالف الذكر، فقد تسنى للدراسة أن تعالج الموضوعات الآتية :

أولا: التعريف بالمؤرخ إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد.

ثانيا: التحقيق في مسمى كتابه "البغية والاغتباط ..".

ثالثا: منهج المؤلف في معالجة موضوعات الكتاب في ضوء الروايات التي اقتبستها عنه المصادر.

مقدمة

معلوم أن كثيرا من المخطوطات التي أرخت لمصر الإسلامية في شتى عصورها وعلى اختلاف موضوعاتها قد نُشِرت وحُقِقت، ولكن ثمة حجاب مازال يحول بيننا وبين العديد من هذه المصادر فضلا عن مؤلفيها، ذلك أن جُلها فُقِد حتى لا نكاد نتعرف عليها إلا من خلال بعض الإشارات أو المقتبسات التي نقلها عنهم بعض المؤرخين في كتبهم، أو نوه إليها أصحاب الفهارس والمعاجم المعنية برصد عناوين المصنفات ومؤلفيها في كافة العلوم والمعارف.

* قسم العلوم الاجتماعية، كلية التربية، جامعة المنصورة، المنصورة، مصر.

وهذا التوصيف في واقع الأمر ينطبق على حال المؤرخ موضوع الدراسة، فقد جاءت بداية التنبه إليه من إشارة السخاوي (ت902 هـ) في كتابه "الإعلان بالتوبيخ.."، حيث ذكره في مقام حديثه عن أسماء المؤرخين وأعمالهم التي أرخت لمصر، فأورده من بينهم وهو: **أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري**، وذكر له مؤلفا عن تاريخ مصر بعنوان **"البغية والاغتباط فيمن وليٍّ مصر الفسطاط"**[1].

ولما استُيقِن أن كتاب "البغية والاغتباط.." مازال مفقودا[2]، كان لابد من توجيه البحث للتنقيب في المصادر المظنون نقلها عن هذا المؤلَّف التاريخي، أو التي ترجمت لصاحبه إبراهيم بن إسماعيل، أملا في جمع أكبر حصيلة ممكنة من المادة المصدرية، كي تتسنى الدراسة من خلالها الوقوف على تصور واضح عن هذا المؤرخ، وأملا من ناحية أخرى في التعرف على منهجه في معالجة الموضوعات التاريخية التي تضمنها هذا الكتاب.

وقد بدا بعد فحص واستقراء المادة المصدرية المجموعة أن يوجه البحث لمناقشة المحاور الآتية:

أولا: التعريف بالمؤرخ إبراهيم بن إسماعيل.

ثانيا: التحقيق في مسمى كتابه " البغية والاغتباط..".

ثالثا: منهج المؤلف في معالجة موضوعات الكتاب في ضوء الروايات التي اقتبستها عنه المصادر.

***

أولا: التعريف بالمؤرخ إبراهيم بن إسماعيل

على الرغم مما أُنفِق من جهد في فحص المظان لاسيما كتب التراجم بحثا عن مادة ضافية تعرِّف بالمؤلف، فلم نعثر له إلا على ترجمة في ثلاثة مصادر أرخت له على نحو مقتضب.

المصدر الأول وهو "تاريخ الإسلام للذهبي[3] (ت 748هـ) حيث يقول عنه في موضع من كتابه: "البغية والاغتباط" لأبي إسحاق إبراهيم ابن إسماعيل بن سعيد الهاشمي الإخباري. إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد بن أبي بكر الفقيه، الإخباري أبو إسحاق الهاشمي، العباسي، المصري، إمام مسجد الزبير من فضلاء المالكية، حدَّث عن: أبي القاسم ابن عساكر بمصر، وألف تاريخاً في أمراء مصر إلى أيام صلاح الدّين، وجمع مجاميع. وله كتاب "البُغية والاغتباط فيمن سكن الفسطاط"، وكتاب في الوعظ وله نظم. توفي في ربيع الأول وله ثلاثٌ وسبعون سنة".

ثم ترجم له في موضع آخر بقوله: "إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الفقيه أبو إسحاق القرشي، الهاشمي، المصري، المالكي، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة، وحدَّث عن: أبي القاسم ابن عساكر، وعبد المولى بن محمد المالكي، وكان إمام مسجد الزبير بن العوام بمصر وبه يعرف، توفي في ربيع الآخر؛ وله مجاميع في الرقاق وغيرها."[4].

أما المصدر الثاني الذي عني بالترجمة له فهو "المقفى الكبير" لتقي الدين المقريزي[5] (ت 845 هـ) وكان نص ما عرّف به ابن إسماعيل في هذه الترجمة "إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد بن أبي بكر بن سليمان بن يوسف بن خلف بن موسى بن أحمد بن محمد بم جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو إسحاق القرشي، الهاشمي، العباسي، المالكي، إمام مسجد الزبير بمدينة مصر، تفقه على مذهب مالك، وسمع الحديث بمصر من أبي محمد عبد المولى بن محمد اللخمي، وأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، وحدَّث بدمشق، وصنَّف كتاب البغية والاغتباط فيمن ولي مصر والفسطاط، وصنّف كتبا في الوعظ، ومولده آخر شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة بمصر، ووفاته يوم الأحد حادي عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر ".

أما عن المصدر الثالث الذي ترجم له فهو كتاب جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) "رفع البأس عن بني العباس"، وقد لوحظ أن ترجمته تكاد تتطابق مع ترجمة الذهبي، مما يرجح أن السيوطي اقتبسها عنه[6].

وفي ظل ندرة ما كتب عن إبراهيم بن إسماعيل في كتب التراجم، بدا أن أفضل إجراء للتعريف به، هو أن ننطلق من تحليل ما نُسب إليه، حيث انتسب في ترجمته بالقرشي، الهاشمي، العباسي، المصري، المالكي.

أما نسبته بـ"القرشي الهاشمي العباسي" فتدل على أنه لم يكن منتميا بالولاء لبني العباس بل هو أصيل في الانتساب إليهم، ويدل على ذلك أن المقريزي[7] فصَّل سلسلة نسبه حتى وصل به إلى الصحابي عبد الله بن عباس، وهو ما دعا السيوطي لأن يدرجه ضمن تراجم بني العباس في كتابه "رفع البأس.." والذي أراد به البرهان على أن دور العباسيين لم ينحصر في مجال الإمارة والحكم، بل كان من بينهم علماء وفقهاء وأدباء وشعراء ونحاة..[8].

أما عن نسبته بـ"المصري"؛ فحسب ما هو مقرر لدى علماء الأنساب أن انتساب الشخص إلى إقليم ما يكون على وجهين: الأول إذا كان مولده ونشأته بهذا الإقليم، وأما الوجه الثاني فيجوز أن ينسب الشخص إلى هذا الإقليم شريطة إقامته به مدة من الزمن قررها بعض العلماء

بأربعة سنين[9]. غير أن الوجه الأول هو الموافق لحالة إبراهيم بن إسماعيل، حيث ولد بها عام 515هـ، كما كانت جل إقامته بها، وكذا كانت وفاته بها حسبما ورد في المادة المصدرية المتعلقة بترجمته[10].

ولعل من الأهمية بمكان التوقف لحل إشكال تضارب المصادر في تحديد تاريخ وفاته، فالذهبي والسيوطي على أن وفاته كانت في عام 588هـ، أما المقريزي فذكر أنها كانت في عام 589هـ، ولكن المرجح ما ذهب إليه المقريزي؛ لأن الواضح من ترجمته أنه اطلع على وثائق حددت له من خلال تفاصيل دقيقة اليوم والشهر والسنة التي ولد وتوفي فيها ابن إسماعيل، وفي هذا يقول: "ومولده آخر شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة بمصر، ووفاته يوم الأحد حادي عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر"، وهذه القرينة افتقرت لها ترجمة الذهبي والسيوطي، وهو ما يجعلنا نقدم قول المقريزي على قولهما.

أما عن مالكيته، فجاءت لدراسته الفقه على مذهب الإمام مالك، ويبدو أنه كان من أعلام هذا المذهب في عصره، بدليل نعته في ترجمة الذهبي والسيوطي بـ "الفقيه" وبأنه من "فضلاء المالكية". كما يبدو من ترجمة المقريزي أن ابن إسماعيل كان في عداد المحدِّثين في عصره كما يظهر ذلك في قوله: "سمع الحديث بمصر..وحدّث بدمشق..".

وفيما يتعلق بشيوخه فكشفت المادة التاريخية التي انطوت عليها ترجمته عن اثنين هما: المؤرخ أبي القاسم ابن عساكر (ت 571 هـ) صاحب تاريخ دمشق، وهنا يتكشف بعد آخر في شخصية المؤرخ، وهو اتساع أفقه المعرفي وبعده عن آفة التعصب المذهبي، حيث كان ابن عساكر شافعي المذهب، وبالرغم من ذلك آثر أن يرحل إليه بالشام ليتلقى عنه العلم بل ويحدِّث عنه بمصر، ويُحتمل أن نزوع إبراهيم بن إسماعيل إلى التصنيف في مجال التاريخ كان بأثر من مخالطته لشيخه ابن عساكر.

أما شيخ إبراهيم بن إسماعيل الثاني وهو عبد المولى بن محمد المالكي، المالكي المعروف بابن اللبنى، فقد كان معاصرا لابن إسماعيل، وهو الفقيه السني الثاني الذي وليِّ القضاء في مصر من قبل الوزير الفاطمي أحمد بن الأفضل، ومن المؤكد أن هذا الفقيه كان من أهم المصادر التي تلقى عنها إبراهيم بن إسماعيل أصول المذهب المالكي، وكذا علم الحديث حسبما ورد في ترجمة المقريزي.

أما عن النشاط الفكري لمؤرخنا إبراهيم بن إسماعيل، فكان يحدِّث بمصر عن شيخيه ابن عساكر، وبالشام عن شيخه عبد المولى المالكي، وهو ما يعني أنه كانت له حلقة علم لتدريس العلوم الشرعية، والمرجح أنه كان يعقدها بجامعه الموسوم بـ "جامع الزبير".

أما فيما يخص "جامع الزبير"، فعلى الرغم من أن المقريزي أشار إليه في سياق ترجمته لابن إسماعيل، فإنه لم يعن برصده ضمن خطط المساجد والجوامع التي أنشئت بمصر، ولكن الظاهر ان هذا المسجد أقيم بالفسطاط، لأننا لو تتبعنا مصطلح "مدينة مصر" لدى المقريزي في الخطط، سنجد أنه يقصد بها مدينة الفسطاط وضواحيها، ولعلنا نلحظ ذلك في سياق حديثه عن الفسطاط تحت العناوين التالية: "ذكر ما عليه مدينة مصر الان وصفتها"(11)، و"ذكر ساحل النيل بمدينة مصر"(12)، و"ذكر أبواب مدينة مصر"(13). و هذا يؤشر من ناحية أخر على أن الفسطاط كانت مقرا لإقامة إبراهيم بن إسماعيل .

ولكن الظاهر في هذه الترجمة - وكذا ترجمة الذهبي والسيوطي- أن هذا المسجد أقيم بالقاهرة، لأن مقصوده بمصر التي وردت في عبارته "إمام مسجد الزبير بمدينة مصر" تعني القاهرة.

ومن ناحية أخرى اهتم إبراهيم بن إسماعيل بالتصنيف في فروع أخرى من المعرفة، ويدل على ذلك وصف الذهبي "وجمع مجاميع" ولكن لا يعلم نوعية موضوعاتها المعرفية اللهم إلا مصنفه في التاريخ الذي نحن بصدد الحديث عنه. كما يكشف النص نفسه عن أنه كتب في الوعظ والرقائق، بل صنّف فيها كتبا كما ذكر المقريزي، ليس هذا فحسب بل نظم الشعر أيضا، وفي هذا بعد آخر في تكوينه الثقافي حيث يدل على نزعته الأدبية وميوله الصوفية.

لعل هذا العرض الذي عرّفنا من خلاله بشخصية إبراهيم بن إسماعيل، قد أوقف الدراسة على إشكال آخر لزم أن تبحث له عن تفسير، وهو أن إبراهيم بن إسماعيل بنسبه الهاشمي العباسي، وتكوينه السنيّ المالكي، من المفترض أن يتعارض وطبيعة الواقع السياسي والمذهبي الكائن بمصر في تلك الفترة، والمتمثل تحديدا في خلافة شيعية فاطمية مركزها مصر، وهذه الخلافة كانت تعي جيدا أن مذهبها في التشيع هو مكمن قوتها، وبقدر ما تعتني بمؤسساته وتنافح عنه ضد خصومه، بقدر ما تضمن استمرار بقاءها، ولهذا كان من أهم أولويات الخلافة الفاطمية إلى جانب نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي القضاء على المذهب السني وتهميش مكانته بشتى السبل في وجدان المجتمع المصري.

ولعل هذا التوجه تجلى في شواهد عديدة منها: ما ذكره ابن زولاق(14) (ت 387هـ) من أن الخطباء كانوا يلعنون الصحابة على كافة منابر مصر. بل يذكر المقريزي(15) (ت 845هـ) أن: "جوهر القائد لما دخل بجيشه مصر وبنى القاهرة أظهر مذهب الشيعة، وأمر أن يُؤذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حيّ على خير العمل، كما أظهر القول بتفضيل عليّ بن أبي طالب على غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم". ولم يقف

الأمر به عند هذا الحد بل جعل الشعائر في المساجد والحكم في المواريث تقام وفق أصول المذهب الشيعي الإسماعيلي[16].

وفي سنة 372 هـ أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية. وفي سنة 381هـ ضُرب رجل بمصر وطِيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ الإمام مالك بن أنس[17].

وفي سنة 395 هـ كتب سبّ السلف ولعنهم على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه، وعلى أبواب الدور والحوانيت والمقابر، ونُقش ذلك ولوّن بالأصباغ والذهب، بل وأكره الناس على ذلك[18].

وكان من نتيجة اتباع سياسة الشدة في نشر المذهب الإسماعيلي "أن تسارع الناس إلى الدخول في الدعوة، فجلس لهم قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان، فقدموا من سائر النواحي والضياع، فكان للرجال يوم الأحد، وللنساء يوم الأربعاء، وللأشراف وذوي الأقدار يوم الثلاثاء، وازدحم الناس على الدخول في الدعوة"[19].

وهنا يطرح تساؤل هام. كيف يمكن -في ضوء المعطيات السابقة- أن يتولى محدِّث وفقيه سنيٍّ على المذهب المالكي ينتمي أصله لبني العباس إمامة مسجد في القاهرة الفاطمية، بل ويحدِّث فيه عن شيوخه من أهل السنة في ظل دولة شيعية تتعصب لمذهبها على هذا النحو السالف الذكر؟

في الواقع إذا تأملنا الفترة الزمنية التي عاشها المؤرخ إبراهيم بن إسماعيل بمصر، والمحددة من 515هـ إلى 589هـ، سنجد أنها تقع تاريخيا في نطاق العصر الفاطمي الثاني الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بـ "عصر نفوذ الوزراء"، حيث تزايد نفوذهم حتى طغى على سلطان الخلفاء الفاطميين كما هو معلوم.

وإذا كان المذهب الشيعي الإسماعيلي هو المهيمن على المؤسسة الدينية والقضائية في مصر، بل وفي الولايات التابعة لها في العصر الفاطمي الأول، حيث عصر الخلفاء الفاطميين العظام، إلا أن الشواهد التاريخية تفيد بأنه في العصر الفاطمي الثاني أخذ نفوذ المذهب السنيِّ في التنامي، وقد لعب العديد من وزراء هذا العصر دورا محوريا في دعم الوجود السنيِّ في مصر رغبة في إضعاف الخلفاء الفاطميين وطلبا في ازدياد سلطانهم ونفوذهم.

وكان من مظاهر ذلك على سبيل المثال: أنه في سنة 525 هـ –أي في الفترة التي عاصرها ابن إسماعيل– رتب الوزير أبو على أحمد بن الأفضل أربعة قضاة منهم قاضيان سنيّان، الأول:

شافعي المذهب وهو سلطان بن إبراهيم بن المسلم[20]، أما القاضي الثاني: فكان مالكي المذهب، ويمثله أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد اللبني المغربي وكان كل قاض يحكم بمذهبه، ويورِّث بمذهبه[21]. ويعد هذا الإجراء علامة فاصلة في العصر الفاطمي، بل في تاريخ النظم الإسلامية بوجه عام قبل هذا العصر حتى أن المقريزي[22] وصفه بأنه "لم يسمع بمثله هنا في الملة الإسلامية قبل ذلك". وفي عام 533 هـ وليّ الوزير رضوان بن ولخشي أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد اللبني المالكي على عقود الأنكحة وما يتعلق بذلك[23].

ثم أخذ دعم وزراء الدولة الفاطمية للمذهب السني في يقوى حتى بلغ ذروته مع الوزير على بن السلار والذي كان سنيًا على المذهب الشافعي[24]، حيث إنه قام بدور محوري في تقويض نفوذ المذهب الشيعي الإسماعيلي في تلك الفترة، ويتضح ذلك في قول الذهبي[25] "خمد بولايته نائرة الرفض..".

ومن البراهين الدالة على صدق ما ذهب إليه الذهبي، أن الوزير الفاطمي علي بن السلار قام بإنشاء مدرسة "العادلية" بالإسكندرية وجعل التدريس فيها على المذهب الشافعي، وأقام عليها الفقيه الشافعي أبو الطاهر السلفي[26] (ت 576هـ)[27]، والذي وصف بأنه "كان له عند ملوك مصر الجاه والكلمة النافذة مع مخالفته لهم في المذهب"[28].

ومن المؤكد أن هذه المكانة الرفيعة التي تبوأها المذهب السني في القضاء كان لها انعكاسها الإيجابي على فقهاء هذا المذهب بمصر، حتى أن الأمر لم يقتصر على تعيين قضاة من أهل السنة فقط، بل تعدى ذلك إلى تولي إمامة المساجد، وخير شاهد على هذا الأمر ما كان من حال مؤرخنا إبراهيم بن إسماعيل الذي تولى إمامة مسجد الزبير حتى أن شهرة هذا المسجد جاءت بنسبته إليه كما ورد في ترجمة الذهبي، والذي من المؤكد أنه أقام الشعائر فيه على طريقة أهل السنة لا طريقة المذهب الشيعي الإسماعيلي.

لعل بهذا الطرح التاريخي تسنى تقديم تفسير منطقي بشأن تواجد كيان غريب – ممثل في المؤرخ إبراهيم بن إسماعيل العباسي النسب السني المالكي المذهب - داخل نسيج الخلافة الفاطمية الشيعية، حيث تبيّن أنه كان نتاجا لظاهرة عامة شهدها العصر الفاطمي الثاني، وهي ظاهرة تنامي المد السني على حساب المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي أخذ في الضعف والتراجع.

والآن بعد أن تسنى للدراسة التعريف بإبراهيم بن إسماعيل في ضوء المتاح من مادة تاريخية، نتحول لمناقشة المحور الثاني المتعلق بتحديد المسمى الحقيقي أو الأصيل لكتاب " البغية والاغتباط..".

التحقيق في مسمى كتاب: "البغية والاغتباط.."

في هذا المقام يتجلى إشكال آخر أمام الدراسة، ألا وهو تحديد المسمى الأصيل لكتاب "البغية.."، حيث لم تجمع المادة المصدرية المتاحة على مسمى واحد له، فالذهبي أورد مسماه بـ "البُغية والاغتباط في من سكن الفسطاط"، ووافقه السيوطي على ذلك. وإذا انتقلنا إلى المقريزي فنجده يسميه بـ"البغية والاغتباط فيمن وليِّ الفسطاط"، أما ابن تغربردي[29] (ت 874هـ) فأورده بعنوان "البغية والاغتباط فيمن ملك الفسطاط"، وفي مقام آخر وسمه بـ "البغية والاغتباط فيمن وليِّ الفسطاط". أما السخاوي فذكر عنوانين للكتاب: الأول تحت مسمى "البغية والاغتباط فيمن وليِّ مصر والفسطاط"، أما العنوان الثاني فهو "البغية الاغتباط في أخبار مصر والفسطاط"[30].

وقد بدا أن الوقوف على أدق مسمى للكتاب في ظل فقدان نصه الأصلي، لا يتأتى إلا من خلال عرض هذه العناوين على ما تم جمعه من نصوص مقتبسة عن هذا الكتاب، وبعد إعمال هذا الإجراء تَرَجَحَ أن المسمى الحقيقي للكتاب ما أورده السخاوي والمقريزي وهو "**البغية والاغتباط فيمن ولي مصر والفسطاط**" حيث لو أُمعن النظر في المرويات المجموعة، سيُلحظ أن محور اهتمامها انصب على التأريخ لمن تولى مصر من الولاة بدءا من عصر الولاة، ومرورا بالعصرين الطولوني والإخشيدي، ثم انتهاء بالعصر الفاطمي.

وتأسيسا على ذلك فإن عنوان "البغية والاغتباط في أخبار مصر والفسطاط" غير دقيق في الدلالة على موضوعات المادة التاريخية المجموعة، لكونه يأخذ صفة الشمولية والعموم في التأريخ لمصر، حيث تُبيِّن من هذه المادة التاريخية، أن المقصد الأساسي للكتاب هو التأريخ لولاة مصر وحكامها حتى نهاية العصر الفاطمي.

كما يُستبعد أيضا أن يكون مسمى "البغية والاغتباط فيمن ملك –أو وليِّ- الفسطاط" لكونه دال على أن مؤلف الكتاب اقتصر فقط على التأريخ لمن حكم مصر في عصر الولاة، على اعتبار أن الفسطاط كانت هي مقر الحكم والإدارة في ذلك الحين، وهو ما يتناقض بشكل صريح مع الموضوعات التاريخية في المادة المجموعة، والتي تطرقت كما نوهنا إلى أخبار الولاة في زمن العسكر، وكذا حكام الدولة الطولونية والإخشيدية والفاطمية.

كما يستبعد كذلك أن يكون مسمى الكتاب "البغية والاغتباط فيمن سكن الفسطاط"؛ لأن هذا العنوان دال على أن مقصد التأريخ موجه لدراسة العناصر والأجناس التي سكنت الفسطاط، وهذا ما لم تتطرق إليه المادة المجموعة.

وفي ضوء ما سبق يترجح أن المسمى الأصيل للكتاب "البغية والاغتباط فيمن وُلِيَّ مصر والفسطاط" لكونه يتسق وطبيعة الموضوعات التي تنطوي عليها المادة التاريخية المجموعة.

غير أن ثمة إشكال آخر بدا في هذا الصدد، حيث ورد في ترجمة الذهبي –ووافقه السيوطي– أن إبراهيم بن إسماعيل ألف إلى جانب كتاب "البغية والاغتباط.." كتابا آخر أرخ فيه لأمراء مصر إلى أيام صلاح الدين.

ولكن إذا ما عُرض ذلك على المادة التي اقتُبِست عن كتاب "البغية.." سيتبين أنه رأي فيه نظر؛ لأن كل النصوص التي اقتبسها ابن تغربردي كان يحيلها إلى عنوان الكتاب بقوله "وقال صاحب البغية"، ولو تأملنا موضوعات النصوص التي اقتبسها من "البغية.." سيلحظ أنها تطرقت إلى نفس الموضوعات التي زعم الذهبي أن إبراهيم بن إسماعيل أرخ لها في الكتاب الآخر، وهو ما يعني أنه اضطلع بالتأريخ في عملين تاريخيين منفصلين للأمراء الذين تولوا مصر حتى العصر الأيوبي، وهذا في واقع الأمر لا يقبله منطق العقل لكونه من باب الجهد المكرور غير المبرر، ولعله وهم وقع فيه الذهبي، ووقع فيه كذلك السخاوي حين نسب لابن إسماعيل مؤلفين الأول بعنوان "البغية والاغتباط فيمن وليِّ مصر والفسطاط"، والثاني بعنوان "البغية الاغتباط في أخبار مصر والفسطاط"، لكونهما -في ضوء ما تقدم من قرائن وشواهد- ليسا إلا مؤلفا واحدا عنون له المؤرخ بالمسمى الذي رجحته المادة التاريخية المجموعة.

والآن ننتقل لمناقشة المحور الثالث، المتعلق بدراسة منهج المؤلف في كتاب "البغية والاغتباط.." في ضوء المادة المصدرية المتاحة.

***

منهج المؤلف في كتاب "البغية والاغتباط فيمن ولي مصر والفسطاط"

قبل أن تعرج الدراسة إلى الحديث عن منهج المؤلف لزم إيضاح نقطة هامة، وهي أن جُل المادة المصدرية المجموعة للكتاب "البغية والاغتباط.." المفقود، مستخرجة من كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لأبي المحاسن ابن تغربردي، حيث اقتبس منه ثلاثون نصا(31)، وذلك باستثناء نصين اقتبسهما الذهبي عن هذا الكتاب، الأول ضمَّنه كتابه "تاريخ الإسلام" ويتناول فيه ولاية كافور(32)، والمادة التاريخية في هذا النص تتطابق تماما مع ما ذكره ابن تغربردي. أما النص الثاني فأورده في كتاب "سير أعلام النبلاء" وهو نص تفرد به عن ابن تغربردي، ويتصل موضوعه بولاية الوزير الفاطمي "شاور"(33).

ولا يُفهم من هذا أن الدراسة توقفت في استقصاء المادة التاريخية لهذا الكتاب المفقود عند حدود هذين المصدرين، بل أنها عنيت بفحص الكثير من المظان التاريخية التي أرخت لتاريخ مصر بعد وفاة إبراهيم بن إسماعيل والتي يُحتمل نقلها عنه. هذا فضلا عن كتب التراجم لاسيما

الخاص منها بتراجم فقهاء المالكية، بغية الحصول على مادة ضافية عن هذا المؤرخ، ولكن نتيجة البحث لم تسفر في النهاية سوى عن هذه النصوص.

وعلى الرغم من قلة النصوص المقتبسة عن هذا الكتاب، فإنها صالحة لأن يُؤسس عليها في تكوين تصور لا بأس به عن منهج المؤلف في تصنيف هذا الكتاب.

بداية تجدر الإشارة إلى بيان الأهمية التاريخية لكتاب "البغية والاغتباط". فالكتاب وإن لم يكن فريدا في موضوعه، حيث سبقه فيه تصنيفات بعض المؤرخين أبرزهم الكندي (ت 350هـ) في كتابه الأشهر "الولاة والقضاة"، إلا أن كتاب "البغية.." يكتسي أهمية خاصة لاسيما فيما يخص الشطر الثاني من تاريخ الدولة الفاطمية، حيث كان إبراهيم بن إسماعيل شاهد عيان للكثير من أحداث هذه الفترة، صحيح أنه لم يصلنا عن المؤلف فيما يخص هذه الفترة سوى نص واحد نقله عنه الذهبي متعلق بفترة وزارة شاور كما أشرنا، إلا أن ما انطوى عليه هذا النص من تفاصيل دقيقة وثرية شاهد على أن ابن إسماعيل ضَمَّن كتابه مادة تاريخية هامة وضافية عن تلك الحقبة.

أما عن منهج المؤلف في هذا الكتاب، فالذي يبدو من النصوص المقتبسة عنه أنه اتبع في منهج التأريخ على حسب التراجم، حيث كان يترجم لكل وال أو حاكم بشكل مستقل، بدءا من عصر الولاة ومرورا بحكام الدولة الطولونية ثم الإخشيدية ثم انتهاء بالدولة الفاطمية.

وثمة تساؤل يلزم أن تجيب عنه الدراسة وهو: ما مقصود إبراهيم ابن إسماعيل بمن وليِّ مصر والفسطاط، بدءا من عصر الولاة وانتهاء بالعصر الفاطمي؟.

في الحقيقة قد لا يتعلق الإشكال بعصر الولاة في العصر الأموي والعباسي، إذ لا خلاف على أنهم ولاة حكموا مصر بإيعاز من دار الخلافة سواء بدمشق أو بغداد، ونفس الحال ينطبق تقريبا على أمراء العصرين الإخشيدي والطولوني، فعلى الرغم من اعتبار الدارسين المحدثين أن حكام هذين العصرين ظاهرة فريدة لكونهم يمثلون عصر الدويلات المستقلة، أو على حد تعبير كتب النظم "إمارات الاستيلاء"، لكونهم استقلوا بإدارة مصر فعليا بعيدا عن سلطة الخلافة العباسية في بغداد، فإنه لا خلاف في النهاية على أنهم ولاة يعينون من قبل الخليفة العباسي وينوبون عنه حتى وإن كان إجراء ظاهريا أو شكليا، وعلى هذا فنهج ابن إسماعيل مقبول في أن يدرجهم في جملة الولاة الذين تولوا الحكم في مصر من قبل خلفاء بني العباس.

إلا أن الإشكال يكمن حقيقة في جانب آخر، وهو تحديد مقصود المؤرخ بالولاة في عصر الخلافة الفاطمية لكون حكامها بطبيعة الحال خلفاء، ومن ثم لا ينطبق عليهم وصف الولاية شأن من كان قبلهم. وأغلب الظن أن مقصود ابن إسماعيل بالولاة في العصر الفاطمي هم الوزراء ويشي بذلك حديثه المسهب عن الوزير الفاطمي (شاور) وحديثه المقتضب عن الخليفة الفاطمي،

وهو ما يدل على أن مقصود ابن إسماعيل بالترجمة الوزير (شاور) وليس الخليفة الفاطمي، وكأنه بذلك يريد القول إن الوزراء في العصر الفاطمي في مصر كانوا يتولون أمر مصر فعليا من دون الخلفاء، ويتحقق صدق هذا الرأي من قول ابن إسماعيل نفسه عن شاور: "تملك شاور البلاد، ولم شعث القصر، وأدر الأرزاق الكثيرة على أهل القصر وحقائق التاريخ تشهد بذلك لاسيما في العصر الفاطمي الثاني كما سبق الإشارة على ذلك" [34]، وتأمل لفظ "تملك" في النص.

أما عن مصادر إبراهيم بن إسماعيل في كتابه "البغية.."، فلم تكشف النصوص المجموعة عن إحالات اضطلع بها ابن إسماعيل للمصادر التي استقى منها مادته التاريخية، خاصة الفترات التاريخية التي سبقت عصره، لكن هذا لا يعني أنه لم يكن يوثِّق أخباره بشكل مطلق، بل نرجح أن تكوينه كمحدِّث كان بعثا له على عدم تجاهل هذا النهج، وعلى هذا يمكن أن يرد سبب طرح مروياته مرسلة على هذا النحو إلى تصرف من اقتبس عنه من المؤرخين (ابن تغربردي، الذهبي).

أما عن الأمور التي عني برصدها بالنسبة لأصحاب التراجم من الولاة، فتتمثل في بيان السنة وكذا الشهر بل اليوم الذي تولى فيه الوالي مقاليد الحكم في مصر، ولعلنا نلمس ذلك مثلا في ترجمته لعقبة بن عامر[35]. كما اهتم بإبراز السمات الذاتية لشخصية الوالى، كما يدلنا النص الذي أفاض الحديث فيه عن قوة ساعد كافور في مد قوسه، فضلا عن جوانب من ورعه وتقواه[36].

كما يتضح في حالة ما إذا كان الوالي من الصحابة، فكان يهتم ببيان رواياته في الحديث وبيان من نقلها عنه من أهل بمصر[37]، وهنا يبزر أيضا أثر تكوينه الثقافي كمحدِّث فقيه في اهتمامه بإبراز هذا الجانب. كما كان مهتما بأن يسوق شخصية الوالي مسندة النسب[38]. كما اهتم كذلك بإبراز طبيعة السلطات والاختصاصات التي ولي بها من قبل الخليفة وما طرأ عليها من تعديل[39].

كما عني ابن إسماعيل أيضا بالحديث عن القائمين على أمر النظم والإدارة التي يشرف عليهم "الوالي"، كصاحب الشرطة، وديوان الخراج[40]. وأحيانا ما كان يرصد ما قاموا به هؤلاء العمال من أعمال بارزة لصالح المجتمع المصري، فيقول مثلا عن عبد الله بن المغيرة صاحب شرطة الوالي المغيرة بن عبيد الله "وكان لينا محببا للناس"[41].

كما اهتم برصد الأحوال الداخلية كالثورات والفتن التي نشبت في عصور الولاة[42]، وكحرص بعض الولاة على قمع المفسدين والشدة على اللصوصية وتوفير الأمن كحال يحيي بن داود الشهير بابن ممدود[43].

ولا يقتصر قلم ابن إسماعيل في تاريخه على رصد الشأن الداخلي في مصر في عصر الولاة، بل تطرق أيضا إلى الشأن الخارجي، كبيانه لإسهام الوالي في دعم حركة الفتوحات الإسلامية خارج مصر إن كان له إسهام[44]، ليس هذا فحسب بل اعتنى بذكر الاعتداءات التي وقعت على مصر من قبل الدولة البيزنطية وأثر ذلك على الأحوال السياسية في مصر[45].

ومما لوحظ كذلك على منهج المؤلف أنه لم ينظر لمصر على كونها كيانا منعزلا عن الأقاليم الأخرى، بمعنى أنه لم يقصر اهتمامه فقط على بيان تاريخ تعيين الولاة ومهامهم الإدارية، بل تعرض لدور مصر في حركة الفتوح، وبيان علاقتها بالدولة البيزنطية[46]. وكذا بيانه لدور مصر وموقفها من الصراع الإسلامي الصليبي والذي مثله في ذلك الحين نور الدين محمود، وعموري أو "مري" على حسب ما يسميه ابن إسماعيل، مع بيان موقف الدولة البيزنطية من هذا الصراع، وآثار هذا الصراع سياسيا على مصر[47].

هذا ويلاحظ في ضوء النصوص المجموعة أن الأداء التاريخي للمؤلف يفتقر فيما يبدو للحس النقدي حيال ما يرويه، ولكن لا يجب قبول هذا الرأي على أنه مسلَّمة، حيث يصعب القطع بذلك في ضوء غيبة النص الأصلي، فما بين أيدينا ليست سوى مرويات مقتبسه عنه.

قصارى القول:

- تسنى للدراسة في ضوء ما أتيح لها من مادة مصدرية اتسمت بالندرة، أن تكشف عن مؤرخ مغمور من مؤرخي مصر الإسلامية، وهو إبراهيم ابن إسماعيل الهاشمي، حيث تبين أنه مصري المولد والنشأة والوفاة، هاشمي عباسي الأصل، سنيٍّ مالكي المذهب.
- كشفت الدراسة عن أن الفسطاط كانت محل إقامة ابن إسماعيل، كما كانت مقرا لجامعه الموسوم "جامع الزبير" الذي لم تشر إليه المصادر والمراجع المعنية برصد خطط وآثار مصر الإسلامية .
- وقفت الدراسة من خلال تحليل النصوص على جانب من النشاط الفكري لابن إسماعيل ، حيث عنيٍ بالتصنيف في حقول معرفية متنوعة ، فإلى جانب كتاب "البغية .." في تاريخ مصر، فقد صنف في الوعظ والرقائق، إضافة إلى اعتنائه بنظم الشعر، كما اهتم بتدريس الحديث داخل مصر وخارجها .
- كما تسنى للدراسة انطلاقا من استقراء الواقع السياسي الذي عايشه المؤرخ، تعليل تواجده كمحدِّث وفقيه سنيٍّ وسط كيان شيعي إسماعيلي متعصب، إذ اتضح أنه كان إفرازا طبيعيا لتداعيات تنامي المد السني في العصر الفاطمي الثاني.

- رجحت الدراسة بعد مناقشة آراء المؤرخين التي اختلفت حول تحديد مسمى الكتاب أن عنوانه الأصيل "البغية والاغتباط فيمن وليَ مصر والفسطاط". كما ترجح أيضا أن إبراهيم بن إسماعيل لم يصنّف كتابا آخر أرخ فيه لنفس الموضوع وعن نفس الفترة الزمنية.
- أُتيح للدراسة كذلك في ضوء التي النصوص اقتبست من هذا الكتاب، تكوين تصور لا باس به عن المنهج الذي اعتمده ابن إسماعيل في معالجة الموضوعات التاريخية التي تعرض لها في هذا المُؤلَّف.

جدول لإحصاء وبيان موضوعات النصوص المقتبسة من كتاب "البغية والاغتباط .."

موضوعات الروايات المقتبسة عن كتاب "البغية والاغتباط.."	عدد الروايات الخاصة بكل موضوع	المصدر التاريخي
ولاية عقبة بن عامر على مصر	1	النجوم الزاهرة ج1 ص127
ولاية سعيد بن يزيد على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج1 ص 158
ولاية عبد الرحمن بن جحدم على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج1 ص166
ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج1 ص238
ولاية بشر بن صفوان الأولى والثانية على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج1 ص245، 281
ولاية حفص بن الوليد على مصر	1	النجوم الزاهرة ج1 ص291
ولاية حسان بن عتاهية على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج1 ص300 ، 301
ولاية حوثرة بن سهيل على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج1 ص 305
ولاية المغيرة بن عبيد الله على مصر.	3	النجوم الزاهرة ج1 ص314، 315
ولاية موسى بن كعب على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج 1 ص 343
ولاية موسى بن علي على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج 2 ص 27
ولاية واضح المنصورى على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج2 ص41

موضوعات الروايات المقتبسة عن كتاب "البغية والاغتباط.."	عدد الروايات الخاصة بكل موضوع	المصدر التاريخي
ولاية يحيى بن داود على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج2 ص44، 45
ولاية سالم بن سوادة على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج2 ص47
ولاية عبيد الله بن المهدى الأولى على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج2 ص93، 94
ولاية إسماعيل بن صالح على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج2 ص105
ولاية العباس بن موسى على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج2 ص162، 163
ولاية عمير بن الوليد على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج2 ص 208
ولاية إسحاق بن يحيى على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج2 ص 283
ولاية أرخوز على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج: 2 ص:342
ولاية شيبان بن أحمد بن طولون على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج 3 ص134
ولاية تكين على مصر.	1	النجوم الزاهرة ج 3 ص172
ولاية محمد بن طغج الإخشيد الأولى والثاني على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج3 ص252،236
ولاية كافور على مصر.	2	النجوم الزاهرة ج3 ص251، 252. تاريخ الإسلام، حوادث وفيات سنة 356 هـ ص152
ولاية شاور على مصر.	1	سير أعلام النبلاء ج20 ص515

Ebrahim Bin Ismael El Ekhbary and Narrators of His Book: "البغية والاغتباط فيمن وُليِّ مصر والفسطاط"

Yasser Nour, *Department of Social Studies, College of Education, Mansoura University, Mansoura, Egypt.*

Abstract

It is well known that many of the manuscripts that chronicled for Islamic Egypt throughout different ages and with various topics have been scrutinized and edited. However, there is a still a hidden barrier between us and many of these sources and their authors. This is due to the fact that many of these manuscripts have been lost to the extent that we could recognize these sources only from some signs or quotations that were written in some historians' books about these writers. Moreover, these lost manuscripts might have been referred to by some of those writers of Indexes and Dictionaries by writing titles of these books and their authors in every field of knowledge and science.

This description is applicable, in fact, to the historian of this study: Abu Ishaq Ebrahim Bin Ismael Bin Said El Hashemy El Ekhbary. He is the author of the lost manuscript: "البغية والاغتباط فيمن وُليِّ مصر والفسطاط": "The Wish and the Joy of those who Ruled the Egyptian Fustat." Because of the rarity of the historical material that deals with this historian and his previously mentioned manuscript; this study aims to discuss the following:

First: Introducing this historian: Ebrahim Bin Ismael Bin Said.

Second: Investigating the name of his book: "البغية والاغتباط فيمن وُليِّ مصر والفسطاط": "The Wish and the Joy of those who Ruled the Egyptian Fustat."

Third: Discussing this Historian's method in dealing with the topics of his manuscript in the light of his quoted narration in other sources.

قدم البحث للنشر في 2007/5/21 وقبل في 2008/6/29

الحواشي

1- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشت (القاهرة: مكتبة ابن سينا: ب.ت) ص 164

2- خلصت الدراسة إلى هذا الرأي بعد مراجعة كتب المعاجم والفهارس التي تعنى برصد أعمال ومصنفات المؤلفين في شتى العلوم والمعارف.

3- الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 1423- 2003) ترجمة رقم 289، ص293

4- الذهبي: تاريخ الإسلام، ترجمة رقم323، ص319

5- تقي الدين المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد العلاوي (ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1411-1991) ترجمة رقم 54، ج1 ص 104

6- يقول السيوطي: "إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد بن أبي بكر الفقيه الإخباري، أبو إسحاق الهاشمي العباسي المصري المالكي، إمام مسجد الزبير بن العوام. حدث بمصر عن أبي القاسم بن عساكر. وألف تاريخاً في أمراء مصر إلى أيام صلاح الدين، وجمع مجاميع، له كتاب "البغية والاغتباط فيمن سكن الفسطاط"، وكتاب في الوعظ، وله نظم. مات في ربيع الأول سنة 588 وله 73 سنة ". رفع البأس عن بني العباس، تحقيق: يحيي محمود جنيد

http://www.bawazir.com/Rafa-albas/rafa-albas-book-text.htm

وهذا الكتاب منشور أيضا بهذا التحقيق بمجلة عالم المخطوطات والنوادر - المجلد الثامن العدد الثاني رجب- ذو الحجة 1424 هـ / سبتمبر2003 م

7- المقتفى ج1 ص104

8- أنظر مقدمة محقق كتاب "رفع البأس.."

http://www.bawazir.com/Rafa-albas/rafa-albas-book.htm

9- يقول عبد الله بن المبارك وغيره: "من أقام ببلدة أربع سنين نسب إليها". انظر تحقيق هذه المسألة في السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (ط2؛ القاهرة: مكتبة دار التراث، 1392- 1972) ج2 ص385

10- لم يقترن اسم إبراهيم بن إسماعيل بأي انتساب إلى إقليم أو بلد آخر غير مصر، إذ لو كان أقام ببلدة أخرى غير مصر لأثبته أهل النسب على حسب منهجهم في هذا الشأن، فلو أنه مثلا أقام بدمشق – حسب شرطهم في مدة الإقامة – إذا سينسبونه إلى البلدين على حسب ترتيب الإقامة، فيُنسب أولا بالمصري ثم الدمشقي. انظر السيوطي: تدريب الراوي ج2 ص284

11 - المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة: مؤسسة الحلبي، ب.ت) ج1 ص242

12 - نفس المصدر ج1 ص443

13 - نفس المصدر ج1 ص447

14- نقلا عن حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1958) ص218. وقد أحال هذه المعلومة إلى مخطوطة ابن زرولاق: فضائل مصر وأخبارها وخصائصها ورقة 44 (المكتبة الأهلية باريس، رقم/ 1817)، ولكن عند الرجوع إلى النص المحقق لهذا المخطوط، وهو من عمل على عمر محمد، لم نجد نصا يشير إلى هذه القضية، وربما نسخة باريس قد احتوت على زيادات لم تثبتها النسختان اللتان اعتمدهما الأخير في تحقيقه، حيث لم يعتمد على نسخ باريس في المقابلة. راجع نص المخطوط المحقق (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999).

15- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة: مؤسسة الحلبي، ب.ت) ج2 ص340

16- انظر تفصيل ذلك المقريزي: الخطط ج2 ص 340

17- نفس المصدر ج2 ص 341

18- نفس المصدر ج2 ص 341

19- نفس المصدر ج2 ص 341، 342

20- وفيها أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي الشافعي الفقيه، قال السلفي: كان من أفقه الفقهاء بمصر عليه تفقه أكثرهم، وقال الذهبي: أخذ عن نصر المقدسي وسمع من أبي بكر الخطيب وجماعة، وعاش ستا وسبعين سنة، توفي في سنة ثمان عشرة أو تسع عشرة وخمسمائة، وهو غير مقبول لأنه تولى القضاء في مصر سنة خمس وعشرين. وقال ابن نقطة توفي سنة خمس وثلاثين وهو الأقرب للصواب. الذهبي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت) ج2 ص58

21- السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط1؛ القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1967- 1387) ص165، المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي أحمد (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة "الذخائر /60"، ب.ت) ج3 ص142

22- وربما اقتبس المقريزي هذه الملاحظة من تاريخ ابن ميسر حيث كان الأخير أسبق منه في إبدائها،بل وعبر عنها بعبارة مقاربة وهي "ولم يسمع بمثل هذا". أنظر السيوطي: حسن المحاضرة ص165

23- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر (ط1؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ- 1998م) (203) ج2 ص381 ، المقريزي: اتعاظ الحنفا ج3 ص172

24- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي (ط9؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413) ج 15 ص203

25- نفس المصدر ج 15 ص203

26 - هو الإمام المحدِّث الحافظ المفتي أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني الجرواني السلفي، ولد سنة 575هـ أو قبلها بسنة، رحل في طلب العلم وله أقل من عشرين سنة وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاما، واستقر المقام به في الإسكندرية وتوفي بها، ومن أهم مؤلفاته معجم مشايخ أصبهان، ومعجم مشايخ بغداد. أنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ج21 ص5-39. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان (ط1؛ بيروت: عالم الكتب، 1407) ج2 ص6، 7.

27- الذهبي: سير أعلام النبلاء ج15 ص203، ابن قاضي شهبة: المصدر السابق ج2 ص7. وهذا تصحيح لما أورده المقريزي حيث ذكر أن المدارس في مصر لم تعرف إلا في العصر الأيوبي، أما في العصر الفاطمي فلم تكن موجودة مبررا ذلك بكون "مذهبهم مخالف لهذه الطريقة". أنظر الخطط ج2 ص363

28- الذهبي: سير أعلام النبلاء ج21 ص23، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي (بيروت: دار إحياء التراث، ب.ت) ج4 ص1301

29- السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص164

30- نفس المصدر ص165

31- ابن تغربردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب.ت) ج1 ص127، 158، 166، 238، 244، 281، 291، 300، 301، 305، 314، 315، 343، ج2 ص27، 40، 44، 45، 47، 93، 94، 105، 162، 163، 208، 283، 342، ج3 ص134، 172، 236، 251، ج4 ص6

32 - الذهبي: تاريخ الإسلام "حوادث وفيات سنة 356هـ" ص152

33- سير أعلام النبلاء ج 20 ص515

34- نفس المصدر ج 20 ص515

35- وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر. النجوم الزاهرة ج1 ص127، وكذا ج1 ص158

36- النجوم الزاهرة ج4 ص6

37- نفس المصدر ج1 ص127

38- نفس المصدر ج1 ص245

39- ففي حديثه عن ولاية حفص بن الوليد على مصر ذكر أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك جمع له بين الصلاة والخراج، ثم جاء الخليفة بن يزيد بن عبد الملك فصرفه عن الخراج وولاه عيسى بن أبي عطاء. النجوم الزاهرة ج1 ص291

40- ففي شأن عقبة بن عامر يقول: "وآخر من روى عن عقبة بمصر أبو قبيل". نفس المصدر ج1 ص127

41- نفس المصدر ج1 ص315

42- نفس المصدر ج 3 ص251، 52

43- النجوم الزاهرة ج2 ص44، 45

44- نفس المصدر ج1 ص245، 281، 291

45- ففي ولاية بشر بن صفوان يقول: "وفي إمرته نزلت الروم تنيس". نفس المصدر ج1 ص245

46- فعن أطماع الدولة البيزنطية في مصر ومحاولاتها في الاستيلاء عليها، انظر مثلا حديثه عن هجوم الروم على تنيس في عهد بشر بن صفوان. نفس المصدر ج1 ص245

47- سير أعلام النبلاء ج20 ص515

المصادر والمراجع

ابن تغربردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. (د.ت.). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (د.ت.). رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر (ط1؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ- 1998م)

ابن زولاق، الحسين بن إبراهيم بن الحسين. (1999م). **فضائل مصر وأخبارها**، تحقيق: على عمر محمد، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد. (1407هـ). **طبقات الشافعية**، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط1، بيروت: عالم الكتب.

حسن، حسن إبراهيم حسن. (1958م). **تاريخ الدولة الفاطمية**، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (1413هـ). **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط9، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (1423هـ-2003م). **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (د.ت.). **تذكرة الحفاظ**، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، بيروت: دار إحياء التراث.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. (د.ت.). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت: دار الكتب العلمية.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن . (د.ت.). **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة: مكتبة ابن سينا.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1392هـ- 1972م). **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، القاهرة: مكتبة دار التراث.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1967هـ-1387م). **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت.). **رفع البأس عن بني العباس**، تحقيق: يحيي محمود جنيد، http://www.bawazir.com/Rafa-albas/rafa-albas-book-text.htm .

المقريزي، أحمد بن علي المقريزي. (1411هـ-1991م). **المقفى الكبير**، تحقيق: محمد العلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المقريزي، أحمد بن علي المقريزي. (د.ت.). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق: محمد حلمي أحمد، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة "الذخائر /60".

المقريزي، أحمد بن علي المقريزي. (د.ت.). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، القاهرة: مؤسسة الحلبي.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 8 العدد 1، 2011، ص ص 283- 316

استخدام وتأثير التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني

حسين منصور *

ملخص

تهدف هذه الدراسة الىالإجابة عن السؤال التالي: ما مدى استخدام وتأثير التقنيات الحديثة على أداء دوائر المركز الجغرافي الملكي الأردني؟ ولتحقيق ذلك استخدم الباحث استبيانا ضم 48 فقرة موزعة على أربعة مجالات وهي: إنتاج الخرائط، وبناء قاعدة معلومات جغرافية، وتطوير الموارد البشرية وكفاءة الأداء. وتم توزيع الاستبانة على 137 موظفا وموظفة يستخدمون التقنيات الحديثة لتحقيق غايات وأهداف المركز.

تم تحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS والأساليب الإحصائية التالية: المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وتحليل التباين، والانحدار البسيط والمتعدد.

وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا لأثر التقنيات الحديثة في أداء المركز الجغرافي الأردني ويعزى ذلك لمتغيرات النوع الاجتماعي والعمر والمؤهل العلمي والخبرة. كما بينت الدراسة أن لاستخدام التقنيات الحديثة دورا وأثرا ايجابيا على مجالات الدراسة الأربعة المذكورة أعلاه.وتوصي الدراسة:

1- بضرورة اهتمام المركز بتأهيل العاملين وتدريبهم المستمر على استخدام التقنيات الحديثة وتحويلها الى الميدان.

2- ضرورة رفع التعارف بين جميع المؤسسات ذات العلاقة وتبادل المعلومات بينها.

3- متابعة تطور أداء العاملين بعد التدريب.

4- ضرورة العمل على التقليل من معدلات التسرب لدى العاملين في المركز.

مقدمة الدراسة وخلفيتها النظرية:

يعيش العالم اليوم ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مختلف مجالات الحياة. وقد انتشرت هذه الثورة وامتدت إلى كافة الدول ومن ضمنها الأردن الذي يبذل جهودا حثيثة للحاق بالركب العالمي في هذا المجال. غير أن الفجوة الرقمية قد اتسعت بين الدول الصناعية والبلدان النامية، وتجسدت حاليا في الإنجازات الكبيرة التي حققتها الدول الصناعية، وما تتحمله من نفقات عالية، وما تستقطبه من كفاءات متطورة مقارنة بالبلدان النامية. ويتضح ذلك على سبيل المثال في

* قسم الجغرافيا، جامعة اليرموك، أربد، الأردن.

عدد مستخدمي الانترنت نسبة إلى عدد السكان، ففي الأردن تبلغ النسبة (21%)، وفي مصر تبلغ النسبة (19%) بينما تتجاوز هذه النسبة (60%) في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة.

ولا بد من الإشارة إلى الجهود والأموال التي تخصصها الدول النامية بغرض تطوير قطاع المعلومات، فقد جاء في دراسة مستقلة أن منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا تنفقان (75) مليار درهم سنويا على تقنية المعلومات، ومن المتوقع أن تنمو إلى (95) مليار دولار في غضون ثلاثة سنوات قادمة[1]. وتحتل السعودية المرتبة الاولى بين الدول العربية في الانفاق على تطوير قطاع المعلومات، تليها الإمارات ثم الأردن واليمن وسوريا. ويعد الأردن من الدول المبادرة إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات رغم إمكانياته المحدودة. ونشير هنا بوجه خاص إلى دور القطاع العام ممثلاً بالوزارات والدوائر المختلفة التي تعمل على وضع ورسم سياسات، وإعداد خطط وطنية تأخذ بالاعتبار خصوصية كل وزارة بطريقة تحقق أهدافها من خلال التطبيقات الحديثة لتكنولوجيا المعلومات المناسبة[2].

ويرى الكثيرون أن ثورة تكنولوجيا الاتصال قد سارت على التوازي مع ثورة تكنولوجيا المعلومات، التي كانت نتيجة لتفجر المعلومات، وتضاعف الإنتاج الفكري في مختلف المجالات. وظهور الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفق، وإتاحته للباحثين والمهتمين ومتخذي القرارات في أسرع وقت بأقل جهد، عند طريق استخدام أساليب جديدة في تنظيم المعلومات التي تعتمد بالدرجة الأولى على الحاسوب واستخدام تكنولوجيا الاتصال لمساندة مؤسسات المعلومات ودفع خدماتها لتصل عبر القارات.

وهكذا فإنه لا يمكن الفصل بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، فقد جمع بينهما النظام الرقمي الذي تطورت إليه نظم الاتصال، فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات، وهو ما نلمسه واضحا من التواصل بالفاكس عبر شبكات الهاتف، وفي بعض الأحيان مرورا بشبكات أقمار الاتصالات.. وقد تمكنت الدول المتقدمة من قطع شوط كبير في مجالات التعليم عن بعد من خلال هذه التكنولوجيا[3]. وبذلك انتهى عهد استقلال نظم المعلومات عن نظم الاتصال، وتطور كل في طريق كما كان الحال في الماضي، ودخلنا عصراً جديداً للمعلومات والاتصال يسمى الآن. Computer Communication.com[4].

وعلى صعيد الجغرافيا، فقد انتشرت مؤخراً استخدامات هذه التقنيات الحديثة مثل تقنيتي نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد لتنفيذ الأعمال والمشاريع والخطط والبرامج التنموية إذ تمتاز هذه التقنيات الحديثة بالأدوات اللازمة التي يمكن الاستفادة منها في مختلف العلوم الطبيعية والهندسية والإجتماعية وفي مختلف جوانب الحياة، كما تقدم الدعم الفني لصناع

القرار والإداريين لاتخاذ قرارات متوازنة فيما يتعلق بالموارد الطبيعية والبشرية، إضافة إلى الاستفادة منها في البحوث العلمية وخطط التنمية.

ويعد المركز الجغرافي الملكي الأردني مؤسسة وطنية رائدة، في مجال أعمال المساحة الأرضية والجوية والفضائية ونظم المعلومات الجغرافية وتقييم وانتاج الخرائط بأنواعها المختلفة محلياً وإقليمياً وعالمياً، ولم يقتصر دور المركز منذ تأسيسه منذ عام 1975 على تغطية احتياجات القطاعين العام والخاص داخل المملكة بحاجتها من الخرائط والأعمال والخدمات المساحية والمعلومات الجغرافية والأطر البشرية المؤهلة في هذه المجالات، بل تعداها إلى تنفيذ مشاريع متعددة على المستويين الإقليمي والعالمي وبكفاءة عالية.

وقد قام المركز الجغرافي منذ البداية بالإهتمام بتوفير الأجهزة اللازمة للعمل وتابع تحديث مقتنياته حسب مقتضيات العصر. وقام بإنشاء مختبرات تضم أجهزة وبرمجيات متقدمة تعمل على تحويل الصور الجوية إلى بيانات رقمية، ومعالجة وتحليل الصور الفضائية رقميا وإجراء مزيد من البحوث والدراسات المتقدمة المتعلقة بالكشف عن الموارد الطبيعية واستعمالات الأراضي، وتحديث الخرائط والكشف عن الآثار المدفونة تحت الأرض، والتصحر، والتلوث البيني، ودراسة انكماش البحر الميت، ووادي عربة، وخليج العقبة وغيرها.

ويتوفر لدى المركز عدة أنظمة متقدمة في المساحة كأجهزة التوقيع العالمي (GPS) المرتبطة بمنظومة الأقمار الصناعية لتحديد الإحداثيات، ونظم المعلومات الجغرافية (GIS)، ونظم تحليل المرئيات الفضائية رقميا، ومعدات رسم الخرائط،والأجهزة الفوتوغرامترية الرقمية المحوسبة. ويتوفر كذلك مختبرات تصوير ملونة وعادية لتكبير وتصغير المخططات والخرائط ومطابع رقمية ملونة حديثة [(5)].

ومن المؤكد أن ثمة علاقة ارتباط بين استخدام التقنيات الحديثة وعمل المركز، فالتقنيات الحديثة بتطبيقاتها المختلفة تلعب دوراً حيوياً وهاماً في تحسين إنتاجيته سواء كان دائرة حكومية أو خاصة، ولذا نجد بأن هناك جدلا محتدا ما بين إدارات هذه المراكز والعاملين للوقوف على كيفية استخدام هذه التقنيات بذلك الشكل الذي يحقق الأهداف المنشودة، حيث أن هذه التطورات الهائلة فيها قد أسهمت في تطوير الإنتاج وتحسينه مثل:

- تخفيض زمن الإنتاج وتحسين الدقة: فمثلاً بدلا من أن كان إنتاج خريطة يحتاج إلى أكثر من يوم نجد الآن وباستخدام الحاسوب يمكن إنجازه في أقل من ساعة. وباستخدام الحاسوب قلت كثيراً من الأخطاء التي كانت تنتج من الإنسان في إنتاج الخرائط نتيجة لعوامل الطقس، وإرهاق الأعصاب، والحالة السيكولوجية وكل هذا أدى إلى تحسين الدقة.

- تخفيض العمالة: كانت في الماضي مختبرات رسم الخرائط تكتظ بالأيدي العاملة وذلك للحاجة إليهم في الرسم، والخط، والتلوين، أما الآن فيمكن لعامل واحد وبفضل استخدام نظم المعلومات الجغرافية أن يحل مكان ثلاثة عمال عما كان عليه في الماضي، وهذا يعتبر نوعاً من تقليل التكلفة غير المباشر.
- تخفيض التكلفة: بالنظر إلى الفائدتين المذكورتين أعلاه نجد أنهما يصبان في تقليل التكلفة وحسب النظريات الاقتصادية فإن الوقت مال وتخفيض زمن الإنتاج والعمالة يعني كسبا ماليا. وهنا لابد من الإشارة إلى أن التكلفة المبدئية لإقامة نظم المعلومات الجغرافية قد تكون عالية، ولكن العائد سوف يكون كبيراً في شكل تنمية الكوادر البشرية وتأهيلها (Human Development). كما تساعد إدارة المعلومات في زيادة الكفاءة وزيادة نسبة التكلفة إلى الفائدة وغيرها من المجالات(6).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يواجه العاملون في المؤسسات الحكومية الأردنية تحديات كبيرة جداً، نظرا للتطور الكبير الذي تشهده الدولة، ونظرا للتطور الهائل في مجال التقنيات الحديثة، لاسيما وأن الأردن يدخل برامج واستراتيجيات الحكومة الإلكترونية التي تتطلب وبشكل ضرورية توفر نظام تكنولوجي فعال يؤدي إلى تمكينهم من استخدام هذا النظام بشكل فعال الأمر الذي يؤدي إلى تحسين الأداء الإداري. وضمن المتطلبات الحديثة لمواكبة التطورات في بيئة العمل، تبرز عملية استخدام التقنيات الخرائطية بشكل خاص والجغرافية بشكل عام، كمتطلب رئيسي لمجاراة تلك التطورات الكبيرة. لذا فإن هذا الاستخدام من شأنه أن يؤثر بشكل أو بآخر على أداء العاملين في تلك الإدارات وتتمثل مشكلة الدراسة الراهنة في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: **"ما مدى استخدام وتأثير التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني"**. في غياب معرفة طبيعة التغيرات التي طرأ ت على أدائه بفضل استخدام تلك التقنيات في دوائره المختلفة.

وينبثق عن السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية:

س1: ما مدى استخدام التقنيات الحديثة في المركز الجغرافي الملكي الأردني؟

س2: ما تأثير استخدام التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني في مجالات: إنتاج الخرائط، وبناء قاعدة معلومات جغرافية وتطوير الموارد البشرية، وكفاءة الأداء وانتاج مخرجات من مستوى أفضل؟

س3: هل توجد فروق ذات دلالة احصائية لأثر استخدام التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني تعزى لمتغيرات:النوع الإجتماعي، العمر، المؤهل العلمي،سنوات الخبرة للعاملين بالمركز الجغرافي الملكي الأردني؟

فرضيات الدراسة:

يمكن صياغة فرضيات الدراسة على النحو التالي:

الفرضية الرئيسية الأولى: لا توجد علاقة دالة إحصائيا (α =5 0,0) لتأثير التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني في عينة الدراسة.

ويتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

1-1 لا توجد علاقة دالة إحصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على إنتاج الخرائط.

2-1 لا توجد علاقة دالة احصائيا (α =0,05) لأثر التقنيات الحديثة في بناء قاعدة معلومات جغرافية.

3-1 لا توجد علاقة دالة احصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة في تطوير الموارد البشرية العاملة في المركز الجغرافي الملكي الأردني.

4-1 لا توجد علاقة دالة احصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على كفاءة الأداء في المركز الجغرافي الملكي الأردني.

الفرضية الرئيسية الثانية: لا توجد فروق دالة إحصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الملكي الجغرافي تعزى للمتغيرات الشخصية لافراد عينة الدارسة.

ويتفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

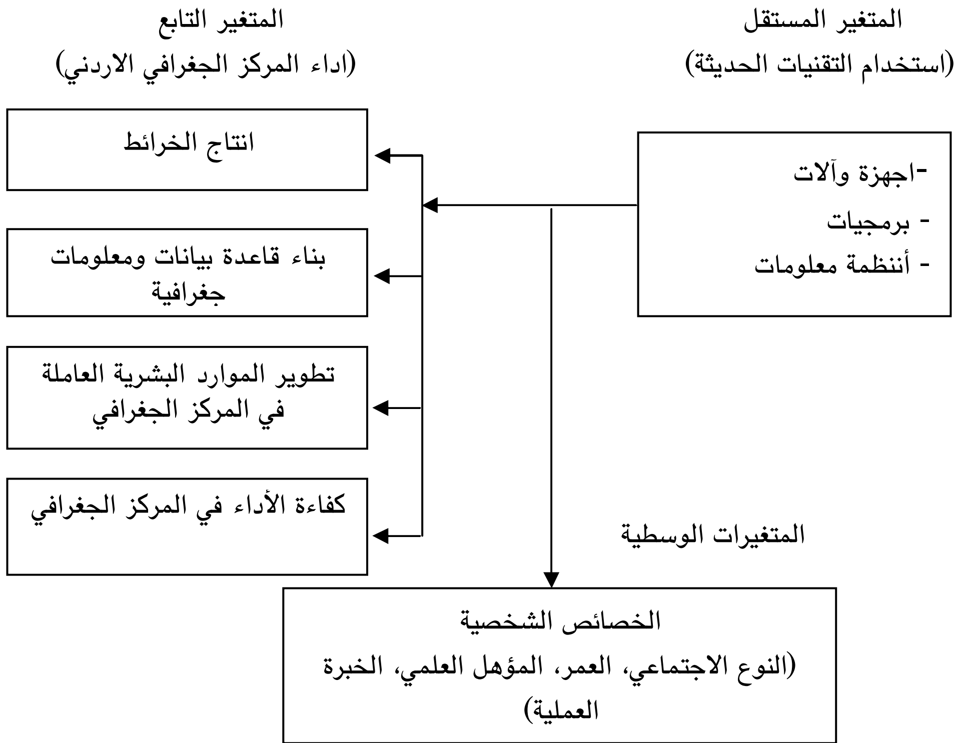
1-2 لا توجد فروق دالة إحصائيا(α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير النوع الاجتماعي.

2-2 لا توجد فروق دالة إحصائيا(α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني تعزى لمتغير العمر.

3-2 لا توجد فروق دالة إحصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني تعزى لمتغير المؤهل العلمي.

4-2 لا توجد فروق دالة إحصائيا (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة.

ويوضح الشكل (1) أسلوب الدراسة



شكل (1): أسلوب الدراسة

الدراسات السابقة:

أجريت دراسات سابقة حول أثر نظم المعلومات الجغرافية، والاستشعار عن بعد، والنظام العالمي لتحديد المواقع، كتقنيات حديثة تؤثرعلى عمل او اختصاص المؤسسات المعنية بذلك.

وقد شهدت السنوات الماضية اتجاهاً عاماً يرمي إلى الاستفادة القصوى من نظم المعلومات الجغرافية في مجالات عديدة، ونظراً لتعدد مجالات هذه الدراسات فسيقتصر الباحث على عدد منها:

1- الدراسات التي تناولت تقنية نظم المعلومات الجغرافية والإستشعار عن بعد:

- أشار الشهري (2007)(7) إلى أهمية استخدام نظم المعلومات الجغرافية في مجال دراسة المياه والتحليل الهيدرولوجي الذي طبق في دولة الامارات العربية المتحدة، حيث سجلت كل الفحوصات الفيزيائية للماء والفحوصات الكيمائية على قاعدة بيانات تدار بواسطة برنامج أوركل (Oracle) وتم وضع كل المعلومات الجغرافية على برمجية (Arc info).

- استخدم العذبة وآخرون (2004)[8] برنامج نظم المعلومات الجغرافية "لتقدير احتياجات مياه الري في السعودية"، وقد طوروا برنامجاً حاسوبياً باستخدام نظم المعلومات الجغرافية لتقدير الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية في السعودية، وتمكن الباحثون من تحديد المنطقة او المناطق التي يرغب في معرفة احتياجات الري لها من الخريطة الرقمية للمملكة العربية السعودية.

- ناقش لاندر (Landare, 2008) اثر نظم المعلومات الجغرافية في تقدير النمو العمراني وتغير استعمالات الارض، ونتائجها على التوزيع السكاني لمحطات الاطفاء، ومناطق الحرائق ضمن اطار الكلف والمنافع مطبقاً ذلك على مدينة زوتفن (Zotphen) الهولندية كحالة دراسية وبين قدرات نظم المعلومات الجغرافية في إعادة اختيار وتوزيع مواقع محطات الاطفاء من خلال الاسئلة التالية:

هل المنطقة مغطاة بمحطات الإطفاء؟ وأن لم يكن، فكيف توزع محطات الإطفاء بشكل مثالي؟ وما هي المشاكل المرورية التي قد تواجهها في لحظات مختلفة من اليوم؟

ولاختبار ملاءمة تقنية نظم المعلومات الجغرافية في إجابة مثل هذه الاسئلة استعمل (لاندر) تطبيقات Vertical Mapper وRoute finder في برنامج MapInfo Professional حيث قام بترقيم الطرق يدوياً وقام بانتاج خرائط لمناطق توزيع الخرائط والطرق المثلى للوصول اليها.[9]

- واستخدم النعيمي (2009) "تقنية نظم المعلومات الجغرافية في الشركة السعودية للكهرباء منطقة اعمال الغربية" بالاعتماد على نظام الـ GIS في تحديد احداثياتها وتوصل بعد ذلك إلى اختصار الوقت المستغرق للوصول لموقع المشترك من 60-90 دقيقة، حيث اصبح الوقت المستغرق من 7-10 دقائق وذلك في عمليات أعادة التيار الكهربائي للمشترك.[10]

- وطبق العمرو (2004)، تقنية نظم المعلومات الجغرافية على الخدمات الصحية اما لتقويم كفاءة تلك الخدمات في المدن.[11] ودراسة الظاهر (2004)، حيث استخدم نظم المعلومات الجغرافية في دراسة مراكز الرعاية الصحية في محافظة الجهراء بالكويت باستخدام نظم المعلومات الجغرافية.[12] وكذلك دراسة العمرو وآخرون حيث استخدموا تقنية نظام المعلومات الجغرافية في مجال التعليم في "تقويم كفاءة التعليم الابتدائي في مدينة بعقوبة في العراق"[13].

ونظرا لأهمية استخدام التقنيات الحديثة في الجغرافيا تم عقد عدة ندوات بهذا الخصوص منها:

- ندوات الجمعية التونسية للإعلام الجغرافية عام 2008[14]، وندوة ابو ظبي عام 2008[15]، وندوة في مصر عام 2009[16].
- قام الشاعر (1993)، بتوظيف الصور الجوية والمناظر الطبيعية في دراسة قام بها بعنوان "دراسة التوسيع العمراني في مدينة الرياض باستخدام الصور الجوية والمناظر الطبيعية" عام 1993 بهدف معرفة مساحة المنطقة المبينة لمدينة الرياض بين (1950-1989)، وكيف تطورت وما العوامل التي يمكن أن تعزى إليها عملية التوسع العمراني؟ ومن اهم النتائج التي توصل اليها ان متغيري عدد السكان وحجم ميزانية الدول كان لها دور بارز في تفسير التوسع العمراني بالمدينة.[17]

وفي دراسة اخرى قام الشاعر والناصر (1999)، باستخدام الصور الجوية والاستشعار عن بعد في دراسة تغيرات استخدام الاراضي في مدينة العين في الامارات العربية المتحدة وتوصلا إلى رسم خرائط ثلاثة لاستخدامات الارض في العين، موضحانً الاختلافات في استخدامات الارض، وكذلك امكانية التنبؤ مستقبلاً بحالة استخدامات الارض، وخارطة مقدمة للتنمية لاستخدام امثل للأرض ومصادرها. [18]

2- الدراسات التي قوّمت اثر استخدام التقنيات الحديثة على أداء العاملين:

- تناولت غادة عبد الجواد (2005) دراسة بعنوان أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء العاملين في الأجهزة الحكومية في الأردن: دراسة ميدانية.

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف الى أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء العاملين في الأجهزة الحكومية في الأردن، وتكونت عينة الدراسة من (491) موظفا من العاملين فيه، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين استخدام التكنولوجيا وأداء العاملين في مجالات: حجم الأداء، نوعية الأداء، وسرعة الإنجاز، كفاءة الأداء، وتبسيط العمل. ولدى اختبار الفرضيات مع المتغيرات الوسيطة تبين عدم وجود فروق في استخدام التكنولوجيا والأداء تبعا لمتغيرات الجنس والعمر والوظيفة. ووجود فروق في الاستخدام والأداء تبعا ًلمتغيري المؤهل العملي والخبرة[19].

- قام النسور (2004)، بدراسة أثر تكنولوجيا المعلومات على تطوير كفاءة التخطيط الإقليمي في إقليم الوسط، وبلغ حجم عينة الدراسة 123 موظفا أي بنسبة 57% من مجتمع الدراسة. وهدفت دراسته إلى تشخيص الفجوة بين العرض والطلب في مجال تكنولوجيا المعلومات الموجهة نحو التخطيط الإقليمي في الأردن، وبيان مدي التنسيق بين القطاعين العام والخاص من جهة وهيئات التخطيط الإقليمي من جهة أخرى في مجال استخدام تكنولوجيا

المعلومات مع تحديد العوامل المؤثرة في هذا الواقع وتوظيف تكنولوجيا المعلومات في مجال التخطيط الإقليمي حسب معايير تحقيق الكفاءة القصوى لعملية التخطيط الإقليمي. وتوصلت الدراسة إلى أن توقير أجهزة الحاسوب، ونوعية برمجيات النظام والبرمجيات المطبقة والشبكات المتوفرة وتوفر الأساليب الكمية، ونظم المعلومات الجغرافية المتوفرة في الهيئات التخطيطية في إقليم الوسط تؤثر على رفع كفاءة التخطيط الإقليمي في إقليم الوسط.[20]

- وناقشا تسودرس وديميل (2004)، أثر تكنولوجيا المعلومات على مؤسسات التخطيط وعمليات التخطيط الحضري، وتربط التطور السريع في التكنولوجيا وتطبيقاتها الحضرية مع السوق من خلال المؤسسات الخاصة والتي تعمل على فتح أسواق جديدة وتقديم وإنتاج أصناف جديدة من السلع والخدمات. وتوصلت الدراسة إلى الأثر الإيجابي لتكنولوجيا المعلومات على عملية التنمية الحضرية، وضرورة الاعتماد عليها بصورة أكبر في المناطق الحضرية وبالذات في المدن وخاصة في مجالات تأثيرها على القطاع الخاص.[21]
- يناقش هو (F.Hou. 2003) "تأثير استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء مؤسسات الاعمال في تايون" للكشف عن العلاقة الممكنة بين استخدام تكنولوجيا المعلومات والأداء للمؤسسات التجارية في تايون. وترى فرضية الدراسة وجود علاقة مهمة بين استخدام التكنولوجيا والأداء المؤسسي. واوضحت النتائج وجود علاقة ايجابية ذات دلالة إحصائية بين استخدام تكنولوجيا الاتصال وأداء المؤسسات في تايوان.[22]
- تناول تالفيت (2003)، تأثير التطبيقات المكانية لتكنولوجيا المعلومات على عملية التخطيط في الإقليم والمدن، كما استعرض الفرق في الأداء عند المخططين وأثر التعليم والمهارات المكتسبة والعمر في الوصول إلى كفاءة الخطط والبرامج الإقليمية. توصلت الدراسة الى أن تكنولوجيا المعلومات ذات أهمية كبيرة كوسيلة لتحقيق التنسيق والانسجام بين خطط التنمية الاقليمية. وأوصى بضرورة التركيز على زيادة مهارات المخططين للوصول الى خطط ذات جدوى وفاعلية أكثر.[23]
- تناول الأعور (1999) الحاسوب والأداء الوظيفي، دراسة تطبيقية على جهاز الأمن العام الأردني. للتعرف الى أثر استخدام الحاسوب في جهاز الأمن العام الأردني على الأداء الوظيفي، ويتكون مجتمع الدراسة من العاملين على أجهزة الحاسوب في إدارة ترخيص السواقين والمركبات وإدارة الحاسب الآلي وإدارة المعلومات الجنائية وإدارة الإقامة والحدود في جهاز الأمن العام الأردني، وعددهم (98) مفرده. وقد توصلت الدراسة إلى أن استخدام الحاسوب أدى إلى تحسين رضا العاملين، وأن هنالك علاقة طريدة بين المتغيرات الوسطية

مجتمعة، والأداء الوظيفي. وأن استخدام الحاسوب أدى إلى تحسين الرقابة والإشراف، واستقرار العمل، والإبداع والمبادرة عند العاملين، ودرجة رضا العاملين تؤثر إيجابيا على الأداء الوظيفي، وأوصت الدراسة بتطوير مهارات وقدرات العاملين على أجهزة الحاسوب من خلال عقد برامج تدريبية تناسب احتياجاتهم وتزودهم بالقدرات والفوائد المناسبة لتحسين إنتاجيتهم وأدائهم[24].

- وناقشا امل الفرحان ومحمد الطراونة (1997) اثر التكنولوجيا، والبحث والتطوير والتدريب على إنتاجية القطاعين العام والخاص في الأردن: دراسة تحليلية مقارنة.

هدفت الدراسة إلى قياس مدى اهتمام مؤسسات القطاعين العام والخاص في الأردن بتكنولوجيا المعلومات، والبحث والتطوير والتدريب وأثر ذلك على إنتاجية هذه المؤسسات، وتكون مجتمع الدراسة من (128) شركة مدرجة في دليل سوق عمان المالي، وقد بينت الدراسة قلة اهتمام القطاعين بالجوانب كافة، باستثناء اهتمام القطاع العام والخاص بالتكنولوجيا، ووجود علاقات موجبة بين هذه الجوانب والانتاجية والبحث والتطوير، ولا تختلف في مجال التدريب.[25]

يتضح من الدراسات السابقة عدم وجود دراسة تتناول اهمية التقنيات وأثرها على الاداء المؤسسي كالمؤسسات المتخصصة مثل المركز الجغرافي الملكي الاردني، إلا أن الباحث استفاد منها في الاطار النظري للبحث، كما أنها تبقى رائدة لا سيما انها تناولت موضوعاً جديداً في الدراسات السابقة.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات أهمها:

1. تبحث في استخدام التقنيات الحديثة في الاداء المؤسسي مع تطبيق على اداء المركز الجغرافي الملكي الأردني كمؤسسة متخصصة في إنتاج الخرائط المختلفة باستخدام تقنيات الجغرافية الحديثة. لذا تكمن أهميتها في موضوعها، وتفتح الباب لدراسات أخرى في هذا المجال.
2. التعرف الى درجة وعي العاملين في المركز الجغرافي الأردني الى أهمية إستخدام التقنيات الحديثة في إنجاز الخرائط وغيرها.

التعريفات الإجرائية:

- الاثر:- ويقصد به في هذه الدراسة، التغير النوعي الذي أحدثته التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني، وجودت الإنتاج.
- التقنيات الحديثة: يقصد بها الآلات والأجهزة والبرمجيات التي تستخدمها دوائر المركز الجغرافي الملكي الأردني في إنجاز أعماله آليا بدلا من الطرق التقليدية وتتمثل في الحاسب، الفاكس والانترنت والبريد الالكتروني وبرامج تطبيقات التقنيات الحديثة (متغير مستقل).
- الاداء: ويقصد به في هذه الدراسة الأسلوب والكيفية والزمن المستغرق في أنجاز الأعمال، وبناء قاعدة بيانات ومعلومات جغرافية (متغير تابع).
- المتغيرات: اعتبر استخدام التقنيات الحديثة في هذه الدراسة كمتغير مستقل، وأداء المركز الجغرافي الأردني كمتغير تابع.الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في المركز الجغرافي الملكي الأردني والبالغ عددهم (232) أما عينة الدراسة فقد اقتصرت على جميع العاملين الذين يستخدمون التقنيات الحديثةا لتحقيق غايات وأهداف المركز[26]. وقد بلغ عددهم وفقاً لهذا التحديد (137) موظفاً وموظفة تمت دراستهم عن طريق أسلوب الحصر الشامل. ولم تشمل عينة الدراسة الحراس والسائفين والمراسلين والسكرتارية لعدم تعاملهم مع التقنيات الجغرافية الحديثة المطبقة في المركز الجغرافي الملكي الأردني. وفيما يلي خصائص أفراد عينة الدراسة الجدول (1).

جدول (1): خصائص أفراد عينة الدراسة*

المتغير	الفئات	العدد	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكر	88	64.2
	انثى	49	35.8
العمر	20 - أقل من 25 سنة	17	12.4
	25- أقل من 30	38	27.7
	30 - أقل من 35	29	21.2
	35 - أقل من 40	20	14.6
	40 فأكثر	33	24.1

المتغير	الفئات	العدد	النسبة المئوية
المؤهل العلمي	ثانوية عامة ودبلوم	90	65.7
	بكالوريوس	45	32.8
	دراسات عليا	2	1.5
الخبرة	أقل من 5سنوات	36	26.3
	10-5	50	36.5
	15-11	22	16.1
	16 فأكثر	29	21.2

* المجموع يساوي (137) مفردة لكل متغير والنسبة 100%

أداة الدراسة:

تكونت أداة الدراسة من استبانة تقع في قسمين تناول القسم الأول منها البيانات الأساسية لأفراد عينة الدراسة كالنوع الاجتماعي، والعمر، والمؤهل العلمي، والخبرة.

وتكون القسم الثاني من (48) فقرة بحيث تقيس مدى استخدام التقنيات الحديثة وأثر هذا الاستخدام على أداء المركز الجغرافي الأردني وذلك على النحو التالي:

1. استخدام التقنيات الحديثة ويقاس بالفقرات من (8-1).
2. في مجال إنتاج الخرائط ويقاس بالفقرات من (18-9).
3. في مجال بناء قاعدة بيانات جغرافية ويقاس بالفقرات من (28-19).
4. في مجال تطوير الموارد البشرية ويقاس بالفقرات من (36-29).
5. في مجال تطوير كفاءة الأداء ويقاس بالفقرات من (48-37).

وقد وضعت الفقرات على مقياس ليكرت الثلاثي بحيث أعطيت ثلاث درجات للموافق ودرجتان للمحايد ودرجة للمعارض. وللتعرف الى الحد الأعلى والأدنى للمقياس الثلاثي فقد تم أجراء الخطوات التالية للحكم على استخدام تأثير التقنيات الحديثة المحتملة على أداء المركز الجغرافي الأردني بكافة مجالاته.

المدى = أعلى قيمة في المقياس - أدنى قيمة (1-3) = 2.

طول الخلية = المدى ÷ عدد خلايا المقياس (3÷2) = 0.66 وبالتالي يصبح طول الخلايا:-

1.66 - 1 (معارض) أي استخدام وتأثير قليل للتقنيات الحديثة.

2.33 - 1.67 (محايد) أي استخدام وتأثير متوسط للتقنيات الحديثة.

3.00 - 2.34 (موافق) أي استخدام وتأثير كبير للتقنيات الحديثة.

ولغاية التحقق من صدق وثبات الأداة فقد تم استخدام الصدق الظاهري وصدق المحتوى للتأكد من بناء مكونات الأداة وعلاقاتها بالفروض من جهة، وأنها تسير في نفس التعريفات الإجرائية الواردة في مشكلة البحث، حيث تم عرضها على عدد من الزملاء المتخصصين في الجغرافيا والتقنيات الحديثة، وبعد تلقي ملاحظاتهم تم تعديل الأداة لتصبح صالحة للتطبيق الميداني بشكلها النهائي.

أما ثبات الأداة فقد تم حسابه بالاعتماد على قيمة كرونباخ ألفا (α) للأداة ككل حيث بلغت 94.7 وهي نسبة عالية كونها من أعلى النسبة المقبولة في الدراسات الاجتماعية والإنسانية والبالغة 65% .كما تم حساب قيمة ألفا (α) لمجالات الأداة، (الجدول 2).

جدول (2): قيم ألفا لمجالات الدراسة

الرقم	المجالات	قيمة كرونياخ ألفا
1	مدى استخدام التقنيات الحديثة في المركز	74.5
2	استخدام التقنيات في مجال انتاج الخرائط.	84.8
3	استخدام التقنيات في مجال بناء قاعدة بيانات جغرافية.	85.1
4	استخدام التقنيات في مجال الموارد البشرية.	90.4
5	استخدام التقنيات في مجال الأداء	90.2
	الأداة ككل	94.7

المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة:

تم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS لإجراء المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة ومن خلاله تم اعتماد الاساليب الاحصائية التالية:

1. التكرارات والنسب المئوية والانحرافات المعيارية.
2. اختبار (t) للمجوعة الواحدة .One sample t. test
3. تحليل الانحدار المتعدد والبسيط Simple and multiple regression
4. تحليل التباين ANVOA

نتائج الدراسة ومناقشتها

سيتم عرض النتائج من خلال محورين:-

نتائج التحليل الإحصائي ومناقشتها:

1-1 مدى استخدام التقنيات الحديثة في المركز الجغرافي الملكي الأردني.

يبين الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لفقرات استخدام التقنيات الحديثة في المركز الجغرافي الأردني من وجهة نظر العينة المدروسة.

جدول (3): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لفقرات استخدام التقنيات الحديثة في المركز الجغرافي الأردني

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقه
1	تتبنى المؤسسة الأساليب التكنولوجية الحديثة	2.91	0.332	الأول	مرتفعة
2	تتوفر التقنيات الحديثة في العمل حاسب، انترنت، خرائط، رقمية..الخ)	2.77	0.514	الثاني	مرتفعة
3	تشجع الادارة العاملين على استخدام التقنيات الحديثة	2.45	0.727	السابع	مرتفعة
4	تتناسب التقنيات الحديثة المستخدمة في المؤسسة مع احتياجات العمل	2.75	0.526	الثالث	مرتفعة
5	تهتم الادارة ببرنامج التطوير المستمر في الجوانب المتعلقة بالتقنيات الحديثة	2.53	0.665	الخامس	مرتفعة
6	تقدم الأنظمة والبرمجيات المستخدمة معلومات صحيحة وخالية من الأخطاء.	2.41	0.648	الثامن	مرتفعة
7	تساعد التقنيات الحديثة على تحسين عمليات الاتصال داخل المؤسسة	2.73	0.575	الرابع	مرتفعة
8	القوى البشرية المتوفرة مؤهلة وقادرة على استخدام التقنيات الحديثة	2.46	0.718	السادس	مرتفعة
	المتوسط العام للمجال	2.62	0.360		

يتضح من النتائج أن المركز الجغرافي الأردني يستخدم التقنيات الحديثة في عمله، إذ بلغ المتوسط العام لهذا الاستخدام (2.62) وانحراف معياري (0.360) وهو متوسط مرتفع ويقع ضمن الفئة الثالثة حسب أداة القياس، ويعكس فهماً ووعياً كبيراً في أوساط مجتمع الدراسة حول أهمية التقنيات الحديثة في عمل المركز الجغرافي الأردني سواء كانت هذه التقنيات أجهزة حواسيب، أو برمجيات، أو قواعد بيانات.

وعلى مستوى فقرات الاستخدام، فقد حققت جميع الفقرات متوسطات حسابية مرتفعة تراوحت بين 2.91 للفقرة الأولى، و2.41 للفقرة السادسة. وكانت نسبة الموافقة عليها مرتفعة بالمقارنة مع متوسطات الحكم على الفقرات. هذه الفقرات تدور حول تبني المركز الأساليب التكنولوجية الحديثة، وتوفرها في العمل كالحواسيب، والأنظمة الجغرافية المختلفة، ومناسبة التقنيات مع احتياجات العمل، ومساعدتها في تحسين عمليات الاتصال الداخلي في المركز، واهتمام الادارة ببرنامج التطوير المستمر في الجوانب المتعلقة بالتكنولوجيا.

يستنتج أن التقنيات الحديثة بالمركز الجغرافي الأردني باتت من الأدوات الأساسية والضرورية لمواكبة عصر المعلومات، اضافة الى ما سبق، وجود موقع للمركز الجغرافي الأردني على شبكة الانترنت يقدم المعلومات والبيانات التي تهم الجمهور. وتخصيص إدارة لنظم المعلومات الجغرافية يكون دورها القيام على تشغيل الأجهزة وتطوير استخدام التقنيات الحديثة لدى العاملين في المركز.

وتتفق هذه النتائج مع دراسة عبد الجواد (2005) التي أشارت إلى أهمية استخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات الحكومية الأردنية.

2-1 استخدام التقنيات الحديثة في مجال انتاج الخرائط

يبين الجدول (4) اجابات عينة الدراسة حول استخدام التقنيات الحديثة في مجال انتاج الخرائط.

جدول (4): اجابات عينة الدراسة حول استخدام التقنيات الحديثة في مجال انتاج الخرائط.

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقة
9	سرعة أعداد وتحضير البيانات التي تظهر في الخريطة	2.79	0.492	الثالث	مرتفعة
10	اجراء الكثير من التجارب مثل الشروع في انتاج الخريطة	2.80	0.467	الثاني	مرتفعة
11	الحصول على كثير من الخرائط والمعلومات الكارتوجرافية من تجارب سابقة	2.69	0.536	الخامس	مرتفعة
12	اختيار الشكل الذي ستظهر عليه الخريطة النهائية	2.82	0.473	الأول	مرتفعة
13	اعطاء مصمم الخريطة الحرية في اختيار التصميم المناسب	2.61	0.609	الثامن	مرتفعة
14	تغيير مقياس الرسم ومسقط الخريطة بسهولة	2.59	0.613	التاسع	مرتفعة
15	طباعة الخريطة بالمقياس والمسقط الجديدين	2.76	0.493	الرابع	مرتفعة
16	تعزيز المقدرة على طباعة وانتاج الخرائط لغرض النشر	2.67	0.595	الرابع	مرتفعة
17	اضافة المعالم الحديثة وحذف المعالم التي اختفت	2.68	0.629	السادس	مرتفعة
18	استخدام مواقع الشبكة العالمية لاستعراض الخرائط المشابهة	2.51	0.739	العاشر	مرتفعة
	المتوسط العام للمجال	2.69	0.371		

يتبين من الجدول (4) أن إجابات عينة الدراسة على فقرات مقياس استخدام التقنيات الحديثة في مجال إنتاج الخرائط كانت ايجابية على مستوى المقياس ككل وعلى مستوى كل فقرة على حده، فقد بلغ المتوسط العام للمجال (2.69) والانحراف المعياري (0.371) وهو متوسط مرتفع ويشير إلى أن التقنيات الحديثة تؤثر في عملية إنتاج الخرائط وفقا لمعايير أداة القياس.

وقد ظهر هذا التأثير في الفقرات التي تشير إلى استخدام التكنولوجيا في اختيار الشكل الذي ستظهر عليه الخريطة النهائية (الفقرة 12) متوسط حسابي (2.82) وانحراف معياري (0.473) وبالترتيب الأول، وفي حالة اجراء الكثير من التجارب قبل الشروع في إنتاج الخريطة (الفقرة رقم 10) بمتوسط حسابي (2.80) وانحراف معياري (0.467)، وبالترتيب الثاني وفي سرعة إعداد وتحضير البيانات التي تظهر في الخريطة (الفقرة 9) بمتوسط حسابي (2.79) وانحراف معياري (0.492) وبالترتيب الثالث، وفي طباعة الخريطة بالمقياس والمسقط الجديدين (الفقرة 15) بمتوسط حسابي (2.76) وانحراف معياري (0.493) وبالترتيب الرابع.

كما ظهر تأثير التقنيات الحديثة في مجال إنتاج الخريطة في الفقرات الأخرى التي تتجه في الحصول على كثير من الخرائط والمعلومات من تجارب سابقة، وإضافة المعالم الحديثة وحذف المعالم التي اختفت وتعزيز المقدرة على طباعة وإنتاج الخرائط لغرض النشر..الخ.

أن تقييم أفراد العينة لأثر التقنيات الحديثة في إنتاج الخرائط كان إيجابيا، لا سيما وأن المتوسطات الحسابية لجميع الفقرات مرتفعة، وتتمشى هذه الرؤية مع الدراسات التي أكدت أن العالم شهد خلال العقدين الماضيين ثورة علمية عارمة تمثلت في اتجاهين أساسيين: أولهما الكم الهائل من البيانات من المعلومات وبخاصة الجغرافية منها التي توافرت من المصادر المتنوعة مثل بيانات الاحصاءات والتعدادات، والقياسات العينية، والخرائط المتنوعة والمرئيات الفضائية، والصور الجوية، فضلاً عن القياس الميداني وتعدد اساليبه وتوافر امكانياته.

ويتمثل الاتجاه الثاني في الثورة التكنولوجية وبخاصة تطور أجهزة الحاسب الآلي، وتشعب استخداماتها والعمل عليها، وقد توافرت أجيال وأنواع مختلفة منها بدءاً من الأجهزة العملاقة وحتى الوحدات الشخصية الصغيرة، وفي خطوة لاحقة اتاحت برامج الحاسوب الحديثة إمكانية ربط البيانات والمعلومات بمواقعها الجغرافية عن طريق الإحداثيات، وهو الأسلوب الذي تقوم عليه نظم المعلومات الجغرافية، كما اتاحت إمكانيات القياس والتحليل والتفسير من الصور الجوية واللوحات المرسلة من الأقمار الصناعية واستخراج البيانات والمعلومات وانشاء الخرائط منها.

1-3 استخدام التقنيات الحديثة في مجال بناء قواعد المعلومات الجغرافية:

يبين الجدول (5) إجابات عينة الدراسة حول استخدام التقنيات الحديثة في مجال بناء قاعدة معلومات جغرافية.

جدول (5): اجابات عينة الدراسة حول استخدام التقنيات الحديثة في مجال بناء قاعدة معلومات جغرافية

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقة
19	دعم دراسات ومشاريع المركز عن طريق استخدام نظم المعلومات الجغرافية	2.86	0.406	الاول	مرتفعة
20	معالجة الاقمار الصناعية عن طريق نظام الاستشعار عن بعد	2.76	0.508	السابع	مرتفعة
21	تشغيل وادامة وتحديث نظام المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد	2.76	0.522	السابع مكرر	مرتفعة
22	انتاج خرائط رقمية للأردن	2.82	0.456	الثاني	مرتفعة
23	توفير المعلومات الجغرافية للباحثين	2.79	0.476	السادس	مرتفعة
24	رسم الخرائط والتصاميم والمخططات التوضيحية	2.81	0.462	الثالث	مرتفعة
25	تقديم خدمة الاعارة والرسم الضوئي للخرائط	2.81	0.462	الثالث مكرر	مرتفعة
26	تقديم خدمة تصوير وطباعة الخرائط	2.80	0.482	الخامس	مرتفعة
27	رفع مستوى التعاون مع المؤسسات ذات العلاقة وتبادل المعلومات بينها	2.71	0.608	العاشر	مرتفعة
28	تحديد المواقع المكانية على سطح المكتب	2.76	0.508	السابع مكرر	مرتفعة
	المتوسط العام للمجال	2.75	0.338		

تشير بيانات الجدول (5) أن المتوسط العام الإجابات أفراد العينة حول أثر استخدام التقنيات الحديثة في بناء قاعدة معلومات جغرافية قد بلغ (2.75) والانحراف المعياري (0.338)

وهو متوسط مرتفع ويقع في الفئة الثالثة من معايير أداة القياس. وهو ما يعكس فهماً ووعياً من أفراد العينة لأثر استخدام التكنولوجيا في بناء قاعدة معلومات جغرافية.

وقد جاء مستوى الموافقة على جميع فقرات المجال مرتفعة بدلالة المتوسطات الحسابية التي تروواحت بين (2.81 للفقرة التاسعة عشر و2.429 للفقرة الخامسة والعشرين).

نستنتج مما سبق أن المركز الجغرافي الأردني يعمل من خلال استخدامه للتقنيات الحديثة على بناء قاعدة معلومات جغرافية وتأمين المرجعية المعلوماتية الرقمية واستخدام أنظمة المعلومات المتخصصة لدعم مشاريعه. ومن أبرز التقنيات الحديثة نظم المعلومات الجغرافية التي شرعت الكثير من القطاعات في استخدامها للاستفادة من مردوداتها الفنية والمالية.

4-1 استخدام التقنيات الحديثة في مجال الموارد البشرية.

يبين الجدول (6) اجابات افراد عينة الدراسة حول أثر استخدام التقنيات الحديثة في تطوير الموارد البشرية.

جدول (6): اجابات عينة الدراسة حول استخدام التقنيات الحديثة في مجال تطوير الموارد البشرية

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقة
29	بث روح المنافسة بين العاملين	2.31	0.772	السادسة	متوسطة
30	يحفز العاملين على مواصلة العمل الجيد	2.37	0.782	الرابعة	مرتفعة
31	الكشف عن المشكلات التي تحد من فعالية الانجاز	2.35	0.782	الخامسة	مرتفعة
32	تحقيق الرضى الوظيفي للعاملين	2.19	0.803	السابعة	مرتفعة
33	اضفاء الاهمية على مستخدميها	2.39	0.780	الثالثة	مرتفعة
34	تنمية مهارات وقدرات العاملين بنوع معين من الوظائف	2.55	0.696	الاولى	مرتفعة
35	تشجيع العاملين للالتحاق بدورات تدريبية متخصصة	2.40	0.752	الثانية	مرتفعة
36	التقليل من معدلات التسرب لدى العاملين بالمؤسسة	2.81	0.788	الثامنة	متوسطة
	المتوسط العام للمجال	2.34	0.601		

تعكس إجابات أفراد العينة التي يبينها الجدول رقم (6) حول أثر استخدام التقنيات الحديثة في تطوير القوى العاملة في المركز الجغرافي الأردني اتجاهات ايجابية حول هذا الأثر بمتوسط حسابي (2.344) وانحراف معياري (0.601) أعلى من متوسط أداة القياس، وعلى مستوى الفقرات التي حققت متوسطات حسابية مرتفعة وانحرافات معيارية قليلة. يعتقد افراد عينة الدراسة أن التكنولوجيا الحديثة تعمل على تنمية مهارات وقدرات العاملين بنوع معين من الوظائف وتشجيع العاملين للالتحاق بدورات تدريبية متخصصة، وتضفي الأهمية على مستخدميها، كما تحفز العاملين على مواصلة العمل الجيد، وتساعدهم في الكشف عن المشكلات التي تحد من فعالية الإنجاز.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه العوض (2003) وهو أن استخدام التقنيات الحديثة قد أسهم في تطوير الموارد البشرية، في عدة مجالات "فالعناصر البشرية هي أهم العناصر في أي نظام إذ بدونها لا يمكن لأي نظام أن يحقق أهدافه المرجوة، فالمعدات والآلات والأجهزة وكل وسائل التقنية الحديثة ما هي إلا عناصر خاملة بدون العنصر البشري"[(27)]

5-1 استخدام التقنيات الحديثة في مجال كفاء الأداء

الجدول (7) يبين إجابات أفراد العينة حول أثر استخدام التقنيات الحديثة على الأداء.

جدول (7): إجابات أفراد العينة حول أثر استخدام التقنيات الحديثة على الأداء

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقة
37	سرعة انجاز الأعمال في الوقت المحدد	2.69	0.613	الرابع	مرتفعة
38	تسهيل أداء أعمال المركز الجغرافي	2.75	0.579	الثاني	مرتفعة
39	تحقيق المرونة في أعمال المركز الجغرافي	2.59	0.713	السادس	مرتفعة
40	تقليل الجهد المبذول من العاملين	2.61	0.656	الخامس	مرتفعة
41	الدقة في أعمال المركز الجغرافي	2.79	0.521	الأول	مرتفعة
42	رفع جودة أعمال المركز الجغرافي	2.71	0.571	الثالث	مرتفعة
43	توفير وقت العاملين	2.48	0.729	السابع	مرتفعة
44	تكوين قاعدة معلومات عن ذوي العلاقة	2.40	0.752	التاسع	مرتفعة

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	مستوى الموافقة
45	توفير معلومات تساعد الإدارة في التخطيط	2.37	0.748	العاشر	مرتفعة
46	كشف مواطن القوة والضعف في الأداء	2.42	0.745	الثامن	مرتفعة
47	معرفة تطور أداء العاملين بعد التدريب	0.231	0.871	الحادية عشر	متوسطة
	المتوسط الحسابي العام للمجال	2.56	0.482		

يتبين من الجدول (7) أن المتوسط الحسابي العام لفقرات أثر استخدام التقنيات حديثة في مجال كفاء الأداء مرتفعاً إذ بلغ (2.56) وانحراف معياري (0.482) وهو متوسط مرتفع وتبلغ نسبته 85.3% مما يشير أن هناك أثراً للتقنيات في مجال كفاءة أداء العاملين في المركز الجغرافي الأردني.

وقد أشارت المتوسطات الحسابية التي تروإحت بين (2.79) للفقرة 42 و(2.37) للفقرة 45 هذا الأثر، باستثناء الفقرة (47) التي حققت متوسطاً حسابياً متوسطاً.

وقد أثبتت الدراسات التي أجريت وجود علاقة بين استخدام التقنيات الحديثة والأداء في عدد من القطاعات الحكومية كدراسة العنقري الذي توصل إلى اغلب العاملين على وسائل تقنية المعلومات في الأجهزة الأمنية السعودية يرون أن تلك الوسائل تعمل على رفع مستوى كفاءة أدائهم بدرجة عالية عند الاعتماد عليها،[(25)] ودراسة (الذيابي 2008) الذي توصل إلى أن استخدام التنقيات الحديثة تعمل على تطوير إجراءات العمل الإداري بكافة مراحلها.[(28)]

كما يتبين من دراسات أخرى أن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات قد ساهمت في تحسين الأداء الوظيفي لشبكة الطرق والمواصلات في الألفية الثالثة.

ثانياً: اختبار فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسية:

لا توجد علاقة دالة إحصائياً (α =5 0,0) لأثر استخدام التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني في كافة المجالات (إنتاج الخرائط، بناء قاعدة معلومات جغرافية، تطوير الموارد البشرية، وكفاءة الأداء). لإختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار المتعدد، والجدول (8) يبين ذلك.

جدول (8): تحليل الانحدار المتعدد

المصدر	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	الارتباط R	معامل لتحديد R^2
الانحدار المتعدد	1.813	23.74	0.000	064.1	041.1

يتبين من الجدول (8) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية لأثر استخدام التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني بكافة مجالاته (إنتاج الخرائط، بناء قاعدة معلومات جغرافية، تطوير الموارد البشرية، وكفاءة الأداء) حيث بلغت قيمة (ف)23.074 وهي دالة عند مستوى أقل من (0.01) وقد بلغت قوة العلاقة بين المتغيريين 64.1% بالاعتماد على قيمة R في حين استطاع هذا المتغير أن يفسر 41.1% من التغير في عمل المركز الجغرافي الأردني بالاعتماد على قيمة R^2 في المجالات المشار إليها أعلاه.

الفرضية الفرعية الأولى: لا توجد علاقة دالة إحصائيا (α =1 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على إنتاج الخرائط لاختيار هذه الفرضية تم استخدام الانحدار البسيط Simple regression والجدول (9) يبين ذلك.

جدول (9): نتائج تحليل الانحدار البسيط

قيمة (ت) المحسوبة	مستوى الدلالة	معامل الارتباط R	معادل التحديد R^2	المعامل المعياري BETA	نتيجة الفرضية
6.690	*0.100	48.7	32.8	0.487	رفض وقبول البديلة

* ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.01)

تشير نتائج الجدول (9) إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية لأثر استخدام التقنيات الحديثة في إنتاج الخرائط بالمركز الجغرافي الأردني حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (6.690) وهي دالة عند مستوى (0.000) أي أقل من (0.01) وقد بلغت قوة العلاقة بين هذين المتغيرين 48.7% بالاعتماد على قيمة R في حين استطاع هذا المتغير ان يفسر 32.8% من التغير في إنتاج الخرائط بالاعتماد على معادل التحديدR^2 وهذا يدل على أن استخدام التقنيات الحديثة سيؤدي إلى إنتاج خرائط دقيقة، ومتطورة مع تطور التقنيات المستخدمة. كما يتضح من قيمة المعامل المعياري BETA البالغة 48.7% بأن زيادة اهتمام المركز الجغرافي الاردني بمتغير استخدام

التقنيات الحديثة بمقدار وحدة انحراف واحد سيؤدي إلى الارتقاء بمستوى انتاج الخرائط بمقدار 48.7 في المركز المذكور.

الفرضية الفرعية الثانية: لا توجد علاقة دالة إحصائياً (α =1 0,0) لأثر التقنيات الحديثة في بناء قاعدة بيانات جغرافية ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار البسيط والجدول (10) يبين ذلك:

جدول (10): يوضح نتائج تحليل الانحدار البسيط

قيمة (ت) المحسوبة	مستوى الدلالة	معامل الارتباط R	معادل التحديد R^2	BETA	نتيجة الفرضية
*7.598	0.000	57.3	32.9	57.3	رفض الفرضية وقبول البديلة

* تعني ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.1)

بمطالعة نتائج اختبار تحليل الانحدار البسيط نجد أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي (7.598) وهي دالة إحصائية عند أقل من مستوى (0.01) وعليه نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، وهذا يعني وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام التقنيات الحديثة في المركز الجغرافي الأردني وبناء قاعدة بيانات جغرافية ويتضح أيضاً أن قوة العلاقة بين المتغيرين قد بلغت 57.3% بالاعتماد على قيمة R واستطاع هذا المتغير أن يفسر 32.9% من التغير في قاعدة البيانات الجغرافية بالاعتماد على قيمة R^2. كما يتضح من قيمة المعامل المعياري BETA البالغة 57.3% بأن زيادة أهتمام المركز الجغرافي الاردني بمتغير استخدام التقنيات الحديثة بمقدار وحدة انحراف واحد سيؤدي إلى الارتقاء بمستوى انتاج الخرائط بمقدار 57.3 في المركز المذكور.

الفرضية الفرعية الثالثة: لا توجد علاقة دالة إحصائياً (α =0,01) لأثر التقنيات الحديثة في تطوير الموارد البشرية.

جدول (11): لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار البسيط، والجدول (11) يبين ذلك.

قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة	الارتباط R	معادل التحديد R^2	BETA	نتيجة الفرضية
0.68	0.497	0.48	0.230	3.0	مقبول

يتبين من الجدول (11) أن قيمة (ت) المحسوبة قد بلغت (0.68) وهي غير دالة إحصائياً عند مستوى أقل من (0.01) بمعنى عدم وجود علاقة لأثر التقنيات الحديثة في تطوير القوى البشرية.

الفرضية الفرعية الرابعة: لا توجد علاقة دالة إحصائياً (α = 0,01) لأثر التقنيات الحديثة على كفاءة أداء المركز الجغرافي الأردني. لاختيار هذه الفرضية تم استخدام تحليل الانحدار البسيط والجدول (12) يبين ذلك.

جدول (12): نتائج تحليل الانحدار البسيط

قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة	الارتباط R	معادل التحديد R^2	BETA	نتيجة الفرضية
3.184	0.001	48.7	237	48.7	رفض الفرضية وقبول البديلة

يتضح من بيانات الجدول (12) أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين استخدام التقنيات الحديثة وكفاءة الأداء في المركز الجغرافي الأردني حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (3.184) وهي دالة عند مستوى أقل من (0.01) وتتضح هذه العلاقة من خلال الارتباط الذي بلغت قيمته 48.7% ومعامل التحديد R^2 الذي بلغت قيمته 23.7% بمعنى أن الاستخدام استطاع أن يفسر 23.7% من التغير في كفاءة الأداء. ويتضح من قيمة المعامل المعياري BETA البالغة 48.7% بأن زيادة اهتمام المركز الجغرافي الاردني بمتغير استخدام التقنيات الحديثة بمقدار وحدة انحراف معياري واحد سيؤدي ذلك إلى الارتقاء بمستوى كفاءة الاداء بمقدار 48.7% في المركز المذكور.

وفي ضوء ما تقدم، يمكن بيان أي من مجالات اداء المركز الجغرافي الملكي الاردني قد تأثر من غيره من مجالات الاداء باستخدام التقنيات الحديثة في المركز، اعتماداً على قيمة معامل التحديد (R^2) والمعامل المعياري (BETA).

والجدول (13) يوضح ترتيب مجالات الأداء حسب مقدار تأثرها بمتغير استخدام التقنيات الحديثة.

جدول (13): مجالات الأداء حسب مقدار تأثرها بمتغير استخدام التقنيات الحديثة

مجالات الاداء	معامل التحديد (R^2)	المعدل المعياري BETA	الترتيب
انتاج الخرائط	23.8	48.7	2
بناء قاعدة بيانات جغرافية	32.9	57.3	1
تطوير الموارد البشرية	23.0	48.0	4
كفاءة الاداء	23.7	48.7	3

يتضح من الجدول أن مجال بناء قاعدة بيانات جغرافية قد احتل المرتبة الاولى بتأثره باستخدام التقنيات الحديثة حيث بلغ معامل التحديد R^2 (32.9) وبمعامل معياري 75.3، ثم تلاه مجال انتاج الخرائط بالمرتبة الثانية حيث بلغ معامل التحديد R^2 (23.8) ومعامل معياري 48.7، ثم مجال كفاءة الاداء بالمرتبة الثالثة ومجال تطوير الموارد البشرية بالمرتبة الرابعة والأخيرة.

الفرضية الرئيسية الثانية:

لا توجد فروق دالة إحصائية (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغيرات الشخصية والوظيفة لأفراد عينة الدراسة. وقد تفرع عن هذه الفرضية الفرضيات الفرعية التالية:

1. لا توجد فروق دالة إحصائياً (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير الجنس.
2. لا توجد فروق دالة إحصائياً (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير العمر.
3. لا توجد فروق دالة إحصائياً (α =5 0,0) لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير المؤهل العلمي.
4. لا توجد فروق دالة إحصائياً (α =5 0,0) لأثر التقينات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير الخبرة.

لاختبار هذه الفرضية تم استخدام تحليل التباين ذو التصميم الرباعي. والجدول (14) يبين ذلك.

جدول (14): نتائج اختبار تحليل التباين للفرضية الرئيسية الثانية وفروعها

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	نتيجة الفرضية
الجنس	0.223	1	0.223	1.855	0.176	مقبول
العمر	0.142	4	0.036	0.296	0.880	مقبول
المؤهل العلمي	0.205	2	0.102	0.852	0.429	مقبول
الخبرة	0.052	3	0.017	0.145	0.932	مقبول
الخطأ	15.154	121	0.120			
المجموع الكلي	15.724	136				

1-2 النوع الاجتماعي:

يتضح من نتائج الجدول أن قيمة (ف) المحسوبة ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى أقل من (0.05)، وهذا يعني عدم وجود فروق لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تعزى لمتغير النوع الاجتماعي. وقد أكدت المتوسطات الحسابية لكل من الذكور (2.63) والإناث (2.60) هذه النتيجة فهي متقاربة جدا.

ويمكن تفسير ذلك إلى التغير في نظرة المجتمع لعمل المرآة، وخاصة بعد اختفاء الفوارق في التعليم بين الرجل والمرآة مما أدى إلى مشاركتها في جميع المجالات والتخصصات، فقد أصبحت تعمل في معظم الوظائف وخاصة الحكومية منها. حيث تشير الدراسات إلى عدم وجود فروق حقيقية بين الرجل والمرآة تؤثر على أداء العمل، وأن الأعمال التي تقوم بها المرآة لا تتطلب مهارة أقل ولكن قد تتطلب أعمال الرجال والنساء أنواعاً مختلفة من المهارات. ولعل هذه النتيجة تتفق مع دراسة عبد الجواد (2005).

2-2 العمر:

تشير نتائج الجدول إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تبعاً لمتغير العمر. حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة غير دالة عند مستوى أقل من (0.05)، وربما يعود السبب في ذلك إلى وجود أفراد من الأعمار الكبيرة ذو مؤهلات متدنية ليس لديهم خبرات كافية في استخدام التقنيات الحديثة أو طبيعة أعمالهم لا تتطلب ذلك، وأفرادا من الأعمار الصغيرة ومؤهلاتهم مرتفعة وأعمالهم ذات علاقة مباشرة باستخدام التقنيات الحديثة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشهري عام (2005).[29]

3-2 المؤهل العلمي:

يتبين من الجدول عدم وجود فروق دالة إحصائياً لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الأردني تبعاً لمتغير المؤهل العلمي. حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة غير دالة عند مستوى أقل (0.05). تبدو هذه النتيجة منطقية، فاستخدام التقنيات الحديثة لا يفرق بين حامل ثانوية عامة، أو بكالوريوس أو دراسات عليا، فجميع أفراد العينة يستخدمونها أما عن طريق الدراسة أو الخبرة أو الدورات التدريبية. وتختلف هذه النتائج مع عبد الجواد (2005).

4-2 الخبرة:

من مطالعتنا لنتائج الجدول، نجد أن قيمة (ف) المحسوبة غير دالة إحصائياً عند مستوى أقل (0.05). وهذا يعني قبول الفرضية العدمية التي تنص على أنه لا توجد فروق لأثر التقنيات الحديثة على أداء المركز الجغرافي الملكي الأردني تعزى لمتغير الخبرة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الشهري (2005)[30] في السعودية.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة فإنها توص بما يلي:

1- ضرورة الاهتمام في بناء قواعد بيانات جغرافية والتي تتعلق برفع مستوى التعارف بين جميع المؤسسات ذات العلاقة وتبادل المعلومات بينها محليا. وإقامة العلاقات العلمية مع المؤسسات النظيرة عربيا وإقليميا وعالميا.

2- توصي الدراسة بضرورة اهتمام ادارة المركز الجغرافي الملكي الاردني برفع كفاءة الاداء والمتعلقة بمعرفة تطور اداء العاملين بعد التدريب. واستمرار التدريب اثناء الخدمة ونقل التدريب الى الميدان وتطبيقه عمليا.

3- ضرورة اجراء دراسات مماثلة على المؤسسات ذات العلاقة بالجغرافيا ومقارنة نتائجها بنتائج الدراسة الحالية.

Uses and Impacts of Modern Technology on the Royal Jordanian Geographic Center Performance

Hussein Mansour, *Department of Geography, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The main question that this study tries to answer is: To what extent modern technologies are being used by the Royal Jordanian Geographic Centre (RJGC), and how it affects the performance of its employees.

A questioner with has been distributed to 137 (RJGC) employees in four different departments, namely: Map Production, GIS, Human Recourses, and Efficiency Performance Department.

Simple and Multi Regression analysis, ANOVA have been employed. No significant differences in the performance of the (RJGC) employees due to their social, demographic, and educational characteristics i.e (sex, age, level of education, and experience). However, positive impacts have been detected on the performance of the employees due to the level of their utilization of modern technologies.

The study recommends that the (RJGC) employees should be continuously trained to use modern technologies. Shared training programmes with other specialized organizations also required to upgrade the (RJGC) employees. A follow up programmes are also needed to elevate the employees' skills.

قدم البحث للنشر في 2009/4/21 وقبل في 2009/10/15

الهوامش:

1- جريدة الرياض، العدد 114832 الصادر بتاريخ 2009./2/1

2- النسور، بلال هاشم: أثر تكنولوجيا المعلومات في تطوير كفاءة التخطيط الإقليمي: دراسة حالة إقليم الوسط. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البلقاء التطبيقية: كلية الإدارة والتخطيط، الأردن، 2004، ص.1

3- اللبان، شريف: تكنولوجيا الاتصال والجريمة، ص124.

4- المركز الجغرافي الأردني.

5- سعيد، محمد يعقوب: لمحة عن نظم المعلومات الجغرافية. انظر موقع:

K64 faculty.uaeu.ac.ae/myagoub/gis/Arabic_Summary_GIS_HTML.htm

6- العزام، أحمد: الحكومة الإلكترونية في الأردن، إمكانية التطبيق. رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن: جامعة اليرموك، 2001.

- الخوالدة، رياض: أثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على الإبداع الإداري في المؤسسات العامة الأردنية. رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الأردنية، الأردن، 2005.

- J.S,Epley,"Public Relations in the Global Village, An American Prespective". Public Relation Review, 1992.18,114-115

7- الشهري، محمد يعقوب: تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في دراسة المياه. قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الامارات المتحدة، 2007. انظر موقع: http://faculty.uaeu.ac.ae/myagoub

8- العذبة، عبد الرحمن وآخرون: "استخدام نظم المعومات الجغرافية لتقدير احتياجات مياه الري في المملكة العربية السعودية"، مجلة جامعة الملك سعود، م17، العلوم الزراعية (1)، 2004، ص 113- ص 138.

9- Maren Landare: GIS in Response Time Analysis, Center for Suslainable Toursim and Transport, NHTV Breda University of Applied Sciences Neshelands , 2008

10- النعيمي، عبدالله بن حسن: "استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في الشركة السعودية للكهرباء - منطقة اعمال الغربية". بحث مقدم للملتقى الوطني الاول لنظم المعلومات

الجغرافية 4-2009/5/6، اللجنة العليا لانظمة المعلومات الجغرافية بالمنطقة الشرفية السعودية، 2009.

11- العمر، مضر خليل؛ صالح، عبد الحميد صلاح وصالح، اسراء هيثم.: "تقويم كفاءة الخدمات الصحية في مدينة المقدادية باعتماد نظم المعلومات الجغرافية". بحث مستل من رسالة ماجستير قدمتها اسراء هيثم صالح، كلية التربية/ جامعة ديالى.

- انظر موقع: http:\www.kfupm.edu.salcr\baqer\html

12- الظاهر، عجيل تركي: "التحليل المكاني لمراكز الرعاية الصحية الآولية بمحافظة الجهراء بالكويت باستخدام نظم المعلومات الجغرافية"، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 32، عدد3، 2004.

13- العمر،مضر خليل، صالح،عبد الحميد صلاح، هادي، أزهارسلمان: "تقويم كفاءة خدمة التعليم الابتدائي في مدينة بعقوبة باعتماد نظم المعلومات باعتماد نظم المعلومات الجغرافية". بحث مستل من رسالة ماجستير قدمتها أزهارسلمان هادي، كلية التربية/ جامعة ديالى.

14- http:\www.alhorria.info.te\print=atrcle.php?nmm-article=24311

15- http:\www.ameinfo.com\ar-117636.hetmail

16- http:\www.aradoorg.eg\aradoActivitiesDetails, arp-

17- الشاعر، عيسى موسى: "دراسة التوسع العمراني في مدينة الرياض باستخدام الصور الجوية والمناظر الطبيعية"، الجمعية الجغرافية السعودية، مجلة بحوث جغرافية، جامعة الملك سعود، 1993

18- Shair,Issa. M. and Ayman Naser: "Using Satellife Image te Detect Land - use change in Al-Ain City, United Aran Emirates". The Arab world Geographers, Vol.2.No.2, summer, 1999

19- عبد الجواد،غادة: اثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء العاملين في الأجهزة الحكومية في الاردن - دراسة ميدانية،2005

20- النسور، بلال هاشم، مصدر سبق ذكره.

21- Tesouderos, J & Dimell, Despine: The information and communication technology impact in urban process. pantion university, Athena Greece, 2004.

22- F. Hou: "Impact of Information Technology Usage and Organizational Performance in Taiwanese Business Organizations". From proceeding (378) applied information's.2003.

23- Talvite, Juha: The impact of information technology and communication technology on urban and regional planning, institute of real stat studies, Helsinki, university of technology. Espoo, Helsinki, 2003.

24- الأعور،خالد: الحاسوب والأداء الوظيفي، دراسة تطبيقية على جهاز الامن العام الاردني. 1999

25- الفرحان، امل ومحمد الطراونة: اثر التكنولوجيا والبحث والتطوير والتدريب على انتاجية القطاعين العام والخاص في الاردن - دراسة تحليلية مقارنة، 1997.

26- المركز الجغرافي الملكي الأردني: 2008.

27- العوض، زهور خضر: استخدام التقنيات الحديثة في تطوير الموارد البشرية في الاجتماع الحادي عشر للشبكة العربية للإدارة وتنمية الموارد البشرية، 2003.

انظر موقع: www.itarabic.org\hresoutces\11intlemeeting\doc 2t. ppt

28- العنقري،عبدالله: اثر تقنية المعلومات في رفع كفاءة أداء الاجهزة الامنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف للعلوم الادارية، 1997.

29- الذيابي، عبد الرزاق: تقنية المعلومات ودورها في تطوير اجراءات العمل الاداري في الاجهزة الامنية، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة نايف للعلوم الادارية، 2008.

انظر موقع: www.nauss.edu.SA

- محمد، حنان رفعت: تحسين الاداء الوظيفي لشبكة طرق المواصلات في الالفية الثالثة.

انظر موقع : Pubiication.Ksu.edu.so\Conferences\Traffic

30- الشهري، علي: "الاتصالات الادارية ودورها في الآداء الوظيفي من وجهة نظر منسوبي الأمن الجنائي بمدينة الرياض"، رسالة ماجستير منشورة على موقع اكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات 2005.

انظر موقع:

www.nauss.edu.sa/NAUSS/Arabic/Menu/ELibrary/SCLetterResearch/Master

المراجع العربية:

الأعور، خالد. (1999). **الحاسوب والأداء الوظيفي**، دراسة تطبيقية على جهاز الامن العام الاردني.

جريدة الرياض، العدد 114832 الصادر بتاريخ 2009/2/1.

الذيابي، عبد الرزاق. (2008). **تقنية المعلومات ودورها في تطوير اجراءات العمل الاداري في الاجهزة الامنية**، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة نايف للعلوم الادارية. انظر موقع: www.nauss.edu.SA

سعيد، محمد يعقوب. (د.ت). **لمحة عن نظم المعلومات الجغرافية**. انظر موقع: K64 faculty.uaeu.ac.ae/myagoub/gis/Arabic_Summary_GIS_HTML.htm

الشاعر، عيسى موسى. (1993). دراسة التوسع العمراني في مدينة الرياض باستخدام الصور الجوية والمناظر الطبيعية، الجمعية الجغرافية السعودية، **مجلة بحوث جغرافية**، جامعة الملك سعود.

الشهري، علي. (2005). **الاتصالات الادارية ودورها في الآداء الوظيفي من وجهة نظر منسوبي الأمن الجنائي بمدينة الرياض**، رسالة ماجستير منشورة على موقع اكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات. انظر موقع: www.nauss.edu.sa/NAUSS/Arabic/Menu/ELibrary/SCLetter

الشهري، محمد يعقوب. (2007). **تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في دراسة المياه**، قسم الجغرافيا – كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الامارات المتحدة. انظر موقع: http://faculty.uaeu.ac.ae/myagoub

الظاهر، عجيل تركي. (2004). التحليل المكاني لمراكز الرعاية الصحية الآولية بمحافظة الجهراء بالكويت باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مجلد 32، عدد 3.

عبد الجواد، غادة. (2005). **اثر استخدام تكنولوجيا المعلومات على أداء العاملين في الأجهزة الحكومية في الاردن - دراسة ميدانية.**

العذبة، عبد الرحمن وآخرون. (2004). استخدام نظم المعومات الجغرافية لتقدير احتياجات مياه الري في المملكة العربية السعودية، **مجلة جامعة الملك سعود**، م17، العلوم الزراعية (1)، ص113-138 .

العمر، مضر خليل؛ صالح، عبد الحميد صلاح وصالح، اسراء هيثم. (د.ت). **تقويم كفاءة الخدمات الصحية في مدينة المقدادية باعتماد نظم المعلومات الجغرافية**. بحث مستل من رسالة ماجستير قدمتها اسراء هيثم صالح، كلية التربية/ جامعة ديالى. انظر موقع: http:\www.kfupm.edu.salcr\baqer\html

العمر، مضر خليل؛ صالح، عبد الحميد صلاح وهادي، أزهارسلمان. (د.ت). **تقويم كفاءة خدمة التعليم الابتدائي في مدينة بعقوبة باعتماد نظم المعلومات الجغرافية**. بحث مستل من رسالة ماجستير قدمتها أزهار سلمان هادي، كلية التربية/ جامعة ديالى.

العنقري، عبدالله. (1997). **اثر تقنية المعلومات في رفع كفاءة أداء الاجهزة الامنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف للعلوم الادارية.

العوض، زهور خضر. (2003). **استخدام التقنيات الحديثة في تطوير الموارد البشرية في الاجتماع الحادي عشر للشبكة العربية للإدارة وتنمية الموارد البشرية**. انظر موقع: www.itarabic.org\hresoutces\11intlemeeting\doc 2t. ppt

الفرحان، امل والطراونة، محمد. (1997). **اثر التكنولوجيا والبحث والتطوير والتدريب على انتاجية القطاعين العام والخاص في الاردن - دراسة تحليلية مقارنة**.

اللبان، شريف. (د.ت). **تكنولوجيا الاتصال والجريمة**، ص124.

المركز الجغرافي الأردني.

النسور، بلال هاشم. (2004). **أثر تكنولوجيا المعلومات في تطوير كفاءة التخطيط الإقليمي: دراسة حالة إقليم الوسط**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البلقاء التطبيقية: كلية الإدارة والتخطيط، الأردن، ص1.

النعيمي، عبدالله بن حسن. (2009). **استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية في الشركة السعودية للكهرباء - منطقة اعمال الغربية**. بحث مقدم للملتقى الوطني الاول لنظم المعلومات الجغرافية 4-2009/5/6، اللجنة العليا لانظمة المعلومات الجغرافية بالمنطقة الشرفية السعودية.

المراجع الاجنبية:

http:\www.alhorria.info.te\print=atrcle.php?nmm-article=24311

http:\www.ameinfo.com\ar-117636.hetmail

http:\www.aradoorg.eg\aradoActivitiesDetails, arp-

Epley, J.S. (1992). Public Relations in the Global Village, An American Prespective. *Public Relation Review*,.18,114-115

Hou. (2003). *Impact of Information Technology Usage and Organizational Performance in Taiwanese Business Organizations*. From proceeding (378) applied information's.

Landare, M. (2008). *GIS in Response Time Analysis, Center for Suslainable Toursim and Transport*, NHTV Breda University of Applied Sciences Neshelands.

Shair, I.M. and Naser, A. (1999). Using Satellife Image te Detect Land - use change in Al-Ain City, United Aran Emirates. *The Arab world Geographers*, Vol.2. No.2, summer.

Talvite, J. (2003). *The impact of information technology and communication technology on urban and regional planning* , institute of real stat studies, Helsinki, university of technology. Espoo, Helsinki.

Tesouderos, J. and Dimell, D. (2004). *The information and communication technology impact in urban process*. pantion university , Athena Greece.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد **8** العدد **1**، **2011**، ص ص**317**-**368**

حرية الصحافة الأردنية في ظل عودة الحياة النيابية بعصر العولمة 1989- 2008

إبراهيم الخصاونه *

ملخص

تتناول الدراسة واقع الحرية الصحفية في الأردن في ظل عصر جديد سمته ظاهرة العولمة بأبعادها المتعددة، والتي تعمقت بشكل متزايد في مختلف أرجاء العالم منذ العقد الأخير من القرن العشرين وعقب الانفتاح الديمقراطي الذي شهده الاردن بعودة الحياة النيابية.

وتأتي هذه الدراسة لمعرفة مدى تعاون مؤسسات الدولة مع الصحافة وتقديمها للحقائق التي ينبغي أن يطلع عليها الجمهور على اعتبار أن الصحافة تمثل السلطة الرابعة في المجتمع.

واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في التعرف إلى الحقائق التي لها ارتباط بالظاهرة من خلال استعراض ما تم نشرة في الصحف اليومية والاسبوعية الأردنية.

وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج كان من ابرزها: -

1- سرعة تعديل وتغيير قوانين المطبوعات والنشر الأردنية وذلك لعدم اشتمالها على حرية الرأي والتعبير التي تعزز العمل الديمقراطي نظرا لوجود العديد من القيود السالبة للحرية الصحفية.

2- رغم الانفتاح الاعلامي الذي اعقب استئناف الحياة الديمقراطية في الأردن إلا أن الصحافة الاردنية تتعرض لمعوقات قانونية في تأديتها لرسالتها بحرية واستقلال الامر الذي يشكل عائقاً في تهيئة المناخ الحر للارتقاء بالمجتمع من خلال توفير المعرفة المستنيرة لافراده.

3- التنافس الحاد بين الصحف اليومية والأسبوعية بهدف إجتذاب القراء الامر الذي جعل بعض هذه الصحف تغالي في تناولها للموضوعات التي يتم نشرها.

4- تواجه الصحافة الأردنية تحديات صعبة في ظل عصر العولمة بحيث تجعلها عاجزة عن القيام بمهمتها على الوجه الاكمل في ظل إزالة الحواجز وتخطي الحدود للمطبوعات الصحفية. فضلاً عن أهمية توظيف التكنولوجيا الحديثة في خدمة العمل الصحفي من اجل مواكبة روح العصر لأنها تعد من أدوات العولمة.

وخلصت الدراسة إلى ضرورة إيجاد نظام "صحفي" مستقر وفعّال يتحقق فيه التوازن بين حرية الصحافة ومسؤولياتها وذلك بالمزاوجة بين أكبر قدر من المهنية للعاملين بالصحافة من جهة، وإتاحة المجال امام تفهم المجتمع بأسره لطبيعة المهنة الصحفية من جهة اخرى.

* قسم الصحافة والإعلام، جامعة البتراء، عمان، الأردن.

مقدمة

لاشك أنّ حرية الصحافة هي من أهم الحقوق الأساسية التي يقوم عليها بناء الدولة الديموقراطية الحديثة، وهي جزء من الحريات العامة التي ظهرت كسلاح ضد السلطة المطلقة في الحكم، وبالتالي فأنّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشكل الحكم القائم في دولة ما، وهذا الحكم إذا ما ارتضى إدخالها في صلب العلاقة السياسية بين الحكام والمحكومين وصف بأنه حكم ديموقراطي.

وقبل الخوض في مضامين حرية الصحافة، لا بد من الإشارة إلى أنّ هذه الحرية تتيح تدفقاً حراً للمعلومات وتمكن المواطن من الوصول إلى وعي تام بحقوقه وواجباته وتنمية حسه الوطني والإنساني عبر تعزيز مبدأ الشفافية، والحوار المسؤول، والموضوعية، واحترام عقله وكرامته.[1]

برزت في حياة الإنسان وسائل أطلق عليها مصطلح وسائل الاتصال الجماهيري لما تتمتع به من قدرة على الوصول إلى الجماهير أينما كانوا وحيثما حلوا، لا تعترف بالحدود ولا الأقاليم، وتتمثل في جميع الوسائل التي تعتمد على مخاطبة حاستي السمع والبصر أو الاثنتين معاً بطرق تجمع المعلومات بشكل دقيق وكبير وتوزعها على نطاق أوسع لتشمل جماهير غفيرة، وهى متعددة كالصحف والمجلات والإذاعتين المرئية والمسموعة وغيرها.[2]

إنّ أهم ما يمز الإنسان عن الكائنات الأخرى، تلك الطاقة العظيمة، المتمثلة في قدرته على التفكير ومن ثم الاتصال، فالإنسان دائماً في حاجة إلى وسيلة تراقب له الظروف، وتحيطه علماً بالأخطار المحدقة به، أو الفرص المتاحة له ووسيلة تقوم بنشر الآراء والأفكار والحقائق وتساعد الجماعة على اتخاذ القرارات، ووسيلة تقوم بنشر القرارات التي تتخذها الجماعة على نطاق أوسع، وسيلة تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة والثقافات السائدة في وقتها إلى الأجيال اللاحقة ووسيلة ترفه عن الناس وتنسيهم المعاناة والصعوبات التي يواجهونها في حياتهم اليومية.[3]

بدأ عصر جديد سمته ظاهرة العولمة بأبعادها المتعددة، والتي تعمقت بشكل متزايد في مختلف أرجاء العالم منذ العقد الأخير من القرن العشرين، اعتماداً على مقومتين أساسيتين هما: التكنولوجيا الحديثة "الاتصال والمعلوماتية" ورأس المال "الشركات المتعددة الجنسية والاستثمار الأجنبي المباشر وغير المباشر"، مما جعل مصطلح العولمة يحتل موقعاً أساسياً في العلوم الاجتماعية المعاصرة، لاغياً بعدي الزمان والمكان، وجاعلاً من هذا العالم المترامي الأطراف "قرية كونية صغيرة"، بحيث إنّ أي فتح معرفي جديد أو تطور اقتصادي أو سياسي أو ثقافي، في أي حي من أحياء هذه القرية يحدث آثاراً واهتزازات مهمة في أحيائها الأخرى، ودالاً إجرائياً على "عملية تغيير" واسعة ومتسارعة في المفاهيم والأولويات والممارسات لدى كل من

الدول والمجتمعات والمنظمات والأفراد، وصولاً إلى زيادة معدلات الترابط والاندماج والتجانس فيما بينها.(4)

لذا أصبح لهذه القرية الكونية "سوقاً عالمية واحدة" يتم فيها تداول كثير من البضائع والأشياء الملموسة وغير الملموسة، "ومنظمة التجارة العالمية" تتولى تنظيم وتحرير التبادل التجاري بين دول العالم وفقا لاتفاقيات "الجات" وقواعدها الجديدة التي تشمل الخدمات والاستثمار وغيرها، كما بدأت الدعوات تبشر بنهاية التاريخ وبروز عالم واحد تسوده مفاهيم وقيم وثقافة واحدة وفق نموذج الديمقراطية وسيادة حقوق الإنسان.(5)

وظاهرة العولمة كغيرها من الظواهر الاجتماعية تحمل في طياتها من الفرص والمخاطر التي تمثل في مجموعها تحديات العولمة، حيث تشير العديد من الدراسات المتخصصة في العولمة إلى هذه التحديات، والتي تؤثر بدورها على المجالات المختلفة، المعرفية والأنظمة الاجتماعية في أي دولة معاصرة، حتى أن أحداً لن يستطيع تفاديها أو تجنب تأثيرها، ولذلك بدأت العديد من الدول تدرك ضرورة التعامل الإيجابي مع قضايا العولمة.(6)

ومن هنا تأتي أهمية معالجة ظاهرة العولمة بشكل موضوعي، لأنّ مجتمعنا أحوج ما يكون لمعرفة هذه الظاهرة بموضوعها، والوعي بآثارها وتحدياتها التي ستصيب حياة الشعوب الحاضرة والمستقبلية ومن ثم تحديد الاستجابة اللازمة للتعامل معها بشكل عام، وتحديد استجابة الإعلام الأردني ولاسيما الصحافة لهذه التحديات تأثيرا وتأثرا بشكل خاص، وهي استجابة تعبر عن الصورة المثلى للإعلام القادر على التعامل معها بأكبر قدر من المشاركة، واستغلال الفرص التي تتيحها العولمة، وتفادي أو تقليل المخاطر الناجمة عنها، وذلك ضمن المنظومة المتكاملة للمجتمع الأردني، وهو ما سيتناوله هذا البحث.(7)

إشكالية الدراسة

تعد الحرية الصحفية ضرورة إنسانية لرقي المجتمعات وتقدمها، فالمجتمعات المتقدمة أو الساعية إلى التقدم لا يمكنها أن تتخلى عنها والعمل على حمايتها وذلك لدورها في إيصال المعلومات لجميع أفراد الشعب ولاسيما في عصر العولمة الذي أصبح فيه العالم يعيش ثورة الاتصال.

وتسهم الحرية الصحفية في منح الفرد إمكانية التعبير، وتعمل في الوقت ذاته على نشر الحقائق في المجتمع. الأمر الذي يطرح تساؤلاً هل بمقدور الصحافة الأردنية مواصلة دورها بكفاءة في ظل العولمة والانفجار المعرفي لوسائل الإعلام.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع حرية الصحافة في الأردن وقدرتها على تحقيق أهدافها، وتقديم رسائل إعلامية تساعد الجمهور في معرفة الحقيقة، ومدى التعاون الذي تقدمه السلطة التنفيذية من أجل الإسهام في نشر الحقائق.

وتأتي هذه الدراسة لتشكل مدخلاً لفهم التحديات القائمة ولخلق انعطافة نحو الخروج من إيقاع الموروث فينا على المستوى المحلي باتجاه آفاق عالمية تستوجب أن نكون جزءاً منها، وأن تحدث نقلة في فن مخاطبة الآخر أيضاً، وهو في النهاية سيترك تأثيره المباشر نحو تعزيز أفق الحرية التي نريد.

مصطلحات الدراسة

الحرية: في لغة العرب وفق ما جاء في معجم لسان العرب فإن أصلها حَرّ، يَحَرُّ، إذا صار حراً والاسم حرية، وحرره تعنى اعتقه لأنّ الناس ولدوا أحراراً، وتبقى حريتهم تصطدم بالحق والشر.

العمل الصحفي: هو أن يمارس الصحفي عمله ممارسة فعلية في التحرير والإعلان والكتابة في صحيفة أو مجلة أو دورية.

الحرية الصحفية: تضمنت العديد من المواثيق الدولية والوطنية الدفاع عن حق المواطنين في حرية التعبير بمختلف الوسائل المتاحة فقد تضمن إعلان حقوق الإنسان العالمي سنة 1948 ما يلي "لكل شخص الحق في حرية التعبير والرأي، وينطوي هذا الحق على اعتناق الآراء دون تدخل فضلاً عن السعي لاستقبال ونقل المعلومات بواسطة أي وسيلة ودون اعتبار للحدود".

ويعتبر دستور اليونسكو معاهدة بين الدول التي أقرت هذا الدستور.. وقد جاء في مادته الأولى "التعاون في الجهود الرامية إلى تعريف الشعوب ببعضها بعضاً، وتفهمها المتبادل للقيم الثقافية لكل منها وذلك عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري."[(8)]

كما يوضح ميثاق الجامعة العربية أهمية التعاون في الشؤون الثقافية، فأكدت المادة (13) "أنّ الجامعة سوف تعمل على تعريف أبنائها بالأحوال الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في البلاد العربية بواسطة الإذاعات والمسرح والسينما والصحافة أو بأي وسيلة أخرى".[(9)]

وهناك تعريفات أخرى تناولت هذا الموضوع وهي متقاربة إلى حد ما ومن بينها ما يلي:

حرية الصحافة هي حق الفرد في التعبير عن آرائه وعقائده بواسطة المطبوعات بمختلف أشكالها من كتاب أو كراسة أو مجلة أو جريدة أو إعلان، دون خضوعها للإجازة أو الرقابة المسبقة، شريطة أن يتحمل مؤلفوها المسؤولية المدنية والجزائية.(10)

وتعني كذلك أن "حرية الطبع دون إجازة مسبقة ضمن حدود القانون. وتشمل حرية الصحافة ما يلي:

1. حق إصدار الصحف.
2- إتاحة الفرصة للمواطنين لنشر آرائهم.
3- حق الصحفيين في الحصول على المعلومات من مصادرها المختلفة وتحليلها والتعليق عليها وتداولها ونشرها في حدود القانون مع الحفاظ على قيم المجتمع وأخلاقه وأمنه القومي.
4- حق الصحفي في الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.
5- حرية التعبير عن الرأي والفكر دون قيود إلا ما تعلق بأمن المجتمع وأخلاقه وقيمه على الوجه المقرر قانوناً.."(11)

أما الصحافة الإنجليزية فقد قدمت صحيفة "الديلي مرور" وصفاً تعريفياً للحرية قديماً على أنّها تعرف بحرية الطباعة، أما في الوقت الحاضر ينظر إليها على أنّها حرية رئيس التحرير في نشر ما يراه مناسباً من الأخبار والآراء بغض النظر عن مدى توافقها أو تعارضها مع توجهات السلطة التنفيذية، دون أن تتسبب هذه الحرية بإخلال للأمن والنظام العام أو المساس بكرامات الناس أو الإضرار بأديانهم وتقاليدهم.(12)

فالحرية الصحفية تعطي للفرد الحق في نشر ما يشاء من الأفكار والأخبار عبر الصحافة ووسائل النشر، بما لا يتعارض مع قوانين النشر وفي الوقت ذاته امتناع السلطة التنفيذية عن تقييد الحرية قبل عملية النشر. فحرية الإعلام هي امتياز عام للمجتمع يعكس التعددية والآراء المختلفة وليست امتيازًا للإعلاميين وحدهم، وممارسة مهنة الصحافة والإعلام تحتاج إلى ضمانات قانونية وسياسية ومهنية أكثر من غيرها.

مصطلح العولمة (Globalization):

كان أو من أطلق مصطلح العولمة معرفياً، هو العالم الكندي "ماكلوهان" في ستينيات القرن العشرين والذي صاغ مفهوم "القرية الكوني" وكان يخص به وسائل الميديا الإعلامية والثقافية أكثر من اتصاله بالعولمة الاقتصادية ثم تبنى "بريجنسكي" هذه الفكرة من بعده الذي أصبح مستشاراً للرئيس الأمريكي في السبعينيات وعمل على أن تقدم أمريكا "نموذجاً كونيا للحداثة"

يحمل القيم الأمريكية التي يذيعونها دوما في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وفي الثمانينيات أصبح هذا المصطلح مألوفاً في معاهد إدارة الأعمال الأمريكية والصحافة الاقتصادية، ليعني انفتاح الحدود الاقتصادية وليونة التشريعات وزيادة توسع النشاطات الرأسمالية والاستثمارية العالمية، إضافة لاستغلال التطورات المعرفية وتقانة الاتصالات والمعلوماتية وتطبيقاتها المختلفة، والتي قضت على المسافات والحواجز وأعطت لهذا المصطلح معنى ومصداقية، حتى أصبح من المفردات الأكثر رواجاً في نهاية القرن العشرين، وتحول إلى سياسات وإجراءات عملية ملموسة في المجالات كافة.(13)

- مصطلح العولمة في اللغة الإنجليزية: ظهر مصطلح العولمة بمعنى جديد ومحصور في المجال البيئي أو الايكولوجي، ومختلف عن معناها التقليدي الذي أطلقه معرفيا "ماكلوهان" عن القرية الكونية، كما يجد آخرون (أن مصطلح العولمة أول ما ظهر تحت كلمة Globalization الإنجليزية وترجم إلى الفرنسية تحت كلمة Mondalaization ليعني الأخطبوطية.(14)

- مصطلح العولمة في اللغة العربية: ترجم مصطلح العولمة إلى العربية تحت ثلاث كلمات رئيسية هي: "الكونية، الكوكبية، العولمة" وهي مترادفات تدل على معنى "التعميم" والوزن الصرفي لها "فوعل" فعلا واسما، ومن الأبنية الصرفية له مثل "حوقل الرجل، ولولب الماء، أما مصدره القياسي فهو "فوعلة" ومن كلام المحدثين "قولبة، وبلورة، وحوسبة".

والعولمة مشتقة من كلمة "عالم" في العربية وتعني الخلق وتجمع عالمين لتشمل الكون، والعولمة مصطلح سليم من النحت والتركيب، وهو من المصادر القياسية التي تختص باتساع اتجاهاتها الدلالية من حيث إمكان اتجاهها من جهة، وينوب مناب الفعل مثل "عولمة" فيكون معناه أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي وهو "العالم" هنا، والمصدر في اللغة العربية: اسم دال على حدث جار على فعله، ولذا فان الدلالة اللغوية لـ "العولمة" هي إسباغ صفة العالمية على موضوع فعل العولمة.(15)

- الحياة النيابية (البرلمان): وهي الأعمال التي يؤديها مجلس النواب الذي يتم انتخابه من قبل الشعب لكي يمثله تمثيلا يجعل منه العضو المحرك في الدولة للقيام بتشريع القوانين ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية ومحاسبتها والتي تصل إلى حد حجب الثقة عن الحكومة طبقاً للصلاحيات التي منحها إليه الدستور. ويشكل مجلس النواب إلى جانب مجلس الأعيان في الأردن مجلس الأمة.(16)

حدود الدراسة

اعتمدت الدراسة على الصحف اليومية والأسبوعية التي تصدر في الأردن خلال الفترة الممتدة من مطلع عقد تسعينيات القرن الماضي ولغاية إعداد البحث.

منهج الدراسة

تندرج هذه الدراسة في إطار البحوث الوصفية التحليلية التي تهتم بجمع البيانات وتحليلها وإعطاء تفسيرات علمية بهدف استخلاص النتائج وإصدار تعميمات بشأنّها.(17)

الدراسات السابقة

أولا: الدراسات الأجنبية: هناك العديد من الدراسات الأجنبية لعل أبرزها ما يلي:-

دراسة فاراس عام (1965) "العوامل المؤثرة على حرية الصحافة ووسائل الإعلام" ركزت على معرفة العوامل التي تؤثر على حرية الصحافة ووسائل الإعلام وتتمثل بالدين، والسكان، ودخل الفرد، والتعليم ونوع الحكومة وارتباط النظام السياسي بالمستوى الاقتصادي للدولة بالإضافة إلى العوامل الثقافية والموقع والمناخ.

وخلصت الدراسة إلى أنه كلما زادت القيود التي تحد من حرية الصحافة فإن التشريع في الدولة يتزايد نحو الملكية والتسلط كما تتناقص معدلات توزيع الصحف وتزيد السيطرة على العمل الصحفي.

دراسة نيكسون عام (1965) "حرية الصحافة في ظل النظام الخاضع لسيطرة الدولة" هدفت إلى معرفة درجة الحرية التي يتمتع بها أي نظام صحفي خاضع لسيطرة الدولة أو الجماعة السياسية، ففي النظام الحر يمارس أصحاب الصحف حريتهم في الأداء وهم يخضعون لقوانين كباقي المجتمع دون تدخل أو تمييز أو تعسف من جانب الحكومة.

وخلصت الدراسة إلى أنّه كلما كان متوسط الدخل القومي مرتفعاً ينعكس إيجاباً على الحرية الصحفية والنظام الديمقراطي فضلاً عن أن الصلة ليست وثيقة بين التعليم والحرية الصحفية إذا ما قورنت بصلة حرية الصحافة بالدخل القومي.

دراسة فيجان عام (1966) "العناصر التي تؤثر في حرية العملية الإعلامية" هدفت إلى التعرف على تلك العناصر وحددتها بأربعة تمثلت بالاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، وأضافت إليها العامل التاريخي.

وخلصت الدراسة إلى أن السيطرة السياسية يتبعها فرض قيود على عملية الاتصال وحدود التطور الاقتصادي وتطور وسائل الإعلام كما هو الحال في الدول النامية والقنوات السياسية تتأثر بالتعليم والثقافة. أما العوامل التاريخية فأبرزها تأثير القيادة التي تحدد نوعية الاتصال السياسي ودرجته وجميعها تؤثر على حرية الصحافة.

دراسة روو عام (1979) "حرية التعبير مفتاحاً للتنمية والديمقراطية والحوار" هدفت إلى تحليل التنظيم الصحفي وعلاقاته مع الحكومة والنظام السياسي وافترضت أنّ الإعلام الإخباري لا يمكن أن يبقى مستقلاً عن البيئة المحيطة به، بل يأخذ شكل ولون النمط الاجتماعي والسياسي الذي يعمل من خلاله.

وتوصلت الدراسة إلى أنّ للإعلام دوراً رئيساً في العملية السياسية إلا أنّها لم تستطع بيان حجم الدور على حقيقته من خلال استخدام النظريات الإعلامية الأخرى، اما النظرية الاستبدادية التي تسيطر فيها نخبة تعتقد أنّها الوحيدة القادرة على فهم الحقائق أكثر من عامة الناس، وأن الأنّظمة والقوانين السائدة في البلاد العربية مقيدة للحرية الصحفية.

ثانيا: الدراسات العربية: وتتمثل الدراسات العربية في هذا الميدان بما يلي:-

دراسة مكاوي عام (1981) "حرية الصحافة والإعلام من أسس أخلاقيات العمل الإعلامي" هدفت إلى تحديد تسمية جديدة للنظريات الإعلامية الأربعة وهي السلطة والشيوعية والحرية والمسؤولية الاجتماعية. وكانت العينة الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية وتركيا، حيث إنّ إحدى هذه الدول متقدمة هي الاتحاد السوفيتي والأخريان دولتان ناميتان غير شيوعيتين هما مصر وتركيا.

وتمثلت فتره الدراسة بستينيات القرن الماضي، وخلصت إلى النتائج التالية:

- إنّ حرية الصحافة تؤثر وتتأثر بباقي الحريات، سواء الحريات العامة أو حرية الصحافة كونها حريات متصلة مع بعضها بعضاً.
- إنّ ارتفاع مستوى الدخل القومي والتعليم لهما أثر واضح على الحريات الصحفية، وهناك علاقة متبادلة بين القيادات والإعلام في بعض المجتمعات، فالقيود تزداد على الصحف تبعاً للاتجاه الأيدلوجي والبناء التشريعي والتنفيذي للدولة.
- على الصحفيين إيجاد حلول سلمية للمشاكل واتخاذ قرارات تتماشى ومفاهيم حقوق الإنسان.

دراسة الويس عام (1986) هدفت إلى التعرف على الرقابة التي تفرضها الأجهزة الرسمية على النشر في الصحف في النظامين الرأسمالي والاشتراكي بالتركيز على فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي استقرت فيها الأنظمة القانونية منذ زمن وتمثل نماذج للنظام

الرأسمالي، أما في النظام الاشتراكي فقد تناول البحث أسلوب الرقابة على الصحافة في الاتحاد السوفيتي باعتباره يمثل نموذجاً أصيلا لهذا النظام.

وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:-

- وجود رقابة على النشر للمواد المخلة بالآداب وهذا لا يتعارض مع حرية الصحافة فضلا عن وجود قيود على نشر أسرار الدولة الرسمية والتي يعاقب عليها القانون.
- دساتير الدول الرأسمالية نصت على حرية الصحافة بشكل مطلق فلا يجوز لمجلس النواب الأمريكي على سبيل المثال إصدار قانون يقيد حرية الصحافة أو حرية الرأي والتعبير إضافة إلى أن تشكيل الرأي في الولايات المتحدة بيد المالكين لوسائل الإعلام والنشر عموما.
- الصحافة في العالم الاشتراكي لا تخضع لمعيار الربح لأنّها تمثل وجه نظر الدولة ولا تسمح بنشر ما يتعارض مع سياستها وجميع وسائل الإعلام تخضع لرقابة الحزب الحاكم.

دراسة مفيز الدين عام (1991) هدفت إلى التعرف على قدرة الإعلام المصري للقيام بدوره المطلوب في عصر العولمة، والكفايات المطلوب توافرها لهذا الإعلام. واستخلص الباحث قائمة من الكفايات الواجب توفرها لدى الإعلام المصري تمثلت بالتخطيط، والبنى المعرفية، والتنفيذ، والتقويم.

وخلصت الدراسة إلى تطور كفايات الإعلام المصري من خلال تدريب الإعلاميين، مما يدل أن للبرنامج فاعلية في تطوير كفايات المدرسين.

دراسة صالح عام (1992) حددت بعض الكفايات الواجب توافرها في الإعلاميين السعوديين لمواجهة العولمة، وأعدت الباحثة بطاقة ملاحظة،اشتملت على الحالات الآتية (الكفايات الشخصية، الكفايات العلمية، وكفايات التطبيق) تأكدت من صدقها وثباتها. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن:

- توافر كفايات لدى الإعلاميين الأكاديميين بدرجة كبيرة، اما الإعلاميين غير الأكاديميين، فتبين أن مستوى كفاياتهم متوسطة، وكانت الفروق لصالح الإعلاميين الأكاديميين.

دراسة حافظ عام (1993) اعتمدت على مفاهيم نظرية تتعلق بحرية الصحافة وناقشتها من خلال علاقة الحرية بالاتصال والإعلام ودور أجهزة الرقابة على العمل الصحفي وانتهت إلى النتائج التالية:

1- ظهور ثورة ديموقراطية عمت أنحاء العالم في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي وأسقطت أيديولوجيات كالماركسية، وأنتجت أوضاعاً جديدة تمثلت باحترام حقوق الإنسان والحريات العامة والخاصة كحرية التعبير والرأي وحرية الصحافة والاعتقاد وحق المواطنين في الإعلام والمعلومات.

2- قدوم الثورة الصناعية الثالثة التي أنتجت حضارة القرن العشرين وثورة التحالفات والتكتلات السياسية والاقتصادية الجديدة، وجميع هذه الثورات دعت إلى البناء على ما تحقق من هامش ديمقراطي وحرية تعبير وإزالة العقبات أمام حرية الصحافة والرأي والتعبير.

دراسة يعقوب عام (2003) هدفت إلى الوقوف على قياس مدى الحريات التي سمحت بها الأنّظمة العربية من خلال قوانين الصحافة والمطبوعات وأثر هذه الحريات على استقرار الأنّظمة السياسية ومقارنة حريات التعبير الصحفي تحت أنظمة متعددة من خلال عينة زمنية تمتد من (1989-1999) وتطبق في السودان والأردن.

وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- وجود تباين في الممارسة الصحفية بين السودان والأردن نحو العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية في كلا البلدين.

2- تعدد قوانين الصحافة والمطبوعات دفع أصحاب السلطة إلى إصدار قوانين تحد من حرية العمل الصحفي.

3- معاناة الصحفيين من تسلط النظامين السوداني والأردني فهناك تباين بسيط رغم اختلاف النظامين سياسياً إلا أنّ العقلية السياسية في القطرين دأبت على التسلط في معظم المراحل السياسية.

ثالثا: الدراسات المحلية: وتتمثل هذه الدراسات بما يلي:

دراسة موسى عام (1991) هدفت إلى مقارنة قوانين المطبوعات والنشر التي صدرت في الأردن بعد صدور الدستور الأردني في العام (1952) بالذات فيما يتعلق بالصحافة على وجه الخصوص وهل هي قوانين ليبرالية تحررية أم سلطوية فيما يتعلق بمنح الصحفي حرية الرأي والتعبير.

وخلصت الدراسة إلى أن القانون الأول الذي صدر في العام 1953 كان تحررياً لبرالياً في حين أن القوانين الثلاثة الصادرة في الأعوام (1955-1967-1973) نهجت نهجاً سلطوياً وبالذات فيما يتعلق بفرض عقوبات مشددة على أي صحفي يخالف هذه القوانين.

دراسة زيادات عام (1997) تناولت عرض الإطار القانوني للعمل الصحفي الحزبي في الأردن للفترة (1989-1995) وبيان أهم العوائق التي تحول دون استمرار ظهور الصحف الحزبية، وتحليل قرارات المحاكم الأردنية ضد الصحف التي خالفت قانون المطبوعات للعام (1993).

وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- عدم حدوث انسجام بين الصحافة الحزبية ودائرة المطبوعات حيث أسندت الأخيرة للصحف الحزبية قضايا وأحالتها إلى المحاكم في العديد من الموضوعات التي تناولتها الأمر الذي شكل عائقاً أمام حرية العمل الصحفي.
- قدمت تحليلاً للقضايا التي تعرض وجه نظر الصحف الناقدة للسياسية الحكومية.
- إلغاء القوانين التي تمنع نشر بعض المعلومات.

دراسة الحوراني عام (1998) قيّمت مسيرة الصحافة والإعلام الأردنية خلال مرحلة التحول الديموقراطي التي بدأت في العام 89 حيث سمح لجميع الفعاليات الصحفية والسياسية والمنظمات غير الحكومية كحقوق الإنسان ونقابة الصحفيين التعبير عن أرائهم وتطلعاتهم، لإيجاد قانون عصري للصحافة والمطبوعات يتوافق مع حرية التعبير.

وخلصت الدراسة إلى إيجاد أطر سياسية وقانونية واقتصادية لحماية الحريات الصحفية واستقلال الصحافة وإلغاء تعديلات قوانين المطبوعات (القوانين المؤقتة) لعام 97 واستقلال القضاء وإنشاء محاكم دستورية وإلغاء الرقابة على المطبوعات وعدم توقيف الصحفيين والدعوة لحوار وطني بين الحكومة والمجتمع المدني، للوصول إلى صيغه تكفل حماية حياة الناس، وإيجاد توازن بين حرية الصحافة وحقوق الإنسان.

دراسة المجلس الأعلى للإعلام عام (2005) هدفت إلى قياس مستوى الحرية الصحفية في الأردن من خلال بعض الوقائع التي حظيت بالاهتمام العام وذات العلاقة بمحددات الحرية الصحفية.

وخلصت الدراسة إلى تباين في مستويات خرق الحرية الصحفية بشكل واضح مثل الدفع أحياناً من قبل رجال الأمن العام للصحفي، ومستويات متوسطة مثل التهديد الرسمي والاستدعاء للأجهزة الأمنية، في حين لم يصل إلى مستوى الإيذاء الجسدي والاعتقال أو المنع من مزاولة المهنة أو الفصل من العمل والمحاكمة والرقابة المسبقة، مع العلم أن الجهات التي تعاملت مع تهديد الصحفي كانت وزارات ومؤسسات حكومية.

مكانة الدراسة الحالية بين الدراسات السابقة

تحاول هذه الدراسة أن تقدم إسهاما نظرياً في فهم واقع الصحافة الأردنية بعد عودة الحياة النيابية في الأردن ومدى الحرية التي تتمتع بها في ظل مرحلة جديدة يعيشها العالم يسمى عصر العولمة، وذلك بغية تقديم حلول واقتراحات علمية وموضوعية للمشكلة.

قانون المطبوعات الأردني في ظل الحياة الديمقراطية:

شهدت الحريات الصحفية منذ استئناف الحياة الديمقراطية في العام 1989، حالة من الشد والشد العكسي بين الحكومة والصحافة من جهة وبين أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية من جهة أخرى، إذ إنّ قانون المطبوعات والنشر عدل ست مرات خلال تلك الحقبة من الزمن، بحيث أصبح مقياس الباروميتر للسياسة الأردنية تجاه الحريات وحقوق الإنسان والعملية الديمقراطية التي سرعان ما تتغير وتتبدل أدواتها لتواكب الظروف التي تعيشها المنطقة وفقاً لعمليات الإصلاح التي تنفذها الدولة حسب المستجدات في السياسة العالمية وما تفرضها تلك السياسة.[18]

لقد فتحت عودة الحياة النيابية إلى الأردن صفحة جديدة في الحياة الصحفية، ويمكن القول إنّ الحريات الصحفية في السنوات الأولى للحياة الديمقراطية جلبت معها ترحيباً غير مسبوق وقبولاً لسياسات نظام الحكم.[19]

تعتبر حرية الصحافة والإعلام رديف الحق في حرية الرأي والتعبير، ذلك أنّ مستوى تحقيق الواجب الإعلامي يعتمد إلى حد كبير، على مستوى الحرية المتاحة في عرض الحقائق والأفكار والمواقف .

إنّ الحريات الصحفية والإعلامية هي الأكثر حساسية لكافة ضروب الانتهاكات علاوة على أنّها الأكثر إثارة للجدل حول موضوعات حقوق الإنسان، ومع هذا فإن حرية الرأي والتعبير لا تعني الصحفيين وحدهم بل هي حق لكل الناس.

وقد كفل الدستور الأردني تلك الحرية في المادة الخامسة عشرة منه، حيث جاء في الفقرة الثانية من تلك المادة ما يلي: "....الصحافة والطباعة حرتان ضمن حدود القانون"، ونصت الفقرة الثالثة على أن: "...لا يجوز تعطيل الصحف ولا إلغاء امتيازها إلا وفق أحكام القانون".

إلا أنّ هذه الحرية ليست مطلقة، إذ وضعت عليها بعض القيود، وقد أجازت الفقرة الرابعة من المادة الخامسة عشرة من الدستور، للقانون فرض الرقابة على الصحف والنشرات والمؤلفات والإذاعة، في الأمور التي تتصل بالسلامة العامة وأغراض الدفاع الوطني.[20]

كما ترك الدستور في الفقرة الخامسة من المادة الخامسة عشرة للقانون تنظيم أسلوب المراقبة على موارد الصحف.

وقد صدر قانون المطبوعات والنشر رقم 33 لسنة 1973، لتنظيم حرية الصحافة،وهو القانون الذي كان معمولاً به عند استئناف الحياة الديمقراطية في الأردن، ويلاحظ أن الدستور الأردني أكد على حرية الصحافة، على أن يتم تنظيم تلك الحرية بموجب القانون، ويمكن من خلال

هذا التنظيم إلغاء حرية الصحافة استناداً إلى نصوص بعض المواد الواردة في قانون المطبوعات والنشر، حيث نصت المادة السادسة عشرة منه على ما يلي:

أ- لمجلس الوزراء بتنسيب من الوزير منح الرخصة بإصدار المطبوعة الصحفية أو بإعادة ترخيصها أو برفض منحها أو بسحبها أو بإلغائها على أن يقترن قرار المجلس بإصدار الرخصة أو بإعادة ترخيصها أو بفرض منحها أو بسحبها أو بإلغائها على أن يقترن قرار المجلس بإصدار الرخصة أو بإعادة الترخيص بالإرادة الملكية السامية.

ب- يكون قرار المجلس الذي يصدره بمقتضى أحكام الفقرة (أ) من هذه المادة قطعياً وغير قابل للطعن أمام أية جهة إدارية أو قضائية، ويقوم الوزير بتبليغ القرار لطالب الرخصة أو لمالك المطبوعة الصحفية حسب مقتضى الحال.

وعلى الرغم من أن تلك الحرية قد كفلها القانون الأعلى في الدولة (الدستور) إلا أنّها استناداً إلى تلك النصوص تهدر بالتشريع العادي وهو الأدنى.

كما حظر قانون المطبوعات والنشر، نشر الموضوعات التي تهدد الكيان الوطني أو تعرض سلامة الدولة للخطر، أو تمس المصلحة العامة، وفرض عقوبات معينة على كل من يخالف ذلك الحظر (المواد، 23، 32، 42) من قانون المطبوعات والنشر.

وقد أضفت قرارات مجلس الوزراء، بموجب قانون المطبوعات والنشر رقم 33 لسنة 1973 الحصانة ضد الطعن فيها أمام أية جهة سواء كانت إدارية أو قضائية.[21]

قانون رقم 10 لسنة 1993

تعرض قانون المطبوعات أكثر من غيره من قوانين البناء الديمقراطي للتغيير والتعديل. ففي العام 1993، سنة صدور قانون المطبوعات الليبرالي رقم 10 لسنة 1993، الذي صدر في عهد حكومة الشريف زيد بن شاكر، وحتى العام 2007، صدرت ثلاثة قوانين مطبوعات، وخضع الأخير منها إلى ثلاثة تعديلات.

بعد إقرار قانون المطبوعات في أيار العام 1993 تكاثرت الأسبوعيات وازدهرت. ومع أنه تعرض للكثير من الانتقادات خاصة فيما يتعلق ببنوده المقيدة للحريات، إلا أنّ قانون المطبوعات في العام 1993 أرسى للمرة الأولى في الأردن حق الفرد في ملكية ونشر الصحف، وحق الطعن في قرارات الحكومة التي تتعارض مع المبادئ الرئيسية لحرية الصحافة، وأكثر التعديلات أهمية إلغاء القانون لسيطرة الحكومة على حق تعليق وإغلاق الصحف كما كان عليه الحال سابقاً.

يمكن وصف الفترة بين الأعوام 93 – 97 باعتبارها الفترة المزدهرة للصحافة الأردنية. فقد استخدمت الصحف الخاصة هامش الحرية الذي أتاحه قانون المطبوعات الجديد، ليس فقط في مجال النشر بل أيضاً في معالجة مواضيع حساسة كانت الصحف الحكومية تحاول تجنبها، ولعبت الصحافة الخاصة – التي تعتبر مثيرة للجدل – دوراً محورياً في كشف الآراء المختلفة الموجودة بين القوى السياسية المختلفة، وساعدت في تحريك الجدل حول الأفكار التقليدية التي كانت تعتبر من المناطق المحرمة في الساحة الأردنية والمجتمع العربي بشكل عام. وتم التحدث بدون تحفظات عن العلاقة الأردنية – الفلسطينية وتطبيع العلاقات مع إسرائيل بالإضافة إلى مواضيع مهمة لم تستطع الصحافة التطرق إليها منذ عقود. وكان دورها في الكشف عن حالات الفساد للمجتمع أكبر من المتوقع. فلم تتوان الصحافة الخاصة عن نشر مقالات على صدر الصفحة الأولى عن تورط محتمل لمسؤولين كبار وصغار في قضايا الفساد.[22]

قانون المطبوعات المؤقت رقم 27 لسنة 1997

شهدت الصحافة الأردنية محطة قاسية في العام 1997، بصدور قانون المطبوعات المؤقت رقم 27 لسنة 1997، المعدل لقانون 1993، في عهد حكومة عبد السلام المجالي. فقد توسع القانون المؤقت في المحظورات، وغلّظ العقوبات، ونص على زيادة كبيرة في رأسمال الصحف اليومية والأسبوعية، وتوقفت نتيجة ذلك 13 أسبوعية عن الصدور دفعة واحدة. كما عطل القانون المؤقت ما نص عليه قانون 1993 من تخفيض لحصة الصناديق الرسمية في رأسمال الصحف إلى ما لا يتجاوز 30 بالمئة.

وعند نظر محكمة العدل العليا، بدعوى الصحف الأسبوعية المتضررة،قررت وقف العمل بالقانون المعدٍّل من منطلق عدم دستوريته، بقرار عدل رقم 97/226.

لجأت عندئذ حكومة المجالي الثانية وهي الحكومة التي أصدرت القانون المؤقت، إلى تقديم قانون جديد للبرلمان يتضمن كل مثالب القانون الذي قضت المحكمة وقف العمل به.

ووفقا للمادة 19 من قانون المطبوعات رقم 10 لسنه 1993 فإنّ للحكومة أو مؤسساتها العامة الاحتفاظ بما لا يزيد عن 30% من مساهمتها في الصحف اليومية إلا أنّه تـم إلغاء هذه المادة من قانون المطبوعات رقم 27 لسنه 1997 الذي تم الحكم بعدم دستوريته، ولم تنص القوانين اللاحقة على منع الحكومة من تملك أسهم في الصحف، وما تزال الحكومة تحتفظ بحوالي 56% من أسهم صحيفة الرأي وبحوالي 34% ثلث أسهم الدستور،وهما من أهم الصحف التي تصدر في الأردن، وواقع الحال أن الحكومة لا تمتلك هذه الأسهم مباشرة بل إنّ مؤسسة الضمان الاجتماعي هي المالكة لهذه الأسهم.

ويعتبر المراقبون أنّ الحكومة تسيطر على قرارات الضمان الاجتماعي حيث يرأس مجلس إدارة الضمان وزير العمل وهذا يعني القدرة على التحكم بمسار هذه الصحف بشكل غير مباشر.(23)

قانون رقم 8 لسنة 1998

صدر القانون الجديد يحمل الرقم 8 لسنة 1998، ودخل حيز التطبيق في عهد حكومة فايز الطراونه التي وعدت أمام ضغط الرأي العام أن تكون مرنة في تطبيقه، حيث اتسمت مواده بتقييد هامش الحرية، وهو موقف سياسي يعتمد الأهواء ولا سند تشريعياً له.

وقد كان هذا القانون مماثلاً في نصوصه لقانون 1997 الذي ألغته محكمة العدل العليا.(24)

قانون معدل رقم 30 لسنة 1999

تواصلت المطالبات بتعديل القانون في عهد حكومة الروابدة، فأمر الملك بتعديل القانون في لقاء مع الصحفيين، فأعدت الحكومة مشروع قانون معدٍّل رقم 30 لسنة 1999، لتخليص القانون من أكثر مواده المقيدة لحرية التعبير.

وتمثلت أبرز التعديلات بإلغاء مادة المحظورات الشهيرة المكونة من 14 بنداً، منها المس بالقضاء، تحقير الديانات والمذاهب، الإساءة للوحدة الوطنية، إهانة رؤساء الدول والبعثات الدبلوماسية، والتحريض على الإضراب والاعتصام.

وقد ألغى القانون المعدل لعام 1999 عدداً من القيود الواردة في قانون 1998، حيث قلل من الحد الأدنى لمتطلبات رأسمال الصحف الأسبوعية إلى 50 ألف دينار،وألغى نص المادة التي كانت تتيح وقف المطبوعة أثناء نظر الدعوى.(25)

قانون معدل لسنة 2003

اقتصر تعديلات قانون المطبوعات في العام 2003 في عهد حكومة أبو الراغب على تعديل مادة واحدة استهدفت تحسين إجراءات التقاضي في قضايا المطبوعات.(26)

قانون معدٍّل رقم 27 لسنة 2007

أجريت تعديلات على قانون 1998 في عهد حكومة البخيت بددت فرصة إجراء نقلة نوعية في حرية الصحافة والإعلام، وإعادة هيكلة هذا القطاع، على الرغم أنّ هذه التعديلات التي جاءت في القانون المعدٍّل رقم 27 لسنة 2007، أدخلت تحسينات على بيئة حريات التعبير والصحافة.

وأفضت التعديلات إلى تغليظ العقوبات، بحيث زاد بعضها 30 ضعفاً، إضافة إلى استحداث عقوبات مالية جديدة تصل إلى 20 ألف دينار.

في كل التعديلات على قانون المطبوعات والنشر كانت الحكومات الأردنية المتعاقبة، هي التي تقود التعديلات على القانون وتقوم بإقناع النواب بها، إلى أن تغيرت قواعد اللعبة في العام 2007 حيث اصطدم النواب أكثر من مرة مع الصحافيين، وتم الاعتداء عليهم بالضرب، إضافة إلى العديد من الانتهاكات والضغوطات والتجاذبات حول قانون المطبوعات والنشر وإحالة عدد من الصحافيين للقضاء وللمجالس التأديبية.

ومشروع القانون المعدّل لقانون المطبوعات والنشر 2007 يزيد الغرامات المالية حسب تعديل المادة (45) من القانون إلا صلي. وفرض التعديل غرامة مالية قدرها خمسة ألاف دينار عوضاً عن 100 دينار على مالك المطبوعة الدورية، إذا تخلف عن تنفيذ أحكام الفقرة (ب) من المادة (20) القاضية بتزويد وزير الإعلام أو من ينوب عنه نسخة من ميزانيتها السنوية خلال الأشهر الأربع الأولى من السنة.

كما فرض المشروع غرامة مالية لا تقل عن 15 ألف دينار ولا تزيد عن 20 ألف دينار في حال مخالفة الفقرة (ج، د، هـ) من المادة (36) التي تحظر نشر أي تحقير أو ذم إحدى الديانات المكفول حريتها بالدستور، أو الإساءة لأرباب الشرائع من ألأنبياء سواء بالرمز أو بالرسم أو بالصورة أو بأي وسيلة أخرى. أو ما يشكل إهانة للشعور أو المعتقد الديني، أو ما يثير النعرات المذهبية أو العنصرية أو زرع الأحقاد وبذر الكراهية والشقاق بين أفراد المجتمع.

وكانت ردود الأفعال في المجمل شاجبة لمشروع القانون المعدّل لقانون المطبوعات والنشر من قبل الأوساط الصحافية والحقوقية في الأردن، ونشطت نقابة الصحافيين الأردنيين على غير عادتها وعقدت عدة اجتماعات طارئة، سواء مع رئيس الوزراء معروف البخيت أو مع مجلس النواب.

مجلس النواب أبقى على عقوبة الحبس، وألغى عقوبة التوقيف في القضايا التي تتعلق في إبداء الرأي بالقول والكتابة، وغيرهما من وسائل التعبير وفق ما ورد في مشروع قانون المطبوعات والنشر. كما ألغى متطلبات الحد الأدنى لرأس المال وأصبحت المطبوعات تخضع لمتطلبات رأس المال المنصوص عليها في قانون الشركات،وحسب القانون فإنّ محكمة البداية هي صاحبة الاختصاص في إلغاء ترخيص المطبوعة في حال مخالفة الأخيرة لشروط الترخيص بعد إنذارها مرتين.

كما ألغى التعديل الرقابة المسبقة على الكتب قبل طباعتها شرط أن يودع ناشر الكتاب في الأردن نسخة منه لدى دائرة المطبوعات،وإذا تبين للمدير أن الكتاب يتضمن ما يخالف أحكام التشريعات النافذة فله بقرار من المحكمة مصادرته ومنعه من التداول.

وأبقى القانون على جواز تملك الحكومة الأسهم في الصحف الأمر الذي يعمل على تدخل الحكومة في السياسات التحريرية للصحف وخاصة التي تملك أسهماً فيها. وعلى الرغم من حماس الحكومة تجاه الخصخصة إلا أنّها ما زالت تصر على الاحتفاظ بهذه النسب في أكبر صحيفتين يوميتين.

وتعامل المادة الصحفية المقتبسة معاملة المادة المؤلفة أو الأصلية. وبناء على ذلك فالصحفي مسؤول عما ينقله عن صحف أخرى سواء عربية أم مترجمة عن صحف أجنبية إذا تضمن النشر ما يخالف القوانين الأردنية.(27)

انتهاكات حرية الصحافة

أ- الرقابة المسبقة على النشر:

مارست الحكومة الأردنية سياسة التضييق على بعض الصحف مثل (العرب اليوم، والمسائية، وArab Daily) حيث نشط كتاب الأعمدة في الصحف الأخرى في الاعتراض بشكل مباشر على هذه الممارسة، مما دفع الحكومة إلى حرمان الصحافة من بث وكالة الأنّباء الأردنية (بترا)، كما قطعت عنها الإعلانات الحكومية والاشتراكات، وعملت على محاباة تلك الصحف اقتصادياً ومعنوياً والحد من حرياتها الصحفية بذريعة أنّها صحف مستقلة على حد تعبير بعض المسؤولين.

تعرضت العديد من الصحف للرقابة المسبقة منها صحيفة "الوحدة" و"المجد" و"الجزيرة"، بالعمل على منع صدور المطبوعة وملاحقة الصحفيين الذي يخرجون عن نطاق التوجهات الحكومية حيال العديد من المسائل الداخلية والإقليمية والدولية بإحالتهم على المحاكم بذرائع واهية لا تستند إلى منطق العمل الصحفي الحر. وكذلك منعت طباعة خمسة كتب إبداعية فكرية من قبل دائرة المطبوعات والنشر.(28)

ب- العقبات القانونية:

وجود بعض العقبات القانونية يحول دون إيجاد صحافة حرة ومن أمثلة ذلك: قانون العقوبات، قانون انتهاك حرية المحاكم، قانون مؤقت معدل لقانون الأحداث، قانون مؤقت لقانون العقوبات العسكري، قانون البلديات، القانون المؤقت للمرئي والمسموع الذي يردع محطات الإذاعة والتلفزة من تقديم برامج سياسية وإخبارية. وكان مركز حماية وحرية الصحفيين أعد

تقريراً في العام 2004 عن حالة الحريات الإعلامية في الأردن، واستطلع رأي الإعلاميين الأردنيين، حيث أشار إلى أن "غالبيتهم ما يزال غير راض عن حال الحريات الصحفية. "ووصف 5،62% حالة الإعلام في الأردن بأنّها متدنية ومقبولة، في حين لم يجدها ممتازة سوى 3.1%، واعتبرها جيدة 8.3% وأجاب 26% بأنّها متوسطة.[29] وفي نيسان 2007 أعلن المجلس الأعلى للإعلام عن تقرير أعده حول الحريات الصحفية، أظهر أن نسبة هذه الحرية بلغت 49،20% خلال مرحلة القياس، النصف الثاني من العام 2004، وأنّها تقع في مستوى "الحرية النسبية". وكانت صعوبة الحصول على المعلومات هي الأكثر تكراراً في إجابات الصحفيين بنسبة 40،12 %.

جـ- الاعتقال والتهديد والاستدعاء من قبل الأجهزة الأمنية ومنع مزاولة المهنة:

وقد كشف تقرير المجلس الأعلى للإعلام أن 3.13% من الصحفيين تعرضوا لمضايقات التدخل في العمل و9.11% للتهديد و2.2% للاعتقال و4.7% هددوا رسميا و8.5% تم استدعاؤهم من قبل الأجهزة الأمنية و22.1% منعوا من مزاولة المهنة. وصاغ المجلس الأعلى للإعلام مشروعي قانوني حفظ أسرار الدولة وحق الصحفي بالحصول على المعلومات، والحكومة كجهة تنفيذية عليها أن تبذل جهداً لوقف الانتهاكات ضد الحرية الصحفية "والحاجة تستدعي لإعادة النظر بقانون نقابة الصحفيين لأنّه بوضعه الحالي يخلط بين الصحفي ورب العمل." وهو موضوع ليس من مسؤولية نقابة الصحفيين فحسب.

د- منع صدور الصحف:

شكلت الرقابة على النشر جدلاً واسعاً بين الأوساط الصحفية ومنظمات حقوق الإنسان، فيما كانت الحكومة تبدي تبريرات واهية حيال منع نشرها موضوعات من شأنها أن تسيء لعلاقات الأردن مع الدول الأخرى، ومثال ذلك منع صحيفة المجد الأسبوعية من الصدور، حين امتنعت مطبعة جريدة الرأي المؤسسة الصحفية الأردنية ليلة الأحد 20 أيلول 2004 عن طباعتها، حيث جاء ذلك بناء على طلب من مدعي عام محكمة أمن الدولة.

وأصدرت صحيفة المجد بياناً جاء فيه "أن المجد تأسف أشد الأسف لحجب عددها عن قرائها لهذا الأسبوع، وبما يترتب على ذلك من جهود وتكاليف ضائعة، إذ إنّها تود تسليط الضوء على ظاهرة الرقابة المسبقة التي استفحلت مؤخراً رغم كل إنكار حكومي لها، وباتت تستحق المعالجة الجدية والموقف الحازم من لدن المجلس الأعلى للإعلام، ونقابة الصحفيين، وسائر مراكز حماية الصحفيين، وهيئات حقوق الإنسان ومؤسسات المجتمع المدني." [30]

وتعتبر صحيفة "الهلال" أول صحيفة توقف عن الصدور بقرار من مدعي عام أمن الدولة على خلفية المادة (150) من قانون العقوبات المؤقت وذلك اعتباراً من 2003/1/16 لأنّها نشرت مقالاً مخالفاً لآداب المهنة ومسيئا للمشاعر الدينية.[31]

هـ - حبس الصحفيين:

أحدث الحكم القضائي الصادر في الأردن في العام 2006 بحبس خمسة صحفيين أردنيين شعوراً بالصدمة لدى الصحفيين، خاصة أن الحكم يأتي بعد إلغاء عقوبة الحبس من قانون المطبوعات والنشر.

وجاء في حيثيات الحكم الذي أصدرته محكمة بداية عمان حبس كل من رئيسي تحرير صحيفة العرب اليوم طاهر العدوان، ورئيس تحرير صحيفة الدستور السابق أسامة الشريف، إضافة لثلاثة من الصحفيين العاملين في الصحيفتين.

وصدر الحكم بناءً على دعوى رفعها المجلس القضائي اتهم فيها الصحفيين الخمسة بتحقير القضاء بعد أن نشرت الصحيفتان في العام 2006 خبراً يفيد بمطالبة مواطن بإحالة قضاة للمجلس التأديبي بعد أن أصدرت محكمة العدل العليا قرارين متناقضين، ما اعتبره المجلس القضائي مساً بهيبة القضاء.

وقال نقيب الصحفيين الأردنيين طارق المومني في بيان له "نؤكد اعتزازنا بقضائنا العادل ونحترم قراراته وإننا في الوقت نفسه ننظر بقلق إلى صدور هذه الأحكام في قضايا الرأي بما ينعكس سلباً على حرية الصحافة.

اللافت أن حكم الحبس جاء بعد أشهر قليلة من صدور قانون المطبوعات الأردني الذي ألغى حبس الصحفيين، وهو ما أشادت به العديد من المنظمات المعنية بالحريات.[32]

وصدر تقرير حول الحريات الصحفية من قبل لجنة حماية الصحفيين التي تتخذ من نيويورك مقراً لها بقوله "إن هامش الحريات التي تتمتع بها الصحافة العربية في العام 2006 قد تقلص مع التذكير بأن هذه التقارير تصدر وفق معايير مهنية وقانونية وأخلاقية بعيدة كل البعد عن مقاييس الربح والخسارة".

واستنكرت الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين العرب الخطوات التصعيدية التي تعيق حرية العمل الصحفي في الأردن حيث إنّ نقابة الصحفيين الأردنيين رفضت قرار مجلس النواب بالإبقاء على عقوبة الحبس في قضايا النشر مع ترحيبها في الوقت نفسه بعدم جواز توقيف الصحفي على خلفية إبداء الرأي بالقول والكتابة وغيرها من وسائل التعبير.[33]

لا تزال الحريات الصحافية في الأردن تتأرجح بين انفراجات وانتكاسات وقيود تحد من تقدمها، في ظل غياب تقارير رسمية معلنة عن مستوى الحرية في الأردن. ومع قرار إلغاء وزارة الإعلام عام 2003، وجدت المؤسسات الإعلامية والحريات المرتبطة بها نفسها أمام مرجعيات متعددة، أعاقت أي تقدم أو انفراج ما دفع بالحكومة الأردنية للحديث عن إعادة هيكلية الإعلام بتفاصيل وملامح ما تزال مبهمة.

فالحريات الصحافية في الأردن تراوح مكانها، على الرغم من التشريعات والقوانين والنصوص الدستورية الواضحة، وذلك لأنّها تصطدم بقرارات حكومية وعوامل مؤثرة تعيق تقدمها وتمنع خلق مناخ الحرية الملائم لتعزيز دور الصحافة باعتبارها السلطة الرابعة. وفي ما يتعلق بالقوانين والتشريعات الإعلامية التي تكفل وتصون الحريات الإعلامية في الأردن.

وكانت حكومة الذهبي قد وجهت تحذيراً في تعميم رسمي صدر بتاريخ 2008/2/13 إلى موظفي الوزارات والدوائر الرسمية والمؤسسات العامة من مغبة تسريب أية وثائق أو معلومات أو بيانات أو تصريحات للصحافة وخاصة "الصحافة الأسبوعية" وذلك تحت طائلة المسؤولية القانونية.

واقتصر تعميم الحكومة الذي حمل الرقم 13-11-1-2776 على منع تسريب الوثائق التي تتعلق بما سمي "التجاوزات الإدارية والمالية" التي تقع في الوزارات والمؤسسات والدوائر التابعة لها،حيث أشار لمحاذير استغلال هذه الوثائق من قبل "بعض الجهات المناوئة لسياسات الدولة باتجاهات سلبية".

وتم الطلب من موظفي الوزارات والمؤسسات والدوائر باتخاذ أشد الإجراءات بحق من تثبت عليهم تهمة تسريب المعلومات إلى الصحافة حتى ولو كانت متعلقة بتجاوزات إدارية ومالية.[(34)]
وتعد المواد (4، 5، 7) من قانون المطبوعات والنشر من أكثر المواد استعمالاً في مقاضاة الصحفيين، ففي الفترة من 2000 ولغاية 2006 تم تحريك حوالي 114 قضية ضد الصحفيين منها 92 على الصحف الأسبوعية و22 على اليوميات. ومن هذه القضايا رفعت 80 قضية خلاف المواد (4، 7،5) من قانون المطبوعات والنشر الأردني، وهي المواد التي تتحدث عن أخلاقيات المهنة.[(35)]

نوع القضية	عدد القضايا	براءة	ادانة
مخالفة المادة 7	72	43	29
مخالفة المادة 5	67	37	30
مخالفة المادة 4	12	7	7

رقابة القضاء الأردني على دستورية قانون المطبوعات والنشر:

في دراسة أعدها وليد كناكرية في محور رقابة القضاء على دستورية قانون المطبوعات والنشر بين أنّ القوانين ونصوصها يجب أن تتفق مع الدستور وأحكامه، وعلى هذا الأساس تدخل القضاء الأردني وأعطى لنفسه الحق في ممارسة دور الرقابة على دستورية القوانين، وهذا الحق هو من صميم عمل القضاء، لأنّ من مهامه بمقتضى الدستور الفصل في المنازعات وتطبيق حكم القانون عليها، فإن وجد تعارضاً بين قانونين وجب عليه تغليب حكم القانون الذي يحتل المرتبة الأعلى في سلم التدرج الهرمي للقواعد القانونية.

وحيث إنّ الدستور هو مصدر السلطات جميعها فقد وزع السلطات الثلاث على هيئات ثلاث فصل فيما بينها، على أساس احترام كل منها للمبادئ التي قررها الدستور.

فإذا وضعت السلطة التشريعية تشريعاً غير دستوري، ينبغي على السلطة القضائية الامتناع عن تطبيقه، ولا تطبق المحكمة فيما يعرض عليها من القضايا أي تشريع يصدر من جهة غير مختصة، أو دون مراعاة لنص الدستور أو روحه، إذ إنّ المحكمة تلتزم في تطبيقها للتشريعات المتفاوته في القوة، ومن واجبها تطبيق التشريع الأعلى عند تعارضه مع تشريع أدنى منه.

إنّ طبيعة التشريع التي لا يجوز الخروج عنها فهي قاعدة عامة مجردة وإذا خرج التشريع عن طبيعته كان باطلاً، كما أنّ للمشرع في حدود الدستور سلطة التشريع، وسلطته هي في الأصل تقديرية وسلطته المحددة هي الاستثناء وإذا جاوز المشرع سلطته التقديرية أو المقيدة في الدستور، كان التشريع باطلا لمخالفته الدستور.

وفي مجال المطبوعات والنشر اصدر القضاء الأردني قرارات مهمة وجريئة حول مدى صلاحية القضاء بالرقابة الدستورية على القوانين ومنها قانون المطبوعات والنشر، حيث سيتم التطرق إلى موقف محاكم التمييز والعدل العليا والاستئناف ومحاكم الدرجة الأولى ومن ثم موقف الفقه من دستورية قانون المطبوعات والنشر.[36]

أ) موقف محكمة العدل العليا من دستورية قانون المطبوعات والنشر

في حكم شهير أوقف القضاء الأردني العمل بقانون المطبوعات والنشر المؤقت رقم 27 لسنة 1997 لمخالفته أحكام الدستور، وذلك على أثر الطعن به من خلال دعوى موضوعها الطعن بعدم دستورية القانون. فقد جاء في حكم محكمة العدل العليا ما يلي:

"يستفاد من المادة 94 من الدستور الأردني أنّه منح السلطة التنفيذية صلاحية إصدار القوانين المؤقتة في حال توافر الشروط التالية:

1. أن يكون مجلس الأمة غير منعقد أو منحل.
2. وجود حالة ضرورية أي وجود أمور تستوجب اتخاذ تدابير ضرورية لا تحتمل التأخير.
3. أن لا تخالف القوانين المؤقتة الدستور.

ونظراً لأنّ مجلس الأمة حين إصدار قانون المطبوعات والنشر المؤقت رقم 27 لسنة 1997 لم يكن منعقداً وأن حالة الضرورة المشار إليها في المادة أعلاه لم تكن متوافرة لأنّ معالجة أوضاع الصحافة ووضع شروط لتنظيم أوضاعها لا يعد خطراً جسيماً داهماً ولا وضعاً طارئاً ملحاً، وبما أن الأوضاع التي عالجها القانون المؤقت المذكور قائمة منذ شهور سابقة فيكون عنصر المفاجأة والمداهمة قد انتفى، وبالتالي انتفت حالة الضرورة، فتكون التعديلات التي وردت في القانون المؤقت لا تعني وجود خطر جسيم، والدليل على ذلك أنّ القانون المؤقت المذكور قد طلب من الصحف توفيق أوضاعها لتلائم نصوص القانون المؤقت خلال ثلاثة أشهر، ومن ثم ثلاثة أشهر أخرى أي بعد ستة أشهر، وهذا ينفي وجود حالة الاستعجال، مما يعني أنّ إصدار هذا القانون كان يمكن تأجيله إلى حين انعقاد مجلس الأمة وبذلك يكون مخالفاً للدستور والنتيجة قررت محكمة العدل العليا الحكم بوقف العمل في القانون لمخالفته أحكام الدستور"[37]

ب) موقف محكمة البداية من دستورية قانون المطبوعات والنشر

وفي تطور آخر تدخلت محكمة البداية من تلقاء نفسها وأعطت لنفسها حق الرقابة الدستورية على القانون دون الطعن به من أحد إذ اعتبرت أن الأمر يتعلق بالنظام العام ومن حقها إثارته من تلقاء نفسها، وبالنتيجة قررت امتناعها عن تطبيق نص المادة 41 من قانون المطبوعات والنشر رقم 8 لسنة 1998 التي تعتبر رئيس التحرير فاعلاً أصلياً في جرائم المطبوعات، حيث اعتبرت المحكمة أنّ المادة 41 من قانون المطبوعات والنشر تخالف أحكام المواد 74، 75 من قانون العقوبات التي عرّفت فاعل الجريمة بأنه من أبرز إلى حيز الوجود جميع العناصر التي تؤلف الجريمة أو ساهم مباشرة في تنفيذها، "وبأن لا يحكم على أحد بعقوبة ما لم يكن قد أقدم على الفعل عن وعي وإرادة".

وحيث إنّ قانون العقوبات من القوانين العامة للدولة وأنّ المادة 103 من الدستور الأردني قد أوجبت على المحاكم أن تمارس اختصاصها في القضاء الحقوقي والجزائي وفق أحكام القوانين فتكون المادة 41 من قانون المطبوعات والنشر تخالف الدستور.

كذلك فقد تضمن قرار المحكمة "إن الاختصاص المقرر دستورياً للسلطة التشريعية في مجال إنشاء الجرائم وتقرير عقوبتها لا يشمل تحديد الأشخاص فاعلي الجرائم إذ إنّ التحقيق في قيام أركان الجريمة وعناصرها وتحديد فاعل الجريمة هو أمر من اختصاص السلطة القضائية

الأمر الذي يجعل مباشرة أي سلطة أخرى لمهام هي في الأصل من اختصاص سلطة أخرى مخالف للمبدأ الدستوري القائم على الفصل بين السلطات ومخالف للمادة 101 من الدستور التي اعتبرت المحاكم مصونة من التدخل في شؤونها". (38)

ومما يؤيد ما توصلت إليه محكمة البداية القرار الصادر عن المحكمة الدستورية العليا في مصر والذي قضى بعدم دستورية نص مماثل للمادة 41 من قانون المطبوعات الأردني.

ج) موقف محكمة الاستئناف من دستورية قانون المطبوعات والنشر

لم تأخذ محكمة الاستئناف بما توصلت إليه محكمة البداية الذي سبق الإشارة إليه ولم تجز لها فرض رقابتها على دستورية القانون وقد اعتبرت أنّ مجرد مرور القانون بمراحله الدستورية واقترانه بالإرادة السامية يجعله واجب التطبيق دون البحث في دستوريته، حيث جاء في القرار ما يلي: "إن هذا القانون مر بكافة المراحل الدستورية، ومصدق من مجلسي الأعيان والنواب وموشح بالإرادة الملكية السامية، وهو القانون الواجب التطبيق، وكان على محكمة الدرجة الأولى أن تعالج القضية وفق أحكام قانون المطبوعات والنشر". (39)

قرار محكمة الاستئناف المذكور لا يمثل توجهاً مستقراً للقضاء الأردني لأنّ المحاكم العليا المتمثلة بالتمييز والعدل العليا قد أخذت بمبدأ رقابة القضاء على دستورية القوانين ويحق للمحاكم الامتناع عن تطبيق القانون المخالف للدستور بعكس ما توصلت إليه محكمة الاستئناف، كما هو واضح من الأحكام المشار إليها في هذه الدراسة.(40)

د) موقف محكمتي التمييز والعدل العليا من رقابة المحاكم على دستورية القوانين

لم يعرض أمر دستورية قانون المطبوعات والنشر على محكمة التمييز وكان ينبغي عرض القرار الصادر عن محكمة الاستئناف رقم 2003/60 على محكمة التمييز لمناقشة موضوع رقابة المحاكم على دستورية القوانين، لكن من استعراض أحكام محاكم الدرجة العليا يتضح أن هناك أحكاما صادرة عن محكمة التمييز والعدل العليا قد أعطت المحاكم الحق في بسط رقابتها على القوانين لتفحص دستوريتها وتشل اثر أي قانون مخالف للدستور.

ففي حكم لمحكمة التمييز جاء فيه: "للمحاكم أن تشل أثار قرار لجنة الأمن الاقتصادي ولا تعمل به استناداً لصلاحيتها في مراقبة دستورية القوانين ومن باب أولى مراقبة دستورية الأوامر العرفية".

وفي حكم أخر لمحكمة التمييز الأردنية جاء فيه: "أن أي نظام يصدر وفقاً لأحكام القوانين تعطى بموجبه أية محكمة اختصاصاً معيناً للفصل بأية قضية لا يجوز العمل بموجبه ذلك لأنّ مثل هذا النظام يعتبر مخالفاً لأحكام الدستور ومن حق المحكمة أن تمتنع عن تنفيذ أحكامه."[41]

هـ) موقف الفقه من دستورية قانون المطبوعات والنشر

لاقت الأحكام الصادرة عن محكمة العدل العليا ومحكمة البداية التي سبق الإشارة إليها والمتعلقة بقانون المطبوعات والنشر إشادة من مختلف الجهات المعنية التي اعتبرتها انتصاراً للشرعية الدستورية وضمانة لحرية الصحافة والإعلام حيث سارعت نقابة المحامين إلى الإشادة بقرار محكمة البداية رقم 2002/876 ونشره في مجلة النقابة باعتباره من الأحكام المهمة والجديرة بالنشر.[42]

وفي مقال بعنوان "تأكيد وترسيخ الرقابة الدستورية" وصف الكاتب القرار بأنه خطوة إلى الأمام في سبيل حماية حقوق الإنسان الأردني وحرياته والعمل على ترقيتها.[43]

وفي دراسة تحليلية لقراري محكمة البداية ومحكمة الاستئناف المتعلقة بالمادة 41 مطبوعات فقد تمت "الإشادة في الأحكام القضائية السابقة الصادرة عن محكمتي الصلح والبداية في عمان لما تتسم به تلك الأحكام من جرأة وانتصار للشرعية الدستورية".

أما بالنسبة لقرار محكمة الاستئناف "يتضح من قرارها أنّها لم تكلف نفسها عناء بحث دستورية القانون في الدعوى المعروضة عليها، واعتبرت أن مجرد صدور القانون بعد مروره بالمراحل الدستورية، فإنه يكون واجب التطبيق، وبالتالي على الجميع تطبيقه وتنفيذه حتى ولو كان مخالفاً للدستور، وهو اجتهاد ليس معروفاً سنده القانوني وقرارها يطرح تساؤلاً هل يجب تطبيق أي قانون بمجرد إصداره ومروره بالمراحل الدستورية ولو كان مخالفاً للدستور؟".[44]

ولا زالت تلك الأحكام تتعرض للبحث والتحليل ففي دراسة تحليلية جديدة جرى تناول الأحكام التي سبق الإشارة إليها بالقول: "وقد عاد إلى الساحة القضائية ناقوس الشرعية الدستورية يدق في القضية البدائية الجزائية التي عرضت أمام محكمة بداية عمان في قضية تخص قانون المطبوعات والنشر رقم 8 لسنة 1998 حين قررت أنّ البحث في دستورية النص القانوني أمر يتعلق بالنظام العام وأنّ من واجب المحكمة الامتناع عن تطبيق النص القانوني المخالف للدستور، وفي ضوء جرأة هذا القضاء الذي أرسى مبدأ الشرعية الدستورية الذي قرر لنفسه حق الرقابة على دستورية القوانين عن طريق الامتناع عن تطبيق ما يخالف الدستور إضافة إلى ما يكرسه من ضمانة لسمو الدستور براً بقسمه أن لا يخالف القوانين."[45]

الصحافة الأردنية والعولمة:

إنّ الإعلام الأردني مطالب بالسعي الدائم لرفع سقوف الحرية الصحفية والإعلامية لكي يتمكن الصحفيون بشكل خاص والإعلاميون بشكل عام من القيام بواجبهم المهني في النقد البناء الهادف ومواكبة التطورات التي تحدث في العالم إضافة إلى عدم تعريض الصحفيين لما يضعف دورهم الرقابي، ومدهم بالمعلومات التي تعزز المصداقية والواقعية للقضايا التي يتطرقون إليها.

ويتوجب على الصحافة الأردنية أن تنهض بنشر ثقافة حقوق الإنسان في ظل توافر مجموعة من العوامل التي تؤكد الصلة بين الإنسان والإعلام، وتعمل على تعزيز الوعي بالديمقراطية وإتاحة المجال لضمان حرية التعبير التي هي من مستلزمات النظام الديمقراطي.

وقد أورد (تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003) أن الخطاب الإعلامي للدول العربية هو تقليدي يتسم بالسلطوية ويشير في الوقت ذاته إلى أن هناك صراعاً محتدماً بين الاستقلالية في الخطاب الإعلامي للقطاع الخاص والخطاب الذي ينطلق من القطاع العام.(46)

في زمن العولمة والتكتلات الكبيرة وامتلاك القدرة حتى لدى بعض الدول النامية على إطلاق مجموعات الأقمار الصناعية التي تسهم في تطوير العمل الصحفي والبث التلفزيوني وغير التلفزيوني تبدو التحديات أنّها تتم على مدار الساعة، وأنّ مواكبة التطور باتت تستلزم طليعة إعلامية لها القدرة على التناغم مع هذا التطور دون عقد مسبقة ودون الخضوع للنظريات المعلبة ولبعض المناهج الإعلامية النظرية التي لا تزال محكومة بعقدة الستينيات ولم تتمكن حتى الآن من الإفلات منها. وما تزال الدراسات الجامعية تنجذب لها.(47)

ليس ثمة شيء مؤثر مثل وسائل الصحافة والإعلام المتنوعة في عصر العولمة، سواء كان ذلك صحيفة أو تلفازاً أو إذاعة أو كتاباً أو بريداً إلكترونياً أو إنترنت أو فيديو أو فضائية أو كاسيت أو غير ذلك.(48)

لذا، فإنّ العصر الحاضر لا يحتاج إلى جهد كبير لتبليغ ما تريد إلى ملايين البشر في أصقاع شتى من العالم، إذ بضغطة زر واحدة ترسل رسالتك إلى الملايين (عن طريق البريد الإلكتروني)، كما يمكنك بالوقوف أمام عدسة صغيرة أن تؤثر في عشرات الملايين من البشر.(49)

ومن يتأمل فعل النبي صلى الله عليه وسلم قديماً يجده قد استثمر وسائل الإعلام المتاحة في عصره، إذْ كان يجلس في طريق القوافل الوافدة من الشام والعراق فيسمع منهم ويعرض عليهم دعوته، وكانت هذه بمنزلة وسائل الإعلام السريعة والمتنقلة في ذلك الزمان.

إنّ الناس كانوا قديماً على دين ملوكهم، أما اليوم فهم على دين إعلامهم، ولذلك حرص الحكام أن يسيطروا على الإعلام وأن يسوِّقوا أنفسهم من خلاله.

ويقول رئيس الوزراء "الإسرائيلي" الأسبق شمعون بيريز وهو يتحدث عن الإعلام وسطوته وتأثيره على العالم العربي: "لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكن هذا الطبق الصغير هو الذي سيغير العرب"، يقصد ذلك الطبق الذي يلتقط محطات البث التلفازي من كل أنحاء الدنيا.

إن هذا السياسي اليهودي، وهو بالمناسبة من أكثر قادة اليهود اهتماما بالتخطيط الإستراتيجي بعيد المدى، قد قال في تصريح آخر: إنّ قوة الإعلام قد أصبحت أقوى من قوة الجيوش، ولم يعد من الممكن تجاهل هذه القوة وإهمال تأثيراتها وسطوتها، ذلك لأنّ حادثة واحدة يتم نقلها عبر الصحف المؤثرة وعلى الشاشات الصغيرة تحدث دوياً هائلاً يفوق في وقعه وإيذائه للعدو تأثير حرب كاملة بكل ما تعنيه الكلمة.

وإذا كان بيريز كما هو واضح يقصد واقعة اغتيال الطفل الفلسطيني محمد الدرة برصاص الجنود اليهود وهو في حضن والده، وما أحدثته تلك الجريمة من صدى في الشارع العربي والإسلامي، والزلزال المعنوي الذي ألهب مشاعر الناس في كل مكان بحيث فجر مشاعر من الغضب والسخط أزالت أمامها كل ما حاول اليهود تأسيسه في العقل والضمير العربي والمسلم، فإنّ الداهية اليهودي لم يخطئ في تقديره للتأثيرات الهائلة التي أحدثها هذا المشهد الذي اختزل مأساة الأمة كلها وشراسة عدوها في بضع دقائق، كانت كافية تماما لكي يصحو العالم عليها وليعرف العرب والمسلمون أي عدو يواجهون.[50]

وعلى الرغم من التطورات التي رافقت الإعلام في عصر العولمة نظراً لإزالة القيود ورفع الحواجز إلا أنّ الإعلام الأردني لم يواكب التطور الحاصل في الإعلام العالمي. فقد صنفت منظمة "فريدوم هاوس" بيت الحرية الأميركي الأردن في تقريرها الصادر في الأول من أيار العام الحالي ضمن خانة الدول غير الحرة في مجال الحريات الصحفية وحرية التعبير والتجمعات وذلك بسبب التضييق على حرية التعبير.

وتبع تقرير "بيت الحرية" تقريراً أصدره مركز حرية وحماية الصحفيين عن حالة الحريات الإعلامية في الأردن لعام 2008، وبحسب المركز فإن حرية الإعلام في الأردن تراوح مكانها أو "مكانك سر" على الرغم من التغيرات الإعلامية التي يشهدها العالم. وجاء في التقرير أن أغلب المستطلعين يؤكدون أن الإجراءات التي اتخذت حتى الآن لم يكن لها تأثير على توسيع هامش حرية الإعلام، وأنّ 94 بالمئة من الصحفيين يخضعون أنفسهم لرقابة ذاتية.[51]

إن الإعلام الأردني مطالب بالإسهام بدور فعّال ومؤثر على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية في عصر العولمة بعدما أصبحت وسائل الإعلام تمتلك الكثير مما يجعلها قادرة على النفاذ إلى حيث يمكن أن تغير الاتجاهات والقناعات بل أضحت اليوم فاعله في قمع وإقصاء ما هو خصوصي وإحلال معارف أخرى وكل هذا يتم بشكل علني، فلا بد للصحافة الأردنية أن تطور من أدائها بالاعتماد على التطور التقني وتدعيم العنصر البشري المؤهل ليؤثر على العقول والوجدان حتى يتمكن من جذب المتلقي في ظل وجود رسائل إعلامية تبث عبر صفحات الصحف الإقليمية والدولية،فالمتلقي يسعى دائماً إلى معرفة الحقيقة من وسائل الإعلام المختلفة مما ليس بمقدوره أن يحصل عليها بجهده الفردي.

تأثيرات العولمة على الصحافة الأردنية

تعد الصحافة والإعلام ونحن في بدايات الألفية الثالثة ثروة حقيقية وغير مألوفة، سواء بفعل اتساعها وسرعتها أو بحكم نفاذها وتأثيراتها على عمليات التطور والتغيير. وقد ارتبطت بهذه الثروة الهائلة وبضاعتها ثورات كبرى أسهم الإعلام بتسليط الضوء عليها كاشفاً أنواعها، ومحدداً خصائصها، ومبينا طرق استغلالها وتوظيفها.

وفي عهد العولمة لا يمكن تصور تنمية حقيقية دون تكنولوجيا الإعلام الحديثة والمعركة الإعلامية وربما الفكرية.(52)

ترتكز التنمية في العالم العربي والبلدان النامية عموماً وربما في العالم اجمع على جبهتين: الأولى: التكنولوجيا التي حطمت الحدود والحواجز، فكيف يمكن نقلها وأي التخصيصات يمكن اعتمادها وكيف السبيل للاستفادة منها ضمن الظروف المحلية؟ هذه أسئلة بحاجة إلى إجابات معمقة.

أما الثانية: حقوق الإنسان وكل ما له علاقة بحرية التعبير من صحافة وإعلام وإبداع وبحث وتجديد وتطوير لوسائل الاتصال، ويشمل ذلك التعبير عن الرأي والمعتقد والحق في التنظيم والمشاركة السياسية وتؤثر مسألة احترام حقوق الإنسان في عملية التنمية وامتلاك التكنولوجيا التي هي لازمة للتطور.

لقد أدت العولمة إلى تغييرات سريعة وهائلة في وسائل الاتصال وتقريب المسافات الجغرافية وتعزيز الشعور الإنساني بين المجتمعات والدول والمؤسسات والأفراد وانتقلت الأسواق من السياقات المحلية إلى الأطر العالمية الواسعة والشاملة، ونجم عن العولمة إضافة إلى ذلك الارتباط في وسائل الاتصال والثورة الإعلامية وشبكة المعلومات والانترنت لدرجة يعتبرها البعض أنّها أخذت تمارس سلوكاً يومياً بحيث تغدو عملية مستمرة تنمو وتتطور على نحو حضاري وتسهم

في تحويل العالم إلى قرية كبيرة تتلقى تأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإعلامية على نحو لم يسبق له مثيل.[53]

إنّ فشل الإعلام العربي في تقديم صورة إيجابية للعالم عن القضايا والحقوق العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص، يعود إلى عدم معرفته في مفردات تكوّن العقل الأخر أو عدم استخدامها بشكل صحيح وبشكل خاص العقل الأوروبي أو الأمريكي التي هي بحاجة بعد المعرفة إلى فن وأساليب جديدة ومبتكرة خصوصاً وأن سيل الدعاية المعادية كبير، والموروث يكاد يهيمن على العقول في تصورات مسبقة يتم تغذيتها باستمرار.[54]

ما زال الإعلام العربي بشكل عام يعتمد على الشعارات الرنانة والنبرة الخطابية ذات الحماسة العالية التي تتوجه إلى مسلمات وعواطف بينما يأخذ الأخر الأمور بالعقل والتأمل والتفكير وبالطبع بحساب المصالح الحيوية والإستراتيجية.

وظل الخطاب العربي بشكل عام أحادياً، تبريرياً، يرفض التعددية ويتنكر لحقوق الإنسان تارة باسم الدين وتارة أخرى باسم القومية وثالثة باسم الدفاع عن مصالح الكادحين، وفي كل الأحوال لا تغيب لافتة الصراع العربي الإسرائيلي والعدو الذي يدق الأبواب من فوق الرؤوس.[55]

وبعد ما يزيد على 50 عاما على صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونحو مئة اتفاقية دولية هل سيبقى البحث جارياً في أعذار وظروف مخففة لحال حقوق الإنسان في العالم العربي بشكل عام وفي الأردن بشكل خاص؟ حيث يتم تجاهل وازدراء الكثير من الحقوق الأساسية والحريات العامة والشخصية لدرجة زادت حدتها أحياناً على أيام المستعمر الأجنبي. فثمة معيار لأي تقدم حضاري حقيقي ولأية تنمية منشودة يتلخص باحترام حقوق الإنسان إذ إنّ الإنسان هو القيمة الأساسية العليا والهدف الأول لأية فلسفة أو نظام أودين أو نظرية اجتماعية.

كما أن تطبيق قيم الصحافة الحرة عنصر أساسي من عناصر أنظمة الحكم الديمقراطي ويمثل نقطة تحول في طريق تقدمها، فحرية الصحافة واحدة من أهم الوسائل لاكتشاف وتشكيل الرأي واتجاهات القادة السياسيين.[56]

ويعتبر تطبيق مبدأ سيادة القانون متطلباً مهماً لإيجاد التوازن بين القيم والمصالح المتناقضة في أي مجتمع، ويقصد بسيادة القانون ثقة الأفراد بحكم القانون، والتزام النظام بمعاملة منصفة لجميع الأطراف.

ويتحقق مبدأ سيادة القانون بوجود نصوص قانونية واضحة والتزام السلطات بحكم القانون إضافة إلى المساواة في تطبيق الإجراءات الإدارية والقضائية فضلاً عن وجود نظام قضائي مستقل وفعّال.

وهناك عناصر ضرورية لقيام حرية الصحافة لعل أبرزها يتمثل بحرية إصدار الصحف والمطبوعات، فمثلاً أصبحت معظم البلدان الديمقراطية تأخذ بنظام الإشعار دون الأخذ بنظام الترخيص المسبق للصحف والمطبوعات، فالولايات المتحدة وأوروبا واستراليا لا تطلب أي شكل من أشكال الموافقة الحكومية على إصدار الصحف، أما فرنسا واسبانيا وبريطانيا تفرض شروطاً للتسجيل لكنها لا تملك حق رفض هذا التسجيل.

وأصبح حق الوصول إلى المعلومات الحجر الأساس في ضمان حرية التعبير والرأي وحرية الصحافة،حيث لا يمكن إعمال حق حرية التعبير بدون حق الوصول إلى المعلومات. ومن المعلوم أن أغلب المعلومات موجودة عند السلطة التنفيذية ومؤسساتها، ولترجمة مبدأ الشفافية والمشاركة في اتخاذ القرار يجب التسهيل على الصحفي للحصول على المعلومات لنشرها وإيجاد سوق حرة لمناقشتها.

وينص قانون المطبوعات والنشر في الأردن على حق الصحفي في الحصول على المعلومات ولو بشكل غير فعّال فللصحفي الحق في الحصول على المعلومات ضمن آليات محددة وأكثر سرعة. كما يشكل قانون ضمان حق الحصول على المعلومات ضمانة إضافية لإعمال حق الحصول على معلومات فنص القانون على الحق لكل أردني في الحصول على المعلومات وترك فترة 30 يوماً كحد أقصى للمسؤول للإجابة على طلب الحصول على المعلومات. وبإمكان الصحفي بصفته مواطناً تقديم طلب للمؤسسات الحكومية للحصول على معلومات.

ويعتبر الوصول إلى المعلومات في العصر الحديث أمراً مهماً لكونه يمكّن المواطن من إعمال كثير من حقوقه وخاصة حق التعبير والانتخاب والمشاركة في الشؤون العامة للدولة.

وعلى الرغم مما ورد في قانوني المطبوعات وضمان حق الحصول على المعلومات إلا أنّ تقريراً للمجلس الأعلى للإعلام حول الحريات الصحفية في الأردن لعام 2007 كشف أن المعيق الأكبر لحرية الصحافة في الأردن هو حجب المعلومة وصعوبة الحصول عليها بحسب ما ذكر 424 صحفياً من بين 580 تم استطلاع آرائهم. وكان التقرير الذي سبقه وصدر في العام 2005 قد أفاد أن المعيق الأكبر لحرية الصحافة يتمثل بصعوبة الحصول على المعلومات أيضاً.[57]

المواقف المختلفة من أخطار العولمة على الصحافة الأردنية:

تختلف ردود الأفعال، بل تتباين، من التحديات التي تواجه الصحافة الأردنية، نتيجة لعولمة الثقافة الغربية. ومع غض النظر عن التفاصيل يمكن الإشارة إلى موقفين كبيرين متنافرين. الموقف الأول ينبني على أنّ العولمة شر خطير، يداهم الأمة الإسلامية، ويهدد وحدتها وكيانها واستمرارها، ويطالب بأن يغلق دونها الأبواب، لتحصين مجتمعاتنا بالدعوة للرجوع إلى أصول ثقافة الأمة، ومنها بصفة خاصة الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، والعمل على إبعاد الشباب لحمايتهم من التعرض لوسائل العولمة الثقافية الغازية. والموقف الثاني ينبني على أن نهضة المسلمين لا تتحقق إلا من حيث تحققت نهضة الغرب وأنّ الثقافة تراث بشري، ليس خاصاً بقوم دون أخر، أو منطقة دون أخرى، أوجهة دون جهة، ويطال أصحاب هذا الموقف فتح الأبواب على مصارعها للثقافات الوافدة، من أجل أن يلحق المسلمون بالركب العالمي، وحتى تتلاقح الثقافات، ويتوحد العالم حول ثقافة واحدة، وهذا أدعى لتحقيق السلام، والتقدم العالمي. وهناك مواقف أخرى تقترب أو تبتعد عن هذين الموقفين. [58]

والحق أنّ المسألة تصل إلى حد الإشكالية الصعبة، فلا الانغلاق -في عصر العولمة الجديد- عما يجري في العالم ممكن ومتاح لو تم اعتماده، وليس هو صحيحاً كل الصحة لو كان ممكناً. ولا الانفتاح التام بلا ضوابط على العولمة المعاصرة صحيح أيضاً. بل إنّ الأخطار الناجمة عن هذا التوجه لا تقل خطراً -إن لم تزد- عن التوجه الآخر بالانغلاق إذن الحل يكمن في الوسطية وإبراز المقومات الذاتية للأمة الإسلامية والاستفادة بما لا يعارض تراث الأمة الإسلامية. [59]

إن نجاح الإعلام في عصر العولمة قضية مستمرة الفصول وذلك لان هذا الزمن تحكمه المنافسة والخصخصة ويجب أن توظف فيه كل عناصر القوة التي تجعل من الصحافة تمتلك القدرة على التأثير والتفاعل الأمر الذي يستوجب تطوير مضامين العمل الإخباري وإشراك الجمهور العام والنوعي والاهتمام بالجامعات وإشراك طلبتها في التعبير ورصد أسماء القادرين على المداخلات وتقديم الحوافز للمثقفين والمفكرين بإيلاء الثقافة الجادة المكانة اللائقة بها.

لقد أصبح الشكل المألوف للصناعة الإعلامية بصورتها المبسطة جزءاً من الماضي لان طبيعة العمل الصحفي في وقتنا الحاضر يرتكز على قاعدة تقنية عالية ورغبة الصحف في دخول الأسواق الواسعة وتحقيق الرواج والتوزيع الكبير للصحيفة يجعل منه أمراً يتعارض مع مع المشاريع الصغيرة التي لا تستطيع الصمود أمام تحديات الإنتاج ومتطلبات الجمهور المستهلك للوسيلة الإعلامية والآفاق الواسعة التي صاحبت اجتياز الإعلام للحدود وإمكانية تلقي الرسائل الإعلامية من كل حدب وصوب بكل ما تتصف به الرسائل الإعلامية من مستويات فنية، وأفكار جديدة تفرض على الجمهور التعرض إليها والتفاعل معها.

فالمنشأة الإعلامية الصغيرة في عصر العولمة بات صعباً عليها بالعدد القليل من العاملين فيها في مجالات التحرير والإخراج الفني والإنتاج فضلاً عن قلة مواردها الإعلانية أن تصمد أمام المؤسسات الصحفية العملاقة التي تعمل على قاعدة الاحتكار والتنوع والتعدد في الإصدارات وامتداد ملكيتها إلى فروع الإنتاج الإعلامي المكتوب والمقروء والمسموع إضافة لما تمتلكه من منشآت صناعية وإنتاجية تتصل بالصناعة الإعلامية.[60]

لذلك، فإن أبرز تحديات عصر العولمة الإعلامي محلياً وعربياً يتمثل بالاستمرار في تحديث تقنيات الإعلام وابتكار مفاهيم جديدة لتوطين هذه الصناعة في ظل ما هو قادم من منتجات ثقافية وإعلامية عالمية بدأت تؤثر فعلاً على الهوية العربية ما لم يتم التصدي لها بالعلم والمعرفة الإعلامية، إذ إن مثل هذا التصدي لا يأتي إلا بتحسين المنتج الإعلامي محلياً وعربياً سواء أكان مسموعاً أو مرئياً أو مطبوعاً والعمل على تطوير أدواته وآلياته بحيث نتعامل مع عصر العولمة إعلامياً بأساليب تفاعلية حوارية بما يسهم في تحصين جبهتنا الداخلية ويعزز من قدرة المجتمع على مواجهة تحدي الحرب الإعلامية التي تشنها مؤسسات الإعلام الدولي بأساليب علمية ودعائية هادفة لإحداث التأثير الذي تسعى إليه داخل مجتمعاتنا.[61]

أثر التقدم التقني على صناعة الإعلام في عصر العولمة

أسهمت التكنولوجيا الاتصالية الحديثة التي ظهرت من جراء تقدم تكنولوجيا الأقمار الصناعية، وتطور التقنيات الطباعية والحاسبات الالكترونية، وما أحدثه الإعلام المتعدد الوسائط من تفاعل بين الإعلام والمعلوماتية سمح بأدوار جديدة لأجهزة الإعلام والحاسبات وأنتج استخدامات جديدة لأجهزة الإعلام انعكست إيجاباً على العمل الإعلامي والرسائل الإعلامية.

في ضوء ما تقدم يمكن القول: إن من يملك وسائل الاتصال يستطيع أن يتحكم بالرسالة الاتصالية ويستطيع التأثير في المتلقي. ولذلك، فإن الصحافة الأردنية مطالبة بالمنافسة في عالم يشهد نمواً متسارعاً في هذا الميدان مع وجود شركات إعلامية متعددة الجنسيات تجعل من دول العالم ساحة لعملها من دون انتظار إذن من أنظمة هذه الدول للعبور إلى كل بيت ومخاطبة من فيه مهما اختلفت المذاهب الفكرية والسياسية والدينية.[62]

ولعل أبرز التغيرات التي فرضتها التكنولوجيا على صناعة الإعلام تتمثل بما يلي:-

1- أصبح الإعلام صناعة تستوجب التأهيل العلمي الإعلامي والتدريب المستمر للإعلاميين في مجالات اختصاصهم وذلك للتمتع بالقدرات المهنية التي تسهم في صقل معارفهم وتحسين قدراتهم للنهوض بالعمل المهني على أفضل وجه ممكن.

2- وجود إدارات مؤسسية قادرة على تسيير العمل الإنتاجي داخل المؤسسات الإعلامية بحيث تراعي الطبيعة الخاصة لكل واحدة من الدوائر داخل المؤسسة الصحفية.

3- استقطاب الكفاءات وأصحاب القدرات والإمكانات الصحفية العالية لكي يتسنى للمؤسسة الصحفية إقناع المعلنين بجدارة المؤسسة الصحفية حتى تستأثر بحصة كبيرة من الإعلانات على اعتبار أنها من مقومات الصناعة الإعلامية.(63)

4- تقوم الصناعة الإعلامية على التنوع في مجالات الاستثمار،فإلى جانب العمل الإعلاني تقوم بإجراء الدراسات واستطلاعات الرأي، وإعداد البحوث وأخذ الصور الأخبارية التي تؤمن دخلاً إضافياً للمؤسسة الإعلامية.

5- امتلاك التكنولوجيا المتطورة من معدات إرسال المعلومات واستقبالها ومطابع حديثة تمنح المؤسسة قدرات إنتاجية عالية تتفق مع متطلبات السوق وجودة المنتج.(64)

ولمواكبة ما يستجد في العالم سعت صحيفة الرأي الأردنية في العام 2007 بتجهيز الصحيفة بأحدث الآلات الخاصة بعمليات التصميم والطباعة والتحكم بجودة اللون والسرعة في إنجاز الصحيفة.

كما أن صحيفة الدستور الأردنية أدخلت أحدث المطابع تعد الأسرع في منطقة الشرق الأوسط، إذ بمقدورها أن تطبع (70) ألف نسخة في الساعة الواحدة. وعليه؛ فإن هذا الأمر يؤكد حقيقة مؤداها يقول: إن المؤسسات التي لا تطور من نفسها في هذا العصر لا يكتب لها البقاء.

6- الاهتمام بالعلاقات العامة للمؤسسة مع جمهورها وذلك لكونها تؤدي دوراً في غاية الأهمية في بناء علاقتها مع المجتمع ومنظماته المختلفة.(65)

التغيرات التي أحدثتها العولمة في العمل الإعلامي

لقد أحدثت تكنولوجيا الاتصال المتطورة في عالم اليوم تغيرات جذرية في طبيعة عمل الوسائل الإعلامية أظهرت مفاهيم جديدة في العمل الإعلامي، ومن أبرز هذه التغيرات ما يلي:-

1- أعطت الجمهور حرية واسعة في اختيار الوسيلة الإعلامية التي يريد، والصحيفة التي يريد قراءتها، حيث أصبح للصحف مواقع على شبكة الانترنت، إضافة إلى وجود صحف الكترونية تتميز عن التقليدية بأنها تحمل سمات الخدمات الإذاعية والتلفزيونية بسبب قدرتها على تقديم الأخبار في أي وقت.(66)

2- سمحت التكنولوجيا الحديثة للصحافة المطبوعة وكذلك وكالات الأنباء المحلية والدولية والشبكات الإذاعية والتلفزيونية بحضور الكتروني على شاشات الحاسب الآلي فأتاحت لجمهور الانترنت قراءة مواقعها الإخبارية بصورة جاذبة وقابلة للتحديث.

3- أسهمت تكنولوجيا الاتصال بإتاحة المعلومات من المصدر إلى المتلقي ولم يعد هناك أي مبرر للرقابة الإعلامية أو التعتيم على الأحداث طالما أن الجمهور بمقدوره أن يحصل على الأخبار من مصادر عديدة.

4- أحدثت الانترنت ثورة في النشر الالكتروني جعلت الصحيفة تتخطى الحدود الجغرافية وتعمل على تحديث أخبارها الالكترونية وأتاحت للقارىء أن يختار ما يشاء في الوقت الذي أصبح بمقدور المندوبين والمحررين الاعتماد على هذه الشبكة لإثراء موضوعاتها وإغنائها بالمعلومات المنوعة.[67]

5- أسهمت الانترنت بالتفاعل الحي وإجراء الحوارات المباشرة بين الجمهور ومحرري الصحف من خلال الأسئلة والاستفسارات والتعليق على المقالات الأمر الذي جعل الجمهور طرفاً متفاعلاً في العملية الاتصالية وليس متلقياً.

6- أتاحت التكنولوجيا الحديثة المتمثلة بالحاسبات الآلية اختصار المراحل المتمثلة بجمع الأخبار وصياغتها وتحريرها وإخراجها وتصحيحها وهي مراحل كانت تستغرق زمناً طويلاً في الوضع التقليدي السابق الأمر الذي أسهم في تعزيز شخصية الصحيفة إضافة إلى قيامها بتطوير أساليب الإخراج على نحو يتفق وسياساتها التحريرية.[68]

بناء على ما تقدم وفي ظل ما يجري من تطور مضطرد في عالم الصحافة من جراء ثورة التقنية التي يشهدها عصر العولمة، يجب أن تستفيد الصحافة المحلية من معطيات الواقع الجديد فتوطن التقنية الجديدة وتستقطب الكفاءات لكي تحسن من أدائها المهني فيخرج خطابها الصحفي من السطحية والمعالجة الجزئية، ويتحرر من التركيز على أنشطة بعض المسؤولين والانطلاق إلى فضاء أرحب بالتركيز على المعلومات والتحليل والاستقصاء والحوارات الموسوعية وسائر السمات التي لا تزال مفتقدة وغائبة عن الصحافة المحلية، وكذلك عدم إهمال التثقيف والتوعية الاجتماعية، والتحرر ما أمكن من التبعية للإعلام الغربي بتفعيل التعاون الإعلامي العربي المشترك لمواجهة الشركات المتعددة الجنسيات التي تحاول أن تستأثر بسوق الصحافة والإعلام في العالم.

النتائج:

ظل مفهوم حرية الرأي والتعبير على امتداد التاريخ البشري يأخذ مكانة كبيرة بين الأدباء والفلاسفة. ويذكر التاريخ أن تطور هذا المفهوم في الولايات المتحدة يرجع إلى كل من "جون ملتون" في القرن السابع عشر، و"جون أرسكن" و"توماس جفرسون" في القرن الثامن عشر،

و"جون استيورات مل" في القرن التاسع عشر. كذلك لعبت كتابات كل من الفيلسوف الأنَجليزي "جون لوك" في القرن السابع عشر، والفيلسوفين "منتسكيو" و"جان جاك روسو" في القرن الثامن عشر دوراً بارزاً في عملية تدفق الآراء والأفكار السياسية الحرة وفي تطوير مفهوم حرية الرأي والتعبير.(69)

ينبغي الاعتراف أن ملامح العولمة واقع عيني واضح بيد أن التقدم العلمي والتكنولوجي هو نتاج العقل الإنساني وتوظيفيه تنموياً وحضارياً خيار وتدبير إنساني بحت، لذا فإن الاستثمار المكثف في التطوير وفي تأهيل الموارد البشرية على كافة المستويات وبخاصة المستويات التقنية المتطورة يشكل أساساً للتعامل مع مظاهر ومفاهيم العولمة للإنطلاق من حقيقة أساسية مفادها أن لا يكن لدولة أو شعب أو فرد ما أن يعيش على أطلال الماضي وإن ارتبط مع الماضي، هذا مع ما تحققه مادة العولمة التقنية في تسهيل كشف هذا الماضي والارتكاز عليه كمفهوم حضاري وثقافي للبيئة العربية. ووفقاً لهذا القياس فثمة أسس وأدوات لا بد منها للموازنة بين أبعاد العولمة ومعايير عالمية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية تفرض نفسها أكثر من أي وقت مضى ومن الواجب الأخذ بها على الصعيد الوطني والعربي والعالمي. يمكن القول: إنّ تحسين بيئة الإعلام الأردني بشكل عام والصحافة بشكل خاص من الموضوعات المهمة في عصر العولمة وفي ضوء ما تقدم تم التوصل إلى النتائج التالية:

1- إنّ الإعلام الأردني يواجه تحديات صعبة في ظل عصر العولمة بحيث يجعله عاجزاً عن القيام بمهمته على الوجه الأكمل في ظل إزالة الحواجز وتخطي الحدود للمطبوعات الصحفية، ولذلك يجب وضع خطة شاملة للنهوض بهذا القطاع من النواحي القانونية والتقنية والمهنية على نحو يمكن من خلاله مواجهة هذه التحديات بصورة فاعلة.

2- إنّ تحدي العولمة يجب أن تتم مواجهته بشكل كامل على الصعيد الحكومي والخاص لأنّ تأثيره يطال كل فئات المجتمع.

3- يجب امتلاك التكنولوجيا الحديثة وتوظيفها في خدمة العمل الصحفي من أجل مواكبة روح العصر وخاصة تكنولوجيا الاتصالات لأنّ التكنولوجيا منابر وأدوات العولمة.

4 - البحوث المتعلقة بحرية الصحافة تطرقت إلى رفض الرأي العام الأردني بشكل عام ونقابة الصحفيين الأردنيين بشكل خاص لقوانين المطبوعات والنشر بسبب عدم تجسيدها للعمل الديموقراطي وحرية الرأي والتعبير.

5- أداء نقابة الصحفيين الأردنيين اقرب ما يكون لمؤسسة حكومية ترمي إلى السيطرة بشكل غير مباشر على الصحافة، فقد كانت في بعض الأحيان معوقاً أساسياً في عمل الصحفيين

والمؤسسات الصحفية حيث يتفق قانون النقابة مع قانون المطبوعات في أن الصحفيين الموالين إلى الحكومة هم الذي يسيطرون على مجلس النقابة وغالبيتهم في وسائل الإعلام المملوكة للدولة من صحف ووكالة أنباء وإذاعة مسموعة ومرئية.

6- خطت الصحافة الأردنية خطوات كبيرة في تطورها ولكنها ما زالت أسيرة وجهة النظر الرسمية وهذا ما أكده الباحث وليبيم روو في أن العلاقات بين الحكومات العربية ووسائل الإعلام معقدة بشكل كبير، وما زال الإعلام العربي يلعب دوراً في العملية السياسية ويتأثر بها ولا يمكن الحكم على الأداء الفعلي للإعلام في المسرح السياسي العربي على أساس القانون السائد أو البنية الشكلية وحسب، بل إنّ ثمة عوامل أهم وهي وجود معارضة حقيقة للحكومة وشرعية الجماعة الحاكمة وقوتها وبخاصة في هذه المرحلة الدقيقة للأمة العربية بأسرها والقاعدة الاقتصادية لوسائل الإعلام وحيوية وقوة التقليد الصحفي المستقل في الدولة.

7- الصحافة يجب أن تؤدي رسالتها في ظل وجود مناخ من الحرية المسؤولة وتهدف إلى تهيئة المناخ الحر لنمو المجتمع وارتقائه بالمعرفة المستنيرة. لذلك فإن الرقابة على الصحافة محظورة ومع ذلك يجوز وضع استثناء في حالة الطوارئ أو زمن الحروب أن يفرض على الصحف رقابة محددة في الأمور التي تتصل بالسلامة العامة أو أغراض الأمن القومي.

8- في ظل عودة الحياة الديموقراطية نهاية ثمانينيات القرن الماضي ظهرت على الساحة الأردنية صحف جديدة متعددة الميول والمشارب تسعى لاجتذاب القارئ الأمر الذي أشاع حالة من التنافس بينها ودفع ببعضها إلى المغالاة في طبيعة المادة المنشورة، مستفيدة بذلك من هامش الحرية الواسع الذي إتاحة قانون 93. وقد أخذت بعض الصحف الأسبوعية تميل إلى تقديم مواد حافلة بعدم الدقة والاعتماد على الإشاعات وأحيانا النقد الجارح،إضافة إلى تقديم مواد وعناوين حافلة بالإثارة بشتى صنوفها وباستخدام تعابير لغوية غير مألوفة يرفضها الذوق العام الأمر الذي دفع بعض المسوؤلين الحكوميين إلى المطالبة بوضع حد لارتفاع هامش الحرية في ظل هذا القانون.

8- المادة التي تتطرق إلى حبس الصحفي في قانون المطبوعات الذي اقره مجلس الأمة بشقية النواب والأعيان كانت الأكثر جدلاً خلال مداولات ومناقشات مستفيضة، ففي الوقت الذي أبقى مجلس النواب على عقوبة الحبس ألغى مجلس الأعيان العقوبة وفي جلسة لاحقة تراجع مجلس النواب وألغى العقوبة ولكن في الوقت نفسه شرّع الحبس في (22) قانوناً نافذاً على رأسها قانون العقوبات. فالقوانين السته التي صدرت منذ عودة الحياة النيابية تعتبر دليلاً واضحاً على أن المشرّع لم يكن موفقاً في إصدارها.

9- تهتم نقابة الصحفيين، "بالأمور المهنية والمعيشية للصحفيين وتبذل جهداً في حماية الحرية الصحفية، لكن هذه مسألة لا تتوقف على جهودها فقط، فهناك جهد تشريعي يفترض أن يقوم به مجلس الأمة. وهناك مبادرات قام بها المجلس الأعلى للإعلام قبل إنّ يتم إلغائه من اجل تطوير الحرية الصحفية إلا أنّ الواقع يحتاج لجهود متضافرة من عدة أطراف".

10 - صدور "قانون ضمان حق الحصول على المعلومات" رقم 47 لسنة 2007 كأول قانون من نوعه في الأردن والعالم العربي. وجاء في الأسباب الموجبة لمشروع القانون ان حرية الوصول إلى المعلومات أصبحت الحجر الاساسي في الحريات الصحفية والعامة. وغني عن البيان أنّ اغلب المعلومات متوفرة لدى السلطة التنفيذية ومؤسساتها، ولترجمة مبدأ الشفافية والمشاركة في اتخاذ القرار لا بد من اتخاذ الخطوات التشريعية والتنفيذية التي من شأنها التسهيل على الصحفي والمواطن الحصول على المعلومات.

ويوازن القانون بين حق المواطنين في المعرفة وحق الدولة في حجب المعلومات التي تضر بالأمن الوطني. ويضع القانون استثناءات على المعلومات التي يجوز الكشف عنها ومنها ما يتعلق بالخصوصية وحفظ حقوق الآخرين، وقضايا الملكية الفكرية، والحفاظ على الآداب العامة والصحة العامة. كما يعتبر القانون نقلة نوعية في إعمال حق المواطن -والصحفي- في الوصول إلى المعلومات إذا ما أحسن استخدامه.وينص القانون على ضمان حق المواطن في الحصول على المعلومات، وليس الصحفي فقط، كحق يضمنه القانون وليس منحة أو تسامحاً من الحكومة ومؤسساتها.

11- لا يجيز الأردن دخول المطبوعات من الخارج قبل إخضاعها لرقابة مسبقة ففي العام 2006 منعت دائرة المطبوعات إجازة وتداول 89 كتاباً لمخالفتها لأحكام قانون المطبوعات والنشر والقوانين النافذة. كما منعت إجازة وتداول 73 كتاباً في العام 2005، وبحسب معلومات الدائرة "تتعلق أسباب المنع بالأخلاق والإساءة للأديان والمصلحة الوطنية والأمور الشخصية". وسبق أن منعت دائرة المطبوعات والنشر تداول حوالي 1248 كتاباً في الفترة 1955-1987.

ويمكن اعتبار مديرية المطبوعات والنشر امتداداً لمديرية المطبوعات التي أنشئت بموجب نظام المطبوعات لسنة 1939، وبهذا تعد أول وأقدم جهاز رقابي عرفه الأردن، ولم تتغير مهمة هذه الدائرة كثيراً حتى يومنا الحاضر.

ولذلك يجب النص صراحة على عدم جواز الرقابة المسبقة وان يكون أي فعل ينتهك هذا الحق قابلاً للطعن به وطلب التعويض (إلا في حالة إعلان قانون الدفاع).

12- يؤخذ على "مجلس المعلومات" عدم استقلاليته كما يجب بسبب غياب تمثيل القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني فيه. ويتشكل المجلس برئاسة وزير الثقافة وعضوية أمين عام وزارة الداخلية ومدير التوجيه الوطني بالقوات المسلحة وغيرهم.

13- إذا لم يعيد المشرع في الأردن النظر في قوانين المطبوعات والنشر بما يرفع سيف الرقابة عن الصحافة، ويعزز من حريتها فإن الصحافة الأردنية ستجد نفسها في وضع تنافسي غير متكافىء مع الصحافة غير الأردنية، فالمعرفة هي ضالة الإنسان فإذا وجدها في وسائل غير أردنية ازداد تعلقه بها وبالتالي يصبح تأثير الصحافة الخارجية أكثر فعالية وأعمق أثراً وذلك على حساب رسالة الصحافة الوطنية.

التوصيات

ثمة أسس وأدوات لا بد منها للموازنة بين أبعاد العولمة ومعايير عالمية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية التي تفرض نفسها أكثر من أي وقت مضى، ومن الواجب الأخذ بها على الصعيد الوطني والعربي والعالمي. فالعولمة تسهم في تسهيل كشف الماضي والارتكاز عليه كمفهوم حضاري وثقافي للبيئة المحلية والعربية، ووفقاً لهذا القياس يجب مواكبة حالة التطور التقني في العالم بشكل فاعل لكونه يسهم في الارتقاء بالعمل الصحفي، والنهوض بمستوى الأداء المهني الذي ينعكس إيجابيا على تقدم هذه المهنة التي تسمى مهنة المتاعب. وفي ضوء ما تمت الإشارة إليه فقد تم التوصل إلى التوصيات التالية:

1- إنّ العقوبات الواردة في قوانين المطبوعات مساحتها أوسع من مساحة الحريات وبالذات في القانون الأخير رغم أن الحبس قد ألغي فيه، إلا أنّ هناك قوانين أخرى تعاقب الصحفي على ذلك وهذا يتطلب من المشرّع عند صياغة مشروع قانون أن لا يتناسى أنة يتعامل مع جمهور كبير، لذا فمن المنطقي أن تعمل العقوبة على بناء مجتمع متماسك، وردع أولئك الذين يزرعون بذور الفتنة بين الجمهور. فالعقوبة هي أساس للردع وليست لامتهان كرامة الإنسان وهذا يفسر الفارق بين القانون الإلهي والقانون الوضعي.

لذلك ينبغي إنهاء العقوبات السالبة للحرية في الجرائم المرتكبة بواسطة المطبوعات وجرائم الرأي، وإصدار تشريع واضح وصريح يمنع التوقيف والحبس في قضايا المطبوعات والنشر. ووضع تشريعات تعاقب من يفعل ذلك بغير الطرق التي يحددها القانون.

2- يتضح أنّ العديد من التشريعات المتعلقة بموضوعات النشر تصبح خلال فترة قصيرة بحاجة لتعديلات أو إعادة النظر فيها. لذلك فإنّ الحاجة تستدعي صياغة تشريعات يسهم في وضعها الجسم الإعلامي والأكاديمي مع ضرورة إشراك قانونيين لكي يكون مدلول الكلمات أكثر

وضوحاً والصياغة أكثر دقة بالابتعاد قدر المستطاع عن الكلمات المطاطية التي قد يتعدد تأويلها وتفسير مضامينها.

3- ضرورة فتح قنوات الاتصال بشكل فعّال بين الإعلاميين بما يمثلون من سلطة رابعة والسلطات الثلاث في الدولة حيث إنّ حرية الحصول على المعلومة أو الوصول إليها أهم بكثير من أية أمور أخرى لأنّ معاناة الصحفي ما زالت مستمرة نتيجة إغلاق قنوات الاتصال مع المسؤولين.

4- دعوة المؤسسات الإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني المعنية بقضايا حرية التعبير لفتح قنوات الحوار باستمرار مع أعضاء البرلمان الأردني لإقناعهم بالوقوف إلى جانب حرية الإعلام وليس الوقوف ضدها.

5- إيجاد ميثاق شرف صحفي فاعل وعصري يحكم سبل العمل وأخلاقيات المهنة. فعلى الرغم من وجود مثل هذا الميثاق الذي يعمل به حالياً إلا أنّه لا يمكن منع التجاوزات المهنية التي تصدر من الصحف والصحفيين خاصة عند الحديث عن موضوعات تمتاز بالحساسية، لذلك يجدر أن يخضع الميثاق الحالي إلى مزيد من التطوير.

6- إنشاء محكمة خاصة بالصحافة ووسائل النشر والكتابة حتى لا يتعرض الصحفي عند مخالفته إلى أكثر من عقوبة ويطبق علية أكثر من قانون مثل قانون العقوبات وقانون أمن الدولة وأية قوانين أخرى. لذلك ينبغي النص على محاكمة الصحفيين بشكل حصري أمام المحاكم المدنية، وإيقاف اختصاص محكمة أمن الدولة في هذا الجانب وفي الوقت نفسه إلغاء المسؤولية الجنائية عن أفعال النشر فيما عدا جرائم السب والقذف المقترنة بسوء القصد.

7- إيجاد تقنية حديثة للعمل الصحفي تتواءم مع التطور الحاصل في العالم لأنّ المؤسسات التي لا تطور نفسها لا يكتب لها البقاء وليس بمقدورها أن تواصل عملها على نحو فاعل.

8- الاستفادة من الإمكانات اللامحدودة التي توفرها العولمة ولاسيما الجوانب الإيجابية فيها وفي مقدمها العلم والثقافة والفضاء المفتوح للإسهام بالانتقال في العمل الصحفي إلى وضع أكثر تقدماً وفاعلية.

9- تخفيف أو إلغاء الشروط المنصوص عليها لإصدار المطبوعات في الأردن إذ ينص قانون المطبوعات والنشر على شرط الترخيص المسبق قبل إصدار المطبوعات. وللمقارنة فقد ألغي ترخيص الصحف في بريطانيا عام 1695 أي قبل 313 سنة. ولا يتطلب إصدار المطبوعات أي ترخيص مسبق في 46 دولة تخضع لولاية المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان. إذ ينبغي التحرر من قيود إصدار الصحف، وأن يفسح المجال للصحف بأن تزدهر،

فيبقى منها ما هو فاعل في هذا الميدان وينتهي منها الصحف البعيدة في أدائها عن المهنية والحس الصحفي المسؤول.

10- أن تنص القوانين اللاحقة على منع الحكومة من تملك أسهم في الصحف، ولا تزال الحكومة تحتفظ بحوالي 56% من أسهم صحيفة الرأي وبحوالي 34% ثلث أسهم الدستور،وهما من أهم الصحف التي تصدر في الأردن، وواقع الحال أنّ الحكومة لا تمتلك هذه الأسهم مباشرة بل إنّ مؤسسة الضمان الاجتماعي هي المالكة لها. لذلك ينبغي النص على إنهاء مُلكية الحكومة أو القطاع العام في أسهم الصحف.

11- تعديل قانون حماية أسرار ووثائق الدولة رقم 50 لسنة 1971 ليتوافق مع المادة 19 من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لتسهيل الحصول على المعلومات.

12- تعديل قانون نقابة الصحفيين وتسهيل دخول الراغبين بالانتساب إليها وفتح باب الانضمام للصحفيين العاملين في الصحف الحزبية والصحافة الالكترونية.

13- الارتقاء بالمستوى المهني للصحفيين من خلال الدورات التدريبية التي تصقل مهاراتهم المهنية وتعزز من معارفهم لذلك يجب على الصحفي العمل وفق ضميره المهني وميثاق الشرف الصحفي.

15- النص على عدم التمييز عند قيام الحكومة وأجهزتها بالإعلان في الصحف (بمكافاة الصحف القريبة منها ومعاقبة التي تنتقدها).

16- الارتقاء بالحماية التشريعية لحرية الصحافة إلى مستوى الحماية الدستورية بأن ينص الدستور على حرية الصحافة على نحو مفصل يبين موقف الدستور من الرقابة والوقف والإلغاء إذا امتدت حالة الطوارئ خارج حدود زمنية معينة.

الخاتمة:

في ضوء ما تم التوصل إليه في هذا البحث يمكن القول: إنّ هناك شبه اتفاق أن الإعلام العربي بعامة والإعلام الأردني بخاصة ولاسيما الصحافة، يواجه العديد من المعيقات والصعوبات ناتجة عن ما يعرف بـ"عصر العولمة" ويجب القيام بخطوات مناسبة من أجل مواجهتها بهدف الاستمرار للتعامل بشكل مناسب في ميدان الإعلام حتى لا يفقد الإعلام الوطني بريقه ويتحول المواطنون إلى وسائل إعلام خارجية قد تكون موجهة وتحمل في رسائلها الإعلامية الكثير من الجوانب الدعائية التي تؤثر في فكر الجمهور وتوجهاته.

وفي هذا الإطار يجب وضع خصوصية العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية عندما يتعلق الأمر بالأردن والوطن العربي فالاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام، بل إنّه سلاح خطير يكرس الثنائية والانشطار في الهوية الوطنية القومية ليس الآن فقط بل وعلى مدى الأجيال الصاعدة والقادمة.

إنّ الوسائل الإعلامية التي تحمل هذا الاختراق وتكرسه إنما تملكها وتستفيد منها فئة معينه هي النخبة العصرية وحواشيها، وهي التي تستطيع امتلاكها والتعامل مع لغاتها الأجنبية بحكم التعليم القسري الذي تتلقاه - أما عموم الشعب وعلى رأسه النخبة التقليدية، فهو في شبه عزلة يجتر بصورة أو بأخرى ثقافة الجمود على التقليد والنتيجتين استمرار إعادة إنتاج متواصلة والمعاصرة في الثقافة والفكر والسلوك.

الحاجة تستدعي إلى تجديد الثقافة وإغناء الهوية الوطنية ومقاومة الغزو الكاسح الذي يمارس على مستوى عالمي إعلامياً وبالتالي أيديولوجياً وثقافياً من قبل المالكين للعلم والتقانة،وضرورة اكتساب الأسس والأدوات التي لابد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتقانه، دخول الذوات الفاعلة المستقلة وليس دخول الموضوعات المنفعلة الميسرة.

فالتحديث حاجة ملحة عن طريق الانخراط في عصر العلم والمعرفة ولكن في المقابل ينبغي مقاومة الاختراق لحماية الهوية القومية والثقافة الوطنية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس على العالم أجمع بوسائل العلم والتقانه.(71)

يمكن القول: إنّ أبعاد العولمة ومعناها فيما بذلته الجهود في تحرير مفهومها وتعميمها واستمراره في المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية بكافة خصائصه وسماته وفي جانب آخر لا يستطيع أحد أن يدعي إمكانية أن يركن إلى الانعزال والانغلاق لأنّ أواصر التعاون والتآلف أوجبها الله سبحانه وتعالى وهي في الوقت نفسه حاجة بشرية.

ما تزال الحريات الصحافية في الأردن تراوح مكانها، على الرغم من التشريعات والقوانين والنصوص الدستورية الواضحة، وذلك لأنّها تصطدم بقرارات حكومية وعوامل مؤثرة تعيق تقدمها وتمنع إيجاد مناخ الحرية الملائم لتعزيز دور الصحافة باعتبارها السلطة الرابعة. وفيما يتعلق بالقوانين والتشريعات الإعلامية التي تكفل وتصون الحريات الإعلامية في الأردن.

إنّ إيجاد نظام إعلامي "صحفي" مستقر وفعّال يتحقق فيه التوازن بين حرية الصحافة ومسؤولياتها يقتضي المزاوجة بين أكبر قدر من المهنية للعاملين بالصحافة من جهة، وإتاحة المجال أمام تفهم المجتمع بأسره لطبيعة المهنة الصحفية من جهة أخرى.

ولعل المشهد الحكومي هو المشهد الذي تتابعه الصحافة بشغف كبير محاولة دوماً إبراز تناقضاته ومشكلاته أكثر من انجازاته وتطلعاته،إلا أنّه مع ذلك فإن العناصر المؤثرة في هذا المشهد من كلا الطرفين الحكومي والصحفي يمكنهما تحويل أوجه التناقض إلى ظروف للتوافق باستخدام الأساليب المهنية المتبعة والمتاحة في المجتمعات الديمقراطية.

فالإيجاز الحكومي اليومي للصحافة، والانفتاح الحقيقي على العاملين في صفوفها، والمصداقية والشفافية الواضحة في القول والعمل من جانب الحكومة يمكنها مجتمعة من إيجاد جو يعكس أثاره بصورة إيجابية على الصحافة.

وبالمقابل يقتضي توفر شروط مهنية عالية لدى الطرف الصحفي، مما يستدعي من الجسم الإعلامي بأسره القيام بجهد استثنائي في هذه المرحلة لإعداد برامج للتأهيل والتدريب لأفراده حتى يتسنى لهم تأدية واجباتهم على أكمل وجه.

وللتخفيف من الوقوع في عقوبات المخالفات الصحفية المطلوب اتخاذ مبادرات وذلك بالانفتاح على الصحافة، وتشجيع الجسم الصحفي على تفعيل الآليات المتاحة له لعلاج بعض هذه الظواهر من خلال نقابة الصحفيين.

وعلى النقابة أن تقوم بواجبها كاملاً في إيجاد ظروف مناسبة بالتعاون مع الجامعات لتكثيف التدريب والتأهيل وإعداد العاملين في هذه المهنة والمقدمين عليها، فخير حماية لحرية الصحافة يكمن في تحلي العاملين فيها بأكبر قدر من المهنية وهو الواجب الأساسي للنقابة.

وعلى الحكومة تشجيع النقابة للقيام بهذه المهمة وتقديم أسباب الدعم خاصة بالنسبة لقضايا التدريب والتأهيل، وإيجاد حالة توافق مع الجسم الصحفي ضمن معطيات المجتمع الديمقراطي.

وتقع على عاتق الجمهور المهتم بالشؤون الصحفية أيضاً مسؤولية متابعة هذه القضية مع الطرفين الحكومي والصحفي للتوصل إلى أرضية تساعد الجميع على المضي قدماً في بناء المجتمع الديمقراطي.[72]

Freedom of the Jordanian Press under the Umbrage of the Return of the Parliamentary life way in the Global Era. 1989 – 2008

Ibrahim AL-Khasawneh, *Department of Media and Journalism, Petra University, Amman,Jordan.*

Abstract

The study presents the actuality of the Press freedom in Jordan under the umbrage of a new era with its globalist features in its numerous dimensions which deep end increasingly all over the world since that last decade of the democracy openness in the twentieth century in Jordan that came after the return of the parliamentary.

This study comes to know the range of the cooperation with the press and the Government establishments and their submission of facts which must people know as the press represents the fourth estate in the society.

The researcher depends on the qualitative analysis method to find the facts that have a relation with the era by taking up what was issued in the daily and weekly news papers.

The study has come to many results and the following were best appears:

1. Quick amendment and changing the Jordanian laws of editing and issuing, as they don't include the freedom of expressing and opinion which confirm the democracy action due to many passive restricts on the press freedom.
2. Despite the information openness after the resumption of the democracy life way in Jordan, however it faces legal hindrances during performance of its mission freely and independency, that makes a hindrance in preparing the free climate to go up with the society through providing knowledge to the individuals.
3. The extreme competition among the daily and weekly news paper with the aim of appealing the readers that makes some of these news papers to over do in presenting the subjects which they issue.
4. The Jordanian press faces difficult challenges in the umbrage of the global era which makes it inability to do its duty perfectly in removing the hindrances and go beyond the press editions, besides, the importance of assignment of modern technology in favor of press work for the sake of going along with the spirit of the era, as it is one of the global means.

The study came to the necessity of finding solidity effective press system that achieves balance between press freedom and responsibilities by connecting between bigger quantity of professionalism for who are working – in press in one side, and to give space to the whole society towards understanding the naturalist of the press professionalism in the other side.

قدم البحث للنشر في 2009/8/16 **وقبل في 2009/12/24**

الهوامش

(1) بشير، صلاح الدين: المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية، ص12، العدد (88) سبتمبر 1997 المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، فقرة 41.

(2) Thayer Lee, *Communication and Communication Systems* (Homewood Illinois, Richard D. Irwin, 2000 , p20.

(3) الموسى، عصام: الصحافة في قوانين المطبوعات والنشر (1953-1989)، ص 42، أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد السابع، العدد الثاني 1991.

(4) مراد، بركات: ظاهرة العولمة "رؤية نقدية"، ص 124، سلسلة كتاب الأمة، العدد 86، الدوحة 2001.

(5) جلال، محمد نعمان: العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولية، ص102، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، 2000، عدد 145، يوليو.

(6) مراد، بركات: مصدر سابق، ص 125، 2001.

(7) الجرف، ريما سعد: ماذا يقرأ شبابنا في عصر العولمة، ص 58، ندوة العولمة وأولويات التربية، 2004.

(8) Franklin. Marc A. and Wright, Jay b: *The first amendment and the four estate*, Minneola, new York : the foundation press,inc,1985. 3rd ed., p694

(9) عزي، عبد الرحمن: دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، ص71، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.

(10) Ravault Rene-Jean, “Information flow : Which way is the wrong way?” *Journal of Communication*, vol. 31, no. 4, p15.

(11) مانسفيلد اللورد: حرية الصحافة، ص68، مطبعه الحرية، باريس، مجلد 2، 1968.

(12) Milton ,John miller ,Henry and others: *version of censorship anchor*, *doubleday & company*, inc garden city new York 1962 1st ed,p.174

(13) غليون، برهان، وأمين سمير: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص 25، دار الفكر، دمشق 2000.

(14) هيجوت، ريتشارد: العولمة والأقلمة - اتجاهان جديدان في السياسات العالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ص56، الكتاب رقم 52، أبو ظبي، 1998.

(15) الجرف، ريما سعد: مصدر سابق، ص68.

(16) خصاونه، مصطفى: العلاقة بين السلطة التنفيذية والتشريعية في الأردن،رسالة ماجستير،2001، ص 71.

(17) حسين، سمير: بحوث الإعلام، ص145، القاهرة، عالم الكتب، ط2، 1995.

(18) شقير، يحيى: الحريات الصحفية في الأردن، مطابع الدستور، ص21، 2001.

(19) عمر، سامان فوزي: المسؤولية المدنية للصحفي، دار وائل للنشر والتوزيع، السليمانية، ص15، 2007.

(20) دائرة المطبوعات والنشر: الصحافة الأردنية، نشأتها وتطورها، الأردن، ص23، 1975.

(21) الجريدة الرسمية، عدد رقم 2429 تاريخ 1973/7/1.

(22) موقع شبكة الأورو- متوسطية لحقوق الإنسان.

(23) عايش، محمود: قوانين المطبوعات الأردنية 1993-2000 ومدى انسجامها مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان، مركز عمان للدراسات حقوق الإنسان، ص 2003،82.

(24) عايش، مصدر سابق، ص87.

(25) الرأي، عدد،11122،ص17.

(26) الرأي، عدد 12102، ص25.

(27) الرأي، عدد 13462، ص12.

(28) الدستور، عدد 11749، ص15.

(29) العرب اليوم، عدد 3088، ص7.

(30) عمان نت 20 أيلول 2004.

(31) المشرق الإعلامي، عدد 60، ص11.

(32) الدستور، عدد 13720، ص27

(33) الدستور، عدد، 14295، ص9.

(34) العرب اليوم، عدد 4195، ص6.

(35) شقير، يحيى: مقدمة في التشريعات والسياسة الإعلامية في الأردن،– دراسة برنامج تدعيم الإعلام في الأردن، ص34، 2009.

(36) كناكرية: الأحكام القضائية، في قضايا المطبوعات والنشر، ص13.

(37) قرار محكمة العدل العليا رقم 1997/226 تاريخ 1998/1/26، ص13، مجلة نقابة المحامين 1998.

(38) قرار محكمة بداية جزاء عمان رقم 2002/876 تاريخ 2002/10/30، ص21، مجلة نقابة المحامين 2002.

(39) قرار محكمة استئناف عمان رقم 2003/60 تاريخ 2003/2/17، ص55، مجلة نقابة المحامين 2003.

(40) كناكرية، مصدر سابق، ص17.

(41) قرار محكمة تمييز حقوق رقم 302/1963 تاريخ 1963/1/1، ص525، مجلة نقابة المحامين، 1963.

(42) مجلة نقابة المحامين، العدد 12، ص45، 2003.

(43) مدانات، نفيس: مقال، مجلة الشرطة، العدد 288، ص31، حزيران 2003.

(44) أبو حجية، علي: الرقابة على دستورية القوانين في الأردن، ص127، ط1، 2004.

(45) الشوابكة، محمد: أطروحة دكتوراه – رقابة الامتناع على دستورية القوانين، ص117، 2006.

(46) غليون وامين :مصدر سابق، ص31.

(47) The Information Society and the Developing World: A South Africa Perspective (Draft 5, Version 5.1, April 1996.

(48) هيجوت، ريتشارد: مصدر سابق، ص66.

(49) أبو أصبع، صالح: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص312، عمان، دار مجدلاوي، ط5، 2006.

(50) جلال، مصدر سابق، 112.

(51) السجل، العدد 75، ص24.

(52) العظم، صادق جلال: ما هي العولمة ؟ص23، مجلة الطريق، عدد 4، تموز/آب، 1998.

(53) هيجوت، مصدر سابق، ص70.

(54) العظم، مصدر سابق، ص52.

(55) مراد، مصدر سابق، ص185.

(56) بشير، صلاح الدين: المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية، العدد (88) سبتمبر 1997 المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، فقرة 41.

(57) سعيد، محمد السيد: حرية الصحافة من منظور حقوق الإنسان – دراسة مقارنة الصحافة في الديمقراطيات الأوروبية وغير الأوروبية، مركز القاهرة لحقوق الإنسان، ص27، 1993.

(58) جلال، مصدر سابق، ص117

(59) العظم، مصدر سابق، ص41.

(60) ابو عرجة، تيسير: الإعلام العربي وسائلة ورسائلة وقضاياه، ص29، دار مجدلاوي للنشر، 2009، ط1.

(61) عيسى، محمد عبد الشفيع: (1999)، رؤية إلى المستقبل العربي في: العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، ص115، القاهرة: مكتبة مدبولي.

(62) الصايغ، فائز: الإعلام ومرجل العولمه، ص141، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، 2003.

(63) نجم، طه عبد العاطي: الصحافة والحريات السياسية – دراسة في التوجهات الأيديولوجية، ص23، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.

(64) الصادق، رابح: الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، ص71، دار الكتاب الجامعي، العين، 2004.

(65) أبو عرجة :مصدر سابق، 32.

(66) محمد، عبد الحميد والسيد بهنسي: تأثيرات الصورة الصحفية. النظرية والتطبيق، 96، عالم الكتب، القاهرة، 2004.

(67) حسنين، شفيق: الإعلام الالكتروني، ص112، رحمة برس للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

(68) محمد، محفوظ: تكنولوجيا الاتصال، ص55،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.

(69) نجم، طه عبد العاطي: مصدر سابق، ص23.

(70) الجابري، محمد عابد: العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد (228)، ص20، 1998.

(71) عبد الرحمن، عواطف: الإعلام والعولمة البديلة، ص31، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

(72) عز الدين، إبراهيم: ندوة الإعلام وحرية الصحافة في الأردن، ص31.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر ومراجع عربية

أبو أصبع، صالح. (2006). **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**، عمان، دار مجدلاوي، ط5.

أبو عرجة، تيسير. (2009). **الإعلام العربي وسائلة ورسائلة وقضاياه**، دار مجدلاوي للنشر، ط1.

الجرف، ريما سعد. (2004). **ماذا يقرأ شبابنا في عصر العولمة**، ندوة العولمة وأولويات التربية.

جلال، محمد نعمان. (2000). **العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولية**، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، عدد 145، يوليو.

حافظ، صلاح الدين. (1993). **حرية الصحافة**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر.

حسنين، شفيق. (2006). **الإعلام الالكتروني**، رحمة برس للطباعة والنشر، القاهرة.

حسين، سمير. (1995). **بحوث الإعلام**، القاهرة، عالم الكتب، ط2.

الحوراني، هاني وآخرون. (1998). **الإعلام وحرية الصحافة في الأردن**، مركز الأردن الجديد للدراسات، دار السندباد للنشر، عمان، الأردن.

سعيد، محمد السيد. (1993). **حرية الصحافة من منظور حقوق الإنسان – دراسة مقارنة الصحافة في الديمقراطيات الأوروبية وغير الأوروبية،** مركز القاهرة لحقوق الإنسان.

شقير، يحيى. (2001). **الحريات الصحفية في الأردن،** مطابع الدستور.

الصادق، رابح. (2004). **الإعلام والتكنولوجيا الحديثة،** دار الكتاب الجامعي، العين.

الصايغ، فائز. (2003). **الإعلام ومرجل العولمه،** الاهالي للنشر والتوزيع، دمشق.

عايش، محمد. (2003). **قوانين المطبوعات الأردنية 1993-2000 ومدى انسجامها مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان،** مركز عمان للدراسات حقوق الإنسان.

عبد الرحمن، عواطف. (2006). **الإعلام والعولمة البديلة،** دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

عز الدين، إبراهيم. (1998). **أعمال ندوة الإعلام وحرية الصحافة في الأردن،** مركز الأردن الجديد للدراسات، دار السندباد للنشر، عمان الأردن.

عزي، عبد الرحمن. (2003). **دراسات في نظرية الإتصال نحو فكر إعلامي متميز،** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

عمر، سامان فوزي. (2007). **المسؤولية المدنية للصحفي،** دار وائل للنشر والتوزيع، السليمانية.

عيسى، محمد عبدالشفيع. (1999). رؤية إلى المستقبل العربي في: **العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي،** القاهرة: مكتبة مدبولي.

غليون، برهان وأمين سمير. (2000). **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة،** دار الفكر، دمشق.

محمد، عبد الحميد والسيد بهنسي. (2004). **تأثيرات الصورة الصحفية، النظرية والتطبيق،** عالم الكتب، القاهرة.

محمد، محفوظ. (2005). **تكنولوجيا الاتصال،** دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

مراد، بركات. (2001). **ظاهرة العولمة "رؤية نقدية"،** سلسلة كتاب الأمة، العدد 86، الدوحة.

نجم، طه عبد العاطي. (2004). **الصحافة والحريات السياسية – دراسة في التوجهات الأيديولوجية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

هيجوت، ريتشارد. (1998). **العولمة والأقلمة - اتجاهان جديدان في السياسات العالمية**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الكتاب رقم 52، أبو ظبي.

الويس، مبدر. (1968). **الرقابة على الصحافة في النظاميين الرأسمال والاشتراكي**، مطبعه الشام، القاهره، ط2.

يعقوب، عبد الحليم موسى. (2003). **حرية التعبير الصحفي في ظل الأنّظمة السياسية العربية**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

مصادر ومراجع أجنبية

Franklin, M.A. and Wright, J.B. (1985). *The First Amendment and the Four Estate*, Minneola, new York: the foundation press, inc,. 3rd ed., p694.

Milton, J. and *et al*. (1962). V*ersion of Censorship*, anchor, doubleday and company, inc garden city new York 1st ed, p.174.

Thayer, L. (2000). *Communication and Communication Systems*, Homewood Illinois, Richard D. Irwin,.

The Information Society and the Developing World. (1996). *A South Africa Perspective* (Draft 5, Version 5.1, April 1996).

البحوث والرسائل الجامعية الأجنبية:

Fagan, R. (summer 1966). *The impact of four elements upon mass media: journalism quarterly.*

Farace,V. and donohew, L. (spring 1965). *Mass communication in national social systems*, journalism quarteraly.

Nixon, R.B. (winter1965). *Freedom in the world press*. A Fresh appraised with new data, journalism quarterly.

البحوث والرسائل العلمية العربية:

أبو حجية، علي. (2004). **الرقابة على دستورية القوانين في الأردن**، ط 1، أطروحة دكتوراه.

الجابري، محمد عابد. (1998). العولمة والهوية الثقافية، **مجلة المستقبل العربي**، العدد (228).

خصاونه، مصطفى. (2001). **العلاقة بين السلطة التنفيذية والتشريعية في الأردن**، رسالة ماجستير،

روو، وليم ايه. (1979). **الصحافة العربية الإعلام الإخباري وعجلة السياسة في العالم العربي**، ترجمة موسى الكيلاني، مركز الكتب الأردني، عمان، ط2.

زيادات، عادل. (1989-1995). العلاقة بين الأحزاب والتشريعات والقوانين في الأردن، **مجلة أبحاث اليرموك**، اربد، الأردن العدد الثاني، مجلد 13.

شقير، يحيى. (2009). **مقدمة في التشريعات والسياسة الإعلامية في الأردن** – دراسة برنامج تدعيم الإعلام في الأردن،.

الشوابكة، محمد عبد الله. (2006). **رقابة الامتناع على دستورية القوانين**، أطروحة دكتوراه.

صالح، سلوى محمد. (1992). **دور الإعلام والإعلاميين في مواجهة أخطار العولمة في المملكة العربية السعودية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.

عبد الله، إسماعيل صبري. (1997). الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، **مجلة الطريق**، العدد 4 تموز/ آب.

عزام، سالم. (1401هـ). **الأمين العام للمجلس الإسلامي الدولي البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام**، باريس 21 ذو القعدة.

العظم، صادق جلال. (1997). ما هي العولمة؟، **مجلة الطريق**، العدد 4، تموز/آب.

كناكرية، وليد. (2003). **الأحكام القضائية في قضايا المطبوعات والنشر.**

اللورد، مانسفيلد. (1968). **حرية الصحافة**، مطبعه الحرية، باريس، مجلد 2.

المجلس الأعلى للإعلام. (2006). **مقياس الحرية الصحفية في الأردن (2005/1/1-2005/12/31)**، عمان، الأردن.

مفيز الدين، عبد المجيد محمد. (1991). **الكفايات اللازمة للإعلام المصري للقيام بدوره في عصر العولمة**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.

مكاوي، جهان. (1981). **حرية الفرد وحرية الصحافة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

موسى، عصام. (1991). الصحافة في قوانين المطبوعات والنشر (1953-1989)، **أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد (7) العدد (2).

هريو، رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية. (1948). كلمة ألقاها في مؤتمر بمدينة ليون الفرنسية سنة.

وافي، على عبد الواحد. (1968). **الحرية في الإسلام**، دار المعارف، سلسلة اقرأ، رقم 304.

اليونسكو، المدير العام لليونسكو. (1974). تقرير 18 لسنة 1974 ضمن الوثيقة 18 مادة 5 قطاع الإعلام.

صحف ومجلات

- الدستور:صحيفة يومية عربية أردنية سياسية تصدر عن الشركة الأردنية للطباعة والنشر.
- الرأي: صحيفة يومية عربية أردنية سياسية تصدر عن المؤسسة الصحفية الأردنية عمان الأردن.
- العرب اليوم: صحيفة يومية عربية أردنية سياسية تصدر عن شركة الطابعون العرب.
- المشرق الإعلامي: صحيفة نصف شهرية عربية أردنية.
- فصيلة الصحافة: تصدر في الولايات المتحد الأمريكية.
- مجلة نقابة المحامين: تصدر عن نقابة المحاميين الأردنيين.

مقالات ومنشورات:

- بشير، صلاح الدين: المركز العربي الإقليمي للدراسات الإعلامية، العدد (88) سبتمبر 1997 المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، فقرة 41.
- الصحافة الأردنية، نشأتها وتطورها، منشورات وزارة الإعلام دائرة المطبوعات والنشر، الأردن، 1975.
- طاهر العدوان، مقال، العرب اليوم، العدد 4195 الاثنين 22 كانون أول 2008.
- د. نفيس مدانات، مقال، مجلة الشرطة، العدد 285، نيسان 2003.
- الأمم المتحدة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: مستوى مشترك لكافة الشعوب والأمم ط15 الأمم المتحدة 1962/12/10 المادة الثانية.
- قرار محكمة العدل العليا قراراها رقم 1997/226 تاريخ 1998/1/26
- قرار محكمة بداية جزاء عمان رقم 2006/876
- قرار رقم 59 لسنة 18 قضائية دستورية صادر عن المحكمة الدستورية العليا – مصر
- قرار محكمة بداية جزاء عمان رقم 2002/876 تاريخ 2002/10/30
- قرار محكمة استئناف عمان رقم 2003/60 تاريخ 2003/2/17
- قرار محكمة تمييز حقوق رقم 302/1963 تاريخ 1963/1/1، مجلة نقابة المحامين، 1963

مواقع الانترنت:

- عمان نت 20 أيلول 2004
- (موقع شبكة الأورو- متوسطية لحقوق الإنسان)

Newman, P.R. and *et.al*. (1981). *Living: The Process of Adjustments*, Contario: The Dorsey Press, p.377.

Parson, T. and Olds, J. (1955). *The Mechanism of Personality*, Functioning With Special Reference to Socialization, New York, Harper Torch Books, P. 187-189.

Pederson, P. (1991). Multiculturalism as a Generic Approach To Counseling, *Journal of Counseling And Development*, 70, 6-12 Sep. Oct., Publisher – American Counseling Association.

Perrucci, R. and Hu, H. (1995). Satisfaction with Social And Educational Experiences Among International Graduate Students. Research In *Higher Education*, 36 (4), 491-508.

Reuter, E.B And Hart, C.W. (1983). *Introduction to Sociology*, New York. McGraw Hill Publication, P.322.

Selvadurai, R. (1998). *Problems Faced by International Students In American Colleges and Universities.* Community Review, 16,153-158. Publisher- Long Island City, N.Y.: LaGuardia Community College.

Trice, A. (2004). Mixing It Up: International Graduate Students' Social Interactions With Americans Students. *Journal of College Student Development*, 45(6), 671-687.

Wisker, G. (2005). *The Good Supervisor: Supervising Postgraduate Research for Doctoral Theses And Dissertations*. New York: Palgrave Macmillan.

Li, A. and Gasser, M. (2005). Predicting Asian International Students' Socio-Cultural Adjustment: A test of two Mediation Models. *International Journal of Intercultural Relations*, Vol. 29, issue 5 pp, 561-576, sep., Elsevier Ltd.

Macrae, M. (1997). *The Induction of International Students to Academic Life in the United Kingdom*. In McNamara. & Harris, R. (Eds.). Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching and Learning, (pp.127-142). London: Rutledge.

Manheim. L. (1977). *Sociological Research*, Philosophy and Method. Ontario: The Dorsey Press, p.110.

McKinlay, N., Pattison, H. and Gross, H. (1996). An Exploratory Investigation of the Effects of a Cultural Orientation Programme on the Psychological Well-Being of International University Students. *Higher Education*, 31.379-395.

McKnight, R.K. (1956). Misunderstanding in Communication Between Japanese Students and American. *Social Problem*, Vol.3, 243-256, April. University of California Press.

Ministry of Higher Education & Scientific Research, (2008). *The Annual Report on Higher Education in Jordan* for the Year 2006\2007, Statistics & Information Section, Directorate of Information Technology. Tables no. 23, 24, 25, pp, 117-125.

Ministry of Higher Education & Scientific Research, (2008). Students (Arab & Foreign) Enrolled to The Jordanian Universities by Degree for the Year 2007\2008, www.mohe.gov.jo.

Morris. R.T. (1956). National Status and Attitude of Foreign Students; *Journal of Social Issues*, Voll.12, No.1. the Society of the Psychological Study Of Social Issues. Blackwell Publisher.

Mostafa, G. (2001). (In Arabic) *The Problem of the International Students in Al-Azhar University: A Field Study*. Unpublished M A thesis. Al-Azhar University, Egypt.

Mostafa, G. (2004). (In Arabic) *The Roles of Postgraduate Supervisors in the Egyptian Faculties of Education in the Light Of their Competencies: An Evaluative Study*, (Doctoral Dissertation, Al-Azhar University, Egypt.

Mostafa, G. (2006). Learning and Cultural Experiences of Arab Muslim Graduate Students in A Canadian University. *Journal of Contemporary Issues In Education*, 1 (1), pp.36-53.

References

Abukhattala, I. (2004). *Educational and Cultural Adjustment of The Arab Muslim Students in Canadian University Classroom*, (Doctoral Dissertation, McGill University (2002).

Adams, K. (2004). Modeling Success: Enhancing International Postgraduate Research Students' Self-Efficacy For Research Seminar Presentations. *High Education Research and Development*, 23 (2), 115-130.

Altbach, P.G. (1986). The Foreign Students Dilemma (Art, CitedIn). *Journal of Higher Education*. New Delhi: University Grant Commission, 1985-86. Vol.II, No.5, 1&2, p.89.

Alreshoud, A. and Koeske, G. (1997). Arab Students' Attitude Toward and Amount of Social Contact With American: A Causal Process Analysis of Cross- Sectional Data. *Journal of Social Psychology*, 137(2), 235-245.

Bailey, K.D. (1978). *Methods of Social Research*; London: Collier Macmillan Publishers; p.26.

Bennet, J.W. (1954). The American Educated Japanese. *The Annal of the American Academy of Political Science and Social Sciences*, Vol.295 (Sep) Pp.83-96, Sage Publications.

Bjner, J. and *et al*. (1978). *Editor*, Social Research Principles and Procedure. New York.The Open University Press. P.138.

Bullen, E. and Kenway, J. (2003). Real or Imagined Women? Staff Representations of International Women Postgraduate Students. Studies in the *Cultural Politics of Education* 24 (1), 35-50.

Cadman, K. (2000). Voices in the Air: Evaluation of the Learning Experiences of International Postgraduate and Their Supervisors. *Teaching in Higher Education*, 5(4), 475-491.

Cammish, N. (1997). *Through A Glass Darkly: Problems of Studying at Advanced Level Through The Medium of English*. In McNamara, D. & Harris, R. (Eds.). Overseas Students in Higher Education: Issues in Teaching And Learning, (pp.143-155). London: Routledge.

Draver, J. (1965). *A Dictionary of Psychology*, England Penguin Books Ltd., p.11.

التكيف والخصائص والحياة اليومية للطلبة الخليجيين في الجامعات الاردنية

فيصل مطالقه، مضفي العميان وفاروق العزام، كلية العقبة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، العقبة، الأردن.

ملخص

تهدف الدراسة إلى إبراز خبرات الطلبة الخليجيين الدارسين في الجامعات الأُردنية؛ حيث تناولت الجوانب المتعلقة بالاختلافات الثقافية والتكيف والمشاكل التي تواجة الطلبة والاختلافات في النظام التعليمي والعوامل المحفزة للطلبة الخليجيين المؤدية لأختيارهم للجامعات الأردنية والخطط المستقبلية للطلبة ورأيهم في المستوى التعليمي وعلاقاتهم في المحلي.

اجريت الدراسة على عينة مكونة من ستمائة من الطلبة الخليجيين الدارسين في الجامعات الأردنية بأستخدام "الاستبانة" لجمع المعلومات المتعلقة بالدراسة. ويمثلون الطلبة الدول الخليجية التالية: الكويت والإمارات والبحرين والسعودية وقطر وعمان. أبرزت الدراسة على انة بالرغم من أن الطلبة واجهوا بعض المشاكل الا انهم عملوا على تخطيها والتكيف معها من خلال التفاعل مع المجتمع المحلي والطلبة الأردنيين. إضافة إلى ذلك فقد أظهرت النتائج بأن الطلبة الخليجيين قد تحدثوا عن العلاقة الودية مع الطلبة الأردنيين مما ساعدهم في التكيف بشكل أفضل مع المجتمع المحلي. وأكدت الدراسة بأن وجود الطلبة الخليجيين في الجامعات الأردنية ساعد في اكتساب المعرفة والخبرة الكافية لهؤلاء الطلبة. وخرجت الدراسة بتوصيات من اجل مساعدة الطلبة على التكيف في حياتهم اليومية واوصت على اهمية التعاون ما بين الجامعات ووزارة التعليم العالي ووزارة الثقافة والمجلس الأعلى للشباب والسفارات الخليجية المعنية بمتابعة الطلبة من أجل جعل إقامتهم داخل الأردن اسهل وأكثر فائدة.

* **The paper was received on 5 May, 2008 and accepted for publication on 26 August, 2008.**

TABLE 3: Adjustment of gulf students with the local community

Variabls		Frequency	Percentage
Types of staying facilities	Hostel	43	7.36 %
	Rented house	557	92. 83 %
Relations with landlords	Formal	321	53.5 %
	Informal	236	39.33 %
	Can't say	43	7.16 %
Reasons of having good relatoins with neighbors	Helpful and understanding	346	61.89 %
	Common interests	120	21.46 %
	Because of their sociable nature	84	15.02 %
	Same religion	9	1.61 %
Occasions they visit their neighbors	Ceremonies	358	64.04 %
	Neighbors' insistence	134	23.97 %
	Any other occasions	58	10.37 %
	During times of sickness	9	1.61
Neighbors' attitudes	Friendly	423	70.5 %
	Sympathetic	124	20.66 %
	Negative	12	2 %
	Neutral	41	6.83 %
Adjustment with the local community:	Well-adjusted	546	91 %
	Difficulties of adjustment	45	7.5 %
	Any others	9	1.5 %
Efforts to overcome difficulties	Making contact with the concerned person / people	30	66.66 %
	Adjustment with other students	10	22.22 %
	Getting acquaintance with the local customs	5	11.11 %

TABLE 2: Adjustment of gulf students in the field of education

Variables		Frequency	Percentage
Reasons for selecting jordanian universities	many fields of study are available.	294	49 %
	good reputation of the jordanian universities.	160	26.66 %
	special provision for the admission of arab students.	104	17.33 %
	senior friends already studying in jordan.	37	6.16 %
	any others.	5	0.83 %
Standards of education	High	509	84.83 %
	Middle	84	14 %
	Low	4	0. 66 %
	Very poor	1	0. 16 %
	Can not say	2	0. 33 %
Education difficulteis	Lack of cooperation of the students	325	55.74 %
	Lack of contact	128	21.95 %
	Long hours at colleges	90	15.43 %
	Length of a syllabuses	35	6 %
	Any others	5	0.85 %
Efforts to overcome the difficulties	By doing extra studies	547	93.82 %
	Tuitions	28	4.80 %
	More attendance in class	8	1.37 %
Future plans after completing education	Business	305	50.83 %
	Teaching fields	208	34.60 %
	Govt. Services	81	13.5 %
	Joining the army forces	6	1 %

List of Tables

TABLE 1: General Charactristics Of The Respondents

Variables		Frequency	Percentage
Age	18-20	234	39%
	21-23	288	48%
	24-26	58	9.66%
	26+	20	3.33%
Sex	Male	449	74.83%
	Female	151	25.16%
Marital status	Married	56	9.33%
	Unmarried	544	90.66%
Countryoforigin	Kuwait	144	24%
	Emirates	129	21.5%
	Bahrain	120	20%
	Saudi arabia	90	15%
	Qatar	60	10%
	Oman	57	9.5%
Level of education	Undergraduation	522	87%
	Graduation	68	11.33%
	Phd	10	1.66%
Faculity	College of art	140	23.33%
	College of commers	260	43.33%
	College of science.	200	33.33%
University	University of jordan	105	17.5%
	Applid science universty	73	12.16%
	Albalqa appliduniversity	30	5%
	Amman university	86	14.33%
	Mut'ah university	60	10%
	Yarmouk university	98	16.33%
	Philadelphia university	20	3.33%
	J.u.of science & technology	74	12.33%
	Al al-bayt university	30	5%
	Hashemite university	24	4%

Jordanian cities have enabled the Gulf students to prosecute their studies in their desired academic and professional lines in an effective manner, as per their expectations.

It is evident from the present study that although the Gulf students in Jordan, face certain difficulties pertaining to residential accommodation, food and some non conversance with the local people and their dialect in view of their being new to the place and its culture, they have strived to adopt and adjust to the local people and the environment.

The cultural differences between the Jordanian and Gulf Culture such as the way of dressing, food habits, relationships among neighbors, relationships with the opposite sex and the mixed educational systems in Jordanian universities have caused difficulties to those students and took them some time to adjust them selves with the new atmosphere in the universities as well as with the local community.

On the basis of the above findings, it can be mentioned here that adjustment is a continuous process in the life of every individual and a lot can be achieved through adaptation. Adjustment is a process which is a combination of compromise, cooperation as well as a positive and a healthy attitude towards others irrespective of the nation, religion, caste and creed. Therefore, we suggest to the Ministries of Higher Education, Culture, and the Higher Council of Youth in Jordan with the concerned Gulf States embassies the following:

1-To make available hostel facilities in or out of university campuses.

2- To have extra curricular activities inside the universities in which the Gulf students should be encouraged in taking part in such activities.

3-To encourage the Gulf students get along with the Jordanian youth in the programs that being organized by the Higher Council of Youth.

4-To enhance the Gulf students to celebrate on their national days.

In the end it will not be wrong to conclude by saying that the Gulf students are making quite serious efforts to adjust with the Jordanian society and culture as well as with the atmosphere in Jordan.

restaurants, another (8.83%) have their foods at home, whereas only (3.66%) take their foods in the students' mess.

Also it was found that majority of them (93.66%) were satisfied with their regular meals, whereas only a small number (6.33%) expressed their dissatisfaction regarding the meals. Moreover, when the respondents were asked about their opinions regarding Jordanian food, (71.16 %) of them rated Jordanian foods as good, followed by(20.5%) rated it as fairly good, and (5.83%) thought it to be manageable, whereas a very few that is only (2.5%) did not appreciate Jordanian foods at all.

Respondents Monthly Expenditure: The results show that (79.33 %) spend JD 301 -500 per month for various things, nearly (18.33 %) spend JD 100- 300 per month, whereas only (2.33 %) of the respondents monthly expenditure is more than JD 500. The results of this study also show that majority of the respondents i.e. (71.66%) have said that their financing in Jordan is provided by Govt. scholarships, (22.5 %) by their parents, and only (5.83%) manage it independently. Also it was found that (89.16 %) of the respondents did not face any sort of financial difficulties, whereas nearly (10.83%) spoke about facing some financial difficulties. When those respondents, who faced financial difficulties, were asked how they faced these problems, majority (93.84 %) had tried to overcome them by seeking help from other countries mates, whereas (6.15%) have overcome them by selling their own properties.

Respondents Preference Over the Settelment in Jordan: When the respondents were asked whether they would prefer to settle in Jordan permanently, total 600 respondents i.e. (100%) were firm enough in not settling in Jordan permanently due to better working opportunities in their concerned countries.

Feeling of the Respondents about Staying Away From Home: The findings reveal that majority i.e. (90.33%) of the respondents said that due to staying away from their country, they have gained quite a lot, whereas (7.66%) could not offer any opinions or feelings about this, and only (2%) were of the feeling that they had really lost good years of their life.

Conclusions and Suggestions

The concept 'adjustments' as evidenced throughout the ongoing discussion attendant upon the analysis of data for the present study appears to be a necessary condition for the Gulf students who are temporarily settled in Jordan for the pursuit of their higher studies in various branches of knowledge. They have joined various colleges, university departments and other academic institutions. Adjustment and its varied ramifications in the specific context of

When the respondents were asked about their Jordanian friends' participation in social and cultural function, (80.16 %) are of the opinion that their Jordanian friends participate nicely in their functions, whereas (19.83 %) think that Jordanian friends do not participate in such functions.

Arrangment of Functions Done by Gulf Students: The analyses show that majority (64.16 %) do not take interest in arranging any academic, social, cultural and sports in their colleges or departments, whereas (35.83 %) show interest in arranging such functions. When the respondents were asked about the types of functions they arrange, the majority (65.11 %) i.e. 140 out of 215 respondents replied positively about arranging functions and helped in arranging cultural gatherings, another (18.13%) arranged study tours, and (11.16%) presented their own cultural activities, whereas (5.58%) helped in arranging academic workshops.

Do Extra Curricular Activtties Help to Become Friendly: The findings reveal that (94.66%) are of the opinion that arrangement of extra curricular activities has helped them to become closer with the other students, and almost (5.33%) do not think that arrangement of such activities is of any help in order to become closer.

The respondents (94.66%) also show that their teachers are much co-operative in such functions, whereas (11.5%) think that the teachers do not co-operate at all.

This is a clear indication of the fact that there is a good understanding between the teachers and the students which in turn shows positive adjustment of the respondents with their teachers.

Respondents Duration of Study Per Day: It is clear from the analysis that majority i.e.(56.5%) of the respondents study for almost 3-5 hours per day, others (38.83%) study nearly for 2-3 hours per day, whereas a few i.e. (4.66%) study more than 5 hours. It indicates that the respondents are quite serious particularly about their studies and attending classes regularly.

Respondents Response Over Extra Curricular Activities: The study was concerned with whether the respondents have time for extra curricular activities. The findings show that majorities i.e. (98%) do find time for extra curricular activities, and only (2%) do not have time for extra activities. Out of which (53.74%) spend time by seeing movies with their friends, and (28.91%) play games, whereas (17.34%) spend time on reading books.

Respondents and their Means of Taking Food: When the respondents were asked where they take their daily meals, majority (87.5%) have their meals at

Gulf Students and their Adjustments

Friends have a very important role to play in the life of every individual because they are the people who constitute our per group and are helpful to us during all times. It is said “a person is known by the company he keeps”. In this part of the study the researchers have analyzed the nature of friendship among Gulf and Jordanian students.

Respondents and their Jordanian Friends: It is clear that 466 out of 600 respondents i.e. nearly (77. 66 %) have many Jordanian friends, whereas 134, i.e. (22. 33 %) have a few Jordanian friends. It also reveals that the majority (87. 16 %) of the respondents do not feel that the Jordanian friends feel superior to them in regard to social and cultural patterns, whereas(12. 83 %)of the respondents feel that the Jordanian friends feel superior to them in regard to social and cultural patterns.

When the respondents were asked whether they deliberately keep themselves away from Jordanian friends, the majority (93 %) of the respondents have said that, they do not generally keep themselves away from their Jordanian friends, whereas nearly (7 %) are of the opinion that they generally keep themselves away deliberately from them. This is also an indication of the fact that many of the Gulf students are quite well-adjusted with their Jordanian friends. This shows their cooperative attitudes towards each other.

Similarities Between Jordanian Culture and Gulf Culture: The study reveals that majority (80. 33 %) have said that Gulf States culture is similar with the Jordanian culture, whereas (19. 66 %) have thought Jordanian culture is not similar with Gulf culture.

There are some students who spoke about the cultural differences between the Jordanian culture and the Gulf culture. It took them some time to adjust with the Jordanian society especially those who visit Jordan for the first time. They faced more difficulties in the beginning. They mentioned some of the difficulties they faced such as the way of dressing, food habits relationships among neighbors, relationships with the opposite sex and the differences between being a friend and a colleague.

Reactions of Jordanian Friends Over Gulf Social Cultural Functions: Majority (92. 5 %) of the respondents are of the opinion that the Jordanian friends appreciate their social and cultural functions, nearly (4. 66 %) are of the opinion that the Jordanian friends avoid these sort of functions, whereas (2. 83 %) are of the opinion that the Jordanian friends do not appreciate their social and cultural functions.

behavior patterns with them. When the respondents were asked about the reason of having relations with neighbors, the majority (61.89 %) spoke about the helpful and understanding nature of the neighbors, another(21, 46)% have common spheres of interests, (15.02%)account the reasons that the neighbors have a sociable nature. Whereas only (1. 61 %) have relations with the neighbors because they are of the same religion.

On What Occasions they Visit their Neighbours: As stated in table (3)it is clear that 358 respondents out of 557 visit the neighbors during times of different occasions, (23.97 %)visit the neighbors only upon the neighbors' insistence, whereas (10.37 %) visit them only while they go to pay the rent, and (1.61 %) visit only during times of sickness.It describes the different categories of attitudes the neighbors have with the respondents: 423 out of total 600 respondents, i. e. nearly (70.5 %) say that the neighbors have a friendly attitudes towards them,(20.66 %) of the neighbors have a sympathetic attitudes, (6. 83 %)opined it to be neutral, whereas only (2 %) have negative attitudes towards the respondents.

Relations with Teachers: The findings show that 489 out of total 600 respondents i.e. (81. 5 %) were found to have cordial relations with their teachers, whereas almost (18. 5 %) spoke of not having any relations with their teachers. This shows that out of 600 respondents only 489 have spoken about their cordial relations with teachers, out of which 260 i.e. almost (53.16%) have a good understanding with them, and (36.40%) have good relation because of excellent teaching, (10.42 %) have family relations with the teachers.

Adjustments with the Local Community: Table (3) is an indication of the fact that whether the respondents have been able to adjust with the local community or not. It gives a picture that majority(91 %) found to be well-adjusted with the local community, (7.5 %) face some difficulties, whereas (1.5 %)shows that since they are newcomers, they are not yet able to adjust with the local community because of difficulties in understanding the local customs.It also reveals that 30 out of 45 respondents i.e. (66.66 %) who could not adjust with the local customs, strived to adjust by making contact with the concerned people, and(22.22 %) tried to adjust with other students, whereas almost(11.11 %) tried to get acquaintance with the local customs.We found out that the majority (82.16 %) have sought help from the senior native friends to make their stay in Jordan comfortable, whereas almost(17.83 %)did not take any help from the senior friends. This is clearly an indicative of the fact that the respondents are keen enough to adjust well with the local community and hence are trying to mix with them. This shows the adjusting nature of the respondents.

Future Plans After Completing Education: When the_respondents were asked about their future plans 50 out of 600 respondents, i.e. (50. 83%) want to go in for businesses, (34. 60 %) are interested in the teaching fields, another (13. 5 %) have said that they are willing to join the Govt. Services in their respective countries, whereas (1 %) are interested in joining the army forces.

Adjustments of Gulf Students with the Local Community

This part of the study consists of several variables such as types of staying facilities, relations with landlords, teachers, neighbors, etc. All of these variables will throw sufficient light on the adjustments pattern of the respondents with the local community.

Types of Staying Facilities: Table (3) shows that 557 out of total 600 respondents, i.e.(92. 83 %) are staying in rented houses in different cities in Jordan, whereas (7. 16 %)are staying in hostels. This shows that the majority of the Gulf students are residing in independent rented houses, and this has given them the feeling at home. It was also found that 467 out of 600.i.e (77.83 %) share a room with another partner which indicates that two individuals share a rented house, another (18.83 %) living alone, whereas (3.33 %) are staying in the company of 3 persons. The roommate were Jordanians or from their own countries.

Reasons of Staying Independently: Two reasons are given for staying independently. (69. 91 %) of 113 respondents, are staying independently, because they wanted to enjoy independence, whereas (30. 08 %) opted to stay alone only to avoid others' interference.

Relations with the Landlords: From table (3) we can see the type of relations the respondents are having with the landlords. Out of total 600 respondents 321, i.e. (53. 5 %) have accorded their relation as formal, (39.33 %) as informal, and (7. 16 %) could not express or give any option about their type of relationships with the landlords. The results show that 553 respondents out of 600, i.e. (92. 16 %) did not have any misunderstandings with the landlords, whereas 47 respondents, i.e. (7.83 %) have had misunderstandings with the landlords. The reasons were also searched and it was found 47, i. e. almost (76. 59 %) has had misunderstanding because of the rent payment, another (23. 40 %) didn't like the interference of the landlords.

Relations with Neighbors: The findings indicate that 559 respondents out of 600, i.e. (93. 16 %) have relations with their neighbors, whereas (6. 83 %) do not have any sort of relations with the neighbors. This gives us the idea that the attitude of the respondents towards their local counterparts and their

image of worthwhileness of Jordanian education has been a motivating factor for these students for traveling down to Jordan. In this reference they have also been motivated by their family members and relatives and secondly by their friends and neighbors who in most cases had themselves come to Jordan for the purpose of receiving education.

Type of Difficultes Faced After Coming to Jordan: The findings indicate the different types of difficulties faced by the respondents after coming to Jordan. 478 out of 600 respondents faced difficulties for example (79.66 %) were unable to get accommodation facilities, (16.16 %) faced the English language problem as a medium of education, another (2. 83 %) had the problem of getting admission, while (1.33 %) could not spell out any difficulty. The newcomers faced more difficulties and gradually they adjusted or overcame these difficulties by different ways.

Strivng Over the Difficulties: In this study the respondents were asked whether they have strived to overcome the difficulties or not. Out of the 600 respondents 597 i.e. (99. 5 %) were making efforts to overcome these difficulties, whereas only (0. 5 %) have not been bothered to overcome those difficulties.

It is true that pain is a pre-requisite of change in the sense that no individual wants to remain in the painful situation; everybody wants to come out of the difficulties. Difficulties are meted out either by adjustments or by overcoming the difficulties.

The Academic Difficulties of the Students: The results show that out of 600 respondents 583 i.e. almost (97.16 %) faced serious difficulties in the academic fields, whereas 17 students i.e. nearly (2. 83 %) had no complaints about education in the Jordanian universities. The analysis gives a clear picture about the several types of academic difficulties faced by the respondents. So in this case325 out of 583 respondents i.e.(55.74 %) complained about the lack of cooperation of the students, 128 students i.e.(21.95 %)said that they suffered because of lack of contact, another 90 respondents, i.e. (15.43 %) complained about long duration of hours in college,(6 %) complained about the lengthy syllabus, while only 5 respondents i.e. almost(0.85%) complained about difficulties in understanding the accent.

Types of Efforts to Overcome the Difficulties: Table (2) reveals that 547 out of the 583 respondents having difficulties i.e. nearly (93. 82 %) tried to solve them by doing extra studies, and (4. 80%) took the aid of tutorials to solve their difficulties, whereas almost (1. 37 %) started attending class regularly and attentively.

Period of Stay in Jordan: The majority (41.66%) of the respondents have been staying here for a period of one-two years, whereas (36.66%) of them have been staying for 3-4 years, another almost (13.83%) for a period of 5-6 years, and (6.66%) for a period more than 6 years.

Adjustments of Gulf Students in the Field of Education

Compared with underdeveloped countries or developing countries, the Jordanian educational system is more developed and systematic. This education system has become a part of attraction for the Gulf students, and a number of students come to Jordan for educational purposes. When those students arrive in Jordan, they spread over various cities to seek admissions in different courses. Hence, they get experiences in different cities. Social adjustment here is extremely essential because the environment in which they are placed is new for them.

Experimental knowledge of the new culture can act as a motivating factor in the adjustments or adaptations of these newcomers to the changed conditions. As mentioned earlier, the prime goal of these students is educational, hence adjustments with the new environment or fitting one with the changed conditions may either promote or hamper their goal- oriented affords.

Reasons for Selecting Jordanian Universities: It is evident from table (2) that the majority of the respondents (49 %) selected Jordanian universities because there are many fields of study available, whereas (26.66 %) for the reputation of Jordanian universities. (17. 33%) for that admission in Jordanian universities is easy because there is a special provision for the admission of Arab students, while (6.16 %) because of their senior friends are already studying in Jordan, and very few(0. 83 %) because of the low cost of educational fees in Jordanian universities.

Respondents' Opinion about the Standards of Education: Table (2) reveals the respective opinion of the respondents about the standards of education of the Jordanian Universities. The table shows that (84.83%) of the respondents have the opinion that the standards of education of universities are high, almost(14 %) have opined it to be Middle,(0.66 %) judged it to be low and another (0.16 %) called it very poor, and(0.33 %)of the respondents could not give their opinions at all.

The level of educational aspiration in the most cases is very high. Education in Jordan is perceived by them as immensely valuable in helping them to get a job in their respective countries. This holds true for education regardless of the faculties in which they are pursuing their education. However, education in the faculty of science, commerce and arts is rated to be particularly useful for entering to private services or business in their home countries. No doubt the

comparison is made to establish an authentic picture of students' identity hailing from Gulf portrays.

General Characteristics of the Respondents

Age: As stated in table (1) the majority (48%) of the students are at the age of 21-23 years, followed by (39%)of the students are at the age group of 18-20 years. Overall (87%) of Gulf students are within the age group of 18-23 years. About (9.66%) of the students are at the age group of 24-26 years. While at the other extreme (3.33%) are above 26 years.

Sex: It is evident that majorities (74.83%) are male students and very less percent (25.1%) represents female students. This is clearly indicative in the fact that there are certain social and cultural bindings so far as higher or specialized educational is concerned; they are allowed to seek education available only in Gulf States

Native Country: It is found that out of total six hundred students, the majority of respondents(24%) are from Kuwait followed by(21.5%) from Emirates, whereas(20%) respondents are from Bahrain, (15%) from Saudi Arabia, (10%) from Qatar and respondents from Oman were(9.5%)of the total respondents.

Marital Status: The results show that the majority (90.66%) of the respondents are unmarried, while a few i.e. (9.33%) of them are married. This table suggests that the students are eager to develop a good carrier and stand on their own feet and then only go in for marriage. This depicts the independent attitude of the students.

Level of Education: Out of six hundred respondents, majority i.e. (87%) are undergraduations, while (11.33%) are postgraduate and a very less number i.e. almost (1.66%) are pursuing their higher studies of Doctorate degree.

Faculty of Graduation: The findings show different faculties of graduation. The majority (43.33%) are doing graduation in commerce, (33.33%) in science and almost (23.33%) in arts. The findings suggest that in the modern business world of today, commerce is widely accepted and is a familiar field of education because of its maximum results or returns. The next important field which is quite familiar and goes hand-in-hand with the scientific temper is science.

Number of Persons Coming to Jordan: When respondents were asked about the number of persons coming to Jordan from their families for seeking education, the majority (99.33%) of the respondents said that the number of persons from their own family who came to Jordan was only one or two and only (0.66%) of the respondents replied that nearly 3-4 persons.

Pilot Study and Pretesting: Before drafting the interview schedule, pilot survey was taken for getting some information of different variables involved such as education, duration of stay, food habits, association, cultural functions, and friendship patterns. At the outset, it is realized that the transitory period of stay in Jordan is perfunctory as their contact with their local community is of a touch-and-go variety.

But this was a hunch that had to be tested rigorously to test its validity to ascertain how far it is in accord with the facts. The variables as aids and inhibiting factors in the process of adaptation were ascertained since they constituted one of the aims.

After the pilot study, the rough draft of the interview schedule was pre-tested by (150) respondents to find out whether the interview schedule was ambiguous or beyond the capacity of the respondents to give answer. After making sure that the interview schedule left no scope for flow; it had got duplicated and the researchers went to each respondent personally for collecting information.

After collecting information from the respondents the entire data were processed by the researchers themselves. Firstly, the researchers checked all the data, stored, categorized them into different codes. Coding of data was done entirely by the researchers themselves. Numbers were used for coding owing to the limited scope and number of the respondents.

The tabulation helped to present a clear-cut picture of the complex mass of data and thus made them easy to be understood.

After the data were systematized, classified and tabulated, the researchers proceeded to analyze and interpret them.

In order to secure meaningful results, dependent and independent variables were differentiated. The frequency tables and percentages of the scores were derived and utilized in statistical analysis.

Instrument Reliability: The internal symmetry of cronbach alpha was used, for the responses of the sample's elements which were selected purposively; the value of cronbach alpha for all statements was (0.87).

Results and Discussion

The prime concern of this study is to present the characteristics of Gulf students who are the subject of this study. The variables which are taken into account are age, sex, native place, marital status, length of stay in Jordan and proposed level of education. This study provides a sort of sketch by securing identificatory data pertaining to Gulf students. Wherever necessary, a nationwide

levels, whether undergraduation or graduate, or specializing in a particular subject (Table 1).

Tool of Data Collection: In the field of social research there are various techniques of data collection like observation, interview schedule, questionnaire, and case study. Each of these techniques posses certain advantages and disadvantages which offer as per the topic of research. Some techniques are more specific while others are less. Depending on the subject understanding, the researcher must select a technique fond to be most suitable for data collection.

In this study personal interview technique is opted for data collection. The questions in the schedule were preplanned and systematic and consisted of fixed alternatives or questions of facts relating to beliefs and feeling in the light of their experiences.

The interview schedule as a basic technique of data collection is very useful so far as evaluating responses from the subject and establishing rapport among the interviewer and interviewee is concerned. Because of the face to face contact involved in this method the facial expressions of the subject was observed by the investigators.

While conducting the study, the researchers participated in various occasions organized by the Gulf States students held in Jordan. The researchers' interaction helps them to gain familiarity and increase solidarity with the respondents and facilitate for a proper psychological atmosphere for collecting verbal information.

Interview Schedule: The structures type of interview schedule is used due to the nature of questions which are standardized, definite and concrete. In addition, open and closed questions are framed to help the researchers' going deeper into the psyche of the respondents and ensure their true opinions. The closed questions include both the 'fixed alternative 'questions and 'multiple choice' questions. The alternative replies which were provided by researchers help in making the questions clear. Through this factual and in-depth responses could be secured.

The questions of the schedule are framed on both independent and dependent variables. The schedule consists of (5 7) questions in total.

So far as the researchers' opinion is considered, it can be said that all the interviews are completed personally. This task was not boring because the respondents were friendly. The collected data are accurate, valid and provide authentic information.

2- To identify different motivational factors which influence Gulf States students to choose Jordan for their higher studies.

3- To find out the future plans after seeking their education.

4- To study opinions about the standards of education of Jordanian universities.

5- To find out the problems faced by Gulf students in Jordan.

6- To identify the types of relationships they are having with their neighbors, landlords and teachers.

7- To find out the processes of adjustments of Gulf students with the local friends and cultural activities, food habits, finances, etc.

Methodology

In the field of research it is a well-accepted fact that researcher's curiosity is the best starting point of scientific research. By method it is simply meant the research technique or tools together data; and by methodology is meant the philosophy of the research process. The scientific method consists of systematic observation, classification, coding and interpretation of data. Keeping this view in mind the researchers has made an attempt to explain the methodology utilized for the study.

Sampling Desings: The present study was confirming to the Gulf students pursuing their studies in several colleges of Jordanian universities. These students are taken education in the various departments, colleges and faculties of Jordanian universities.

The sampling design of the present study is purely purposive. The total sample of the present study consists of (600) students scattering in different faculties of education like arts, commerce, science, engineering, med., etc.

The basic assumption behind this sample was that with the exercise of good judgment and appropriate strategy one can handpick the cases to be included in the sample. Purposive selection denotes the method of selecting a number of groups of units in such a way that selected group together yield as quickly as possible the same average or proportion as the totality with respect to those characteristics which are already a matter of statistical knowledge.

Unit and Area of Study: Gulf students in Jordan residing in rented rooms, houses, and flats in different cities like Amman, Irbid, Zarka, Karak, and Mafraq have been contacted between Oct.2007 to Jan.2008 for data collection. The respondents are students from various faculties from different government and private Jordanian universities and at different

of students (Arab&Foreign) enrolled to the Jordanian universities for the year 2007\2008 was 34578 (The annual statistical reports,2008).

This study aims to identify the process of adjustment and the characteristics of everyday life of the Gulf States students' community in Jordan with the local community. Jordan universities are ones of those Arab universities which increasingly receive Gulf States students over the years. In the case of Gulf States students who have traveled to Jordan for prosecuting their studies, their stay lasts only till they finish their studies. In such short period, it may be hardly possible to think in terms of the cultural-directional processes like integration, assimilation, etc, whereas it is more scientific to think in terms of the "experiences that accompany change from one culture to another, even when the transition is temporary, which can be called cultural shock" (Newman, et al. 1981).

Operationalization of Concepts

The concepts used in the present research are:

1- ***Gulf States Students***: Generally are those persons of different categories who are studying at the Gulf States schools, universities and institutions, but Gulf States students in this case are those who migrate from Gulf Countries to Jordan for the purpose of studying. And those students are studying in colleges and departments of various faculties in Jordanian universities who are at different educational levels.

2- ***Socio-Economic***: means the individuals' social life and economic status. The research is looking into the students' social, economic and their day to day life with the individuals in the society, their interaction, and their meeting the income for economical conformity to the situation.

3- ***Adjustments***: Conforming of individuals' to the surrounding circumstances. This may be with reference to the physical or social environment. Physical adjustment is possible through the organic or structural modification transmitted by heredity and thus as adaptation when social adjustment is achieved by an individual through the acquisition of behavior patterns transmitted to him socially and through the adoption of new ways of behaving, as it is termed 'accommodation'.

Major Objectives of the Study

The following objectives are frames for the present study:-

1- To present a personal profile of the Gulf States students presuming high studies in Jordan comprising of variables such as age, sex, marital status, and present and proposed levels of education.

Selvadurai (1992) investigates the problem of international students at the American colleges and universities and concludes that most students came to the United State with their own cultural habits and background including the nature of family relationships, patterns of etiquette, food habits and restrictions, and their religious beliefs. The students' movement from their own cultures to the American liberal independent culture may cause a shock to them. Students may gain effective academic and personal experience through contact with the host community and involvement in its culture.

Alershoud and Koeske (1997) investigate Arab students' attitudes towards social contact with the Americans. Results reveal that most of the Arab students "seldom'' or "sometimes" spent free time with the Americans. Researchers attribute this to the vast cultural differences between the Arabic culture and the American culture. The results of a study by Li and Gasser (2005) show that contact with the hosts and cross-cultural self-efficacy were both related to Asian students' successful socio-cultural adjustment. Similarly, Perrucci and Hu (1995) examine the satisfaction of international graduate students with their educational and social experiences. They found that married students were more satisfied with social and community relations than unmarried students. Moreover, McKinley, Pattison and Gross (1996) point out that the extent of cultural differences may cause students to experience cultural shock which refers to the students' reaction to changes in the cultural environment.

Importance of Study

Studies on Gulf students in Jordan have not been conducted yet; there are only a few articles and books about foreign students.

Studies related to foreign students in developing countries and studies related to people migrating from one culture to another are quite rare. They are in the form of articles or reports but this study is a unique study in its nature.

As mentioned above, it seems that the phenomenon of Gulf students in Jordan hasn't been conducted according to the principles of "scientific investigation". Hence, this study is unique in its nature; it will fill a vital gap in research and provide an insight for further researches. The study may provide clues to the planners at the government and university level to ferret out solutions to the problems encountering foreign students during admitting them.

The Problem Selected: It is the researcher's own interest to select the presented topic. Jordan is situated in the center of the Arab World which welcomes a bulk of Gulf students every year. Today, a large number of Gulf States students as well as other foreign students come to Jordan to pursue their studies. The number of Gulf states students who are enrolled to universities for the year 2006\2007 was 7895.The statistics also shows that the number

Review of Literature

Some of the studies though made before seventies have attempted to sketch the picture of migrating people, their problems, lifestyles and adjustment in the new culture. Bennet (1954) whose study is concerned about the Japanese people in American society talks about their education and lifestyle.

McKnight (1956) has spelt out the misunderstanding created due to language barriers and lack of mutual understanding between the Japanese and the Americans which resulted in various problems.

Morris (1956) in the Journal of Social Science has spoken about the national status of foreign students influencing their attitude towards the host countrymen.

Singh (1963) in an in-depth doctoral study portrays the various problems, such as psychological and social problems faced by Indian students in Britain.

Gunguli (1975) discusses the likes and dislikes of foreign students for various academic courses run by Indian Universities and the major difficulties like dissatisfaction with living conditions, and the unfavorable attitudes on part of the Indian people.

The text paper of Mohan (1987) shows some of the problems faced by foreign students in India such as housing, food, adjustment with the local community, language, etc.

Changing the academic culture of international graduate students is a multi-dimensional and a challenging experience as it requires continuous transitions between two languages and academic systems Cadman (2000).A group of Arab Muslim students at a Canadian university state perform great efforts to overcome problems caused by the cultural and educational differences (Abukhattala, 2004).Bullen and Kenway (2003) emphasize the effects of differences between home and foreign academic systems on teaching and learning styles.

Studying in a language other than the learner's mother tongue is one of the main difficulties facing international students which may negatively affect their performance. A number of studies investigating experiences of international students regarding foreign language difficulties show a lack of language competence as a substantial problem (Mostafa, 2001; Selvadurai, 1992; Cammish, 1997; Macrae, 1997).

It is well-known that culture plays a complex and an important role in international relationships (Mostafa, 2006). When students move from their home country to another country, they will encounter cultural differences that exacerbate difficulties of settling into the new culture and affect their interpersonal relationships and adjustment (Wisker, 2005).

Adaptation is a shift in function that ensures in a certain environment on the part of a living organism. It supposes an adjustment, requirement and tolerance and the achievement of certain efficiency. The case of a man is hardly different even though social and psychological requirements may have precedence over climatic and physiologic requirements.

Adaptability of social system to the changing environment is essential. No doubt, a social system is the result of geographical environment and a long drawn historical process in which necessity gives permanence and rigidity. Yet that should not make it wooden and inelastic. It needs to be a flexible and functional phenomenon. Economy for its maintenance, division of labor for better production of goods and effective services, and role differentiation for job opportunity is essential.

The social scientist is interested in actual day to day contact between individuals. He is concerned with concrete actions, and with the satisfaction of ends through the discriminatory choice of means in group situation. He is not only interested, for instance, in political and economic institutions, but also in political and economic activities and the functions these activities perform. But since there are cultural elements in all behavior, it can hardly be said that he never escapes the necessity of considering cultural influence.

The Gulf State students hailing from a different culture are the subject of this study. As a result of the international relations among these Arab countries (Jordan-Gulf), and due to the industrialization and urbanization forces, and the spread of education, the mobility of Gulf States students to Jordan is in increase.

Gulf students represent different cultures, and when one speaks about their educational mobility in Jordan, he should also think of the sociological point of view about the cultural changes, or movements of one culture to another. When different cultures come in close contact, most of the processes that take place are assimilation, integration, acculturation, cultural fusion, etc.

Cultural change, which is temporary in nature, may not always result in complete isolation or complete involvement depending upon the practical acquaintance of these Gulf students with the new culture. Such experience and knowledge of new culture can act as a motivating factor in the adjustment or adaptation of these newcomers to the changed conditions. As mentioned earlier, the prime goal of these students is educational; hence adjustment with the new environment, fitting themselves with new environment or fitting themselves with the changed condition may either promote or hamper their goal-oriented efforts.

The Arab Journal For Arts Vol. 8 No. 1, 2011, pp. 1-24

Adjustmen, Characteristics and Everyday Life of the Gulf States Students in Jordanian Universities

Faisal al-Matalka, Mozfi Amyan and **Farouq Al-Azzam**[*]

Abstract

This study aims at exploring the experiences of the Gulf States undergraduate students in the Jordanian universities regarding cultural differences and adjustments, their problems, differences of the study systems, motivational factors in selecting a Jordanian university, future plans, opinions about the standards of education, and the students' relations with the local community. Structure interviews were conducted with six hundred Gulf States undergraduate students from Kuwait, Emirates, Bahrain, Saudi Arabia, Qatar and Oman.The findings of the study reveal that although students experience some difficulties, adjusting is made easier through their interaction with the local people as well as with Jordanian students.In addition, the respondents indicate the friendly nature of the Jordanian students as an asset that helped them adjusting well with the local community. Moreover, the presence of the Gulf States students at Jordanian universities helped them in gaining much education and experiences. The study recommends greater cooperation between universities, ministries of education and culture, the higher council of youth, and the concerned embassy to make their stay in Jordan easier and more valuable.

Introduction

Adjustment is a continual process by which a person varies his behavior to produce the more harmonious relationships between himself and the environment. It is a condition of harmony and peace arrived at by persons whom we call well- adjusted.

The "Mechanism of adjustment" refers to any process within which the personality has functional consequences on the personality. "Adjustment" has to do with the relationship between the personality and the outside world. The term "adjustment" is referred to "adaptation" since the latter might suggest that the personality only passively accepts or submits to the environment. The functional success of any process is always contingent upon factors external to the process itself (Parsons and Olds, 1955).

* Aqaba University College, Al Balqa Applied University, Aqaba, Jordan.

Table of Contents

Articles in Arabic

Articles in English

- One copy of the issue in which the manuscript is published well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7211137
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author's full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author's full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa'aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors' surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts (*AARUJA*) is a biannual refereed academic journal published by the Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

AARUJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board

- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion

- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication

- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word)

- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages

- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief

- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy

- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA*.

- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 8 **No. 1** **1432/2011**